

المسائل والمسائل

المروية عن الإمام أحمد بن حنبل

في لعنة

الجزء الأول

جمع وتحقيق ودراسة
عبدالله بن سلمان بن سالم الأحمدي

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

١٩٩١ م - ١٤١٢ هـ

دار طيبة

الرياض - شارع عسور - ص.ب. ٧٦١٢

الملكة العزيزة الينيرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تهييد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
أرسله بالهدى ودين الحق فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله
حق جهاده حتى أتاه اليقين ... وبعد :

فإنه لا يخفى ما للعقيدة من دور متميز في حياة المسلمين إيماناً وسلوكاً
فهى الأساس ومن حقها أن تكون لها الأولوية ، ومن الواجب على المسلم أن
يكون اعتقاده مبنيًا على ما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم فهما المصدران اللذان يعول عليهما في هذا الشأن .

لذا لم ينشأ النزاع في المسائل العقدية في عهد الصحابة ومن تبعهم بإحسان
لثباتهم على هذا المبدأ لكن لما ظهر من لم يكتف بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم نشأ النزاع والاضطراب ، عندها لم يجد علماء السلف بدأ
من إيضاح الأمور وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
ومن أولئك العلماء الذين جاهدوا في سبيل تثبيت العقيدة الصحيحة في قلوب
المسلمين إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني والذي قد كفينا عن
سطر ما قام به من جهود كبيرة فهى معروفة للقاصي والداني وما سنذكره عن
الإمام أحمد يمثل عقيدة أهل السنة والجماعة .

ولما كانت أقوال هذا الإمام في المسائل العقدية لا يجمعها - حسب علمي -
كتاب بهذا الأسلوب بل هى متناثرة في بطون الكتب المطبوع منها والمخطوط ،
رأيت من المفيد جمع هذه المسائل وترتيبها والتعليق عليها وفق منهج علمي دقيق
حتى تكتمل الفائدة منها .

هذا وقد قدمت لهذه المسائل والرسائل دراسة جعلتها على باين ذكرت
في الأول منها ما يتعلق بسيرة الإمام أحمد - بإيجاز - وتحدثت في الباب الثاني عن
جمع هذه المسائل والرسائل وما يتعلق بها . وختتمته بالمنهج المتبع في الجمع والتحقيق
والدراسة .

وأسجل هنا شكرى وتقديرى لفضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصارى
الأستاذ فى قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية . الذى تفضل بالإشراف على
هذا البحث وأفادنى كثيراً فجزاه الله خيراً وشكر سعيه .

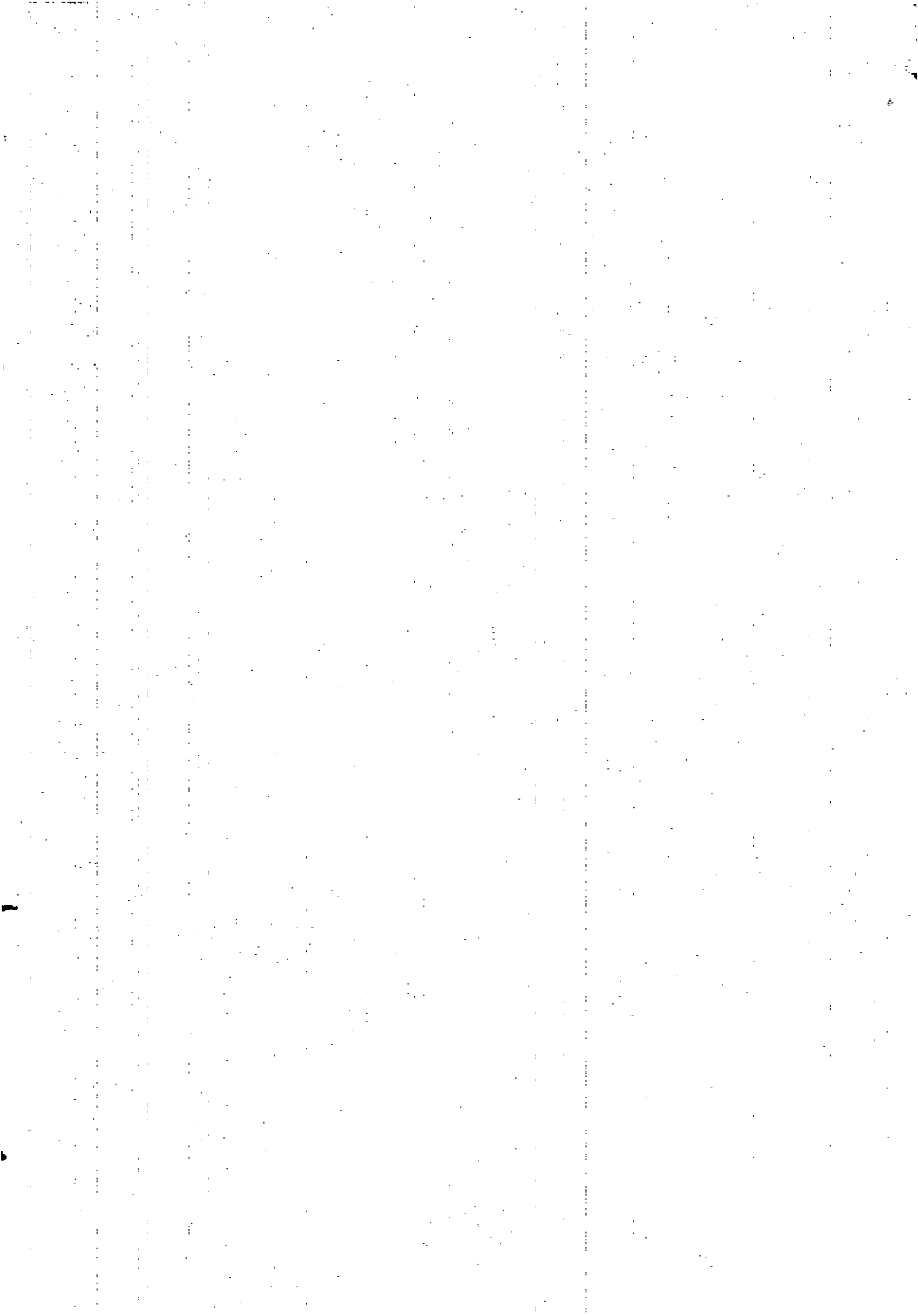
في ترجمة الإمام أحمد رحمه الله .

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : اسمه ونسبه ، كنيته ، مولده ، أسرته ،
عصره .

المبحث الثاني : نشأته العلمية ، رحلاته ، سعة علمه ،
شيوخه ، تلاميذه .

المبحث الثالث : مؤلفاته ، ثباته على الحق ، وفاته .



المبحث الأول

اسمه ونسبه :

هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله ابن حبان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الشيباني.^(١)

كنيته :

يكنى بأبي عبد الله .

مولده :

ولد - رحمه الله تعالى - في شهر ربيع الأول من أربع وستين ومئة ببغداد . وقيل ولد بمرور ومنها حمل إلى بغداد والأول هو الصحيح فقد وفدت أمه إلى بغداد وهي حامل به ، ونشأ يتيماً .

أسرته :

كان مقام أسرته بالبصرة وما حولها . ووالده من أجناد مرو ، توفي وهو شاب في الثلاثين من عمره ، وجده حنبل تقلد ولاية سرخس في العصر الأموي ثم أصبح من المناصرين للدعوة العباسية عند انطلاقها . ووالدته من بني شيبان أيضاً ، وقد تولت تربيته فأحسنت .^(٢)

(١) تاريخ بغداد : ٤/٤١٤ ، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص : ١٨ ، البداية والنهاية : ٣٥/١٠ ، سير أعلام النبلاء : ١٧٨/١١ .

(٢) المصادر السابقة .

وقد كان له - رحمه الله - ولدان عالمان هما صالح وعبد الله^(١)، وله أيضا من الأولاد غيرهما^(٢).

عصره

الحالة السياسية :

عاش الإمام أحمد ما بين عام أربع وستين ومئة إلى عام إحدى وأربعين ومئتين حيث عاصر من خلفاء بني العباس المهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون والمعتمد والواثق والمتوكل ، وقد تميزت فترة ولاية هؤلاء بالاستقرار السياسي وإن كان يحدث من فترة لأخرى بعض القلاقل^(٣) أما البيت العباسي نفسه فقد كان فيه التنافس - في بعض الأحيان - قويا على السلطة بسبب سعي بعض الخلفاء إلى نقض ما أبرمه سلفه في ولاية العهد ونتج عن هذا وقوع فتنة بين الأمين والمأمون انتهت بمصرع الأول الذي كان يؤازره العرب وغلبة الثاني الذي يؤازره الفرس ، مما نتج عنه فيما بعد تسلط الأعاجم على الحكم وإحكام قبضتهم على خلفاء بني العباس.

الحالة الاجتماعية :

نظرا لهذا الوضع السياسي المستقر كانت الحياة الاجتماعية في تلك الفترة جيدة وطفى عليها من بعض الفئات مظاهر الترف والتبذير والمجون .

الحالة العلمية :

كانت تلك الفترة ذهبية ، فهي فترة ثقافة وورق وحضارة وعز للإسلام وقد كانت بغداد - التي عاش فيها الإمام أحمد - منارة للعلم ومقصدا للعلماء .

(١) سياتى التعريف بهما عند الكلام عن المصادر المعتمدة في جمع هذه المسائل والرسائل ص: ٢١٠ ،

٢٢٤ .

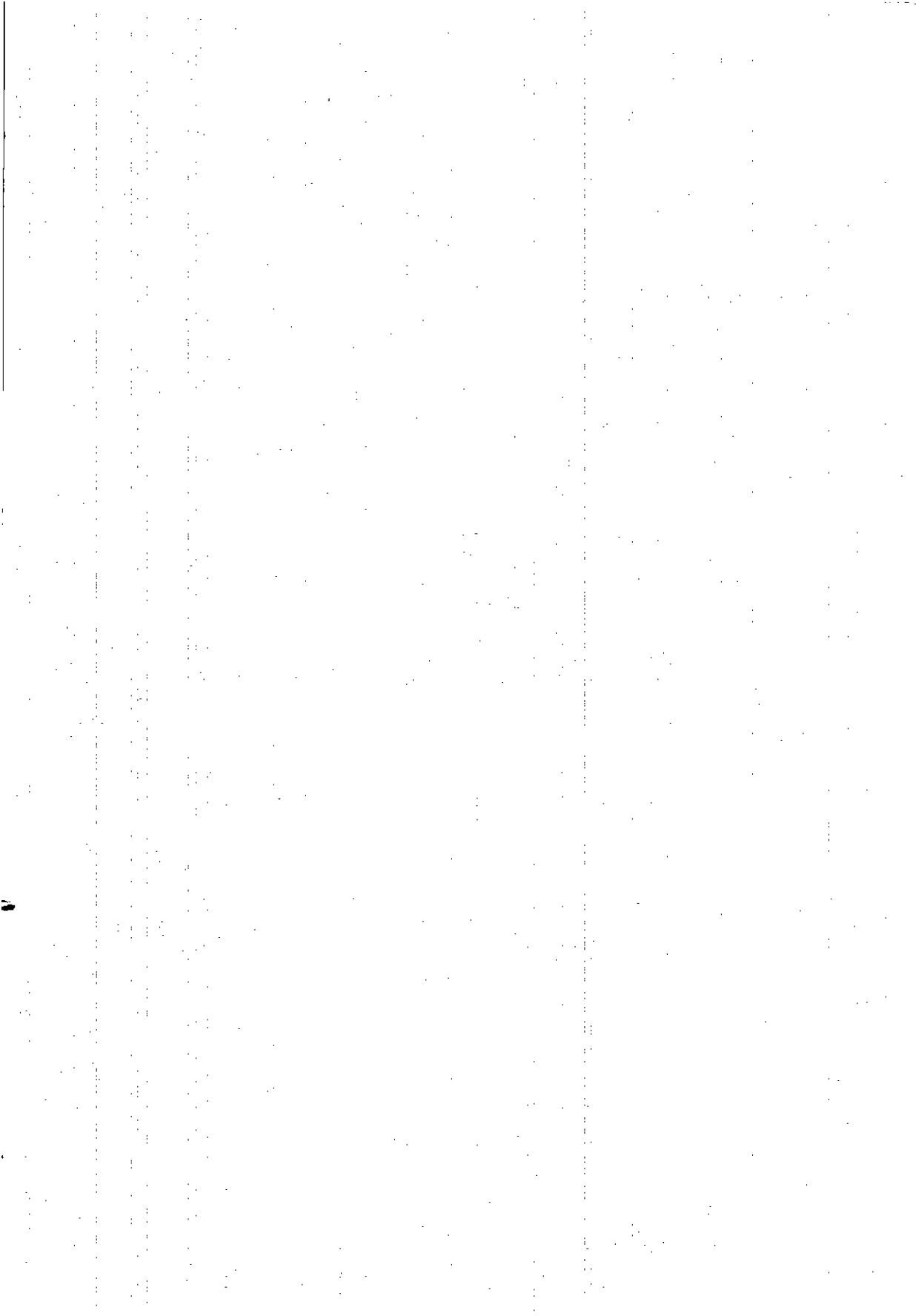
(٢) انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص: ٩ .

(٣) من ذلك : ثورات العلويين المتتالية واستفحال أمر بابك الخرمي وأتباعه .

وصاحب هذه النهضة العلمية الكبرى استفحال البدع وظهور تيارات وحركات حاولت النيل من عقيدة السلف . وقد وجدت في بعض الفترات المساندة السياسية كما حصل في عصر المأمون إذ قويت شوكة المعتزلة وحاولوا إرغام الناس على القول بخلق القرآن .

ويُرجع كثير من المحققين السبب في انتشار البدع إلى تلك الكتب اليونانية- وغيرها - التي ترجمت إلى اللغة العربية حيث تلقفها المتكلمون وفتنوا بما فيها . وقد كان لظهور البدع وانتشارها أثر بالغ في حركة التأليف حيث هب العلماء للدفاع عن العقيدة الصحيحة وإزالة الشوائب التي حاول المبتدعة إصاقها بها .^(١)

(١) انظر كثيراً من الجوانب التي تمثل هذه الفترة في : البداية والنهاية : ١٥٨/١٠ - ٣٤٣ .



المبحث الثاني

نشأته العلمية :

بدأ الإمام أحمد مسيرته العلمية في سن مبكرة إذ يقول : اختلفت إلى الكتاب ثم اختلفت إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة .^(١)
وطلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة سنة .^(٢)

رحلاته :-

يتضح من سيرته العلمية اهتمامه بالحديث إذ كان له الباع الطويل في هذا الشأن . وقد رحل في تحصيله إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام وطرسوس .^(٣)

سعة علمه :

قال الشافعي : أحمد إمام في ثمان خصال :

إمام في الحديث ، إمام في الفقه ، إمام في اللغة ، إمام في القرآن ، إمام في الفقر ، إمام في الزهد ، إمام في الورع ، إمام في السنة^(٤) .

وقال أيضا : خرجت من بغداد وما خلفت بها أحدا أتقى ولا أروع ولا أفتقه من أحمد بن حنبل^(٥) .

(١) سير أعلام النبلاء : ١٨٥/١١ .

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص : ٤٦ .

(٣) ت/ بغداد : ٤١٢/٤ .

(٤) طبقات الخنابلة : ٥/١ .

(٥) ت/ بغداد : ٤١٩/٤ .

وقال أبو عبيد بن سلام : انتهى العلم إلى أربعة : أحمد بن حنبل ... وكان أحمد أفقههم فيه^(١) .

وقال أبو زرعة لعبد الله بن أحمد : أبوك يحفظ ألف ألف حديث^(٢) . اهـ .
وقد كان - رحمه الله تعالى - من أئمة الجرح والتعديل وقوله في الرجال له مكانته ووزنه . وقد كانت إمامته في الحديث أمرا متفقا عليه ، لكن الغريب ما زعمه البعض من أن الإمام أحمد لا يعد فقيها وإنما هو محدث^(٣) . وأقول : لا ينكر توجه الإمام أحمد إلى الحديث واهتمامه به إلا أن هذا لا يعنى أنه اقتصر عليه بل كان هذا التوجه إلى هذا العلم الشريف هو ما جعل منه فقيها كبيرا ، فقد كان يعتمد على الحديث في مسائل الفقه ، وما بين أيدينا من فقه الإمام أحمد خير شاهد على هذا ، فلا يلتفت إلى هذه المقولة الباطلة . وقد تقدم أنفا قول الإمام الشافعي وأبي عبيد وهناك نقول عن علماء كبار تشهد له بالإمامة في الفقه^(٤) .

قال ابن عقيل : ومن عجيب ما تسمعه عن هؤلاء الأحداث الجهال : أنهم يقولون : أحمد ليس بفقيه لكنه محدث ، وهذا غاية الجهل لأنه قد خرج عنه اختيارات بناها على الأحاديث بناءً لا يعرفه أكثرهم ، وخرج عنه من دقيق الفقه ما ليس تراه بأحد منهم^(٥) .

شيوخه :-

ذكر ابن الجوزي جملة كبيرة من مشايخه الذين روى عنهم ، وهم أكثر من أبرزهم : هشيم وسفيان بن عيينة وجرير بن عبد الحميد ووكيع وأبو معاوية الضرير وعبد الرحمن بن مهدي والشافعي وعبد الرزاق وعفان وأبو نعيم وعبد الله بن نمير^(٦) .

(١) المصدر السابق : ٥/١ - ٦ ، سير أعلام النبلاء : ١٩٦/١١ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ١٨٧/١١ .

(٣) انظر : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص : ١٦ .

(٤) انظر : ت/ بغداد : ٤١٩/٤ ، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص : ١٢٧ .

(٥) مناقب الإمام أحمد ص : ٩١ - ٩٢ .

(٦) مناقب الإمام أحمد ص : ٥٨ - ٦١ ، ت/ بغداد : ٤١٣/٤ ، سير أعلام النبلاء :

١٨٠/١١ - ١٨١ .

قال الذهبي : فعدة شيوخه الذين روى عنهم في المسند مئتان وثمانون
ونيف^(١) . اهـ .

ومن حدث عنه من شيوخه : عبد الرزاق والشافعي^(٢) .

تلاميذه:

الرواة عن الإمام أحمد كثيرون أيضا فمنهم من روى عنه الحديث فقط ،
ومنهم من اهتم بنقل مسائله وتدوينها ، ومنهم من جمع بين الأمرين .

ومن أبرز من حدث عنه : البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى
والنسائي^(٣) .

(١) المصدر السابق .

(٢) مناقب الإمام أحمد ص : ١١٥ - ١٢٤ ، سير أعلام النبلاء : ١١١/١١ .

(٣) المصادر السابقة .

المبحث الثالث

مؤلفاته :

الإمام أحمد كان يكره وضع الكتب وكان - رحمه الله - من الحفاظ المشهود لهم .

قال أبو زرعة : حُرِّرت كتب أحمد يوم مات قبلت اثني عشر حملاً وعدلاً ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه حدثنا فلان كل ذلك كان يحفظه^(١) . اهـ

فهو - رحمه الله - لم يكتب إلا الكتب الحديثية كالمسند والزهد وفضائل الصحابة وبعض الرسائل في العقيدة . وقد كان لابنيه عبد الله وصالح وأصحابه وتلامذته جهد كبير في إظهار علمه ونشر ما أثر عنه . وسأذكر مؤلفاته المصنفة والمروية عنه^(٢) المطبوع منها والذي ما زال مخطوطاً أو مفقوداً ، ثم أذكر في المبحث التالي ما أفدته من هذه المصنفات وغيرها .

وأبدأ بالمطبوع أو الذي حقق ولم يطبع :

- ١ - المسند . وهو بحق يعتبر موسوعة في الحديث النبوي ، ومصدراً أساسياً لا يمكن الاستغناء عنه فقد جمع فيه ما يقارب أربعين ألف حديث كما ذكر ابن النديم^(٣) ، وذكر فؤاد سزكين^(٤) أنه يضم ٢٨٠٠٠ - ٢٩٠٠٠ حديث ، وهو مطبوع . وفيه زيادات لابنه عبد الله كثيرة .
- ٢ - الزهد . مطبوع .

(١) سير أعلام النبلاء : ١١/١٨٨ .

(٢) أقصد ما لم يصنفه هو وإنما صنفه تلامذته أو من أخذ عنهم كالخلال الذي جمع مسائله ثم وضعها في مصنفات مناسبة لها .

(٣) الفهرست ص : ٣٢٠ .

(٤) في تاريخ التراث العربي : ٢/١٩٨ .

- ٣ - فضائل الصحابة . وقد نال به محققه درجة الدكتوراه وطبعه .
- ٤ - العلل ومعرفة الرجال رواية عبد الله . طبع .
- ٥ - الأشربة . طبع مرارا .
- ٦ - الورع . طبع قديما وظهر أخيرا .
- ٧ - الرد على الجهمية . طبع مرارا .
- ٨ - الصلاة وما يلزم فيها . طبع مرارا .
- ٩ - أحكام النساء . طبع .
- ١٠ - مسائل أحمد - برواية عبد الله - طبع .
- ١١ - مسائل أحمد - برواية صالح - حقق - رسالة دكتوراه ، في الجامعة الإسلامية قد طبع بالتحقيق المذكور .
- ١٢ - مسائل أحمد - برواية ابن هانيء - طبع .
- ١٣ - مسائل أحمد - برواية أبي داود - طبع .
- ١٤ - مسائل أحمد - برواية الكوسج - حقق ، رسالة دكتوراه ، وأربع رسائل ماجستير بالجامعة الإسلامية .
- ١٥ - مسائل أحمد - برواية عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى - طبع .
- ١٦ - عقيدة الإمام أحمد برواية : عبدوس بن مالك ، ومحمد بن عوف الطائى ، والحسن بن إسماعيل الربعى ، ومحمد بن حبيب الأندرانى ، وأحمد بن جعفر الإصطخرى وهى جميعها مطبوعة ضمن تراجم أصحابها فى طبقات الخنابلة .
- ١٧ - رسالته إلى مسدد بن مسرهد . مطبوعة ضمن طبقات الخنابلة فى ترجمة مسدد .
- ١٨ - كتاب السنة للخلال جمع فى معظمه نصوص الإمام أحمد وقد حقق قسم منه ، رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية .
- ١٩ - الأسماء والكنى ، برواية صالح . طبع .

ومن المؤلفات المخطوطة :

- ٢٠ - مختصر في أصول الدين والسنة^(١).
- ٢١ - مسائل حرب الكرماني^(٢).
- ٢٢ - مسائل الأثرم^(٣).
- ٢٣ - الناسخ والمنسوخ^(٤).
- ٢٤ - أحكام أهل الملل ، جمع الخلال^(٥).
- ٢٥ - الثلاثة أحاديث التي رواها الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم في المنام^(٦).
- ٢٦ - أسئلة لأحمد بن حنبل عن الرواة الثقات والضعفاء^(٧).
- ٢٧ - جزء فيه أحاديث رواها أحمد بن حنبل عن الشافعي^(٨).
- ٢٨ - مسند أهل البيت لأحمد بن حنبل^(٩).
- ٢٩ - معرفة الرجال وعلل الحديث . رواية أبي بكر المروزي^(١٠).
- ٣٠ - الوقوف والوصايا جمع الخلال^(١١).

-
- (١) تاريخ الأدب العربي : ٣١٠/٣ ، وتاريخ التراث العربي : ٢٠٦/٢ .
 - (٢) ذكر محقق مسائل ابن هانيء أنه يحتفظ بنسخة منها .
 - (٣) مكتبة عبد الرحيم صديق بمكة المكرمة . أشار إلى وجوده في المكتبة المذكورة محقق كتاب الإبانة الصغرى لابن بطة .
 - (٤) له نسخة مصورة في مكتبة فضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري .
 - (٥) له نسخة مصورة في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية .
 - (٦) تاريخ التراث العربي : ٢٠٦/٢ .
 - (٧) فهرس مخطوطات الظاهرية - حديث ص : ١٢٣ ، ولدى فضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري نسخة منه .
 - (٨) فهرس معهد المخطوطات : ٢٣٦/٢ .
 - (٩) فهرس الخزانة التيمورية : ٢٣٦/١ .
 - (١٠) فهرس مخطوطات الظاهرية ص : ٢١٢ .
 - (١١) فهرس دار الكتب بالقاهرة .

- ٣١ - جواب الإمام أحمد عن سؤال في خلق القرآن^(١) .
 ٣٢ - قصيدة في الموت والآخرة^(٢) .
 ٣٣ - السنة الصغير^(٣) .
 ٣٤ - الترجل^(٤) .

ومن المؤلفات التي ذكرت في ثنايا بعض الكتب والتي يظن أنها مفقودة :

- ٣٥ - التفسير^(٥) .
 ٣٦ - المناسك^(٦) .
 ٣٧ - الفرائض^(٧) .
 ٣٨ - طاعة الرسول برواية صالح بن أحمد^(٨) .
 ٣٩ - التاريخ^(٩) .
 ٤٠ - المقدم والمؤخر في كتاب الله^(١٠) .
 ٤١ - حديث شعبية^(١١) .

-
- (١) تاريخ التراث العربي : ٢١٥/٢ .
 (٢) تاريخ التراث العربي : ٢٠٣/٢ .
 (٣) تاريخ التراث العربي : ٢٠٥/٢ .
 (٤) دار الكتب المصرية. وله نسخة في مكتبة عبد الرزاق حمزة بمكة المكرمة وفي مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
 (٥) طبقات الخنابلة : ٨/١ ، وسير أعلام النبلاء : ٥٢١/١٣ ، وانظر ما ذكره في : ٣٢٨/١١ حول نسبة هذا الكتاب لأحمد .
 (٦) الكبير والصغير . طبقات الخنابلة : ١٨٣/١ .
 (٧) سير أعلام النبلاء : ٣٢٨/١١ .
 (٨) وهو موجود برواية عبد الله وقد أفدت منه ، ذكره الداودي في طبقات المفسرين : ٧١/١ . وما تقدم ذكره ابن النديم في الفهرست ص : ٣٢٠ .
 (٩) سير أعلام النبلاء : ٣١٨/١٣ ، فتح الباري : ٢٧/١ .
 (١٠) طبقات الخنابلة : ٨/١ ، والسير : ٥٢١/١٣ .
 (١١) طبقات الخنابلة : ١٨٣/١ ، والسير : ٥٢١/١٣ .

- ٤٢ - جوابات القرآن^(١) .
 ٤٣ - حديث الشيوخ^(٢) .
 ٤٤ - الإرجاء^(٣) .
 ٤٥ - فضائل أهل البيت^(٤) .
 ٤٦ - الإيمان برواية عبد الله بن أحمد بن حنبل^(٥) . ورواية الحسين بن الحسن الرازي^(٦) .
 ٤٧ - الرد على الزنادقة ٣/ج^(٧) .
 ٤٨ - نفى التشبيه .
 ٤٩ - الإمامة^(٨) .

ثباته على الحق :

لقد كان في ثبات الإمام أحمد - رحمه الله - في مسألة القرآن قوة وصلابة دحر بها أهل الزيغ والضلال وتلاشت أمامها أوهامهم في حمل أئمة السنة على القول بخلق القرآن .

قال أبو نصر السجزي : ... ثم ظهر الكلام وأهله وانتشرت كتب الفلاسفة وأهل الزيغ في أيدي الناس وكثرت المذاهب في الأصول فأيد الله سبحانه بمنه أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني - رحمه الله - حتى قام بإظهار المنهاج الأول ... وكان متمسكا بآثار السلف وتمسكنا من العقل والعلم والحلم ، فنشر ما كان عليه السلف وثبت في المحنة ولم يأت من عنده بشيء ولم يعول إلا

(١) المصدران السابقان .

(٢) ت / بغداد : ٣٧٥/٩ ، مناقب الإمام أحمد ص : ٢٤٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٢٤٣/١١ . ومحنة أحمد بن حنبل لحنبل بن إسحاق ص : ٤٠ .

(٤) المستدرک للحاکم : ١٥٧/٣ .

(٥) العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى : ٩٦٣/٣ .

(٦) المعجم المفهرس لابن حجر : ١٠٦/١ .

(٧) لعله الكتاب المتداول المعروف .

(٨) سير أعلام النبلاء : ٣٣٠/١١ .

على السنن الثابتة ، وإنما عرف المذهب به لتفرده بالقيام في وقته وسكوت أترابه عن ذلك ، إما لخوف البعض أو عرفانا من الآخرين بأنه أولاهم بما قام به لتقدمه عليهم في خصال الخير ، وظهر تقدمه في العلوم التي ذكرناها فهو إمام مقتدى به^(١) .

ويقول ابن تيمية : إن الإمام أحمد صار مثلاً سائراً يضرب به المثل في المحنة والصبر على الحق ، وإنه لم تكن تأخذه في الله لومة لائم ، حتى صار اسم الإمام مقروناً باسمه في لسان كل أحد فيقال : قال الإمام أحمد . هذا مذهب الإمام أحمد لقوله تعالى ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾^(٢) فإنه أعطى من الصبر واليقين ما يستحق به الإمامة في الدين . وقد تداوله ثلاثة خلفاء مسلطون من شرق الأرض إلى غربها ، ومعهم من العلماء المتكلمين والقضاة والوزراء والسعاة والأمراء والولاة من لا يحصيهم إلا الله فبعضهم بالحبس وبعضهم بالتهديد الشديد بالقتل وغيره ، وبعضهم بالتشريد والنفى ... وهو مع ذلك لم يعطهم كلمة واحدة مما طلبوه منه وما رجع عما جاء به الكتاب والسنة ولا كتم العلم ، ولا استعمل التقية^(٣) بل أظهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره ودفع من البدع المخالفة لذلك ما لم يتأت مثله لعالم من نظرائه وإخوانه المتقدمين والمتأخرين^(٤) .

ويقول في موضع آخر : وصار الإمام أحمد علماً لأهل السنة الجائين بعده من جميع الطوائف : كلهم يوافقونه في جمل أقواله وأصول مذاهبه ، لأنه حفظ على الأمة الإيمان الموروث والأصول النبوية ممن أراد أن يحرفها ويبدلها^(٥) .

(١) الرد على من أنكروا الحرف والصوت (ق : ٤٩) .

(٢) سورة السجدة / آية : ٢٤ .

(٣) قال لعمه إسحاق لما أرادته عليها وهو في السجن : يا عم إذا أجاب العالم تقية والجاهل بجمل فمتى

نتبين الحق . محنة أحمد لحنبل بن إسحاق ص : ٤١ .

(٤) مجموع الفتاوى : ٤٣٩/١٢ .

(٥) المصدر نفسه .

وفاته:

بعد حياة حافلة بطلب العلم ونشره ومناصرة عقيدة السلف والدفاع عنها وافاه الأجل يوم الجمعة في الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومئتين وله سبع وسبعون سنة - رحمه الله - وجزاه عما قدمه من نصرة الدين خير الجزاء.

ولا بد لي أن أشير هنا إلى أن ما سطرته في هذه الوريقات لا يمثل الجوانب المتعددة في حياة هذا الإمام وما ذكرت إلا غيضاً من فيض ، فالإمام أحمد علم من أعلام المسلمين اهتم به العلماء والمؤرخون قديماً وحديثاً ، وكتبوا عنه حتى إن البعض منهم صنف في هذا كتباً مستقلة كما فعل ابن الجوزي في كتابه «مناقب الإمام أحمد» . وكذا ألف البيهقي^(١) والمهروي^(٢) كتابين بهذا الاسم .

وللسعدي^(٣) «الجواهر المحصل في مناقب الإمام أحمد» وقد طبع ، وذكر فؤاد سزكين لتقى الدين المقرئ (ت : ٨٤٥ هـ) «مناقب أحمد» وقال ربما كان مختصراً من كتاب المقفي للمقرئ^(٤) - ليدن : ١١٠٣ .

كما خصصت مؤلفات في محنته ، ومنها :

« ذكر محنة أحمد لحنبل بن إسحاق » وهو مطبوع ، ومحنة إمام أهل السنة للمقدسي وقد طبع حديثاً ، وامتحان أحمد مع أمير المؤمنين لأبي طاهر إبراهيم ابن أحمد بن يوسف القرشي كتبه قبل ٦٦٩ هـ^(٥) . وله نسخة مصورة في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية .

(١) ستأني ترجمته ص : ٥٣ م . والكتاب ذكر في مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٣٨٤/٨ . وذكره فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي : ١٩٨/٢ وقال : وصلت إلينا منه قطعة كبيرة في كتاب البداية والنهاية : ٣٢٩/١٠ - ٣٣٥ .

(٢) هو : عبدالله بن محمد الأنصاري وقد ذكر مُصنّفه هذا ابن تيمية في مجموع الفتاوى : ١٧٧/٦ . والذهبي في السير : ٥١٠/١٨ .

(٣) هو : بدر الدين ، محمد بن محمد بن أبي بكر السعدي . المتوفى سنة ٩٠٠ هـ . انظر معجم المؤلفين : ١٩٩/١١ .

(٤) تاريخ التراث العربي : ١٩٨/٢ .

(٥) نفس المصدر .

وهناك أبحاث أخرى أيضا منها : سيرة الإمام أحمد لصالح بن أحمد^(١) .

وذكر فؤاد سزكين :

« مجمل الرغائب في المناقب » لركى الدين عبد الله بن محمد بن عبد الله الخزرجي المالكي كتبه قبل ٨٣٤هـ . وهو تنقيح مختصر من كتاب لابن الجوزي - دار الكتاب بالقاهرة^(٢) .

وذكر بروكلمان^(٣) فيمن كتب عن أحمد :

أحمد بن مخزومة في تاريخ عدن وفيه أنه ورد إلى عدن في طلب العلم^(٤) .

وفي العصر الحاضر ظهرت مؤلفات كثيرة تبحث في سيرته ومنها :

أحمد بن حنبل حياته وعصره - آراؤه الفقهية. لمحمد أبو زهرة .

أحمد بن حنبل بين محنة الدين والدنيا. لعبد الجواد الدومي .

أحمد بن حنبل إمام أهل السنة. لعبد الحلیم الجندی .

أحمد بن حنبل والمحنة. لعلي بن الحق .

أحمد بن حنبل والمحنة ولتر . ترجمة عبد العزيز بن عبد الحميد .

(١) راجع المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) تاريخ التراث العربي : ٣٠٩/٣ .

(٤) وهناك نص يؤكد ذهابه إلى عدن فقد روى الأثرم عن أحمد أنه قال : في سبيل الله دراهم أنفقناها

في الذهاب إلى عدن إلى إبراهيم بن الحكم بن أبان . الجرح والتعديل : ٩٤/٢ .

وذكر بروكلمان أطروحة دكتوراه في أحمد بن حنبل ومحتته ، لبائن^(١)
خصص له أصحاب كتب التراجم مساحات كبيرة في كتبهم واهتموا

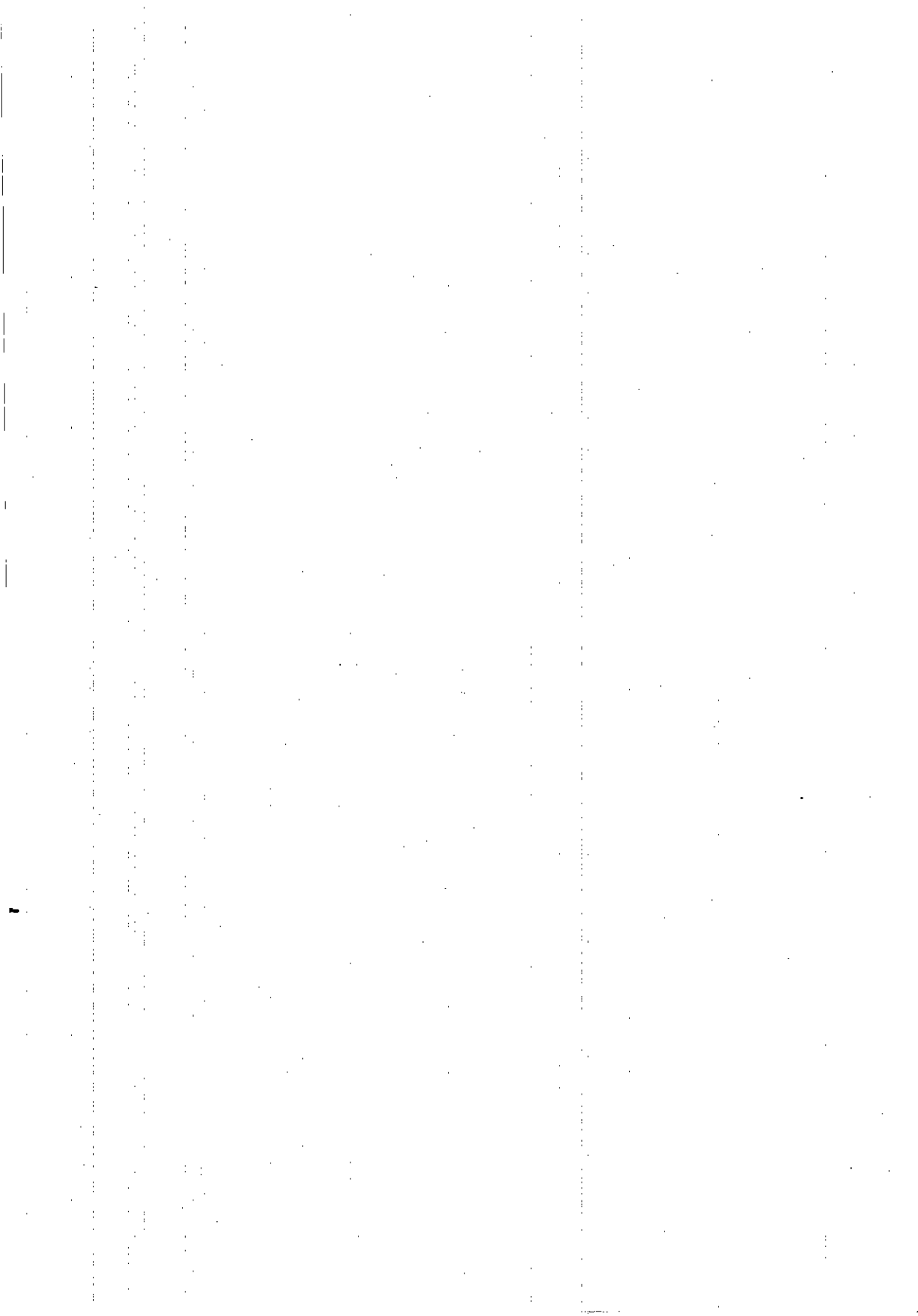
- (١) تاريخ الأدب العربي : ٣/٣٠٩ .
- (٢) انظر : طبقات ابن سعد : ٣٥٤/٧ ، التاريخ الكبير : ٥/٢ ، والتاريخ الصغير : ٣٧٥/٢ وكلاهما
للبخارى ، والتاريخ ليعقوب الفسوي : ٢١٢/١ ، والجرح والتعديل : ٢٩٢/١ - ٣١٣/٢ و٦٨/٢ ،
٧٠ ، وحلية الأولياء : ١٦١/٩ ، ٢٣٣ ، والفهرست لابن النديم ص : ٢٨٥ ، وت/ بغداد :
٤١٢/٤ ، ٤٢٣ ، وطبقات الخنابلة : ٢٠،٤/١ ، وتهذيب الأسماء واللغات : ١١٠/١ ، ١١٢ ،
ووفيات الأعيان : ٦٣/١ ، ٦٥ ، وتهذيب الكمال ورقة : ٣٦ ، تذكرة الحفاظ : ٤٣١/٢ ، وسير
أعلام النبلاء : ١٧٧/١١ ، والعبير : ٤٣٥/١ ، وتهذيب التهذيب : ٢٢/١ ، والوفاء بالوفيات :
٣٦٣/٦ ، ٣٦٩ ، مرآة الجنان : ١٣٢/٢ ، وطبقات الشافعية للسيكي : ٢٧/٢ ، ٣٧ ، والبداية
والنهاية : ٣٢٥/١٠ ، ٣٤٣ ، وغاية النهاية في طبقات القراء : ١١٢/١ ، والنجوم الزاهرة :
٣٠٤/٢ ، ٣٠٦ ، وطبقات الحفاظ ص : ١٨٦ ، وخلاصة تذهيب الكمال : ١١ ، ١٢ ، وطبقات
المفسرين : ٧٠/١ ، الرسالة المستطرفة ص : ١٨ ، وشذرات الذهب : ٩٦/٢ ، ٩٨ .
- كذا ذكر محقق الجزء الحادى عشر من سير أعلام النبلاء عند ترجمة الإمام أحمد .
- وانظر أيضاً : تاريخ التراث العربى لمؤاد سزكين : ١٩٦/٢ - ٢١٩ ، وتاريخ الأدب العربى
ليروكلمان : ٣١٠/٣ - ٣١٦ ، ومعجم المؤلفين لكحالة : ٩٦/٢ - ٩٧ ، والأعلام للزركلى :
٢٠٣/١ .

الباب الثاني

في المسائل والرسائل :

وفيه أربعة مباحث :

- المبحث الأول : المصادر المعتمدة في جمع هذه المسائل والرسائل .
- المبحث الثاني : رسالتنا التيميمية ومدى صحة نسبة ما فيها للإمام أحمد.
- المبحث الثالث : أهمية جمع هذه المسائل والرسائل .
- المبحث الرابع : منهجى في الجمع والتحقيق والدراسة .



المبحث الأول

المصادر المعتمدة في جمع هذه المسائل والرسائل

لم يكن جمع هذه المسائل والرسائل بالعمل السهل فهي متناثرة في بطون الكتب المطبوعة والمخطوطة . ولقد بذلت أقصى ما أستطيع من جهد لجمع أكبر قدر ممكن ، حتى إنى في كثير من الأحيان أتصفح كتابا - مطبوعا أو مخطوطا - يتألف من عدة أجزاء لأستخرج منه رواية أو اثنتين وأعتقد - والله أعلم - أنى وفقت لجمع جملة طيبة . إذ يستحيل الاستقصاء والحصر .

وسوف أذكر الآن المصادر التى أفدت منها - المطبوعة والمخطوطة - وستكون بالترتيب على حسب الأهمية والإفادة منها :

١ - كتاب السنة ، لأبى بكر الخلال :

وهو أحمد بن محمد بن محمد بن هارون ، ولد سنة أربع - أو خمس - وثلاثين ومئتين وتوفى سنة إحدى عشر وثلاث مئة . قال عنه الذهبي : الإمام العلامة الحافظ الفقيه شيخ الحنابلة وعالمهم^(١) .

وهذا الرجل له فضل كبير على المذهب الحنبلى بوجه خاص ، فكما قدمت فالإمام أحمد رحمه الله كان يكره تصنيف الكتب - فلم يصنف إلا بعض الكتب الحديثية وبعض الرسائل فى العقيدة - إلا أن أصحابه حفظوا علمه وأقواله وفتاويه

(١) سير أعلام النبلاء : ٢٩٧/١٤ . وانظر ترجمته فى : ت/ بغداد : ١١٢/٥ ، وطبقات الحنابلة : ١٢/٢ ، المنتظم : ١٧٤/٦ ، وتذكرة الحفاظ : ٧٨٥/٣ ، والواقى بالوفيات : ٩٩/٨ ، والبداية والنهاية : ١٤٨/١١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٠٩/٣ ، وطبقات الحفاظ ص : ٣٢٩ ، شذرات الذهب : ٢٦١/٢ ، والرسالة المستطرفة ص : ٣٧ .

في صدورهم ومدوناتهم وتلمذ الخلال على يد بعض أصحاب الإمام أحمد كأبي بكر المرودي وصرف جل جهده في تتبع تلامذة وأصحاب الإمام أحمد وكتابة ما حفظوه وكتبوه عن الإمام ، فرحل في سبيل هذا العلم النبيل إلى بقاع كثيرة وبلدان متباعدة . وجمع كنوز الإمام أحمد في فنون شتى وأودعها مصنفات كثيرة من أجمعها في باب العقيدة كتاب السنة هذا . وكتب أخرى ستعرض لها .

ولم يكتف - رحمه الله - بهذا الجهد الكبير ، بل إنه صنف كتابا في الطبقات ولعله خصص منه جزءا كبيرا لتراجم أصحاب وتلامذة الإمام أحمد إذ أن ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة قل ما يترجم لأحد إلا ويذكر قول الخلال فيه . وكذلك الخطيب في تاريخ بغداد يتقل كثيرا من أقواله في أصحاب الإمام أحمد .

قال ابن تيمية : أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال - وهو الذي جمع نصوص أحمد في أصول الدين وأصول الفقه وفي أبواب الفقه كلها وفي الآداب والأخلاق والزهد والرقائق وفي علل الحديث وفي التاريخ وغير ذلك من علوم الإسلام^(١) .

وقال الذهبي : رحل إلى فارس وإلى الشام والجزيرة يتطلب فقه أحمد وفتاويه وأجوبته وكتب عن الكبار والصغار حتى كتب عن تلامذته وجمع فأوعى ، ثم أنه صنف كتاب : « الجامع في الفقه » من كلام الإمام أحمد بأخبرنا وحدثنا يكون عشرين مجلدا . وصنف كتاب « العلل » عن أحمد في ثلاث مجلدات وألف كتاب « السنة وألفاظ أحمد والدليل على ذلك من الأحاديث » في ثلاث مجلدات ، تدل على إمامته وسعة علمه . ولم يكن قبله للإمام مذهب مستقل حتى تتبع هو نصوص أحمد ودونها وبرهنها بعد الثلاث مئة ، فرحمه الله تعالى^(٢)

(١) مجموع الفتاوى : ٣٢٥/١٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٢٩٧/١٤ - ٢٩٨ .

وقال ابن القيم : وجمع الخلال نصوصه في الجامع الكبير فبلغ نحو عشرين سفرا أو أكثر. اهـ^(١) .

قلت : وكتاب السنة هذا منه جزء مخطوط له صورة في المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية - قسم المخطوطات - وقد حقق ما يقارب نصف هذا الجزء رسالة دكتوراه - كما سبق الإشارة إليه - والنصف الآخر ما زال مخطوطا ، وقد عانيت صعوبات كثيرة من الجمع في هذا الكتاب خاصة الجزء الثاني منه ففيه طمس في مواضع كثيرة وعدم وضوح ، إلا أني والله الحمد تغلبت على ذلك ونقلت منه مسائل كبيرة .

وهذا الجزء الذي بين أيدينا لا يمثل إلا قسما من الكتاب ، ولا أدرى هل الأجزاء المتبقية موجودة أم لا .

والمطلع على كتب ابن تيمية وابن القيم يجد أنهما أكثروا النقل من هذا الكتاب فكثيرا ما يقولان : قال الخلال في كتاب السنة، وكذا القاضي أبو يعلى ابن الفراء يكثر النقل من الكتاب ، وإن كان في كثير من الأحيان لا يصرح باسم الكتاب إلا أنه قد تأكد لي من أوجه كثيرة أنه ينقل منه .

والخلال لم يقتصر في هذا الكتاب على النقل عن الإمام أحمد فقط ، بل نقل عن غيره - وإن كان أكثر عنه واعتمد قوله - كما أنه يروي فيه أحاديث كثيرة .

وخلاصة القول : أن كتاب السنة للخلال يعتبر من أهم المصادر التي يعتمد عليها لتلقى أقوال الإمام أحمد في مسائل العقيدة .

ومن كتب الخلال التي أفدت منها أيضا :

٢ - كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

(١) إعلام الموقعين : ٢٨/١ . وانظر : ت / بغداد : ١١٢/٥ - ١١٣ .

وقد نقلت منه مسائل متنوعة في هذا الباب ، وهو مطبوع .
٣ - كتاب الحث على التجارة والصناعة والرد على من يدعى التوكل :
وعندى منه نسخة مصورة عن مخطوط الظاهرية تقع في (١٣ : ق)
وخطها واضح وقد طبع قديما إلا أنى لم أحصل على تلك الطبعة ، ثم طبع في
الآونة الأخيرة .

٤ - كتاب أحكام أهل الملل والردة والزنادقة وتارك الصلاة والفرائض ونحو
ذلك :

وهو كتاب كبير جليل فريد في بابه . له نسخة مصورة في قسم المخطوطات
بالجامعة الإسلامية ، ولا يزال مخطوطا وقد أهدت منه كثيرا في مسائل قلما توجد
في غيره . اهـ .

انتهى ما أهدت من مصنفات الخلال .

٥ - كتاب السنة .

٦ - مسائل الإمام أحمد .

وكلاهما لعبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل ، ابن الإمام .

وهو : أبو عبد الرحمن ، ولد سنة مئتين وثلاث عشرة ، عاش مع أبيه ثمانين
وعشرين سنة قضى عشرين منها ملازما لأبيه فأسمعه من الحديث وغيره الكثير
وكان حافظا حتى أصبح من أروى الناس عن والده . سمع المسند والناسخ
والمسنوخ والتاريخ وحديث شعبة والمقدم والمؤخر في كتاب الله عز وجل والمناسك
وجوابات القرآن والزهد والسنة والعلل والمسائل وغيرها من الكتب تجدها عند
من ترجم له^(١) .

(١) انظر : الجرح والتعديل : ٧/٥ ، ت/بغداد : ٣٧٥/٩ ، وطبقات الحنابلة : ١٨٠/١ ، والمنظوم : ٣٩٩/٦ ،
وتذكرة الحفاظ : ٦٦٥/٢ ، وسير أعلام النبلاء : ٥١٦/١٣ ، والبداية والنهاية : ٩٦/١١ ، وطبقات القراء
لابن الجزرى : ٤٠٨/١ ، تهذيب التهذيب : ١٤١/٥ ، النجوم الزاهرة : ١٣١/٣ ، شذرات الذهب :
٢٠٣/٢ .

وكما أشرت سابقا أنه سمع من أبيه ما لم يسمعه غيره حتى أنه سئل كم سمعت من أبيك؟ قال: مئة ألف وبضعة عشر ألفا.

ولم يكتف بالتلمذ على والده فقط بل إن شيوخه زادوا على الأربع مئة . وله زيادات على المسند كثيرة وكذا الزهد وفضائل الصحابة وكلها لأبيه .

ومن مصنفاته هو :

كتاب السنة . الذى أفدت منه .

وهو من كتب العقيدة السلفية وهو مشهور ومعروف أفاد منه كثير من العلماء سلك فيه مؤلفه طريقة المحدثين فهو يسوق تحت كل باب ما يناسبه من الأحاديث والأخبار ويقول في بعض المباحث سألت أبا عن كذا . وهذا هو الذى أفدته في بحثى هذا من الكتاب .

وهذا الكتاب طبع قديما عام ١٣٤٩هـ بالمطبعة السلفية بمكة المكرمة ثم ظهر عام ١٤٠٥هـ وقدم أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في جامعة أم القرى . ونال به محققه هذه الدرجة ، ثم طبع فظهر عام ١٤٠٧هـ .

ولدى من الكتاب نسختان مصورتان عن مخطوطة « الظاهرية » و « خدا بخش » ولقد اعتمدت عليهما مع المطبوع في تقويم النص .

أما المسائل ، فهو في الفقه ، إلا أنى أفدت منه كثيرا ففيه جملة لا بأس بها من المسائل العقدية المتناثرة في ثنايا الكتاب .

وقد طبع الكتاب عام ١٤٠١هـ . ثم قدم أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في جامعة الأزهر ونال به محققه هذه الدرجة ثم أظهره مطبوعا عام ١٤٠٦هـ .

وأختم حديثي حول هذين الكتابين بقول مصنفهما : « كل شئ أقول قال أبى » فقد سمعته مرتين وثلاثا وأقله مرة^(١)

(١) طبقات الخنابلة : ١٨٤/١ .

٧ - مسائل الإمام أحمد ، رواية أبي داود السجستاني :

وهو : سليمان بن الأشعث ، الحافظ العالم الثقة ، مصنف السنن وغيرها ، ولد سنة اثنتين ومئتين وتوفي سنة خمس وسبعين ومئتين .

قال الذهبي : كان على مذهب السلف في اتباع السنة والتسليم لها وترك الخوض في مضائق الكلام^(١) . اهـ .

وهذه المسائل في الفقه غالبيتها ، وفيها جملة جيدة تتعلق بالعقيدة أفدت منها كثيرا .

والكتاب طبع على نسختين : « المحمودية » و « الظاهرية » والأولى منهما راجعتها للمقارنة مع المطبوعة وهي الآن في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة النبوية .

٨ - مسائل الإمام أحمد ، رواية ابن هانئ :

وهو : إسحاق بن إبراهيم بن هانئ النيسابوري ، ولد سنة ثمان عشرة ومئتين ، وتوفي سنة خمس وسبعين ومئتين .

قال ابن أبي يعلى : خدم إمامنا وهو ابن تسع سنين وذكره أبو بكر الخلال فقال : كان أبا دين وورع ، ونقل عن أحمد مسائل كثيرة ستة أجزاء . اهـ .

وقال الذهبي : الفقيه ، من أصحاب الإمام أحمد ، له عنه سؤالات في مجلدة وكان من العلماء العاملين^(٢) . اهـ .

وهذه المسائل كسابقتها معظمها في الفقه وفيها جملة طيبة تتعلق بالعقيدة ولقد كانت الفائدة منها كبيرة والله الحمد . والكتاب مطبوع .

(١) انظر ترجمته وافية في : أخبار أصبهان : ٦٦/٢ ، ت/ بغداد : ٤٦٤/٩ ، طبقات الخنابلة : ٥١/٢ ، المنتظم : ٢١٨/٦ ، وفيات الأعيان : ٤٠٤/٢ ، سير أعلام النبلاء : ٢١٢/١٣ ، تذكرة الحفاظ : ٧٦٧/٢ ، البداية والنهاية : ٥٤/١١ ، طبقات الحفاظ ص : ٣٣٢ ، طبقات الفراء لابن الجزري : ٤٢٠/١ ، تهذيب التهذيب : ١٦٩/٤ ، شذرات الذهب : ١٦٧/٢ .

(٢) انظر ترجمته في : ت/ بغداد : ٣٧٦/٦ ، طبقات الخنابلة : ١٠٨/١ ، المنتظم : ٩٦/٥ ، سير أعلام النبلاء : ٩/١٣ ، المنهج الأجد : ٢٥٤/١ .

٩ - مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه ، رواية الكوسج .

وهو: إسحاق بن منصور بن بهرام المروزي ، الفقيه الحافظ الحجّة . ولد بعد السبعين ومئة ، وتوفي سنة إحدى وخمسين ومئتين .

قال الذهبي في ترجمته : هو صاحب المسائل عن أحمد بن حنبل ... فبلغه أن أحمد بن حنبل رجع عن بعض تلك المسائل التي علقها عنه ... فخرج راجلاً إلى بغداد وعرض خطوط أحمد عليه في كل مسألة استفناه عنها فأقر له بها ثانياً وأعجب به^(١) .

وهذه المسائل كما أشرت سابقاً حققت في خمس رسائل جامعية إلا أنه لم يطبع منها شيء حتى تاريخ إعداد هذه الرسالة . وهي في الفقه وفيها جملة قليلة تتعلق بالعقيدة ولها نسختان المصرية والظاهرية ، والأولى منهما هي التي اعتمدت عليها في الجمع وقد بذلت فيها جهداً لظولها مع قلة ما استخرجته منها من مسائل ورغم قلتها إلا أنها من غاية الأهمية فلله الحمد والمنة .

١٠ - مسائل الإمام أحمد ، رواية صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل ، ابن الإمام :

وهو : أبو الفضل ، المحدث الثقة الحافظ الفقيه القاضي . ولد سنة ثلاث ومئتين وتوفي سنة ست وستين ومئتين ، سمع أباه وتفقه عليه .

قال أبو بكر الخلال : سمع من أبيه مسائل كثيرة وكان الناس يكتبون إليه من خراسان يسألهم أباه فوقعت إليه مسائل جيدة^(٢) . اهـ .

(١) سير أعلام النبلاء : ٢٥٩/١٢ - ٢٦٠ وذكرها غيره .

وانظر ترجمته في : الجرح والتعديل : ٢٣٤/٢ ، ت/ بغداد : ٣٦٢/٦ ، طبقات الخنابلة : ١١٣/١ ، تذكرة الحفاظ : ٥٢٤/٢ ، الوافي بالوفيات : ٤٢٦/٨ ، تهذيب التهذيب : ٢٤٩/١ ، النجوم الزاهرة : ٢٣٣/٢ ، طبقات الحفاظ ص : ٢٢٩ ، شذرات الذهب : ١٢٣/٢ .

(٢) انظر ترجمته في : الجرح والتعديل : ٣٩٤/٤ ، ت بغداد : ٣١٧/٩ ، طبقات الخنابلة : ١٧٣/١ ، سير أعلام النبلاء : ٥٢٩/١٢ ، البداية والنهاية : ٤٠/١١ ، المنتظم : ٥١/٥ ، شذرات الذهب : ١٤٩/٢ ، الرسالة المستطرفة ص : ١٠٤ .

وهذه المسائل في الفقه ، وفيها قليل مما يتعلق بالعقيدة ، وهي كسابقاتها فيها طول وقدمت أطروحة دكتوراه بالجامعة الإسلامية ، وخرجت مطبوعة بالتحقيق المذكور بعد إعداد هذه الرسالة .

١١ - طبقات الحنابلة ، تصنيف ابن أبي يعلى ، العلامة الفقيه القاضي أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين الفراء :

ولد سنة إحدى وخمسين وأربع مئة ، توفى والده وهو صغير .

قال ابن رجب : سمع الحديث وبرع في الفقه وأفتى وناظر وكان عارفاً بالمذهب متشدداً في السنة وله تصانيف كثيرة في الفروع والأصول وغير ذلك منها : « المجموع في الفروع » و « رؤوس المسائل » و « المفردات في الفقه » و « التمام لكتاب الروايتين والوجهين » الذي لأبيه ، « المفردات في أصول الفقه » و « طبقات الأصحاب » و « إيضاح الأدلة في الرد على الفرق الضالة المضلة » و « الرد على زائغي الاعتقادات » و « شرف الاتباع وسرف الابتداع » و « تنزيه معاوية بن أبي سفيان » و « المفتاح في الفقه » ...

وحدث ، وسمع منه خلق كثير .

قتله اللصوص في داره ليلة الجمعة سنة ست وعشرين وخمس مئة^(١) .

وهذا الكتاب أفدت منه كثيراً في المسائل والرسائل .

أما المسائل فقد تقدم أن كتاب السنة للخلال فقد منه جزء وأشارت إلى أهمية الكتاب والذي اتضح لي أن ابن أبي يعلى ينقل من ذلك الكتاب ومن كتاب الطبقات للخلال ، فكان كلما ترجم لأحد أصحاب أحمد أو تلامذته ذكر له بعض ما نقله عن الإمام . وفي أحيان كثيرة يصرح في نسبة النقل وفي أخرى

(١) ذيل طبقات الحنابلة : ١٧٧/١ ، وانظر ترجمته في : المنتظم : ٢٩/١٠ ، الكامل في التاريخ : ٦٨٣/١٠ ، سير أعلام النبلاء : ٦٠١/١٩ ، الوافي بالوفيات : ١٥٩/١ ، مرآة الجنان : ٨٨/٨ ، البداية والنهاية : ٢٠٤/١٢ ، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص : ٥٢٩ ، شذرات الذهب : ٧٩/٤ ، كشف الظنون : ص : ٤٣٢ .

يكتفى بالنقل دون ذكر المصدر الذي هو في الغالب كتب الخلال ، لأجل ما تقدم كانت الإفادة من المسائل في هذا الكتاب جيدة .

أما الرسائل المروية عن أحمد ففي الكتاب منها جملة طيبة رواها المصنف بإسناده إلا واحدة كما سيأتي إيضاحه .

وأبدأ الآن بذكر أسانيدھا والتعليق عليها ، ثم أعطي نبذة مختصرة عن الإفادة منها :

١- رسالة الإمام أحمد إلى مسدد بن مسرهد^(١) :

قال ابن يعلى :

أنبأنا علي^(٢) عن ابن بطة^(٣) حدثني علي بن أحمد المقرئ المراهي^(٤) - بالمراغة - حدثنا محمد بن جعفر بن محمد السونديني^(٥) حدثنا علي بن محمد ابن موسى الحافظ^(٦) - المعروف بابن المعدل - حدثنا أحمد بن محمد التميمي الزرندي^(٧) قال : لما أشكل علي مسدد بن مسرهد أمر الفتنة ، وما وقع الناس فيه من الاختلاف في القدر والرفض والاعتزال وخلق القرآن والإرجاء : كتب إلى أحمد بن حنبل : اكتب إلي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٨) ...

(١) ابن مسرهد الأسدي ، ثقة حافظ ، يقال أول من صنف المسند بالبصرة ، توفي سنة ثمان وعشرين ومئتين ويقال اسمه عبد الملك بن عبد العزيز ومسدد لقبه . تقريب : ٢٤٢/٢ .

(٢) مسند العراق ، أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن علي البصري ، البغدادي البندار ، قال السمعاني : كان شيخا عالما ثقة وقال الخطيب : كتبت عنه وكان صدوقا . وقال إسماعيل الحافظ : شيخ ثقة وأثنى عليه ، توفي سنة أربع وسبعين وأربع مئة . ت/بغداد : ٣٣٥/١١ ، الأنساب : ٢١١/٢ ، سير أعلام النبلاء : ٤٠٢/١٨ .

(٣) الفقيه المحدث شيخ العراق ، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي ، مصنف كتاب «الإبانة الكبرى» وغيره . توفي سنة سبع وثمانين وثلاث مئة . ت/بغداد : ٣٧١/١٠ ، السير : ٥٢٩/١٦ .

(٤) لم أعرفه . وانظر : الأنساب للسمعاني : ١٨١/٢ .

(٥) لم أجده فيما اطلعت عليه في المصادر .

(٦) لم أتمكن من تحديده .

(٧) لم أجده فيما اطلعت عليه من المصادر .

(٨) طبقات الحنابلة : ٣٤١/١ .

هذا إسناده ابن أبي يعلى . والرسالة رواها ابن الجوزي أيضا هاك إسناده :

أخبرنا عبد الملك بن أبي القاسم^(١) قال : أنا عبد الله بن محمد الأنصاري^(٢) قال أنا أبو يعقوب الحافظ^(٣) قال : أنا محمد بن أحمد بن الفضل^(٤) قال : أنا : عبد الله - محمد بن بشر بن بكر^(٥) قال : ثنا أبو بكر أحمد بن محمد البردعي التميمي^(٦) (قال) : لما أشكل على مسدد^(٧) ...

فهذه الرسالة وإن كان في إسناده من لم يعرف إلا أنها معروفة عن أحمد .

يقول ابن تيمية : وأما رسالة أحمد بن حنبل إلى مسدد بن مسرهد فهي مشهورة عند أهل الحديث والسنة من أصحاب أحمد وغيرهم ، تلقوها بالقبول . وقد ذكرها أبو عبد الله بن بطة في كتاب الإبانة واعتمد عليها غير واحد كالقاضي أبي يعلى وكتبها بخطه^(٨) .

- (١) الشيخ الثقة ، أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم عبد الله بن أبي سهل بن القاسم الكروخي الهروي ، توفي سنة ثمان وأربعين وخمس مئة . الأنساب : ٤٠٩/١٠ ، المنتظم : ١٠٤/١٠ ، سير أعلام النبلاء : ٢٧٣/٢٠ .
- (٢) شيخ الإسلام ، أبو إسماعيل الهروي ، توفي سنة إحدى وثمانين وأربع مئة . انظر سيرته في : طبقات الخنابلة : ٢٤٧/٢ ، المنتظم : ٤٤/٩ ، سير أعلام النبلاء : ٥٠٣/١٨ ، البداية والنهاية : ١٣٥/١٢ .
- (٣) هو : إسحاق بن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد القراب ، محدث هراة ، وصاحب التوايف الكثيرة . توفي سنة تسع وعشرين وأربع مئة . سير أعلام النبلاء : ٥٧٠/١٧ ، الوافي بالوفيات : ٣٩٤/٨ ، طبقات الحفاظ ص : ٢٤٤ ، شذرات الذهب : ٢٤٤/٣ .
- (٤) لم أتكن من تحديده . انظر لسان الميزان : ٤٧/٥ .
- (٥) لم أجده له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر .
- (٦) لم أجده . وانظر اللسان : ٢٦٩/١ .
- (٧) مناقب الإمام أحمد ص : ٢١٦ . وهذه الرسالة نقلها العليمي في المنهج الأحمد : ٨٤/١ ونعمان الألوسي في جلاء العينين ص : ٢١٧ وابن بدران في المدخل إلى مذهب أحمد ص : ٩ وأشار إليها فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي : ٢٠٦/٢ ، وبروكلمان في تاريخ الأدب العربي : ٣١٢/٣ .
- (٨) مجموع الفتاوى : ٣٩٦/٥ .

قال ابن يعلى :

قرأت على المبارك^(١) ، قلت له : أخبرك عبد العزيز الأزجى^(٢) أخبرنا على ابن بشران^(٣) أخبرنا عثمان المعروف بابن السماك^(٤) حدثنا الحسن بن عبد الوهاب^(٥) حدثنا سليمان بن محمد المنقري^(٦) حدثني عبدوس بن مالك العطار^(٧) قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : أصول السنة عندنا ...^(٨)

- (١) الثقة الثبت ، أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد البغدادي الصيرفي ابن الطيورى . توفى سنة خمس مئة . الأنساب : ٢٠٩/٤ ، المنتظم : ١٥٤/٩ ، سير أعلام النبلاء : ٢١٣/١٩ ، شذرات الذهب : ٤١٢/٣ .
- (٢) المحدث المفيد ، أبو القاسم عبد العزيز بن على . قال الخطيب : كتبنا عنه وكان صدوقا كثير الكتاب . توفى سنة أربع وأربعين وأربع مئة . ت/ بغداد : ٤٦٨/١٠ ، الأنساب : ١٩٧/١ ، اللباب : ٤٦/١ ، سير أعلام النبلاء : ١٨/١٨ .
- (٣) المعدل ، المسند ، أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران . قال الخطيب : كان صدوقا ثيبا . وقال الذهبي : روى شيئا كثيرا على سداد وصدق وصحة رواية كان عدلا وقورا . توفى سنة خمس عشرة وأربع مئة . ت/ بغداد : ٩٨/١٢ ، المنتظم : ١٨/٨ ، سير أعلام النبلاء : ٣١١/١٧ ، شذرات الذهب : ٢٠٣/٣ .
- (٤) الثقة الثبت ، أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبد الله البغدادي . توفى سنة أربع وأربعين وثلاث مئة . ت/ بغداد : ٣٠٢/١١ ، الأنساب : ١٢٧/٧ ، المنتظم : ٣٧٨/٦ ، سير أعلام النبلاء : ٤٤٤/١٥ .
- (٥) لم أجده فيما اطلعت عليه من المصادر .
- (٦) سياتى الكلام عنه بعد قليل .
- (٧) ذكره أبو بكر الخلال فقال : كانت له عند أبى عبد الله منزلة وله به أنس شديد وكان يقدمه وله أخبار يطول شرحها . وقد روى عن أبى عبد الله مسائل لم يروها غيره ، ولم تقع إلينا كلها . مات ولم تنتخرج عنه ووقع إلينا منها شيء ، أخرجه أبو عبد الله في جماع أبواب السنة أخرجه أبو عبد الله ودفعه إليه . طبقات الحنابلة : ٢٤١/١ ، ت/ بغداد : ١١٥/١١ ، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص : ٥١١ ، المنهج الأحمد : ٤٣٥/١ . وذكره الذهبي فيمن حدث عن أحمد . سير أعلام النبلاء : ١٨٢/١١ .
- (٨) طبقات الحنابلة : ٢٤١/١ .

وهذه الرسالة رواها أيضا : اللالكائي^(١) وابن الجوزي^(٢) وضياء الدين المقدسي^(٣) بأسانيدهم من طرق أخرى عن ابن السماك به إلا أن عندهم محمد ابن سليمان المنقري بدلا من « سليمان بن محمد المنقري » كما عند ابن أبي يعلى . وروى أبو بكر الخلال في السنة مقاطع منها إذ قال : حدثنا محمد بن سليمان الجوهري ثنا عبدوس بن مالك .

ولم أجد فيما اطّلت عليه من المصادر من يسمى بمحمد بن سليمان المنقري أو سليمان بن محمد المنقري ، وفي تاريخ بغداد ذكر الخطيب فيمن روى عن عبدوس محمد بن سليمان المنقري البصري وإذا كان هو الجوهري الذي روى عنه الخلال في السنة فقد ذكره ابن حبان فقال : محمد بن سليمان الجوهري من أهل البصرة سكن أنطاكية يروى عن أبي الوليد وأهل البصرة ، يقلب الأخبار عن الثقات ويأتي عن الضعفاء بالملزقات لا يحل الاحتجاج به بحال^(٤) . اهـ .

(١) شرح أصول السنة : ١٥٦/١ .

(٢) مناقب الإمام أحمد ص : ٢١٦ .

(٣) ضمن مجموع مصور عن الظاهرية وهو في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية ويقع الجزء في خمس ورقات . والرسالة أورد ابن شكر في شرح اعتقاد الإمام أحمد مقاطع منها . وذكرها مختصرة العليمي في المنهج الأحمد : ٤٣٦/١ . ونقلها كاملة : نعمان الأنوسي في جلاء العينين ص : ٢٢٧ ، وابن تدران في المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص : ١٩ ، وأشار إليها فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي : ٢٠٦/٢ .

(٤) المحروحين : ٣٠٩/٢ ، ميزان الاعتدال : ٥٧٢/٣ ، لسان الميزان : ١٨٧/١ .

٣ - رسالة الحسن بن إسماعيل الربيعي :

قال ابن أبي يعلى :

أبناؤنا المبارك^(١) قال : أخبرنا عبد العزيز الأزجي^(٢) حدثنا أبو بكر المفيد^(٣) حدثنا الحسن بن إسماعيل الربيعي^(٤) قال : قال لي أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والصابر تحت المحنة : ...

وذكرها ابن الجوزي بسنده إلى أبي بكر المفيد وهذا إسناده :
أخبرنا المحمّدان : ابن عبد الملك^(٥) وابن ناصر^(٦) قالا : أنا أحمد بن الحسن المعدل^(٧) قال ابن ناصر: وأنا المبارك بن عبد الجبار^(٨) وأحمد بن المظفر التمار^(٩)

(١)، (٢) سبق التعريف بهما في رسالة عبدوس .

(٣) قال الذهبي : الشيخ الإمام ، المحدث الضعيف ، محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب الجرجاني المفيد . قال أبو الوليد الباجي : أبو بكر المفيد ، أنكرت عليه أسانيد ادعاها ، وقال المحدث محمد بن أحمد الروياني لم أر أحدا أحفظ من المفيد . ووصفه أبو نعيم الأصبهاني بالحفظ وارتحل إليه . وقال الماليني : كان المفيد رجلا صالحا . توفي سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة . ت/بغداد : ٣٤٦/١ ، سير أعلام النبلاء : ٢٦٩/١٦ ، ميزان الاعتدال : ٤٦٠/٣ ، لسان الميزان : ٤٥/٥ ، طبقات الحفاظ ص : ٣٨٨ ، شذرات الذهب : ٩٢/٣ .

(٤) قال : ابن أبي يعلى سمع عبد الرحمن الفهري وغيره . طبقات الحنابلة : ١٣٠/١ ، المنهج الأحمد : ٣٨٦/١ .

(٥) هو محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون ، البغدادي المقرئ مصنف كتاب «الفتاح» في القراءات العشر وكتاب «الموضح» في القراءات . قال السمعاني : ثقة صالح ، توفي سنة تسع وثلاثين وخمس مئة . المنتظم : ١١٥/١٠ ، الكامل : ١٠٣/١١ ، سير أعلام النبلاء : ٩٤/٢٠ ، غاية النهاية : ١٩٢/٢ .

(٦) محمد بن ناصر بن محمد السلامي البغدادي ، المحدث الحافظ الثقة الثبت توفي سنة خمسين وخمس مئة . المنتظم : ١٦٢/١٠ ، سير أعلام النبلاء : ٢٦٥/٢٠ ، البداية والنهاية : ٢٣٣/١٢ ، ذيل طبقات الحنابلة : ٢٢٥/١ .

(٧) المحدث الثقة أبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد الباقلائي ، توفي سنة تسع وثمانين وأربع مئة . المنتظم : ٩٨/٩ ، سير أعلام النبلاء : ١٤٤/١٩ ، الوافي بالوفيات : ٣٠٦/٦ ، شذرات الذهب : ٣٩٢/٣ .

(٨) ابن الطيوري . تقدمت ترجمته ص : ٢٨ .

(٩) ابن سوسن ، الشيخ المعمر ، قال الأتطاقي : شيخ مقارب ، توفي سنة ثلاث وخمس مئة وله اثنان وتسعون سنة . المنتظم : ١٦٤/٩ ، سير أعلام النبلاء : ٢٤١/١٩ ، لسان الميزان : ٣١١/١ ، شذرات الذهب : ٧/٤ .

قالوا : أنا عبد العزيز بن علي القرميسيني^(١) قال : ثنا أبو بكر محمد بن أحمد الحافظ^(٢) قال : ثنا الحسن بن إسماعيل الربعي قال : قال لي أحمد بن حنبل^(٣).

٤ - رسالة محمد بن يونس السرخسي أو محمد بن حبيب الأندرائي :

قال ابن أبي يعلى :

حدثنا أحمد بن عبيد الله العكبري^(٤) قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن محمود الزوزني^(٥) قال : حدثنا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن علي بن الشاه التميمي المروروذي^(٦) قال : حدثنا أبو معاذ بن أبي عصمة^(٧) عن عسكر الصواف الزنجاني الهروي^(٨) قال : حدثني أبو مسعود سعيد بن خشنام بن محمد السمرقندي^(٩) - مولى ابن هاشم - قال أخبرنا محمد بن يونس السرخسي^(١٠) قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول^(١١) . فذكرها وهذه الرسالة أوردها

(١) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه .

(٢) المفيد . سبق التعريف به في الصفحة السابقة .

(٣) مناقب الإمام أحمد ص : ٢٣٨ . وهذه الرسالة أشار إليها فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي : ٢٠٦/٢ .

(٤) أبو العز ، المعروف بابن كادش ، قال السمعاني : كان ابن ناصر يسيء القول فيه وقال عبد الوهاب الأتطاطي : كان مغلطاً . وقال ابن النجار : كان ضعيفاً في الرواية ، مغلطاً كذاباً لا يحتج به وللأئمة فيه مقال . وقال ابن ناصر : لم يسمع كل كتاب الجليس من أبي علي الجازري . قال السمعاني : فذكرت هذا لأبي القاسم الدمشقي فأنكره غاية الإنكار وقال : كان صحيح السماع ، ورأيت سماعه لهذا الكتاب في الأصل مثبناً وأثنى علي أبي العز ، توفي سنة ست وعشرين وخمس مئة . ولد سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة وقيل : واحد وقيل خمس وقيل : سبع وثلاثين . المنتظم : ٢٨/١٠ ، الكامل : ٦٨٣/١٠ ، سير أعلام النبلاء : ٥٥٨/١٩ ، ميزان الاعتدال : ١١٨/١ ، البداية والنهاية : ٢٠٤/١٢ ، لسان الميزان : ٢١٨/١ .

(٥) قال السمعاني في الأنساب : ٣٤٤/٦ : علي بن محمود بن إبراهيم بن ماهرة الزوزني الصوفي ، سكن بغداد حدث عن عبد الوهاب بن الحسن الدمشقي وعلي بن المشي الاسترابادي وغيره . ذكره الخطيب وقال : كتبت عنه وكان لا بأس به وكأنت ولادته سنة ست وستين وثلاث مئة ووفاته عام إحدى وخمسين وأربع مئة هـ . وحفيده له ترجمة في السير ٥٧/٢٠ وغيرها .

(٦) ، (٧) ، (٨) ، (٩) لم أجد تراجمهم فيما اطلعت عليه من المصادر .

(١٠) قال ابن أبي يعلى في ترجمته : نقل عن إمامنا أحمد أشياء ثم ساق الرسالة .

(١١) طبقات الحنابلة ١/٣٢٩ .

ابن أبي يعلى في موضعين : أحدهما هذا وذلك في ترجمة محمد بن يونس السرخسى وقبل ذلك سابقها في ترجمة محمد بن حبيب الأندرائى . بدون إسناد إذ قال : نقل عن إمامنا أشياء منها رسالة السنة فذكرها كذلك التى رواها بإسناده عن محمد بن يونس .

ثم إنى وجدت ابن الجوزى رواها بإسناد آخر فهناك الإسناد :
أخبرنا عبد الملك بن أبى القاسم^(١) قال : أنا عبد الله بن محمد الأنصارى^(٢) ، قال : أنا أبو يعقوب^(٣) وأحمد بن حمزة^(٤) وغيرهما قال : أنا أحمد بن محمد بن عيسى^(٥) قال : ثنا يعقوب بن إسحاق^(٦) قال : حدثنى سعيد ابن خشنام مولى بنى هاشم قال : أنا محمد بن يونس السرخسى قال : ثنا محمد ابن حميد الأندرائى^(٧) قال : قال أحمد بن حنبل^(٨) . . .

٥ - رسالة أحمد بن جعفر الإصطخرى :

قال ابن أبى يعلى :

قرأت على المبارك^(٩) عن على بن عمر البرمكى^(١٠) أخبرنا أحمد بن عبد الله المالكى

(١)، (٢)، (٣) تقدم التعريف بهم .

(٤) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر .

(٥) لعله : أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى ، المعروف بابن المرائى ، قال عنه الذهبي : الحافظ الأواحد الموجود .

توفى في حدود سنة ثمان وعشرين وأربع مئة . اهد. سير أعلام النبلاء : ٥٧٤/١٧ . قلت : وهى السنة

التي توفى فيها أبو يعقوب .

(٦) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر .

(٧) هكذا قال محمد بن حميد بن حميد . ولعله تصحيف فلم يعرف إلا محمد بن حبيب .

(٨) مناقب الإمام أحمد ص : ٢١٥ . والرسالة ذكرها العليمى في ترجمة محمد بن حبيب . المنهج الأحمد

٣٣٢/١ . وقال في ترجمة محمد بن يونس : نقل أشياء منها المقدمة في صفة المؤمن : ٣٤٩/١ . وهو

بهذا يتابع ابن أبى يعلى .

(٩) تقدم التعريف به ص : ٢٨ .

(١٠) على بن عمر بن أحمد بن إبراهيم ، أبو الحسن البرمكى قال الخطيب : كُتبت عنه وكان ثقة . توفى

سنة خمسين وأربع مئة . ت/بغداد ٤٣/١٢-٤٤ ، الأنساب ١٨١/٢ .

حدثنا أباي^(١) ثنا محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن يعقوب بن زوزان^(٢) - لفظنا - حدثنا أبو العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد الله الفارسي الإصطخري^(٣) قال: قال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل^(٤) : ...

وهذه الرسالة أشار الذهبي إلى أن في ثبوتها عن الإمام أحمد نظراً^(٥) بل إنه ساقها مختصرة بسنده^(٦) وأكد أنها موضوعة^(٧) والذي دعاه لذلك هو ورود بعض الألفاظ في هذه الرسالة لا تتفق وأصول السلف . وأقول إنه محق في أن هذه الرسالة احتوت على لفظتين^(٨) لا يمكن أن تصدر من الإمام أحمد ، بل هي ألفاظ منكورة ينكرها الإمام أحمد نفسه^(٩) لكن ورود هذين اللفظين في الرسالة لا يعنى الحكم عليها بالوضع ككل . إذ إن مجمل ما في الرسالة موافق لأصول الإمام أحمد ، ولما روى عنه ، عدا هاتين اللفظتين وهما من تصرف الرواة إن صحت نسبة الرسالة للإمام أحمد فإن هذه الرسالة بتمامها رويت بإسناد آخر وفيها إحدى

- (١) لم أعرفهما .
- (٢) الحفاظ العالم الرحال ، أبو بكر بن زوزان الأنطاكي . توفي سنة نيف وثلاثين وثلاث مئة . سير أعلام النبلاء : ٣٣٤/١٥ .
- (٣) قال ابن أبي يعلى : روى عن الإمام أحمد أشياء ثم ساق الرسالة .
- (٤) طبقات الحنابلة : ٢٤/١ وهذه الرسالة نقل منها ابن شكر في شرح اعتقاد أحمد وذكر بعض أجزاءها العلمي في المنهج الأحمد : ٣٥٣/١ ونقلها ابن بدران كاملة في المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص : ٢٦ وأشار إليها فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي : ٢٠٦/٢ . قال القاضي أبو يعلى : رأيت في كتاب الرسالة لأحمد رواية أبي العباس أحمد بن جعفر الإصطخري عنه بخط أحمد بن سعيد الشيعي... العدة في أصول الفقه : ٨٩٨-٨٩٩/٣ .
- (٥) سير أعلام النبلاء : ٢٨٦-٢٨٧/١١ .
- (٦) من طريق آخر إلى ابن زوزان . وفيه من لم أجد له ترجمة فيما اطّلت عليه من المصادر . وكذا ساق أجزاء منها الدشتي - في كتابه الذي وسّمه « إثبات الخلد لله » - بسنده والتقى مع إسناد الذهبي في الراوي عن ابن زوزان وهو : عبد الله بن جعفر النهاوندي ، ولم أعرفه .
- (٧) نفس المصدر ص : ٣٠٢ - ٣٠٣ .
- (٨) انظرها في ص : ٢٩ ج : ١ ، طبقات الحنابلة .
- (٩) فالصفات لا تثبت إلا عن طريق القرآن الكريم وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يلتفت إلى ما سواهما البتة . وهذا هو مذهب السلف راجع القواعد العامة لإثبات الصفات عند قول الإمام أحمد في الصفات ص : ٢٧١ - ٣٦٨ .

هاتين اللفظتين وفي إسنادهما من لم يعرف أيضا ، وهي مطبوعة ضمن شذرات البلايين^(١) ولم يذكر الشيخ حامد الفقى - رحمه الله - المصدر الذى نقلها منه وهي مسوقة بإسناد طويل يبدأ من : عمر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلى إلى أبى الحسن محمد بن أحمد بن أبى شيخ الرافعى ابن الحسن بن موسى العبادى بن أحمد بن وهب القرشى قال : قال أحمد بن حنبل : ...

٦ - رسالة محمد بن عوف الطائى :

قال ابن أبى يعلى :

ونقلت من خط أحمد الشنجى^(٢) بإسناده قال : سمعت محمد بن عوف^(٣) يقول : أملى على أحمد بن حنبل^(٤) :

٧ - رسالة « الصلاة » ، رواية مهنا بن يحيى :

قال ابن أبى يعلى^(٥) :

-
- (١) ص : ٤٢ .
(٢) هكذا جاء . وقد ترجم له ابن أبى يعلى فى الطبقات : ١٧٩/٢ فقال : الشيخى وهو الصواب وقد تقدم أن أبى يعلى بن الفراء نقل عن خطه رسالة الإصطخرى وقال : الشيخى . وقد ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد : ١٧٣/٤ فقال : أحمد بن سعيد أبو العباس الشامى يعرف بالشيخى ، سكن بغداد وحدث بها ... وله كتاب مصنف فى الزوال وعلم مواقيت الصلاة . وكان ثقة صالحا دينيا حسن المذهب . توفى سنة ست وأربع مئة .
(٣) المحافظ الجود الثقة محمد بن عوف بن سفيان الطائى ، أبو جعفر الحمصى ، قال الإمام أحمد بن حنبل : ما كان بالشام من أربعين سنة مثل محمد بن عوف توفى سنة سبعين ومئتين . طبقات الحنابلة : ٣١٠/١ ، سير أعلام النبلاء : ٦١٣/١٢ ، تهذيب التهذيب : ٣٨٣/٩ .
(٤) طبقات الحنابلة : ٣١١/١ . والرسالة معروفة روى أبو بكر الخلال عن محمد بن عوف مقتطفات منها . وأفاد منها العلماء كالقاضى أبى يعلى بن الفراء وغيره . ونقلها العلىمى فى المنهج الأحمد : ٣٢٤/١ وأشار إليها فؤاد سزكين فى تاريخ التراث العربى : ٢٠٧/٢ .
(٥) فى طبقات الحنابلة : ٣٤٨/١ .

أخبرنا المبارك^(١) -- قراءة - أخبرنا إبراهيم^(٢)، أخبرنا أبو عمر^(٣)، أخبرنا طيب^(٤)،
أخبرنا أحمد بن القطان الهيتي^(٥)، حدثنا سهل التستري^(٦) قال : قرأ علينا مهنا
ابن يحيى الشامي^(٧) : هذا كتاب الصلاة ... كتبه أبو عبد الله أحمد بن محمد
ابن حنبل إلى قوم صلى معهم بعض الصلوات .

- (١) هو : ابن الطيوري .
(٢) بقية المستدين، أبو إسحاق، إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي، البغدادي، قال الخطيب: كتبنا عنه
وكان صدوقا دينيا فقيها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. توفي سنة خمس وأربعين وأربع مئة .
ت/ بغداد : ١٣٩٦/٦ ، طبقات الحنابلة ١٩٠/٢ ، المنتظم ١٥٨/٨ ، سير أعلام النبلاء :
٦٠٥/١٧ .
(٣) المحدث المسند ، أبو عمر محمد بن العباس بن محمد ، ابن حيويه . قال الخطيب : سمع خلقا يطول
ذكرهم ، وكان ثقة ، وكتب طول عمره وروى المصنفات الكبار . قال البرقاني : ثقة ثبت حجة .
توفي في حدود سنة ثمان وعشرين وأربع مئة . اهـ . سير أعلام النبلاء : ٥٧٤/١٧ . قلت : وهي السنة
٤٠٩/١٦ ، البداية والنهاية : ٣١١/١١ .
(٤) لم أتوصل إلى معرفته .
(٥) لهله : أحمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل ، أبو بكر الهيتي ، قدم بغداد وحدث بها عن يعين بن الجهم والحسن
ابن عرفة وحمزة بن العباس المرؤزي وعبدوس بن بشر وأحمد بن منصور الرمادي روى عنه عدة
منهم أبو الحسن الدارقطني وقال : ثقة وكما ترى ليس في الترجمة «القطان» فلا أدري أهو هذا أم
غيره . ت/ بغداد : ٣٨٨/٤ ، الأنساب للسمعاني (ق : ٥٨٤) ، الباب ٣٩٧/٣ .
(٦) هو : سهل بن عبد الله التستري ، الصوفي المشهور ، توفي سنة ثلاث وثمانين ومئتين . انظر سيرته
في : حلية الأولياء : ١٨٩/١٠ - ٢١٢ ، المنتظم : ١٦٢/٥ ، الباب : ٢١٦/١ ، وفيات الأعيان :
٤٢٩/٢ ، سير أعلام النبلاء : ٣٣٠/١٣ ، النجوم الزاهرة : ٩٨/٣ ، شذرات الذهب : ١٨٢/٢ .
(٧) هو : السلمى ، أبو عبد الله ، قال أبو بكر الخلال : من كبار أصحاب أبي عبد الله ، روى عن
أبي عبد الله من المسائل ما فخر به وكان أبو عبد الله يكرمه ويعرف له حق الصحبة ورحل معه
إلى عبد الرزاق وصحبه إلى أن مات ومسائله أكثر من أن تحمد من كثرتها وكتب عنه عبد الله بن
أحمد مسائل كثيرة بضعة عشر جزءا ، مسائل جواد عن أبيه لم تكن عند عبد الله عن أبيه ولا عند
غيره ، وكان عبد الله يرفع قدره ويذكره كثيرا وحدث عنه بأشياء كثيرة عن أبيه غيره . قال عبد الله
ابن أحمد : قال مهنا : لزمت أبا عبد الله ثلاثا وأربعين سنة . سئل الدارقطني عن مهنا فقال : ثقة
نبيل . وقال أبو الفتح الأزدى : منكر الحديث وذكره ابن حبان في الثقات وقال الذهبي : حدث
عن زيد بن أبي الزرقاء مجدي في الجمعة . قال ابن عبد البر : لهذا الحديث طرق ليس فيها ما يقوم
به حجة إلا أن مجموعهما يدل على بطلان من حمل على العدوى أو على مهنا بن يحيى . ت/ بغداد :
٢٢٦/١٣ ، طبقات الحنابلة : ٣٤٥/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ٦١٧ ، المنهج الأحمد : ٤٤٩/١ ،
ميزان الاعتدال : ١٩٧/٤ ، لسان الميزان : ١٠٨/٦ .

وهذه الرسالة معروفة مشهورة اعتمدها العلماء وأفادوا منها^(١) .
وقد أثبت منها ما هو متعلق بالجانب العقدي فقط .

بقي أن أقول إن هذه الرسائل وإن كان في أسانيدها مقال إلا أن ماجاء فيها يقوى صحة نسبتها إلى الإمام أحمد ، والمطلع عليها يلاحظ ذلك ، علاوة على الشواهد الكثيرة الصحيحة التي تدعم ما جاء فيها من مسائل متنوعة ، فهناك روايات كثيرة بأسانيد صحيحة مطابقة بألفاظها لكثير مما ورد في هذه الرسائل ، وهو ما ستراه جليا عند ذكر بعض ما ورد في هذه الرسائل في بعض المباحث .

١٢ - الرد على الزنادقة والجهمية ، رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه :

وفي الكتاب رد على الجهمية القائلين بخلق القرآن والمنكرين للرؤية والزاعمين أن الله عز وجل في كل مكان والمدعين أن الجنة والنار لم تخلقا بعد وأمر أخرى .

فند أبو عبد الله مزاعمهم ونقض معتقداتهم بأدلة قاطعة .

وفي القسم الأول منه : فند أيضا مزاعم أهل الزندقة والإلحاد المدعين تعارض آي الكتاب .

والكتاب عموما معروف مشهور أفاد منه كثير من العلماء : كأبي يعلى وابن تيمية وابن القيم وغيرهما .

وقد دار جدل حول صحة نسبة الكتاب إلى الإمام أحمد - وليس بالطاريء - فقد ذكر الذهبي أنه موضوع على أبي عبد الله ثم قال : ولعله قاله . ولم يذكر الذهبي - رحمه الله تعالى - علة لذلك إلا أنه يرى أن فيه كلاما لا يصدر عن مثل الإمام أحمد . وأقول إن وجد شيء من هذا فلا يبرر الحكم عليه بالوضع ، فكل كتاب - عدا كتاب الله عز وجل - عرضة للصواب والخطأ .

(١) وقد طبعت عام ١٣٥٦هـ ، مطبعة محمد علي صبيح ، وهي مطبوعة أيضا ضمن شذرات البلاتين بإسناد ابن أبي يعلى المتقدم .

لكن هناك من علل تشكيكه بأمر آخر وهو أن في السند إلى عبد الله بن أحمد رجلا مجهولا لا يعرف وهو الخضر بن المثني^(١).

يقول ابن القيم : وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية عن أحمد^(٢). اهـ.

قلت : وقد ذكر ابن تيمية أن الإمام أحمد صنف « الرد على الزنادقة والجهمية » وهو في الحيس ، وكتبه بخطه^(٣).

قال ابن القيم: فإن قيل هذا الكتاب يرويه أبو بكر عبد العزيز غلام الخلال^(٤) عن الخلال عن الخضر بن المثني عن عبد الله بن أحمد عن أبيه، وهؤلاء أئمة معروفون إلا الخضر بن المثني فإنه مجهول ، فكيف تثبتون هذا الكتاب عن أحمد برواية مجهولة ؟ فالجواب من وجوه :

أحدها : أن الخضر هذا قد عرفه الخلال وروى عنه كما روى كلام أبي عبد الله عن أصحابه وأصحاب أصحابه ولا يضر جهالة غيره له .

الثاني : أن الخلال قد قال : كتبت من خط عبد الله بن أحمد وكتبه عبد الله من خط أبيه، والظاهر أن الخلال إنما رواه عن الخضر لأنه أحب أن يكون متصل السند على طريقة أهل النقل . وقد روى الخلال (عنه) غير هذا في جامعه فقال في كتاب « الأدب » من الجامع : دفع إلي الخضر بن المثني بخط عبد الله ابن أحمد أجاز لي أن أرويه عنه...^(٥) اهـ .

والكتاب ذكره ابن النديم وعده من مؤلفات الإمام أحمد . وسماه : « الرد على الجهمية »^(٦).

(١) ذكره ابن أبي عمير فقال : نقل عن عبد الله بن أحمد أشياء منها الرد على الجهمية ثم ساق بإسناده مقاطع من الكتاب . طبقات الخائبة : ٤٨/٢ .

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٨١ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٤٤٠/١٢ - ٤٤١ .

(٤) اسمه : عبد العزيز بن جعفر . قال الذهبي : كان كبير الشأن من بحور العلم له الباع الأطول في الفقه... ثقة فيما ينقله . سير أعلام النبلاء : ١٤٣/١٦ .

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٨١ - ٨٢ .

(٦) الفهرست ص : ٣٢٠ .

وقال الذهبي : قال ابن الجوزي : وله - يعنى الإمام أحمد - من المصنفات ... « كتاب الرد على الزنادقة » ثلاثة أجزاء^(١) . اهـ
والكتاب كما هو معروف طبع مرارا . وعندى منه عدة نسخ صورتها من مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية واعتمدت إحداها عند النسخ وهى من مكتبة ندوة العلماء - لكناؤ ، الهند .

واستعنت أيضا بما هو متوفر لدى من الطبقات . وأثبت فى البحث معظم الكتاب وذلك بوضع كل باب منه فيما يناسبه .

١٣ - الورع لأبى بكر المروذى :

قال الذهبي فى ترجمته : القدوة الفقيه المحدث شيخ الإسلام أبو بكر أحمد ابن محمد بن الحجاج المروذى ، نزيل بغداد ، وصاحب الإمام أحمد ولد فى حدود المقتين . اهـ .

ذكر الخلال : أن أبأ بكر المروذى خرج إلى الغزو فشيعة جماعة كثيرة فجعل يردهم فقيل له : يا أبأ بكر احمد الله فهذا علم قد نشر لك ، فبكى وقال : ليس هذا العلم لى . إنما هو لأبى عبد الله أحمد .

قال الخطيب : هو المقدم من أصحاب أحمد لورعه وفضله وكان أحمد يأنس به وينسب إليه وهو الذى تولى إغماضه لما مات وغسله وقد روى عنه مسائل كثيرة .

وقال الخلال : روى عن أبى عبد الله مسائل مشبعة كثيرة .
قال الذهبي : وكان إماماً فى السنة ، شديد الاتباع . توفى سنة خمس وسبعين ومئتين^(٢) . اهـ .

(١) سير أعلام النبلاء : ٣٣٠/١١ .

(٢) ت/ بغداد : ٤٢٣/٤ ، طبقات الحنابلة : ٥٦/١ ، المنتظم : ٩٤/٥ ، سير أعلام النبلاء :

وكتابه هذا ينقل فيه عن الإمام أحمد وغيره . إلا أن أكثره عن أحمد إما رواية وإما مسائل ، وقد أفدت منه . وهو مطبوع كما سبق الإشارة إليه^(١) .

مصنفات القاضي أبي يعلى ابن الفراء :

ليس من المستغرب أن أتجه إلى مصنفات القاضي أبي يعلى ابن الفراء للإفادة منها في هذا البحث : فهو من أئمة الحنابلة ومن عنوا بكلام الإمام أحمد فصنف كتباً كثيرة تدور في كثير من مباحثها حول ما نقل عن الإمام أحمد . وقبل البدء في ذكر ما أفدت من مؤلفاته أود أن نعطي نبذة مختصرة عن القاضي أبي يعلى :

هو : محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء البغدادي^(٢) ، وقد نشأ القاضي في أسرة علمية، فوالده أحد فقهاء الحنفية، ووصفه الذهبي بأنه من أعيانهم في عصره . توفي سنة ثلاث مئة وتسعين ولأبي يعلى عشر سنين^(٣) . وجده لأمه ، عبيد الله بن عثمان المعروف بابن جليقا . كان محدثاً ثقة مأموناً وهو من شيوخه^(٤) . من هنا نجد البداية القوية لأبي يعلى إضافة إلى أنه نشأ في حاضرة العلم والعلماء بغداد ، فأخذ أصنافاً شتى من العلم على علماء كبار لهم وزنهم ومكانتهم كأبي عبد الله بن حامد^(٥) ثم كانت له بعض الرحلات . وبعد تمكنه وتوفر المناخ اللازم بدأ رحمه الله في التصنيف . فأخرج إلى المكتبة الإسلامية مصنفات غاية في القوة خاصة في المذهب الحنبلي الذي برع فيه .

(١) ص : ١٥ من هذا البحث .

(٢) ت/ بغداد : ٢٥٦/٢ ، طبقات الحنابلة : ١٩٣/٢ ، المنتظم : ٢٤٣/٨ ، سير أعلام النبلاء : ٨٩/١٨ .

(٣) المصدر السابق . وانظر : البداية والنهاية : ٣٢٧/١١ ، طبقات الحنابلة : ١٩٤/٢ .

(٤) المنتظم : ٢١٠/٧ .

(٥) سيأتي التعريف به ص : ٢٦٢ .

ومن مصنفاته التي أفدت منها :

١٤ - إبطال التأويلات لأخبار الصفات:

وكان تأليفه له ردا على ما ذكره ابن فورك في كتابه « مشكل الحديث وبيانه » الذي تأول فيه آيات وأحاديث الصفات .
وهذا الكتاب حصل بسببه نزاع فقد ذكر البعض أن القاضى أبا يعلى ضمنه ما يشعر التشبيه^(١) .

قال ابن أبى يعلى :

وقد كان حضر الوالد فى سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة فى دار الخلافة فى أيام القائم بأمر الله مع العدد الكثير من أهل العلم ، وكان صحبته الشيخ أبو الحسن القزوينى لفساد قول جرى من المخالفين لما شاع قراءة كتاب : «إبطال التأويلات»... وكان قبل ذلك قد التمس منه حمل كتاب «إبطال التأويلات» وليتأمل فأعيد إلى الوالد . وشكر له - أى الخليفة - تصنيفه^(٢) . اهـ

قلت : والكتاب ذكر فيه القاضى الصفات وما يتعلق بها . ونقل روايات عن الإمام أحمد . والذى يؤخذ على القاضى إيراد جملة من الأحاديث الواهية، والتي لا ينبغى أن تذكر فى هذه المسائل بالذات فالصفات لا تثبت إلا عن طريق القرآن الكريم وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط . ولا يلتفت إلى ما سواهما البتة .

ولأجل إيراد القاضى لبعض الأحاديث الواهية فى هذا الباب الدقيق أنكر بعض العلماء عليه كابن الجوزى^(٣) وغيره^(٤) .

(١) انظر: الكامل فى التاريخ لابن الأثير ١٦/٨ .

(٢) طبقات الحنابلة: ١٩٧/٢ .

(٣) انظر : دفع شبه التشبيه .

(٤) انظر فيه «العلو» للذهبي ص: ١٨٤ .

يقول ابن تيمية : وقد صنف القاضي أبو يعلى كتابه : « إبطال التأويل » ردا لكتاب ابن فورك وهو وإن كان أسند الأحاديث التي ذكرها وذكر من رواها ففيها عدة أحاديث موضوعة كحديث الرؤية عيانا ليلة المعراج ونحوه ومنها أشياء عن بعض السلف رواها بعض الناس مرفوعة كقعود الرسول صلى الله عليه وسلم على العرش رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة كلها موضوعة^(١) . اهـ

وإفادتي من هذا الكتاب كانت محصورة في استخراج ما نقله القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد من الروايات المتعلقة بالصفات وحديث الصورة . وكما أشرت سابقا أن كتاب السنة جزء منه مفقود والقاضي ينقل عن الكتاب كثيرا وهذا يتيح لنا تعويض تلك الروايات التي هي في الجزء المفقود بأخذها من مصادر أخرى اطلعت على الكتاب كاملا .

وكتاب إبطال التأويلات كبير وهو لا يزال مخطوطا وكان يعتقد أنه مفقود وظهر أخيرا حيث وجد في مكتبة نعمان الألويسي بالعراق^(٢) ولدى فضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري نسخة مصورة منه . وللكتاب مختصر وهو مخطوط أيضا .

١٥ - الروايات والوجهان :

يبحث فيه القاضي الروايات المختلفة عن الإمام أحمد ومعظمه في الفقه وأفرد آخره ببحث مسائل عقديّة على ضوء الروايات عن الإمام أحمد بلغت اثنتي عشرة مسألة تحت عنوان : « مسائل من أصول الديانة » . وطبع منه ما يتعلق بالفقه فقط تحت عنوان : المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين . وما يتعلق بالعقيدة لا يزال مخطوطا - حسب اطلاعي - وقد أفدت من هذا الجزء الذي صورته عن النسختين المصورتين في قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية .

(١) درء تعارض العقل والنقل : ٢٣٧/٥ .

(٢) ولعله موجود في مكتبات أخرى .

١٦ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

وعندى منه نسخة مصورة . وهو لا يزال مخطوطا وفيه نقص من أوله .
والأصل في الظاهرية وعنه صورة في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية وإفادنى
منه قليلة لوجود الأصل الذى ينقل منه عندى وهو الأمر بالمعروف للخلال .

١٧ - الأحكام السلطانية :

ويتناول فيه مسائل الولاية وما يتفرع منها . وينقل عن الإمام أحمد مسائل
شتى . وإفادنى منه لأبأس بها .

والكتاب مطبوع . وقدم مؤخراً أطروحة للدكتوراه بعنوان « القاضى
أبو يعلى وكتابه الأحكام السلطانية » ونال به محققه الدرجة وطبعه .

١٨ - المسائل التى حلف عليها الإمام أحمد :

وهو جزء صغير عندى منه نسخة مصورة . أفدت منها قليلا . وقد طبع
مؤخرا .

١٩ - العدة فى أصول الفقه :

وكما هو ظاهر من عنوانه فهو يبحث فى مسائل أصول الفقه وقد وجدت
فيه روايتين فقط نقلهما عن أحمد متعلقة بالعقيدة ، وهو مطبوع .

٢٠ - الإيمان :

وهذا الكتاب حقه أن يقدم ، ففيه نقول عن أحمد وقد صورته من مكتبة
المخطوطات بالجامعة الإسلامية وفى آخره نقص إلا أنى لم أفد منه حيث وجدت
ما ينقله من الروايات فى الجزء المتوفر لدى من السنة للخلال والنقل منه أولى .
وقد قدم الكتاب لنيل درجة الماجستير بالجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة .
وللقاضى مصنف طبع مؤخراً أسماء « مختصر المعتمد فى أصول الدين » وهو
اختصار لكتابه الكبير « المعتمد » .

انتهى ما أفدته من مصنفات القاضي أبى يعلى ابن الفراء .

٢١ - مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى :

وهو كتاب كما يظهر من عنوانه يبحث فى سيرة الإمام أحمد وقد عقد فصلا فى اعتقاده ساق فيه بسنده جملا من كلامه . فأفدت من ذلك .
والكتاب مطبوع متداول .

٢٢ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة :

للحافظ أبى القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائى .
ومعلوم أهمية هذا الكتاب فهو من كتب العقيدة السلفية الذى لم يؤلف مثله . وقد نقل فيه مصنفه بإسناده بعض الروايات عن الإمام أحمد .
والكتاب حقق قسم منه « أطروحة دكتوراه » . وطبعه محققه .

٢٣ - كتاب الشريعة :

لأبى بكر محمد بن الحسين الأجرى وهو من كتب العقيدة السلفية ذكر فيه - بسنده - بعض الروايات عن الإمام أحمد . وهو مطبوع .

٢٤ - تعظيم قدر الصلاة :

لمحمد بن نصر المروزى . ذكر فى ثناياه بعض الروايات عن الإمام أحمد .
وهو مطبوع .

٢٥ - شرح اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل :

تأليف أبى الحسن على بن شكر بن أحمد بن شكر . وقد بحث عنه فلم أتوصل إلى معرفته فيما نظرت من المصادر^(١) .
جاء على الورقة الأولى : وكتبه مصنفه على بن شكر فى السادس والعشرين من المحرم سنة (طمس) ست مئة . أما تأخر المصنف فهو واضح إذ ينقل فيه من كتب ابن شاهين واللالكائى .

(١) لا يلبس بأنه على بن شوكر الذى هو من أصحاب الإمام أحمد . طبقات الختابة : ٢٢٥/١

والذى بين أيدينا من شرح الاعتقاد الجزء الاول كما كتب على الورقة الاولى
واتضح لى من قراءته أن فيه نقصاً، وهذا الجزء يقع فى عشر ورقات وهو عبارة
عن نقول من رسالة الإصطخرى وعبدوس وكذا جمل من كلام الإمام أحمد
بأسانيد ابن شاهين واللالكائى وهو ما أفدته من هذا الشرح .

هذا وقد أفدت من كتب أخرى مثل مسائل البغوى وصریح السنة للطبرى
وإثبات صفة العلو، والمغنى لابن قدامة والاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقى
وذكر محنة الإمام أحمد لحنبل بن إسحاق، وخلق أفعال العباد للبخارى، وتلبیس
إبليس لابن الجوزى، ومجموع الفتاوى، والصارم المسلول والإيمان واقتضاء
الصراط المستقیم ونقض أساس التقديس وغيرها من كتب ابن تيمية، وأحكام أهل
الذمة والصواعق المرسله وغيرها من كتب ابن القيم . وكتب أخرى كثيرة متنوعة
تجدها فى ثنايا البحث .

المبحث الثاني

رسالتا التميميين ومدى صحة نسبة ما فيهما للإمام أحمد

رسالة أبي محمد رزق الله التميمي^(١)

رسالة أبي الفضل عبد الواحد التميمي^(٢)

إن هاتين الرسالتين لهما وضع خاص فالتميميان لا يحكيان فيهما ما أثر عن الإمام أحمد رواية بل يقولان : كان مذهبه كذا وكان يقول كذا، لأجل هذا لم أدرجهما في ثنايا البحث .

وكثر النقل منهما على أساس أنهما يمثلان مذهب الإمام أحمد . وعند مراجعتي لهاتين الرسالتين وجدت فيهما بعض المسائل التي لا تتفق وما صح عن الإمام أحمد أو أصول مذهبه .

(١) المسماة : عقيدة الإمام أحمد بن حنبل . وقد ألحقها الشيخ محمد حامد الفقى - رحمه الله - بآخر كتاب طبقات الحنابلة : ٢/٢٦٥ . نقلا عن الكواكب الدراري لابن عروة ، من الجزء السادس والأربعين ، المكتبة الظاهرية . وقد أشار فؤاد سزكين إلى وجودها في مكتبة شهيد على تحت رقم : ١/٧٦٦٣ . إضافة إلى الظاهرية . تاريخ التراث العربي : ٢/٢٠٣ . ورزق الله هو ابن عبد الوهاب ابن عبد العزيز التميمي البغدادي ، قال السمعاني : هو فقيه الحنابلة .. عمر حتى قصد من كل جانب . وقال أبو علي الصديقي : كان كبير بغداد وجليلها . وقال شيرويه الديلمي الحافظ : كان ثقة صدوقا فاضلا . اهـ . وله تصانيف منها : «شرح الإرشاد» لشيخه ابن أبي موسى في الفقه والحصول والأقسام . توفي سنة ثمان وثمانين وأربع مئة عن سبع أو ثمان وثمانين عاما . انظر سيرته في : مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص : ٥٢٥ ، معجم الأدباء : ١١/١٣٦ ، الكامل لابن الأثير : ١٠/٢٥٣ ، معرفة القراء للكبار : ١/٣٥٦ ، سير أعلام النبلاء : ١٨/٦٠٩ ، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد : ١٨/١١٦ ، البداية والنهاية : ١٢/١٥٠ ، غاية النهاية : ١/٢٨٤ ، شذرات الذهب : ٣/٣٠٨٤ .

(٢) المسماة : اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل وقد ألحقها الشيخ محمد حامد أيضا بآخر كتاب طبقات الحنابلة : ٢/٢٩١ . وله نسخة مصورة في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية عن الظاهرية . وعبد الواحد هو : ابن عبد العزيز بن الحارث ، التميمي البغدادي قال الذهبي : الفقيه رئيس الحنابلة . وقال الخطيب : كان صدوقا . اهـ . وكان صديقا للقاضي أبي بكر الباقلاني وموادأ له . ت/ بغداد : ١١/١٤ ، طبقات الحنابلة : ٢/١٧٩ ، سير أعلام النبلاء : ١٧/٢٧٣ ، مجموع الفتاوى : ٤/١٦٧ .

يقول ابن تيمية : وأما التميميون كأبي الحسن^(١) وأبي الفضل وابن رزق الله فهم أبعد عن الإثبات وأقرب إلى موافقة غيرهم وألين لهم ولهذا تتبعهم الصوفية ويميل اليهم فضلاء الأشعرية كالباقلائي^(٢) والبيهقي^(٣) فإن عقيدة أحمد التي كتبها أبو الفضل هي التي اعتمدها البيهقي مع أن القوم ماشون على السنة^(٤).

وفي موضع آخر يقول : « ... وسلك طريق ابن كلاب^(٥) - في الفرق بين الصفات اللازمة كالحياة والصفات الاختيارية وأن الرب يقوم به الأول دون الثاني - كثير من المتأخرين من أصحاب مالك والشافعي وأحمد كالتميميين أبي الحسن التيمي وابنه أبي الفضل التيمي وابن ابنه رزق الله التيمي وعلى عقيدة أبي الفضل التي ذكر أنها عقيدة أحمد اعتمد أبو بكر البيهقي فيما ذكره من مناقب أحمد من الاعتقاد^(٦) .

ويقول أيضا معلقا على رسالة أبي الفضل :

وله في هذا الباب مصنف ذكر فيه من اعتقاد أحمد ما فهمه ولم يذكر فيه ألفاظه وإنما ذكر جمل الاعتقاد بلفظ نفسه وجعل يقول : وكان أبو عبد الله وهو بمنزلة من يصنف كتابا في الفقه على رأى بعض الأئمة ويذكر مذهبه بحسب ما فهمه ورآه وإن كان غيره بمذهب ذلك الإمام أعلم منه بألفاظه وأفهم لمقاصده^(٧) . اهـ .

(١) ستأق ترجمته ص : ٣٤٦ .

(٢) أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد البصرى ، ثم البغدادي ، ابن الباقلائي ، صاحب التصانيف . توفي سنة ثلاث وأربع مئة . انظر : ت/ بغداد : ٣٧٩/٥ ، المنتظم : ٢٦٥/٧ ، وفيات الأعيان : ٢٦٩/٤ ، سير أعلام النبلاء : ١٧٠/١٧ ، البداية والنهاية : ٣٥٠/١١ ، شذرات الذهب : ٩٢/٣ .

(٣) الحافظ العلامة الثبت الفقيه ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، صاحب التصانيف الكثيرة المفيدة المشهورة ، توفي سنة ثمان وخمسين وأربع مئة . انظر : المنتظم : ٢٤٢/٨ ، الكامل : ٥٢/١٠ ، سير أعلام النبلاء : ١٦٣/١٨ ، وفيات الأعيان : ٧٥/١ ، طبقات الشافعي للسيكي : ٨/٤ ، البداية والنهاية : ٩٤/١٢ ، النجوم الزاهرة : ٧٧/٥ ، طبقات الحفاظ ص : ٤٣٣ ، شذرات الذهب : ٣٠٤/٣ .

(٤) مجموع الفتاوى : ٥٣/٦ .

(٥) ستأق ترجمته ص : ٢٩٤ .

(٦) نفس المصدر ٣٦٧/١٢ .

(٧) مجموع الفتاوى : ١٦٧/٤ - ١٦٨ .

المبحث الثالث

أهمية جمع هذه المسائل والرسائل

إن المطلع على هذا البحث يظهر له بوضوح القيمة العلمية لهذه المسائل والرسائل فهي ذات ثراء علمي كبير في مجال العقيدة ولا غرابة في ذلك فهي صادرة عن إمام أهل السنة ، الذي جاهد لتثبيت العقيدة الصحيحة لذلك نجد أن أئمة كباراً اهتموا بمسائله ونقلوها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : والنقل عن أحمد وغيره من أئمة السنة متواتر بإثبات صفات الله تعالى ... وهؤلاء متبعون في ذلك ما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فأما أن المسلمين يثبتون عقيدتهم في أصول الدين بقوله أو يقول غيره من العلماء : فهذا لا يقوله إلا جاهل ... وأصحاب أحمد : مثل أبي داود السجستاني ، وإبراهيم الحري ، وعثمان بن سعيد الدارمي ، وأبي زرعة ، والبخاري ومسلم ، وبقى بن مخلد ، وأبي بكر الأثرم ، وابنيه صالح وعبد الله ، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، ومحمد بن مسلم بن وارة ، وغير هؤلاء الذين هم من أكابر أهل العلم والفقهاء والدين . لا يقبلون كلام أحمد ولا غيره إلا بحجة بينها لهم ، وقد سمعوا العلم كما سمعه هو ، وشاركوه في كثير من شيوخه ومن لم يلحقوه أخذوا عن أصحابه الذين هم نظراؤه ، وهذه الأمور يعرفها من يعرف أحوال الإسلام وعلمائه^(١) . اهـ .

لهذا أقول : إن هذه المسائل والرسائل تمثل مذهب السلف المرتكز على الكتاب والسنة وأقوال الإمام أحمد لا تخرج عن هذين الأصلين ، وهذا ما أكسبها مكانة خاصة .

وهذه المسائل والرسائل مع ما تشكله من أهمية كبرى ، كانت متناثرة في بطون الكتب المطبوع منها والمخطوط ، لذا كان جمع ما يمكن منها أمراً في نظري

(١) مجموع الفتاوى : ٢١٦/٦ .

بالغ الاهمية خاصة أن الإمام أحمد لم يكن يهتم بالتصنيف وهذا أمر ساهم في نسبة أقوال إليه لم تصح عنه ، لذا كان ضروريا تجريد ما صح عنه والتنبيه إلى مانسب إليه من الأقوال التي لم تصدر عنه أو لاتفق وأصول مذهبه يضاف إلى ذلك انتشار البدع والعقائد المنحرفة مما يجعل الحاجة ماسة لمعرفة أصول الدين المستقاة من الكتاب والسنة وهو ما تحققه هذه المسائل والرسائل وفي نظرة سريعة حول هذه المسائل نجد أنها قد تعرض عليه فيجيب عنها أو يتحدث بها ابتداء من غير سؤال .

المبحث الرابع منهجي في الجمع والتحقيق .

يظهر للمطلع على هذا البحث قيامه على عنصرين رئيسين :

الأول : جمع جملة كبيرة من المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد
الثاني : التعليق عليها .

أما العنصر الأول فقد بذلت فيه جهدا مضاعفا لأنه في نظري عمود البحث
ولقد كانت طريقتي في الجمع ذات شقين :

الأول : جمع الكتب التي هي مظان لهذه الرسائل والمسائل .
الثاني : تصفح هذه الكتب بدقة وعناية واستخراج ما فيها من مسائل .

وبعد ذلك تأتي مرحلة أخرى تتمثل في ترتيب هذه المسائل حسب أهميتها
وصحة أسانيدها ثم تصنيفها ووضعها تحت عناوين مناسبة لها .

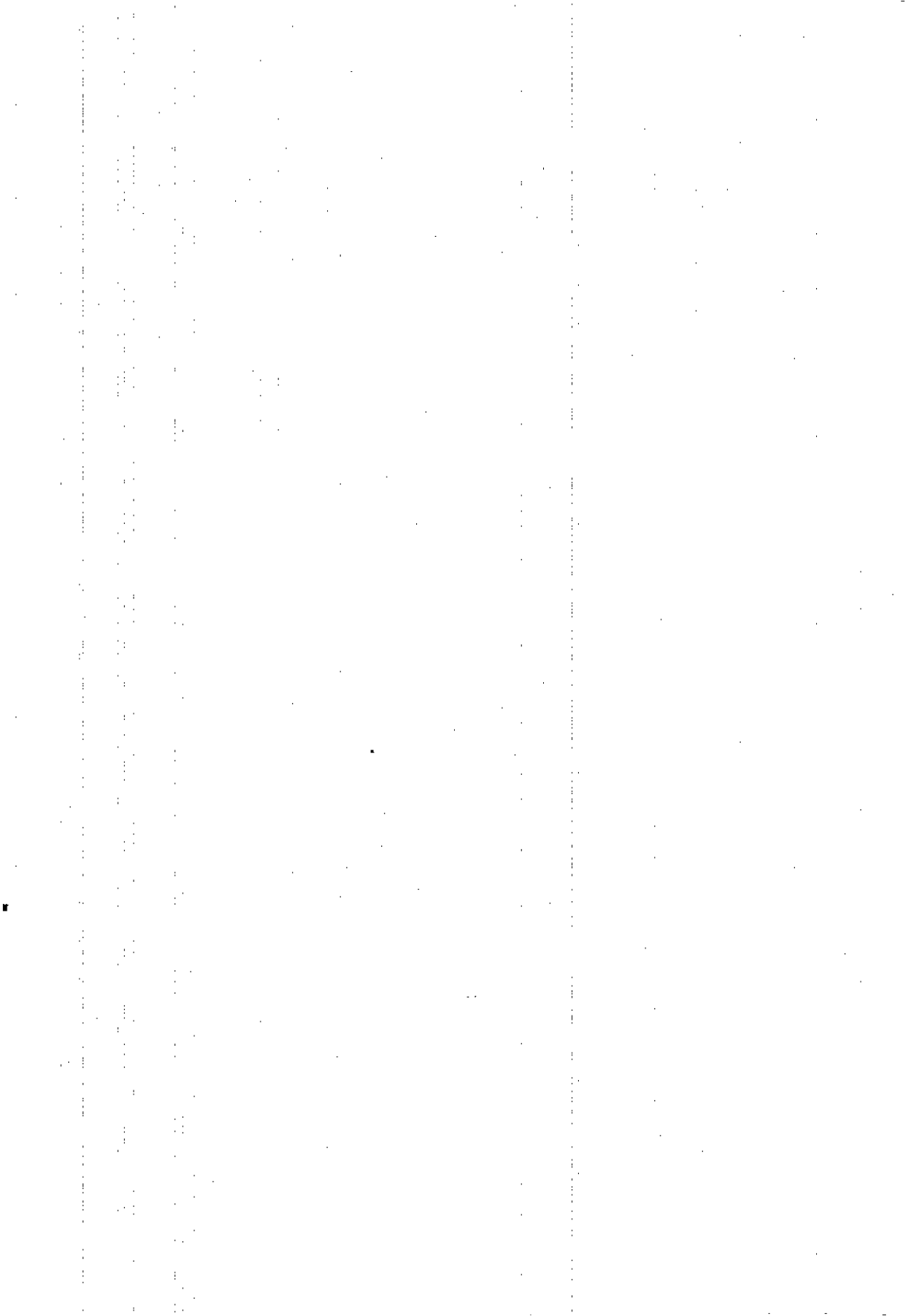
وهنا أمر أود أن أشير إليه وهو أني اعتمدت على الروايات المسندة في تقرير
ما نقل عن الإمام أحمد ثم أنتقي من تلك الروايات الرواية الجامعة وأثبتها في أول
النقل . ثم أتبعها بالروايات الأخرى وذكر جميع الروايات فيه توثيق للمسألة المثبتة
ففي تضافر النقل قطع بصحة الرواية وقد بذلت في انتقاء الروايات والنظر في
أسانيدها ووضع العناوين لها جهودا وأرجو أن أكون قد وفقت .

والعنصر الثاني وهو التعليق : فقد بذلت فيه أيضا جهدا كبيرا لأنه في
نظري مكمل للعنصر الأول فقد قمت بالتعليق المفصل - في كثير من
الأحيان - على ما أثبتته من المسائل وذلك بدراسة ما يحتاج منها لدراسة أو مقارنة
ثم التعليق على المسألة بصفة عامة ببيان منهج السلف والتطرق إلى مخالفهم من
المتكلمين وغيرهم وإيضاح الصواب في المسألة مقرونا بالأدلة .

هذا بالنسبة للتعليق على المسائل من الجانب العقدي .

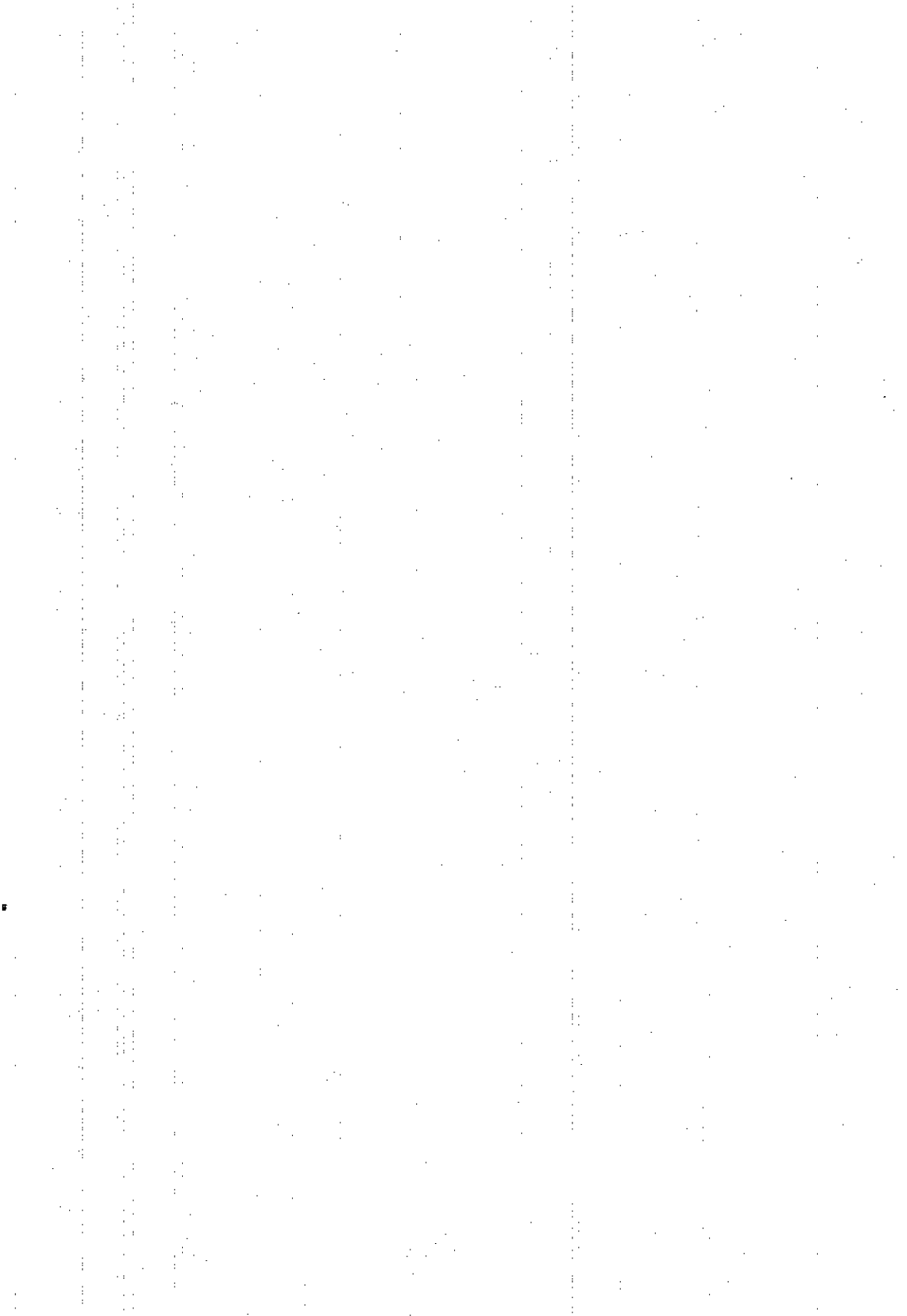
أما ما يتعلق بالناحية المنهجية فقد قمت بتحقيق هذه المسائل والرسائل وفق منهج علمي . وذلك بإيفاء ما يحتاج إليه من ترجمة للأعلام ورجال الإسناد . وأذكر الترجمة في أول موضع تذكر فيه . وأقتصر في الترجمة على ذكر ما نقل من مسائل - إن كان من نقلة المسائل - وتوثيقه وقد لا أجد فيه جرحا ولا تعديلا فأكتفى بذكر ما وجدته . وكذا قمت بتخريج للآيات والأحاديث وغير ذلك مما هو متعلق بهذه الناحية .

وعندما أعزؤ الحديث إلى صحيح البخارى فأعنى مع شرحه لابن حجر المسمى « فتح البارى شرح صحيح البخارى » .



المسائل والرسائل
المروية عن
الإمام أحمد بن محمد بن حنبل
في العقيدة

جمع وتحقيق ودراسة
عبد الإله بن سلمان بن سالم الأحمدي



بسم الله الرحمن الرحيم
مسائل الإيمان

- ١- قول الإمام أحمد في تعريف الإيمان ص : ٦٣ .
- ٢- أقوال المخالفين في تعريف الإيمان ونقض الإمام أحمد لها :
تعريف الكرامية للإيمان ص : ٦٨ .
قول الإمام أحمد فيما نقله عن شبابة في الإيمان ص : ٧٢ .
تعريف الجهمية للإيمان ص : ٧٣ .
تعريف الأشاعرة والماتريدية للإيمان ص : ٧٤ - ٧٥ .
تعريف الخوارج للإيمان ص : ٧٦ .
تعريف المعتزلة للإيمان ص : ٧٦ .
- مذهب الإمام أبي حنيفة في الإيمان ص : ٧٧
- ٣- ما احتج به الإمام أحمد على دخول الأعمال في الإيمان ص : ٨١ .
- ٤- قول الإمام أحمد فيما احتجت به المرجئة من الأحاديث ص : ٨٦ .
- ٥- قول الإمام أحمد في زيادة الإيمان ونقصانه ص : ٨٩ .
- ٦- قول الإمام أحمد في معنى الزيادة والنقصان في الإيمان ص : ٩٠ .
- ٧- اختلاف عبارات السلف في مدلول الزيادة والنقص وقول الإمام أحمد في ذلك ص : ٩٣ .
- ٨- بعض ما احتج به الإمام أحمد على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة ص : ٩٤ .
- ٩- قول الإمام أحمد فيمن قال يزيد ولا ينقص ص : ٩٨ .
مذهب الإمام أبي حنيفة في الزيادة والنقص ص : ١٠٢ .

- مذهب المعتزلة ص : ١٠٢ .
- مذهب الأشاعرة ص : ١٠٣ .
- ١٠- قول الإمام أحمد في المعرفة هل تزيد وتنقص ص : ١٠٤ .
- ١١- قول الإمام أحمد في الإسلام والإيمان ص : ١٠٨ .
- ١٢- بعض ما احتج به الإمام أحمد على تفريقه بين الإسلام والإيمان ص : ١٠٩ .
- ١٣- قول الإمام أحمد في الاستثناء في الإيمان ص : ١١٧ .
- ١٤- قول الإمام أحمد فيمن ترك الاستثناء في الإيمان ص : ١٢٠ .
- ١٥- ذكر بعض ما احتج به الإمام أحمد في الاستثناء في الإيمان ص : ١٢٣ .
- ١٦- قول الإمام أحمد فيمن يسأل : « أمؤمن أنت » ص : ١٢٤ .
- ١٧- قول الإمام أحمد في الفاسق الملي ص : ١٢٦ .

قول الإمام أحمد في تعريف الإيمان

قال أبو بكر الحلال^(١) :

١ - أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد الميموني^(٢) : أنه سأل أبا عبد الله : الإيمان قول وعمل ونية ؟ فقال لي : كيف يكون بلا نية . نعم الإيمان قول وعمل ونية . (لا)^(٣) بد من النية . قال لي النية متقدمة^(٤) .

* اختلفت عبارة الإمام أحمد في تعريف الإيمان فتارة يقول : قول وعمل ونية كما في رواية الميموني هذه . وكذا قال في رواية حنبل بن إسحاق^(٥) وإسحاق بن إبراهيم بن هانيء^(٦) .

٢ - وفي رواية الإصطخري^(٧) زاد : وتمسك بالسنة .

٣ - وتارة يقول : قول وعمل . كما في رواية أبي بكر المروزي^(٨) وأحمد

-
- (١) هو : أحمد بن محمد بن هارون الحلال . انظر : ترجمته والتعريف بمؤلفاته ص : ٢٥٠ م .
(٢) هو : عبد الملك بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران ، ثقة فاضل ، لازم أحمد أكثر من عشرين سنة ، توفي سنة أربع وسبعين ومئتين تقريبا : ١/٥٢٠ .
(٣) ما بين القوسين ليس من الأصل وما أثبتته يقتضيه السياق .
(٤) السنة للحلال (ق ٩٦ب) .
(٥) هو : حنبل بن إسحاق بن حنبل : ابن عم الإمام أحمد ، قال الخطيب : كان ثقة ، وسئل عنه الدارقطني فقال : صدوق . تاريخ بغداد : ٢٨٦/٨ ، طبقات الخنابلة : ١/١٤٣ . والرواية في شرح اعتقاد الإمام أحمد لأبي الحسن بن شكر ص : ١٣ .
(٦) انظر : ترجمته والتعريف بمسائله ص : ٣٠ . والرواية في السنة للحلال (ق ٩٦ب) .
(٧) هو : أحمد بن جعفر الإصطخري . انظره والتعريف برسائله عن أحمد ص : ٣٣ . والنص في الرسالة المشار إليها (طبقات الخنابلة : ٢٤/١) . وانظر كتاب السنة لأحمد ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٤ .
(٨) هو : أحمد بن محمد بن الحجاج . انظر ترجمته ص : ٤٥ . والرواية في السنة للحلال (ق ٩٩أ) والإبانة الكبرى لابن بطة : ٧٣٨/٢ .

ابن الحسن الترمذى^(١) وأحمد بن القاسم^(٢) وعيسى بن فيروز الأبارى^(٣)
وشاهين بن السميدع^(٤) والفضل بن زياد^(٥).

التعليق :

ليس هناك تعارض بين هذه التعريفات فهي كلها تؤدي إلى معنى واحد .
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ومن هذا الباب أقوال السلف
وأئمة السنة في تفسير الإيمان ، فتارة يقولون : هو قول وعمل ، وتارة يقولون : هو
قول وعمل ونية ، وتارة يقولون : قول وعمل ونية واتباع السنة ، وتارة يقولون :
قول باللسان واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح ، وكل هذا صحيح ، فإذا
قالوا : قول وعمل ، فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعا ، وهذا
هو المفهوم من لفظ القول والكلام ، ونحو ذلك إذا أطلق ... والمقصود هنا أن
من قال من السلف : الإيمان قول وعمل ، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب

(١) هو : أحمد بن الحسن بن جنيد الترمذى ، ثقة حافظ ، توفي سنة خمسين ومئتين . تقريب : ١٣/١ .
والرواية انظرها في السنة للخلال : (ق ١٠٧/أ) .

(٢) أحمد بن القاسم ، صاحب أبي عبيد قال الخطيب : حدث عنه وعن أحمد بن حنبل . تاريخ بغداد :
٣٤٩/٤ . والرواية في السنة للخلال (ق ٩٩/ب) .

(٣) هو : عيسى بن فيروز ، أبو موسى الأبارى ، قال ابن أبي يعلى : سمع من الإمام أحمد أشياء . وذكره
ابن الجوزى فيمن حدث عن أحمد ، ووهم الذهبي فقال : قال الخطيب : ليس بثقة . ومقولة الخطيب
في حق رجل روى عنه وهو : على بن محمد بن سعيد الموصلي كما هو واضح من كلام الخطيب .
وقد نبه ابن حجر إلى ذلك في اللسان . تاريخ بغداد : ١٧٢/١١ ، طبقات الحنابلة : ٢٤٨/١ ، مناقب
الإمام أحمد لابن الجوزى ص : ١٣٧ ، لسان الميزان : ٤٠٣/٤ ، ميزان الاعتدال : ٣٢١/١ ، المنهج
الأحمد : ٣٢١/١ . والرواية في طبقات الحنابلة : ٢٤٨/١ .

(٤) هو : شاهين بن السميدع ، أبو سلمة العبدى ، ذكره ابن أبي يعلى فقال : نقل عن الإمام أحمد
أشياء وذكر بعضها ، وذكره ابن الجوزى فيمن حدث عن الإمام أحمد . طبقات الحنابلة : ١٧٢/١ ،
مناقب الإمام أحمد ص : ١٣٣ . والرواية في طبقات الحنابلة : ١٧٢/١ .

(٥) هو : الفضل بن زياد ، أبو العباس القطان البغدادي ، ذكره أبو بكر الخلال فقال : كان من المتقدمين
عند أبي عبد الله ، وكان أبو عبد الله يعرف قدره ويكرمه ، وكان يصلى بأبي عبد الله . فوقع له عن
أبي عبد الله مسائل كثيرة جيد . تاريخ بغداد : ٣٦٣/١٢ ، طبقات الحنابلة : ٢٥/١ ، مناقب الإمام
أحمد ص : ١٣٨ . والرواية في الإبانة الكبرى لابن بطة : ٧٣٨/٢ .

والجوارح ، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر ، أو خاف ذلك ، فزاد الاعتقاد بالقلب ، ومن قال : قول وعمل ونية ، قال : القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان ، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية ، فزاد ذلك ، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة ، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل ، وإنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال ، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط ، فقالوا : بل هو قول وعمل والذين جعلوه أربعة أقسام ففسروا مرادهم ، كما سئل سهل بن عبد الله التستري^(١) عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة، لأن الإيمان إذا كان بلا عمل ، فهو كفر ، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق ، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة^(٢) . اهـ .

وما ذهب إليه الإمام أحمد - رحمه الله - من تعريف للإيمان هو مذهب عامة السلف في الإيمان: اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان. فالسلف - رحمهم الله - رأوا أن الإيمان عبارة عن هذه الأمور الثلاثة ، واعتبروا التصديق بالقلب والقول باللسان أصلاً والعمل فرعاً . لذلك نجد أنهم لا يكفرون مرتكب الكبيرة ولا يحكمون عليه بالتخليد في النار . كما يفعل الخوارج والمعتزلة^(٣) . وقد نقل الإجماع عنهم على هذا التعريف للإيمان أبو عبيد القاسم بن سلام^(٤) والشافعي^(٥) والبخاري^(٦) واللاكاثي^(٧) والبعثي^(٨) وابن عبد البر^(٩) وغيرهم . وهذا الإجماع منهم مبنى على أدلة صريحة من الكتاب والسنة .

- (١) تقدمت ترجمته ص : ٤٢ .
- (٢) الإيمان ص : ١٦٢ . وانظر مجموع الفتاوى له : ٥٠٥/٧ - ٥٠٦ ، والشريعة للآجري ص : ١١٩ .
- (٣) قد يلتبس على البعض تعريف أهل السنة للإيمان وتعريف الخوارج والمعتزلة له وسيأتي مزيد من الإيضاح حول هذه المسألة عند الكلام عن الفرق المخالفة في تعريف الإيمان ص : ٧٦ .
- (٤) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٣٠٩/٧ ولم أجده في كتاب الإيمان ولعله في مؤلف آخر له ، والله أعلم .
- (٥) انظر : الإيمان لابن تيمية ص : ١٩٧ .
- (٦) انظر : فتح الباري : ٤٧/١ .
- (٧) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٨٣٢/٤ .
- (٨) انظر : شرح السنة : ٣٨/١ .
- (٩) انظر : التمهيد : ٢٣٨/٩ .

قال الحافظ ابن مندة موضحا ما يشمله كل ركن من هذه الأركان الثلاثة :
فمن أفعال القلوب : النيات والإرادات ، والعلم ، والمعرفة بالله وبما أمر به
والاعتراف له والتصديق به وبما جاء من عنده ، والخضوع له ولأمره ، والإجلال
والرغبة إليه ، والرغبة منه والخوف والرجاء والحب له ولما جاء من عنده والحب
والبغض فيه والتوكل والصبر والرضا والرحمة والحياء والنصيحة لله ولرسوله
ولكتابه وإخلاص الأعمال كلها مع : سائر أعمال القلب^(١) .

ومن أفعال اللسان : الإقرار بالله وبما جاء من عنده والشهادة لله بالتوحيد
ولرسوله بالرسالة ولجميع الأنبياء والزسل . ثم التسييح والتكبير والتحميد والتهليل
والثناء على الله والصلاة على رسوله والدعاء وسائر الذكر^(٢) .

ثم أفعال سائر الجوارح : من الطاعات والواجبات التي بنى عليها الإسلام
أولها إتمام الطهارات كما أمر الله عز وجل ، ثم الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان
والزكاة على ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم حج البيت من استطاع إليه
سيلا ، وترك الصلاة كفر^(٣) . وكذلك جحود الصوم^(٤) والزكاة^(٥) والحج^(٦) ،
والجهاد فرض مع الكفاية مع البر والفاجر .

(١) ما يدل على ما يلزم القلب من فرض الإيمان قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾ سورة المائدة/٤١ . وقوله عز وجل :
﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم
غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ سورة النحل/١٠٦ ، وقوله عز وجل : ﴿ قالت الأعراب آمنا
قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ سورة الحجرات . انظر : الشريعة
للأجري ص : ١١٩ .

(٢) ما يدل على ما يلزم اللسان من فرض الإيمان قول الله تعالى : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما
أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من
ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ سورة البقرة/١٣٦ ، ومن السنة قول النبي ﷺ :
«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» أخرجه البخارى : ٢٧٥/١٢ ، ٢٥٠/١٣ ،
ومسلم : ٥٢/١ من حديث أبي هريرة . انظر : الشريعة للأجري ص : ١٢٠ .

(٣) انظر : قول الإمام أحمد في تارك الصلاة ص : ٣٤/٢ .

(٤) انظر : قول الإمام أحمد في تارك الصيام ص : ٤٩/٢ .

(٥) انظر : قول الإمام أحمد في مانع الزكاة ص : ٤٦/٢ .

(٦) انظر : قول الإمام أحمد في تارك الملبأ الخمسة ص : ٥٠/٢ .

وسائر أعمال التطوع : التي يستحق بفعالها اسم زيادة الإيمان، والأفعال
المنهى عنها التي بفعالها يستحق نقصان الإيمان^{(١)(٢)} .

(١) ستأق الآدلة على هذا الجانب عند الكلام على « دخول الأعمال في الإيمان » ص : ٨١ .
(٢) كتاب الإيمان : ٣٦٢/١ .

أقوال المخالفين في تعريف الإيمان ونقض الإمام أحمد لها

تعريف الكرامية للإيمان :

قال أبو بكر الخلال :

٤ - أخبرني أبو بكر المروزي قال : حدثني أبو علي الحسين بن حامد النيسابوري^(١) قال سمعت أبا عبد الرحيم الجوزجاني يقول : كتب إلي أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل وأخبرني عبد الله بن عبيد الله الطرسوسي^(٢) قال : ثنا محمد بن حاتم المروزي^(٣) قال : ثنا أبو عبد الرحيم محمد بن أحمد بن الجراح الجوزجاني^(٤) قال : كتب إلي أحمد بن حنبل : ...وأما من زعم أن الإيمان الإقرار فما يقول في المعرفة ؟ هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار ؟ وهل يحتاج أن يكون مصدقا بما أقر . قال محمد بن حاتم وهل يحتاج أن يكون مصدقا بما عرف فإن زعم أنه يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار فقد زعم أنه من شيعين ، وإن زعم أنه يحتاج أن يكون مقرا ومصدقا بما عرف ، فهو من ثلاثة أشياء ، فإن جحد وقال : لا يحتاج إلى المعرفة والتصديق ، فقد قال عظيما ولا أحسب أحد يدفع المعرفة . قال المروزي : ولا أحسب امرا يدفع المعرفة والتصديق فكذلك العمل مع هذه الأشياء^(٥) .

التعليق :

الكرامية من فرق المرجئة . وإن كانت تعرف أكثر بالتجسيم والتشبيه في باب الصفات والإمام أحمد يطلق صفة الإرجاء على كل من أخرج العمل عن

(١) (٢) : لم أجد لهم تراجم فيما اطلعت عليه من المصادر .

(٣) هو : محمد بن حاتم بن نعيم ، ثقة . تقريب : ١٥٢/٢ .

(٤) ثقة ، فاضل ، توفي سنة مئتين وخمسة وأربعين . تقريب : ١٤٢/٢ .

(٥) السنة للخلال (ق : ١٠٨) ونقله أبو يعلى ابن الفراء في الإيمان (ق : ١/ب) ، وابن تيمية في

الإيمان ص ٢٧٦ .

الإيمان . قال - لما سئل عن المرجئة من هم - : « من زعم أن الإيمان قول »^(١) . وقد عددهم أبو الحسن الأشعري من فرق المرجئة^(٢) ، وشيخ الإسلام ابن تيمية قسم المرجئة إلى ثلاثة أصناف وعد الكرامية أحد هذه الأصناف^(٣) وقد كان أول ظهور لهذه الفرقة في بداية القرن الثالث بزعامة مؤسسها محمد بن كرام السجستاني^(٤) . ومذهبهم في الإيمان - كما تقدم - عبارة عن أمر واحد لا تعدد فيه وهو الإقرار باللسان . وقد حكى عنهم هذا المذهب جل المشتغلين بآراء الطوائف والفرق ، وإن كان البعض قد انفرد في نسبة بعض الآراء إليهم والتي لم تصح عنهم كما سيأتي بيانه ، ومجمل مذهبهم : أن الإيمان هو الإقرار دون تصديق القلب وعمل الجوارح . والمنافق عندهم مؤمن في الدنيا وفي الآخرة من الخالدين في النار^(٥) هذا هو المعروف من مذهبهم والذي أجمع عليه كل من تكلم عنهم إلا أن ابن حزم نسب إليهم أمراً لم يصح عنهم حيث يقول : « وذهب قوم إلى أن الإيمان هو إقرار باللسان بالله تعالى وإن اعتقد الكفر بقلبه فإذا فعل ذلك فهو مؤمن من أهل الجنة وهذا قول محمد بن كرام السجستاني^(٦) » قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وقد حكى بعضهم عنهم أنهم يجعلون المنافقين من أهل الجنة وهو غلط عليهم »^(٧) . وفي موضع آخر : من حكى عنهم أنهم يقولون : المنافق يدخل الجنة فقد كذب عليهم بل يقولون إن المنافق مؤمن لأن الإيمان هو القول الظاهر .

قال الشهرستاني في معرض كلامه عن الكرامية : « وفرقوا بين تسمية المؤمن مؤمناً فيما يرجع إلى أحكام الظاهر والتكليف وفيما يرجع إلى أحكام

(١) انظر الروايات عنه في هذا المعنى في (قول الإمام أحمد في المرجئة) ص : ٨٩١ .

(٢) انظر : مقالات الإسلاميين : ٢٠٤/١ .

(٣) انظر : الإيمان لابن تيمية ص : ١٨٤ .

(٤) قال عنه الذهبي : العابد المتكلم شيخ الكرامية ساقط الحديث عل بدعته . ميزان الاعتدال : ٢١/٤ .

(٥) انظر : الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل : ١٥٤/١ ، أصول الدين للبغدادي ص : ٢٥٠ ،

مجموع الفتاوى : ١٤٠/٧ ، ٢١٦ .

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ١٨٨/٣ .

(٧) مجموع الفتاوى : ١٤١/٧ .

الآخرة والجزاء فالمنافق عندهم مؤمن في الدنيا حقيقة مستحق للعقاب الأبدي في الآخرة^(١) .»

والإمام أحمد ينقض في كتابه هذا مزاعم مرجئة الكرامية القائلين إن الإيمان هو مجرد الإقرار باللسان فقط . وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رد أبي عبد الله على هذه الطائفة وعلق عليه قائلا : « قلت : أحمد وأبو ثور وغيرهما من الأئمة كانوا قد عرفوا أصل قول المرجئة ، وهو أن الإيمان لا يذهب بعضه ويبقى بعضه فلا يكون إلا شيئا واحدا ، فلا يكون ذا عدد اثنين أو ثلاثة ، فإنه إذا كان له عدد ، أمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه ، بل لا يكون إلا شيئا واحدا... فلهذا صاروا يناظرونهم بما يدل على أنه ليس شيئا واحداً ... وأحمد ذكر أنه لا بد من المعرفة والتصديق مع الإقرار ، وقال : إن من جحد المعرفة والتصديق ، فقد قال قولاً عظيماً ، فإن فساد هذا القول معلوم من دين الإسلام ! ولهذا لم يذهب إليه أحد قبل الكرامية ، مع أن الكرامية لا تنكر وجوب المعرفة والتصديق ، ولكن تقول : لا يدخل في اسم الإيمان حذراً من تبعضه وتعدده ، لأنهم رأوا أنه لا يمكن أن يذهب بعضه ويبقى بعضه ، بل ذلك يقتضى أن يجتمع في القلب إيمان وكفر ، واعتقدوا الإجماع على نفي ذلك ، كما ذكر هذا الإجماع الأشعري وغيره .

.. وأحمد - رضى الله عنه - فرق بين المعرفة التي في القلب وبين التصديق الذي في القلب ، فإن تصديق اللسان هو الإقرار ، وقد ذكر ثلاثة أشياء ، وهذا يحتمل شيئين يحتمل أن يفرق بين تصديق القلب ومعرفته ، وهذا قول ابن كلاب ، والقلاسي ، والأشعري وأصحابه يفرقون بين معرفة القلب وبين تصديق القلب ، فإن تصديق القلب قوله ، وقول القلب عندهم ليس هو العلم ، بل نوعاً آخر ، ولهذا قال أحمد : هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار... - (إلى آخر كلام أحمد) - والذين قالوا : الإيمان هو الإقرار باللسان يتضمن التصديق باللسان ، والمرجئة لم تختلف أن الإقرار باللسان فيه التصديق ، فعلم أنه أراد تصديق القلب ومعرفته مع الإقرار باللسان ، إلا أن يقال : أراد تصديق القلب واللسان جميعاً مع المعرفة

(١) الملل والنحل بهامش الفصل : ١٥٤/١ .

والإقرار ، ومراده بالإقرار الالتزام لا التصديق كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾^(١) فالميثاق مأخوذ على أنهم يؤمنون به وينصرونه ، وقد أمروا بهذا ، وليس هذا الإقرار تصديقا فإن الله تعالى لم يخبرهم بخبره بل أوجب عليهم إذا جاءهم ذلك الرسول أن يؤمنوا به وينصروه ، فصدقوا بهذا الإقرار والتزموه ، فهذا هو إقرارهم ، والإنسان قد يقر للرسول بمعنى أنه يلتزم ما يأمر به مع غير معرفة ، ومن غير تصديق له أنه رسول الله ، لكن لم يقل أحد من المرجئة : إن هذا الإقرار يكون إيمانا ، بل لابد عندهم من الإقرار الخبري وهو أنه يقر له بأنه رسول الله كما يقر المقر بما يقر به من الحقوق ، ولفظ الإقرار يتناول الالتزام والتصديق ، ولا بد منهما وقد يراد بالإقرار مجرد التصديق بدون التزام الطاعة ، والمرجئة تارة يجعلون هذا هو الإيمان وتارة يجعلون الإيمان التصديق والالتزام معا ، هذا هو الإقرار الذي يقوله فقهاء المرجئة : إنه إيمان ، وإلا لو قال : أنا أطيعه ولا أصدق أنه رسول الله أو أصدقه ولا ألتزم طاعته لم يكن مسلما ولا مؤمنا عندهم .

وأحمد قال : لابد مع هذا الإقرار أن يكون مصدقا ، وأن يكون عارفا ، وأن يكون مصدقا بما عرف ، وفي رواية أخرى مصدقا بما أقر ، وهذا يقتضى أنه لابد من تصديق باطن ، ويحتمل أن يكون لفظ التصديق عنده يتضمن القول والعمل جميعا ، كما ذكرنا شواهد أنه يقال صدق بالقول والعمل فيكون تصديق القلب عنده يتضمن أنه مع معرفة قلبه أنه رسول الله قد خضع له وانقاد ، فصدقه بقول قلبه وعمل قلبه محبة وتعظيما وإلا فمجرد معرفة القلب أنه رسول الله مع الإعراض عن الانقياد له ... فلا يكون إيمانا . ولا بد في الإيمان من علم القلب وعمله ، فأراد أحمد بالتصديق أنه مع المعرفة به صار القلب مصدقا له تابعا له محبا له معظما له ، فإن هذا لابد منه ، ومن دفع هذا أن يكون من الإيمان ، فهو من جنس من دفع المعرفة من أن تكون من الإيمان . وهذا أشبه بأن يحمل عليه كلام أحمد ،

(١) سورة آل عمران / ٨١ .

لأن وجوب انقياد القلب مع معرفته مظاهر ثابت بدلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة بل ذلك معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ومن نازع من الجهمية في أن انقياد القلب من الإيمان فهو كمن نازع من الكرامية في أن معرفة القلب من الإيمان ، فكان حمل كلام أحمد على هذا هو المناسب له في هذا المقام^(١) اهـ.

قول الإمام أحمد فيما نقله عن شبابة في الإيمان

٥ - أخبرنا محمد بن علي^(٢) قال : ثنا أبو بكر الأثرم^(٣) قال : سمعت أبا عبد الله وقيل له : شبابة^(٤) أى شىء تقول فيه ؟ فقال : شبابة كان يدعو إلى الإرجاء قال : وقد حكى عن شبابة قول أحيث من هذه الأقاويل ما سمعت عن أحد مثله قال : قال شبابة إذا قال فقد عمل . قال : الإيمان قول وعمل كما يقولون . فإذا قال فقد عمل بمجرحته أى بلسانه حين تكلم . ثم قال أبو عبد الله : هذا قول خبيث ما سمعت أحداً يقول به ولا بلغنى^(٥) اهـ . ونحو رواية الأثرم هذه نقل أبو الحارث البصائغ^(٦) عن أحمد .

التعليق :

هذا القول لم أجد من قال به أو حكاه عن شبابة سوى ما ذكره الإمام أحمد ، أما وجه خبثه فيتمثل بما قد ينشأ عنه من الإيهام والتدليس على مذهب أهل السنة القائلين بركنية العمل في الإيمان . فقد يتوهم البعض موافقته لمذهبهم مع بعده عنه وهذا ما جعل الإمام أحمد يصفه بالخبث . والله أعلم .

(١) الإيمان ص : ٣٧٦ - ٣٨٠ .

(٢) أبو بكر السمسار أو حمدان . وسيأتيان في الرواية التالية .

(٣) هو أحمد بن محمد بن هانيء ، ثقة حافظ ، له تصانيف ، توفى سنة ثلاث وسبعين ومئتين . تقريب : ٢٥/١ .

(٤) هو : شبابة بن سوار المدائني ، ثقة حافظ ، رمى بالارجاء . توفى سنة أربع أو خمس أو ست ومئتين . تقريب : ٣٤٥/١ وقد قيل إنه رجع عن الارجاء . انظر : ت/بغداد : ٢٩٩/٩ .

(٥) السنة للخلال (ق ٩٤/ب) ونقلها ابن تيمية في الإيمان ص : ٢٤١ من كتاب السنة للأثرم .

(٦) هو : أحمد بن محمد قال عنه أبو بكر الخلال : كان أبو عبد الله يأنس به ويقدمه ويكرمه وكان عنده بموضع جليل وروى عن أبي عبد الله مسائل كثيرة بضعة عشر جزءاً وجود الرواية عن أبي عبد الله . طبقات الجنبالة : ٧٤/١ ، تاريخ بغداد : ١٢٨/٥ . والرواية انظرها في السنة للخلال (ق ٩٤/ب) .

تعريف الجهمية للإيمان

قال أبو بكر الخلال :

٦ - وأخبرني محمد بن موسى^(١) ومحمد بن علي^(٢) أن حمدان بن علي الوراق^(٣) حدثهم قال : سألت أحمد وذكر عنده المرجئة^(٤) فقلت له : إنهم يقولون : إذا عرف الرجل ربه بقلبه فهو مؤمن . فقال : المرجئة لا تقول هذا بل الجهمية^(٥) تقول بهذا^(٦) . المرجئة تقول حتى يتكلم بلسانه (وإن لم تعمل جوارحه)^(٧) . والجهمية تقول : إذا عرف ربه بقلبه وإن لم تعمل جوارحه ، وهذا كفر ، إيليس قد عرف ربه فقال : ﴿ رب بما أغويتني ﴾^(٨) قلت : فالمرجئة لم كانوا يجتهدون وهذا قولهم ؟ قال : البلاء^(٩) .

التعليق:

الجهمية : أتباع جهنم بن صفوان الترمذى^(١٠). وما ذكره الإمام أحمد عنهم في تعريفهم للإيمان هو ما أجمع عليه الباحثون في آراء الطوائف والفرق فالإيمان عند « جهنم » وأتباعه عبارة عن شيء واحد وهو المعرفة وأنه لا يزيد ولا ينقص

- (١) هو : محمد بن موسى ، أبو الفضل الوراق ، قال عنه : أبو بكر الخلال : رجل جليل القدر كثير العلم . اهد ، توفي سنة مئتين وثلاث وثمانين . ت/ بغداد : ٢٤١/٣ .
- (٢) هو : محمد بن علي بن شعيب ، أبو بكر السمسار ، سكت عنه الخطيب . ت/ بغداد : ٦٦/٣ .
- (٣) هو : محمد بن علي المعروف بحمدان . كان فاضلاً ثقة . ت/ بغداد : ٦٦/٣ .
- (٤) سيأتي تعريف شامل بالمرجئة وفرقها عند الكلام عن الفرق ص : ٣٦٢/٢ .
- (٥) سيأتي تعريف بالجهمية ومعتقداتها عند الكلام عن الفرق ص : ٣٦٨/٢ .
- (٦) إلى هنا أخرجه ابن أبي يعلى بسنده من طريق آخر عن حمدان به . طبقات الخنابلة : ٣٠٣/١ .
- (٧) في الأصل « وتعمل جوارحه » . والظاهر - والله أعلم - أن هنالك سقطا وهو ما أثبتته إذ إنه لا يوجد في المرجئة من يقول بهذا .
- (٨) سورة الحجر/ ٣٩ .
- (٩) السنة : (ق : ٩٤) .
- (١٠) قال عنه الذهبي : الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئا لكنه زرع شراً عظيماً . ميزان الاعتدال : ٤٢٦/١ .

والناس فيه سواء ويرون أن من عرف ربه بقلبه ثم جحد بلسانه لم يكن كافرا بجمده هذا ، لأن المعرفة لا تزول وتذهب بالجحد . فعلى مذهبيهم الفاسد أن العبد إذا عرف ربه وعرف أنه هو الخالق لهذا الكون فهو في غاية من الإيمان . وهذا مبنى على قاعدتهم المعروفة : « الإيمان هو المعرفة بالله والكفر هو الجهل به »^(١) ، ولا شك أن هذا المذهب من أفسد المذاهب وأقبحها ، وأشدّها خطرا على عقيدة المسلم لذا أطلق الإمام أحمد القول بتكفير من اعتقد هذا مستدلا على ذلك بأقوى الأدلة عليهم في هذا الجانب .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وقول جهم في الإيمان قول خارج عن إجماع المسلمين قبله ، بل السلف كفروا من يقول بقول جهم في الإيمان »^(٢) . اهـ .

ولابد هنا من التطرق لمذهب الأشاعرة والماتريدية في الإيمان حتى يتضح الفرق بينهما وبين مذهب الجهمية في الإيمان .

وأبدأ أولا بالأشاعرة :-

وهم المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري^(٣) حيث ذهب جمهورهم إلى أن الإيمان هو : التصديق في اللغة والشريعة جميعا وأن الأفعال والأعمال من شرائع الإيمان لا من نفس الإيمان . وإن كان البعض منهم يرى إدخال القول في

(١) انظر : مقالات الإسلاميين : ٣٣٨/١ ، الفرق بين الفرق للبغدادي ص : ٢١٢ ، الملل والنحل للشهرستاني : ١١١/١ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٧٤ .

(٢) مجموع الفتاوى : ١٤١/٧ .

(٣) هو : علي بن إسماعيل بن أبي بشر البصري ، صاحب المصنفات ، توفي سنة أربع وعشرين وثلاث مئة وله بضع وستون سنة . وقد كان رحمه الله في بداية أمره على مذهب الاعتزال ثم تركه وسلك طريق ابن كلاب ثم رجع بعد ذلك إلى مذهب السلف . وما جاء في كتابه مقالات الإسلاميين والإبانة عن أصول أهل السنة والديانة يكفي للاستدلال على رجوعه إلى مذهب السلف وفي كتابه الأخير الإبانة وافق السلف في كل ما عرضه من المسائل ، وفي كتابه مقالات الإسلاميين قال : « وبكل ما قالوا نقول وإليه نذهب - يعني أهل الحديث . والمنتسبون إليه هم من أخذوا عنه عند رجوعه عن الاعتزال إلى مذهب ابن كلاب . انظر : خطط المقرئ : ٣٥٨/٢ ، الملل والنحل للشهرستاني : ١١٩/١ ، أصول الدين للبغدادي ص : ٩٠ ، الفرق بين الفرق ص : ٣٣٤ ، العير : ٢٠٢/٢ ، طبقات الشافعية : ٣٥٢/٣ ، شذرات الذهب : ٣٠٣/٢ .

الإيمان^(١) . ونقل ابن تيمية عن بعضهم موافقتهم للسلف في الإيمان^(٢) إلا أن القول الأول هو المشهور عنهم قال الإيجي موضحا مذهبهم : « اعلم أن الإيمان في اللغة هو التصديق قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾^(٣) أى بمصدق وقال عليه السلام « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله »^(٤) أى تصدق . وأما في الشرع ، وهو متعلق ما ذكرنا من الأحكام فهو عندنا وعليه أكثر الأئمة - كالقاضى والأستاذ - التصديق للرسول فيما علم بحجته به ضرورة ، تفصيلا فيما علم تفصيلا وإجمالا فيما علم إجمالا^(٥) . اهـ .

أما الماتريدية : فهم أتباع أبى منصور الماتريدى^(٦) . ومذهبهم في الإيمان موافق لمذهب الأشاعرة^(٧) .

وبهذا الإيضاح الموجز لمذهب كل من الأشاعرة والماتريدية في الإيمان يتضح أن هناك فرقا بين ما ذهبوا إليه وبين مذهب الجهمية السابق . فالتصديق عند الأشاعرة والماتريدية يدخل فيه عمل القلب كالإيمان بالله والملائكة والكتب والرسول كما تقدم ، بخلاف الجهمية الذين جعلوا الإيمان المعرفة بالله فقط والكفر الجهل به .

(١) انظر : حفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص : ٦٢ ، أصول الدين للبيضاوى ص : ٢٦٦ ، التمهيد للباقلانى ص : ٣٤٦ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى : ١٤٣/٧ ، العقيدة النظامية ص : ٦٢ .

(٣) سورة يوسف ١٧ .

(٤) هذا جزء من حديث جبريل المشهور والذي أخرجه مسلم : ١٥٧/١ من حديث عمر بن الخطاب والبخارى من حديث أبى هريرة ١١٤/١ .

(٥) المواقف ص : ٣٨٤ .

(٦) هو محمد بن محمد بن محمود من أئمة علماء الكلام ، له مؤلفات منها : تأويلات أهل السنة ، والتوحيد وهما مطبوعان . شاعت آراؤه في البلاد التى ساد فيها المذهب الحنفى ومذهبه أقرب إلى مذهب الأشاعرة . انظر : الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص : ١٩٥ .

(٧) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص : ٢٧٣ - ٢٧٤ .

مذهب الخوارج^(١) في الإيمان :-

الإيمان عند الخوارج فعل الطاعات المفترضة كلها بالقلب واللسان وسائر الجوارح . وهذا القدر متفق عليه بين أهل السنة والخوارج والمعتزلة إلا أن الخوارج يرون أن الإيمان مركب من هذه الأمور الثلاثة إذا أدخل المكلف بواحد منها ذهب إيمانه بالكلية . فعلى مذهبهم لا يمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه . فإذا ذهب بعضه ذهب كله فهم ينكرون الزيادة والنقصان في الإيمان^(٢) . وهذا هو الفارق بين مذهب أهل السنة من جهة وما ذهب إليه الخوارج والمعتزلة من جهة أخرى . قال الخافظ ابن مندة : وقال أهل الجماعة : الإيمان هو الطاعات كلها بالقلب واللسان وسائر الجوارح غير أن له أصلا وفرعا^(٣) . اهـ .

فالتصديق بالقلب واللسان أصل في الإيمان والعمل فرع فيه وترتب على قول الخوارج في الإيمان : أن كفروا مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب منها وحكموا عليه بالخلود في النار^(٤) .

مذهب المعتزلة في الإيمان :-

وأما ما ذهب إليه المعتزلة في تعريف الإيمان فهو ما ذهب إليه الخوارج أيضا عدا بعض الفروق التي سأشير إليها .

فالمعتزلة يرون أن الإيمان مركب من هذه الأمور الثلاثة : التصديق والقول والعمل ، فإذا أدخل المكلف بواحد منها ذهب إيمانه . وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص^(٥) . وهم بهذا يوافقون الخوارج . إلا أن الخوارج يقولون بتكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار كما تقدم والمعتزلة وافقوهم في الشرط الثاني وهو التخليد

(١) سيأتي تعريف شامل بالخوارج وفرقهم عند « قول الإمام أحمد في الخوارج » ص : ٣٤٦/٢ .

(٢) انظر : مقالات الإسلاميين : ٢٠٤/١ ، وأصول الدين للبيهادي ص : ٢٤٩ .

(٣) الإيمان . ٣٣١/١ .

(٤) انظر : مقالات الإسلاميين : ٢٠٤/١ .

(٥) ولا يتيسر هذا على البعض فإن الزيادة والنقصان في الإيمان والتي أقرها ترجع إلى التكليف . كما سيأتي

بيانه عند الكلام على زيادة الإيمان ونقصانه ص : ٥٦ .

في النار ، وخالفوهم في إطلاق القول بتكفير مرتكب الكبيرة فهم يرون أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين^(١) بمعنى أنه خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر^(٢) .

مرجئة الحنفية :

الإمام أبو حنيفة^(٣) - رحمه الله - أحد الأئمة الأربعة الذين بذلوا جهوداً كبيرة في خدمة هذا الدين ولست في مقام إبراز فضائل هذا الإمام الجليل فهي معروفة للقاصي والداني . إلا أن شأنه شأن بقية العلماء عرضة في جميع أقوالهم للصواب والخطأ . وكما قال الإمام مالك رحمه الله : كل يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر - يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة في الإيمان لم يقره عليه أئمة السلف حيث يرى أن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجانان . فهو - رحمه الله - ينكر أن يكون العمل ركناً في الإيمان ومن أجل هذا نسب إلى الإرجاء^(٤) . والإمام أحمد يطلق هذه الصفة على كل من أخرج العمل عن الإيمان^(٥) وعلى من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص^(٦) . وهو ما أثر عن أبي حنيفة رحمه الله أيضاً^(٧) . أما ما يتعلق بإخراجه

- (١) سيأق عرض للأصول الخمسة عند المعتزلة ومن ضمنها المنزلة بين المنزلتين ص : ٣٦٥/٢ .
- (٢) انظر : الأصول الخمسة ص : ٧٠٧ ، الفصل في الملل لابن حزم : ١٨٨/٣ ، مجموع الفتاوى : ٢٢٣/٧ ، أصول الدين للبغدادى ص : ٢٤٩ .
- (٣) هو : النعمان بن ثابت الكوفي ، يقال أصله من فارس ويقال مولى بنى تيم ، فقيه مشهور . توفى سنة خمسين ومئة على الصحيح ، وله سبعون سنة ، تقريب : ٣٠٣/٢ .
- (٤) انظر : مقالات الإسلاميين : للأشعري : ٢٢١/١ ، الملل والنحل لابن حزم : ١٨١/٢ ، وللشهرستاني : ١٤١/١ ، الإيمان لابن تيمية ص : ١١٤ .
- (٥) في رواية حرب الكرماني وأبي بكر المروزي وأحمد بن الحسين بن حسان وأحمد بن أصرم : لما سئل عن المرجئة - وعند بعضهم - عن المرجئة قال المرجئة الذى يقول الإيمان قول . انظر : السنة للخلال (ق : ١/٩٤) وانظر : «قول الإمام أحمد في المرجئة» ص : ٣٦٢/٢ .
- (٦) في رواية إسماعيل بن سعيد الشانجي : سألت أحمد عن من قال : الإيمان يزيد وينقص ؟ قال : هذا برىء من الإرجاء . انظر السنة للخلال (ق : ١/٩٧) وللمزيد انظر : أبواب الزيادة والنقص في الإيمان ص : ٨٩ .
- (٧) سيأق عرض لأقواله في هذا الجانب عند الكلام على زيادة الإيمان ونقصانه ص : ١٠٢ .

العمل من الإيمان فيبينه بقوله : « ثم العمل غير الإيمان والإيمان غير العمل بدليل أن كثيرا من الأوقات يرتفع العمل عن المؤمن ولا يجوز أن يقال : يرتفع عنه الإيمان ، فإن الحائض ترتفع عنها الصلاة ، ولا يجوز أن يقال يرتفع عنها الإيمان ، أو أمر لها بترك الإيمان ، وقد قال لها الشارع دعى الصوم ثم اقصيه ، ولا يصح أن يقال دعى الإيمان ثم اقصيه ، ويجوز أن يقال : ليس على الفقير زكاة ، ولا يجوز أن يقال ليس على الفقير الإيمان^(١) . »

ويقول أيضا : « الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان ، والإقرار وحده لا يكون إيمانا ، لأنه لو كان إيمانا لكان المنافقون كلهم مؤمنين ، وكذلك المعرفة وحدها أى مجرد التصديق لا يكون إيمانا لأنها لو كانت إيمانا لكان أهل الكتاب كلهم مؤمنين قال الله تعالى في حق المنافقين ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾^(٢) أى في دعواهم الإيمان ، حيث لا تصديق لهم . وقال الله تعالى في حق أهل الكتاب : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾^(٣)^(٤) »

وبعد هذا العرض الموجز لمذهب الإمام أبى حنيفة في الإيمان ، قد يتساءل البعض هل هذا الإرجاء المنسوب إلى أبى حنيفة من جنس قول غلاة المرجئة : « لا تضر مع الإيمان معصية كما لاتنفع مع الكفر طاعة » ؟ والجواب لا .

يقول شارح الطحاوية : والاختلاف الذى بين أبى حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة اختلاف صورى . فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب ، أو جزءا من الإيمان ، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان بل هو فى مشيئة الله ، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه - نزاع لفظى ، لا يترتب عليه فساد اعتقاد^(٥) .

(١) شرح الفقه الأكبر ص : ٧٢ .

(٢) سورة المنافقون/١ .

(٣) سورة البقرة/١٤٦ وسورة الأنعام/ ٢٠ .

(٤) شرح الفقه الأكبر ص : ٦٨ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٧٤ .

ويقول ابن تيمية : « والمرجئة الذين قالوا : الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان ، والأعمال ليست منه ، كان منهم طائفة فقهاء الكوفة وعبادها ، ولم يكن قولهم مثل قول جهنم ، فعرفوا أن الإنسان لا يكون مؤمنا إن لم يتكلم بالإيمان مع قدرته عليه ، وعرفوا أن إبليس وفرعون وغيرهما كفار مع تصديق قلوبهم لكنهم إذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الإيمان لزمهم قول جهنم ، وإن أدخلوها في الإيمان لزمهم دخول أعمال الجوارح أيضا فإنها لازمة لها ولكن هؤلاء لهم حجج شرعية بسببها اشتبه الأمر عليهم»^(١) .

ويقول في موضع آخر : « ومما ينبغي أن يعرف أن أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسألة هو نزاع لفظي ، وإلا فالقائلون بأن الإيمان قول من الفقهاء كحماد بن أبي سليمان^(٢) - وهو أول من قال ذلك ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم - متفقون مع جميع علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد ، وإن قالوا : إن إيمانهم كامل كإيمان جبريل فهم يقولون : إن الإيمان بدون العمل المفروض ومع فعل المحرمات يكون صاحبه مستحقا للذم والعقاب ، كما تقوله الجماعة ، ويقولون أيضا : بأن من أهل الكبائر من يدخل النار كما تقوله الجماعة ، والذين ينفون عن الفاسق اسم الإيمان من أهل السنة متفقون على أنه لا يخلد في النار فليس بين فقهاء الملة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين باطنا وظاهرا بما جاء به الرسول ، وما تواتر عنه أنهم من أهل الوعيد وأنه يدخل النار منهم من أخبر الله ورسوله بدخوله إليها ، ولا يخلد منهم فيها أحد ، ولا يكونون مرتدين مباحي الدماء ، ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار ، كالجوارح والمعتزلة ، وقول غلاة المرجئة الذين يقولون : ما نعلم أن أحدا منهم يدخل النار ، بل نقف في هذا كله . اهـ»^(٣) .

ويقول أيضا أي ابن تيمية : لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله لا سيما وقد صار ذلك ذريعة

(١) الإيمان ص : ١٨٣ .

(٢) أبو إسماعيل صدوق له أوهام . توفي سنة عشرين ومئة أو قبلها . تقريب : ١٩٧/١ .

(٣) الإيمان ص : ٢٨١ - ٢٨٢ .

إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم إلى ظهور الفسق فصار ذلك الخطأ
اليسير في اللفظ سبباً لخطأ عظيم في العقائد والأعمال فلهذا أعظم القول في ذم
الإرجاء حتى قال إبراهيم النخعي : لفتنهم - يعني المرجئة - أخوف على هذه
الأمة من فتنة الأزارقة . وقال الزهري : ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على
أهله من الإرجاء، وقال الأوزاعي : كان يحيى بن أبي كثير وقتادة يقولان : ليس
شيء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء^(١) .

وبعد هذه الدراسة الموجزة لآراء الفرق المخالفة في تعريف الإيمان يتضح
أنها قد انحصرت في خمسة مذاهب :

الأول : أن الإيمان مجرد المعرفة القلبية بالله وهو مذهب الجهمية .
الثاني : أن الإيمان هو : التصديق بالقلب فقط وهو مذهب الماتريدية
والأشاعرة .

الثالث : أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط وهو مذهب الكرامية .
الرابع : أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وهو مذهب الإمام
أبي حنيفة وأتباعه .

الخامس : أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح إلا
إنه لا يزيد ولا ينقص فمتى ذهب بعضه ذهب كله وهو مذهب الخوارج
والمعتزلة .

ومن هنا يتضح أن كلا من : المذهب الأول والثاني والثالث والرابع اتفق
أصحابه على عدم ركنية العمل في الإيمان ، وانفرد المذهب الخامس بإدخال العمل
إلا أنه جعله أصلاً في الإيمان . وهذا خلاف مذهب أهل السنة الذين جعلوه
فرعاً كما سبق إيضاحه ، ثم إن المذهب الأول شذ عن بقية المذاهب في الإيمان
حيث جعله مجرد ما في القلب من المعرفة بالله . وهذا لم يقله أحد غير الجهمية .
لذا نجد الإمام أحمد وغيره يكفرون من اعتقد هذا المعتقد الفاسد .

(١) المصدر السابق ص : ٣٧٨ .

كما أن مذهب ابن كرام لا يختلف في شذوذه عن مذهب الجهم فما ذهب إليه هو والجهم ظاهر البطلان والفساد .

والأشاعرة الذين جعلوا الإيمان ما يقوم بالقلب من التصديق لاشك أن قولهم باطل أيضا إلا أنه أفضل من قول الجهم ، الذي جعل الإيمان ما يقوم بالقلب من المعرفة وقد بينا الفرق بين المعرفة والتصديق .

أما ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة فهو الأقرب إلى مذهب السلف، وما جاء في رواية صالح - وغيره - أنه سأل أباه عن لا يرى الإيمان قولاً وعملاً قال : هؤلاء المرجئة^(١) . فقولوه هذا يشمل جميع طوائف المرجئة على مختلف مذاهبهم .

ما احتج به الإمام أحمد على دخول الأعمال في الإيمان

قال أبو بكر الحلال :

٧ - أخبرني علي بن الحسن بن هارون^(٢) قال : حدثني محمد بن أبي هارون قال : سمعت جعفر بن أحمد بن أحمد بن سام^(٣) عن أحمد بن حنبل قال : قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حولت القبلة إلى البيت : فكيف بصلاتنا التي صلينا إليها فأنزل الله عز وجل : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾^(٤) . فسمعت أحمد بن حنبل يقول : فجعل صلاتهم إيماناً فالصلاة من الإيمان .

٨ - وأخبرنا أبو بكر المروزي قال : سمعت أبا عبد الله يقول : قال الله عز وجل : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في

(١) السنة للخلال (ق : ١/٩٣) .

(٢) قال عنه الخطيب : حدث عن إسحاق بن إبراهيم البغوي وعنه الطبراني ت/ بغداد ٣٧٧/١١ .

(٣) قال عنه الدارقطني : ثقة مأمون . ت/ بغداد ١٨٢/٧ .

(٤) سورة البقرة/١٤٣ ، وذكر هذا التفسير البخاري : ٩٥/١ : ٤٠ ، ٥٠٢/١ ، ٣٩٩ ، ١٧١/٨ ح :

٤٤٨٦ ، ١٧٤/٨ ح : ٤٤٩٢ ، ٢٣٢/١٢ ، ٧٢٥٢ ، والطبري في التفسير : ١٧/٢ من حديث

البراء بن مال ، وأبو داود ح : ٤٦٨٠ ، والترمذي ح : ٢٩٦٤ ، وقال : حسن صحيح والحاكم ٢٦٩/٢ .

الدين ﴿^(١)﴾ وقال تعالى : ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ^(٢) وقال : هذا من الإيمان . ثم قال أبو عبد الله : فالإيمان قول وعمل ^(٣) .

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانيء :

٩ - سمعت أبا عبد الله يتأول هذه الآيات في الإيمان : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ﴾ ^{(٤) (٥)} .

وبهذه الآية احتج أيضا لما سأله رجل من خراسان فقال: إن عندنا قوما يقولون الإيمان قول بغير عمل فقال : ما يقرؤون من كتاب الله . فذكر الآية ^(٦) . وكذا احتج بها في كتابه إلى أبي عبد الرحيم الجوزجاني .

١٠ - واحتج أيضا بقوله تعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ ^{(٧) (٨)} .

وقال أبو بكر الخلال :

١١ - أخبرنا محمد بن المنذر بن عبد العزيز ^(٩) : ثنا أحمد بن الحسن الترمذي قال : أملى علينا أبو عبد الله :...أما ما ذكرت من قول من يقول : إنما الإيمان قول ، هذا قول أهل الإرجاء قول محدث لم يكن عليه سلفنا ومن يقتدى به وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يقوى أن الإيمان قول وعمل . ثم ذكر حديث ابن عباس في وفد عبد القيس .

(١) سورة التوبة/ ١١ .

(٢) جاءت هذه الآية في سورة البقرة/ ٤٣ ، ٨٣ ، ١١٠ ، والنساء/ ٧٧ ، والنور/ ٥٦ ، والمزمل/ ٢٠ .

(٣) السنة (ق : ٩٨/ب - ٩٩/أ) وانظر الإبانة الكبرى لابن بطه ٧٣٨/٢ .

(٤) سورة البينة/ ٤ .

(٥) مسائل ابن هانيء ١٦٣/٢ .

(٦) السنة للخلال (ق ٩٩/أ) .

(٧) سورة الحجرات آية ١٥ .

(٨) السنة للخلال (ق ١٠٨/ب) .

(٩) لعله محمد بن المنذر البغدادي . انظر تاريخ بغداد ٣٠٠/٣ .

« وبهذا الحديث احتج أيضا لما سئل عن الإيمان كما في رواية أبي بكر المروزي ^(١) .

١٢ - وبه وبغيره احتج الإمام أحمد - في كتابه إلى أبي عبد الرحيم الجوزجاني - على أن الأعمال من الإيمان فقال : « وقد سألت وقد عبد القيس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن يعطوا الخمس من المغنم ^(٢) » فجعل ذلك كله من الإيمان .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « والحياء شعبة من الإيمان ^(٣) » وقال :

« أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ^(٤) . » وقال : « إن البذاذة من الإيمان ^(٥) .

(١) السنة لأبي بكر الخلال : (ق : ١٠٦ / ب - ١٠٧ / أ) .

(٢) أخرجه أحمد : ٢٣/٣ ، ١٣٠/٤ ، والبخارى : ١٢٩/١ ح : ٥٣ ، ٥٤٠/٦ ح : ٣٥١٠ ، ٨٤/٨ - ٨٥ ح : ٤٣٦٨ ، ٥٦٢/١٠ ح : ٦١٧٦ ، ومسلم : ٤٦٦/١ ح : ٢٣ ، ٤٧/١ ح : ٢٤ ، ٤٨/١ ح : ٢٥ ، وأبو داود ٩٤/٤ .

(٣) أخرجه أحمد : ٤١٤/٢ ، ٤٤٢ ، والترمذي : ١٠/٥ وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في المقدمة : ٢٢/١ . من حديث أبي هريرة . وأخرج أحمد ٥٦/٢ ، والبخارى : ٧٤/١ ، ومسلم : ٦٣/١ ، وأبو داود : ١٤٧/٥ ، والنسائي ح : ٢٦١٥ ، وابن ماجه ح : ٥٨ ، والترمذي ح : ٢٦١٥ عن ابن عمر أن رجلا من الأنصار كان يعظ أخاه في الحياء فقال ﷺ : « دعه فإن الحياء من الإيمان » . قال الإمام أحمد : هذا الحديث شديد على المرجئة وحجة عليهم . انظر : السنة للخلال : (ق : ١١٠ / ب) .

(٤) أخرجه أحمد : ٢٥٠/٢ ، ٤٧٢ ، وأبو داود : ٦٠/٥ ، والترمذي : ٤٦٦/٣ ، وزاد : « وخياركم خياركم لنسائهم خلقا » . وقال حسن صحيح وابن أبي شيبة في الإيمان ص : ٨ ، والحاكم ٣/١ . من حديث أبي هريرة .

(٥) أخرجه أحمد في الزهد ص : ٧ ، وأبو داود : ٣٩٤/٢ ، وابن ماجه : ١٣٧٩/١ ح : ٤١١٨ ، والطبراني في المعجم الكبير ٢٧١/١ ح : ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، والحاكم : ٩/١ - وقال : احتج مسلم بصالح ابن أبي صالح السمان ووافقه الذهبي - من حديث أبي أمامة الخارثي ، وأخرجه العذني في الإيمان ص : ١٢ ، والحميدي ١٧٣/١ عن غيره . قال المناوي : « قال الحافظ العراقي في أماليه : حديث حسن » . وقال الديلمي هو صحيح وقال ابن حجر في الفتح بعد عزوه : حديث صحيح » . فيض القدير : ٢١٧/٣ .

وقال: «الإيمان بضع وسبعون بابا ادناها إمطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله»^(١). مع أشياء كثيرة^(٢)».

التعليق :

كما قدمت في نهاية المبحث السابق أن الإمام أحمد يركز في رده على المرجئة على القاسم المشترك بينهم وهو : إنكارهم أن يكون العمل من الإيمان ، وهو هنا يحتاج عليهم ببعض الآيات والأحاديث الدالة صراحة على ما ذهب إليه أهل السنة من دخول الأعمال في الإيمان وما نقلناه عن الإمام أحمد ما هو إلا غييض من فيض مما يحتاج به عليهم من دخول الأعمال في الإيمان .

يقول الآجری : إنكم إن تدبرتم القرآن كما أمركم الله عز وجل ، وعلمتم أن الله عز وجل أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله العمل ، وأنه عز وجل لم يشن على المؤمنين بأنه قد رضى عنهم وأنهم قد رضوا عنه ، وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة والنجاة من النار إلا بالإيمان والعمل الصالح وقرن مع الإيمان العمل الصالح ، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده ، حتى ضم إليه العمل الصالح الذى قد وفقهم إليه فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقا بقلبه وناطقا بلسانه وغاملا بجوارحه لا يخفى على من تدبر القرآن وتصفح جده كما ذكرت واعلموا - رحمتنا الله وإياكم - أنى قد تصفحت القرآن فوجدت فيه ما ذكرته في ستة وخمسين موضعا من كتاب الله عز وجل . اهـ . وقد ذكر رحمه الله تلك المواضع جميعها^(٣) .

وحديث وفد عبد القيس من الأدلة القوية التى ذهب إليها الإمام أحمد فقد نقل عنه احتجاجه بهذا الحديث في عدة روايات .

(١) أخرجه أحمد : ٤١٤/٢ ، ٤٤٥ ، والبخارى : ٥١/١ ، ومسلم : ٦٣/١ ، والترمذى : ١٠/٥ ، وأبو داود : ٥٥/٥ . من حديث أبى هريرة بألفاظ متقاربة .

(٢) انظر كتابه إلى أبى عبد الرحيم وما جاء فيه في السنة للخلال : (ق : ١٠٨ / ب) .

(٣) انظر : الشريعة من ص : ١٢٢ - ١٣٢ .

قال شارح الطحاوية بعد ذكره لهذا الحديث : « ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانا بالله بدون إيمان القلب ، لما قد أثير في مواضع أنه لا بد من إيمان القلب فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان . وأى دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل فإنه فسر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق ، للعلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود »^(١) .

وحديث شعب الإيمان من الأدلة القوية التي ذهب إليها أيضا . ذكر ابن مندة عن محمد بن نصر المروزي^(٢) : « وقد جاء الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الإيمان بضع وسبعون أو ستون شعبة أفضلها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان فجعل الإيمان شعبا بعضها باللسان والشفيتين وبعضها بالقلب وبعضها بسائر الجوارح فشهادة أن لا إله إلا الله فعل اللسان تقول : شهدت أشهد شهادة والشهادة فعله بالقلب واللسان لا اختلاف بين المسلمين في ذلك ، والحياء في القلب ، وإمطة الأذى عن الطريق فعل سائر الجوارح »^(٣) .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٨٩ .

(٢) ثقة حافظ إمام مصنف توفى سنة ٣٩٤هـ . تقريب : ٢١٣/٢ .

(٣) الإيمان : ٣٣١/١ - ٣٣٢ .

قول الإمام أحمد فيما احتجت به المرجئة من الأحاديث

قال أبو بكر الحلال :

١٣ - أخبرني محمد بن علي قال : ثنا أبو بكر الأثرم أنه قال لأبي عبد الله في الحديث الذي يروى : « أعتقها فإنها مؤمنة »^(١) . قال : ليس كل أحد يقول فيه « إنها مؤمنة » يقولون : « أعتقها » قال : ومالك سمعه من هذا الشيخ هلال ابن علي^(٢) لا يقول « فإنها مؤمنة » قال : وقد قال بعضهم : « فإنها مؤمنة » . فهي حين تفر بذلك فحكمتها حكم المؤمنة . هذا معناه .

وهكذا أجاب لما سأله إبراهيم بن الحارث العبادي^(٣) (٤)

(١) أخرجه مسلم : ٣٨١/١ ح : ٣٣ وأبو داود : ٥٧٢/١ ح : ٩٣٠ وأحمد : ٤٤٧/٥ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه . ورواه أحمد أيضاً من حديث أبي هريرة : ٢٩١/٢ ولفظ مسلم : قال - أي معاوية بن الحكم - وكانت لي جارية ترعى غنماً قبل أحد والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها ، وأنا رجل من بني آدم أسف كما بأسفون . لكنني صككتها صكة . فأتيت رسول الله ﷺ فعضم ذلك علي ، قلت يا رسول الله ! أفلا أعتقها قال : « اتنى بها » فأتيتها بها . فقال لها : أين الله ؟ قالت : في السماء . قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . قال : « أعتقها فإنها مؤمنة » .

(٢) هو : هلال بن علي بن أسامة العامري مولاهم ، ينسب إلى جده ، ثقة توفي سنة بضع عشرة ومئة . تقريب : ٣٢٤/٢ . وحديث مالك في الموطأ ص : ٤٨٥ ح : ٨ وفي إسناده : هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم قال : أتيت رسول الله ﷺ ... قال الزرقاني : كذا قال مالك ، وهو وهم عند جميع علماء الحديث ، وليس في الصحابة عمر بن الحكم ، وإنما معاوية بن الحكم . كما قال كل من روى هذا الحديث عن هلال أو غيره . ومعاوية بن الحكم معروف في الصحابة وحديثه هذا معروف . وأما عمر بن الحكم فتابعي أنصاري مدني معروف . يعني فلا يصح أنه قال : أتيت رسول الله ﷺ ، فقلت : إن لي جارية . شرح الموطأ ٨٤/٤ .

(٣) هو : إبراهيم بن الحارث بن مصعب بن الوليد بن عبادة بن الصامت . قال عنه أبو بكر الحلال : كان من كبار أصحاب أبي عبد الله وكان أحمد يعظمه ويرفع قدره وعنده عن أبي عبد الله أربعة أجزاء مسائل . طبقات الخنابلة : ٩٤/٢ .

(٤) السنة (ق ٩٥/ب) ورواية الأثرم ذكرها ابن تيمية في الإيمان ص : ٢٤٣ نقلًا من كتاب السنة للأثرم .

١٤ - أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال : سمعت أحمد بن حنبل يوماً. وذكر هذا الحديث يعني حديث الجارية التي أقي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هم يحتجون به يعني المرجئة وهو حجة عليهم يعني المرجئة . يقولون : الإيمان قول : النبي صلى الله عليه وسلم لم يرض منها حتى قال : تؤمنين بكذا تؤمنين بكذا .

١٥ - كتب إلني يوسف بن عبد الله^(١) : أن الحسن بن علي بن الحسين^(٢) حدثهم أن أبا عبد الله قال في الحديث : « أعتقها فإنها مؤمنة » قال : مالك لا يقول « فإنها مؤمنة » قال أبو عبد الله : يمكن أن يكون هذا قبل أن تنزل الفرائض^(٣) .

التعليق :

بعد أن أوردت بعض ما احتج به الإمام أحمد على المرجئة المنكرين دخول الأعمال في الإيمان أتبعته ببعض الأحاديث التي تعلق بها المرجئة مدعين أنها تدل على أن الأعمال ليست من الإيمان . ومن هذه الأحاديث حديث الجارية المتقدم . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وأما احتجاجهم بحديث الجارية فهو من حججهم المشهورة وبه احتج ابن كلاب^(٤) اهـ .

وقد أجاب الإمام أحمد - كما تقدم آنفاً - بأجوبة ثلاث حول معنى الحديث :

(١) هو الإسكافي . كما جاء في غير موضع من هذا الكتاب وغيره من كتب الخلال . ولم أجد له ترجمة فيما اطلمت عليه من المصادر .

(٢) هو : الحسن بن علي بن الحسين ابن الاسكافي ، أبو علي ، ذكره الخلال فقال : جليل القدر عنده عن أبي عبد الله مسائل صالحة حسان كبار أغرب فيها على أصحابه . طبقات الحنابلة : ١٣٦/١ .

(٣) أئسنة : (ق ٩٥/ب) .

(٤) مجموع الفتاوى : ٢٠٩/٧ .

الجواب الأول : أن حكمها حكم المؤمنة . ومقصود الإمام أحمد إعطاؤها حكم أهل الإيمان المترتب عليه إجراء الأحكام الدنيوية وهو ما ذهب إليه الخطابي وابن تيمية حيث يقول الخطابي : « وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أعتقها فإنها مؤمنة » ولم يكن ظهر له من إيمانها أكثر من قوله حين سأها أين الله ؟ فقالت : في السماء . وسأها من أنا ؟ فقالت : رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن هذا السؤال عن أمانة الإيمان وسمه أهله ، وليس بسؤال عن أصل الإيمان وصفته وحقيقته ^(١)

ويقول ابن تيمية : «... وهذا لا حجة فيه ، لأن الإيمان الظاهر الذي تجرى عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة الآخرة » ^(٢)

الجواب الثاني : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرض منها حتى قال : « تؤمنين بكذا وكذا » . يشير بذلك إلى ما رواه بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن رجل من الأنصار وفيه : « أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ قالت : نعم . قال أتشهدين أنى رسول الله ؟ قالت : نعم . قال أتؤمنين بالبعث ؟ قالت : نعم . قال « أعتقها » ^(٣) .

الجواب الثالث : أن تكون هذه الحادثة قبل أن تنزل الفرائض . وبهذا التفسير يتضح أنه لا حجة لهم فيه بل قد يكون حجة عليهم كما ذكر الإمام أحمد .

(١) معالم السنن مع سنن أبى داود : ٥٧٣/١ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٢٠٩/٧ - ٢١٠ .

(٣) المسند : ٤٥١/٣ .

قول الإمام أحمد في زيادة الإيمان ونقصانه

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانيء :

١٦ - سمعت أبا عبد الله يقول : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص^(١) .
 * وروى مثله عن أحمد : أبو بكر المروزي وعبد الملك الميموني وأبو داود
 السجستاني وحرب الكرماني^(٢) ويوسف بن موسى^(٣) ومحمد بن أحمد بن
 واصل^(٤) والحسن بن محمد^(٥) وأبو الحارث الصائغ^(٦) والفضل بن زياد^(٧) وحنبل
 ابن إسحاق^(٨) ومحمد بن حبيب الأندرائي^(٩) وغيرهم .

التعليق :

ما ذهب إليه الإمام أحمد من القول بزيادة الإيمان ونقصه هو مذهب أئمة
 السلف^(١٠) وذلك تبعاً لقولهم إن الأعمال من الإيمان فالإيمان يزيد بالطاعات

- (١) مسائل ابن هانيء ١٦٢/٢ وأخرجه الخلال في السنة : (ق ٩٢/أ) وذكره أبو يعلى ابن الفراء في كتابه الإيمان (ق ٨/ب) .
- (٢) هو : حرب بن خلف الحنظلي الكرماني قال عنه أبو بكر الخلال : رجل جليل حثي أبو بكر المروزي على الخروج إليه.. وكان رجلاً كبيراً نقل عن أبي عبد الله مسائل كثيرة . طبقات الحنابلة : ١٤٥/١ .
- (٣) هو : يوسف بن موسى بن راشد القطان ، صدوق . تقريب : ٣٨٣/٢ .
- (٤) هو : المقرئ ، قيل اسمه أحمد بن محمد قال عنه أبو بكر الخلال : عنده عن أبي عبد الله مسائل حسان . توفي سنة ثلاث وسبعين ومئتين . تاريخ بغداد : ٣٦٧/١ ، طبقات الحنابلة : ٢٦٣/١ .
- (٥) هناك أكثر من واحد نقل عن أحمد وهو بهذا الاسم ، ولم يبينه الخلال هنا . انظر طبقات الحنابلة : ١٣٨/١ .
- (٦) روايات هؤلاء في السنة للخلال : (ق ٩٧/أ) .
- (٧) انظر : طبقات الحنابلة : ٢٥٣/١ .
- (٨) انظر شرح اعتقاد الإمام أحمد لابن شكر ص : ١٣ .
- (٩) انظر : طبقات الحنابلة : ٢٩٥/١ .
- (١٠) روى الإمام أحمد عن أبي هريرة وأبي الدرداء هذا القول . انظر : السنة للخلال : (ق : ١٠٩/أ) . وكذلك رواه الآجري عن بعض الصحابة . انظر : الشريعة ص : ١١) .

وينقص بالمعاصي والزيادة والنقص كما تكون في أعمال الجوارح كذلك تكون في أعمال القلوب^(١)

قال الإمام البخارى : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص^(٢)

قول الإمام أحمد في معنى الزيادة والنقصان في الإيمان

قال أبو بكر الحلال :

١٧ - أخبرنا محمد بن علي : قال ثنا صالح^(٣) قال : سألت أبا ما زيادته ونقصانه ؟ قال : زيادته العمل ، ونقصانه ترك العمل مثل تركه الصلاة والزكاة والحج وأداء الفرائض فهذا ينقص ويزيد بالعمل وقال : إن كان قبل زيادته تاما فكيف يزيد التام فكما يزيد كذا ينقص وقد كان وكيع قال : ترى إيمان الحجاج مثل إيمان أبا بكر وعمر رحمهما الله^(٤)

نحو هذا روى عنه :

١٨ - أبو داود قال : سمعت أحمد يقول ... « الصلاة والزكاة والحج » والبر كله من الإيمان والمعاصي تنقص من الإيمان^(٥) .

١٩ - ابنه عبد الله قال : سمعت أباى ... « إذا زنى وشرب الخمر نقص إيمانه »^(٦) .

-
- (١) كما سيأتى إيضاحه عند الكلام على معنى الزيادة والنقص في البحث التالى .
(٢) فتح البارى : ٤٧/١ وانظر في هذا المعنى : شرح السنة للبعوى : ٣٨/١ - ٣٩ . والتمهيد لابن عبد البر ٢٣٨/٩ . ومسلم بشرح النووي : ١٤٦/١ .
(٣) هو : صالح بن أحمد بن حنبل . انظر ترجمته ص : ٢٤٤ .
(٤) السنة للحلال : (ق : ٩٨/ب) .
(٥) مسائل أبا داود (ق : ٢٥٥/م) وفي المطبوع ص : ٢٧٢ .
(٦) السنة لعبد الله (ق ٣٦/أ ، ظ) وفي المطبوع ص : ٨١ .

٢٠ - الفضل بن زياد أنه سمع أبا عبد الله يقول ... «إنما الزيادة والنقصان في العمل كيف يكون حاله إذا قتل النفس أليس قد أوجب له النار كيف يكون حاله إذا ارتكب الموبقات» (١).

٢١ - وقال أيضا : سمعت أبا عبد الله يقول ... « سمعت وكيعا يقول الإيمان يزيد وينقص » (٢).

٢٢ - أحمد ابن القاسم قال : قلت : « يا أبا عبد الله تقول الإيمان يزيد وينقص ؟ قال : نعم . قلت : فيكون ذلك من هذا المعنى أن يكون الرجل إذا أتى هذه الأشياء التي نهى عنها يكون أنقص ممن لم يفعلها ويكون هذا أكثر إيمانا منه ؟ قال : نعم يكون الإيمان بعضه أكثر من بعض هكذا هو » (٣).

٢٣ - أبو بكر المروذي قال : سمعت أبا عبد الله يقول : « الزيادة في العمل - وذكر - النقصان إذا سرق وإذا زنى » (٤).

٢٤ - محمد بن موسى أنه سمع أبا عبد الله يقول : « إذا عملت الخير زاد وإذا ضيعت نقص » (٥).

٢٥ - محمد بن عوف الطائفي قال : « أملى عليّ أحمد بن حنبل : والإيمان .. ينقص بقلة العمل ويزيد بكثرة العمل » (٦).

٢٦ - الحسن بن إسماعيل الربيعي قال : « قال أحمد : والإيمان .. يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية » (٧).

(١) السنة للخلال : (ق ٩٨ / ب) .

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى : ٧٣٨ / ٢ .

(٣) السنة للخلال : (ق ٩٩ / ب) .

(٤) المصدر السابق ..

(٥) المصدر نفسه .

(٦) طبقات الحنابلة : ٣١٣ / ١ .

(٧) المصدر السابق ١٣٠ / ١ .

٢٧ - حنبل بن إسحاق قال : قلت لأبي عبد الله إذا أصاب الرجل ذنبا من زنا أو سرقة يزياله إيمانه ؟ قال : هو ناقص الإيمان فخلع منه كما يخلع الرجل من قميصه فإذا تاب وراجع عاد إليه إيمانه ^(١) .

التعليق :

مما سبق من روايات يتضح أن الإمام أحمد أرجع الزيادة والنقص إلى العمل ذاته . وهذا الأمر متفق عليه بين السلف، والزيادة والنقص كما هي بالنسبة للعمل كذلك تكون بالنسبة للتصديق والمعرفة وهذا ما سيأتي بيانه عند: (قول الإمام أحمد في المعرفة هل تزيد وتنقص) ^(٢) ومعنى الزيادة والنقص في الإيمان واضح فكما قدمت أن الإيمان قول واعتقاد وعمل . فالأعمال من الإيمان ومن المسلم به عدم تساوى الناس في الالتزام بأداء ما أمروا به والانتفاء عما نهوا عنه والناس بالنسبة لذلك على ثلاثة أقسام : ملتزم ومقصر ومفرط ؛ فالملتزم هو أكمل إيمانا من المقصر ؛ والمقصر أكمل إيمانا من المفرط وبالتالي يكون المقصر والمفرط أنقص إيمانا من الملتزم وهكذا ... فليس من المعقول أن يكون الملتزم التزاما كاملا بالأمر والنهي متساويا في الإيمان مع المقصر والمفرط في الأوامر والواجبات المنتهك للحرمات .

هذا بالنسبة للأمر والنهي وأقصد بالأمر الفرائض والواجبات التي إن أحل بها المكلف أثم وبالنهي عن المحرمات التي إن قارفها أثم أيضا . وقد يوصف بالفسق ونقص الإيمان . هذا في الدنيا أما في الآخرة إذا لم يتب فأمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه ابتداء وإن شاء عذبه .

أما بالنسبة لبقية الطاعات والنوافل فهي أيضا تزيد في الإيمان .

فكما أن العمل من الإيمان فكذلك هي من كمال الإيمان فمن أتى بها على الوجه المشروع فهو أكمل إيمانا ممن فرط فيها ^(٣) . والله تعالى أعلم .

(١) السنة للخلال : (ق : ١٠٣ / أ) .

(٢) انظر ص : ١٠٤ .

(٣) وراجع ص : ٥٠ .

اختلاف عبارات السلف في الزيادة والنقصان وقول الإمام أحمد في ذلك

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانيء :

٢٨ - سمعت أبا عبد الله سأل ابن أبي رزمة^(١) ما كان أبوك^(٢) يقول عن عبد الله بن المبارك^(٣) في الإيمان ؟ قال : كان يقول : الإيمان يتفاضل . قال أبو عبد الله : يا عجبا إن قال لكم : يزيد وينقص رجتموه وإن قال يتفاضل تركتموه وهل شيء يتفاضل إلا وفيه الزيادة والنقصان^(٤) .

٢٩ - وفي رواية أبي بكر المروذي قيل له^(٥) : كان ابن المبارك يقول يزيد وينقص ؟ فقال : كان يقول : الإيمان يتفاضل^(٦) .

التعليق :

توقف بعض السلف عن التصريح بلفظ الزيادة والنقص ، والعدول إلى لفظ التفاضل مثلا لا يعني - كما هو واضح - اختلافا بينهم في أن الإيمان يزيد وينقص . والخلاف إنما هو في اللفظ فقط وإلا فإن التفاضل يعني الزيادة والنقص كما هو معروف من لغة العرب .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ولهذا كان أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل وجمهورهم يقولون : يزيد وينقص ... وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان

(١) هو : محمد بن عبد العزيز ، المرزوي ، ثقة توفي سنة مئتين وإحدى وأربعين . تقريب : ١٨٦/٢ .

(٢) أبوه عبد العزيز بن أبي رزمة ، ثقة ، توفي سنة ست ومئتين . تقريب : ٥٠٩/٢ .

(٣) المرزوي : مولى بني حنظلة ، ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد . توفي سنة إحدى وثمانين ومئة .

تقريب ٤٤٥/١ .

(٤) مسائل ابن هانيء : (١٢٧/٢) .

(٥) أي الإمام أحمد .

(٦) السنة للخلال : (ق ٩٧/ب) .

منه عن الصحابة ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة^(١) . ويقول أيضا :
 وبعضهم عدل عن لفظ الزيادة والنقصان إلى لفظ التفاضل فقال : أقول الإيمان
 يتفاضل ويتفاوت ، ويروى عن ابن المبارك وكان مقصوده الإعراض عن لفظ
 وقع فيه النزاع إلى معنى لا ريب في ثبوته^(٢) .

بعض ما احتج به الإمام أحمد على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة

٣٠ - في كتابه إلى أبي عبد الرحيم الجوزجاني قال : ثم ما وصف الله
 تبارك وتعالى في كتابه من زيادة الإيمان في غير موضع مثل قوله : ﴿ هو الذي
 أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ﴾^(٣) وقال : ﴿ ليستيقن
 الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾^(٤) وقال : ﴿ وإذا تليت عليهم
 آياته زادتهم إيمانا ﴾^(٥) وقال : فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين
 آمنوا فزادتهم وهم يستبشرون ﴾^(٦) .

ثم قال : فإن زعموا أنهم لا يقبلون زيادة الإيمان من أجل أنهم لا يدرون
 ما زيادته ، وأنها غير محدودة ، فما يقولون في أنبياء الله وكتبه ورسله ؟ هل
 يقرون بهم في الجملة ويزعمون أنه من الإيمان؟ فإن قالوا : نعم . قيل لهم : هل
 تجدونهم أو تعرفوا^(٧) عددهم أليس إنما يصيرون في ذلك إلى الإقرار بهم في الجملة
 ثم يكفوا^(٨) عن عددهم وكذلك زيادة الإيمان^(٩) .

(١) مجموع الفتاوى : ٢٢٤/٧ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٥٠٦/٧ - ٥٠٧ .

(٣) سورة الفتح/٤ . وقد نقل ابن هاشم احتجاجه بهذه الآية . انظر : مسائل ابن هاشم : ١٦٣/٢ .

(٤) سورة المدثر/ ٣١ .

(٥) سورة الأنفال/ ٢ .

(٦) سورة التوبة/ ١٢٤ .

(٧) في كتاب الإيمان لابن تيمية ص : ٣٩١ « هل تجدونهم وتعرفون » .

(٨) في كتاب الإيمان لابن تيمية ص : ٣٩١ « يكفون » .

(٩) السنة للخلال : (ق ١٠٨ / ب - ١٠٩ / أ) .

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانيء

٣١ - سألته عن الإيمان ما نقصانه قال : نقصانه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن »^{(١)(٢)} .

وقال أبو بكر الحلال :-

٣٢ - أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد أنه : سمع أبا عبد الله ذكر الكتاب في الحياء وذكر قول جرير^(٣) وذكر النقصان « يخرج من النار من في قلبه مثقال حبة » وقوله : « لا يزني الزاني » .

٣٣ - أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد قال : قال أبو عبد الله : جرير ابن عبد الله آخر من أسلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على النصح فيكون النصح والحياء من الإيمان .

٣٤ - أخبرنا محمد بن علي قال : ثنا أبو بكر الأثرم قال : قيل لأبي عبد الله (فقول)^(٤) الإيمان يزيد وينقص فقال : حديث النبي صلى الله عليه وسلم يدل على ذلك قوله : « أخرجوا من كان في قلبه كذا »^(٥) فهذا يدل على ذلك^(٦) .

(١) أخرجه البخارى : ١١٩/٥ ، ٣٤٧٥ ، ٣٠/١٠ ، ٥٥٧٨ و ٥٨/١٢ ، ح : ٦٧٧٢ و ١١٤/١٢ ، ح : ٦٨١) ومسلم ٨٦/١ ، ح : ١٠١ و ٧٧/١ ، ح : ١٠٤ ، ١٠٥ ، وأحمد : ٣٧٦/٢ ، ٣٨٦ ، ٤٧٩ ، ٣٤٦/٣ ، ١٣٩/٦ ، من حديث أبي هريرة رضى الله تعالى عنه .

(٢) مسائل ابن هانيء : ١٦٤/٤ .

(٣) حديث جرير أخرجه البخارى : ١٩٣/١٣ ، ح : ٧٢٠٤ ومسلم ٧٥/١ . بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فلقنتنى : « فيما استطعت والنصح لكل مسلم » وعند أحمد : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم . ونحوه عند مسلم أيضا : ٧٥/١ .

(٤) هكذا في الأصل والأوفى « فالقول » .

(٥) سيأتى في التعليق ذكر هذه الأحاديث .

(٦) السنة للحلال : (ق : ٩٩) . والرواية الأخيرة ذكرها ابن تيمية في الإيمان ص : ٢٤٢ نقلا من كتاب السنة للأثرم .

التعليق :

الإمام أحمد يحتج على زيادة الإيمان ونقصانه بالكتاب والسنة^(١) كما مر آنفاً . والآيات القرآنية الدالة صراحة على زيادة الإيمان كثيرة . تقدم احتجاج الإمام أحمد ببعضها ، والإمام البخارى ذكر في صحيحه بعض هذه الآيات فيما ذكره زيادة على ما تقدم ما بدأ به في كتاب الإيمان حيث يقول : وهو قول وفعل يزيد وينقص قال تعالى : ﴿ وزدناهم هدى ﴾^(٢) ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾^(٣) ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾^(٤) وقوله جل ذكره : ﴿ فآخضوهم فزادهم إيماناً ﴾^(٥) وقوله تعالى : ﴿ وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾^(٦) . اهـ .

فهل يسوغ لأحد أن ينكر الزيادة في الإيمان بعد هذه الأدلة الصريحة ثم إن السلف الصالح كما استدلوا بهذه الآيات على الزيادة فقد رأوا أنها تفيد النقص أيضاً كما سيأتى بيانه عند « قول الإمام أحمد فيمن قال : يزيد ولا ينقص »^(٧) .

وأما الأدلة من السنة على الزيادة والنقص فهى صريحة أيضاً ومن الكثرة بمكان وقد ذكرت استشهاد الإمام أحمد ببعضها هنا وعند الكلام على : دخول الأعمال في الإيمان^(٨) كحديث شعب الإيمان . وهو من أشهر الأدلة ، وفي حديث الشفاعة ما يروى الغليل .

(١) انظر : رسالة الإمام أحمد إلى أبا عبد الرحيم الجوزجاني حيث احتج بأحاديث أخر . (السنة للخلال : ق : ١٠٨ / ب .)

(٢) سورة الكهف / ١٣ .

(٣) سورة مريم / ٧٦ .

(٤) سورة محمد / ١٧ .

(٥) سورة آل عمران / ١٧٣ .

(٦) سورة الأحزاب / ٢٢ .

(٧) انظر ص : ٩٨ .

(٨) انظر ص : ٨١ .

فقد روى البخارى^(١) ، ومسلم^(٢) عن أنس بن مالك فى حديث الشفاعة : « ... فأقول أمتى فيقال لى : انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها فأنتطلق فأفعل ثم أعود إلى ربي فأحمده تلك الحامد ثم أخر له ساجدا ، فيقال لى : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول : يا رب أمتى أمتى فيقال لى انطلق فمن كان فى قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنتطلق فأفعل » هذا لفظ مسلم .

وروى البخارى^(٣) ، ومسلم^(٤) من حديث أبى سعيد الخدرى يرويه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ... فيقول الله تعالى : اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجه ويحرم الله صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب فى النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول : اذهبوا فما وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار فأخرجه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون ، فيقول : اذهبوا فما وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجه فيخرجون من عرفوا » . هذا لفظ البخارى .

ومما احتج به حديث : « لا يزنى الزانى » : يقول النووى تعليقا عليه فى باب نقصان الإيمان بالمعاصى^(٥) « هذا الحديث مما اختلف العلماء فى معناه فالقول الصحيح الذى قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصى وهو كامل الإيمان وهذا من الألفاظ التى تطلق على نفى الشئ ويراد نفى كماله ومختاره^(٦) . اهـ .

(١) فى الصحيح ٤٧٤/١٣ ح ٧٥١٠ .

(٢) فى الصحيح ١٨٢/١ .

(٣) فى الصحيح ٤٢١/١٣ ح ٤٧٣٩ .

(٤) فى الصحيح ١٦٩/١ - ١٧٠ ح ٣٠٢ .

(٥) فى شرح صحيح مسلم : ٤١/٢ .

(٦) انظر : قول الإمام أحمد - وغيره - فى معنى الحديث عند بعض ما احتج به الإمام أحمد على تفريقه

بين الإسلام والإيمان ص : ١٠٩ .

والمنكرون للزيادة والنقص احتجاجاً بأمر ومنها قولهم : إن النوافل لا غاية لها فلو كانت من الإيمان لم يوصف كل واحد بأنه كامل الإيمان حتى الأنبياء صلوات الله عليهم ولوجب وصف الكل بأنهم ناقصو الإيمان وهذا مستنكر عند المسلمين .

وقد أجاب القاضي أبو يعلى على هذا القول بعد إيراده فقال : الجواب إن ترك النوافل التي ليست براتبية مع الفرائض لا يوجب نقصان إيمانه ولا نصفه بنقصان الإيمان^(١) . لأن النقصان يفيد الذم وليس لذلك مدخل في الذم وإذا كان كذلك لم يصح ما قالوه من أنه يفضى إلى نفي كمال الاسم في حق الجماعة لأنه إنما يتفق بما يفيد الذم وذلك يحصل في أشياء محصورة : الواجبات والمسنونات الراتبية إذا داوم على تركها وفعل المنهيات صغيرها وكبيرها وقد ذكر أحمد - رحمه الله عليه - معنى هذا السؤال في كتابه إلى أبي عبد الرحيم محمد بن أحمد ابن الجراح الجوزجاني وأجاب عنه^(٢) .

قول الإمام أحمد فيمن قال : يزيد ولا ينقص

قال إسحاق الكوسج :

٣٥ - سئل أحمد عن الإيمان . فقال : يزيد وينقص . قلت : ينقص ؟ قال : ينقص^(٣) .

٣٦ - وقال إسحاق بن إبراهيم بن هاني^٤ : وسمعت يقول أيش كان الإيمان أليس كان ناقصاً فجعل يزيد^(٤) .

(١) كما أشرت سابقاً أن النوافل والطاعات من أتى بها فهو أكمل إيماناً ممن تركها وإن كان تاركها لا يوصف بنقصان الإيمان .

(٢) الإيمان للقاضي أبي يعلى (ق ١٥ / ب) .

(٣) مسائل الكوسج (١٧٩ / ٢ - ن ، المصرية) .

(٤) مسائل ابن هاني^٤ ١٦٢ / ٢ . وانظر : رواية صالح السابقة .

وقال أبو بكر الخلال :

٣٧ - أخبرني زكريا بن الفرج^(١) عن أحمد بن القاسم قال :
...تذاكرنا^(٢) من قال الإيمان يزيد وينقص . فعد غير واحد ثم قال : ومالك بن
أنس يقول يزيد وينقص . فقلت له إن مالكا يحكون عنه أنه قال : يزيد ولا
ينقص . فقال : بلى قد روى عنه يزيد وينقص . كان ابن نافع يحكيه عن مالك
فقلت له : ابن نافع حكى عن مالك ؟ قال نعم^(٣)^(٤) .

٣٨ - أخبرني محمد بن أحمد بن واصل المقرئ أن : أبا عبد الله سئل
عن من قال : الإيمان قول بلا عمل وهو يزيد ولا ينقص ؟ قال : هذا قول
المرجئة .

٣٩ - أخبرني يوسف بن موسى أن أبا عبد الله سئل ما المرجئة ؟ قال :
الذي يقول الإيمان قول . قيل : فالذي يقول : يزيد ولا ينقص . قال : ما أدرى
ما هذا . اهـ^(٥) .

٤٠ - وفي رواية إسماعيل بن سعيد الشالنجي^(٦) سألت أحمد عن من
قال : الإيمان يزيد ولا ينقص قال : هذا برىء من الإرجاء .

(١) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر .

(٢) أي : هو وأحمد بن حنبل .

(٣) سيأتي المروي عن الإمام مالك في هذه المسألة في التعليق .

(٤) السنة للخلال : (ق ٩٩ / ب) .

(٥) السنة للخلال : (ق ٩٤ / أ) .

(٦) هو : أبو إسحاق الشالنجي . قال عنه أبو بكر الخلال : عنده مسائل كثيرة ما أحسب أن أحدا
من أصحاب أبي عبد الله روى عنه أحسن مما روى هذا ولا أشيع ولا أكثر مسائل منه . طبقات
الحنابلة : ١٠٤/١ ، تاريخ جرجان ص ١٠٤ ، اللباب : ١٧٦/٢ . والرواية في السنة
للخلال : (ق ٩٧ / أ) . إلا أن في الطريق إلى الشالنجي من لم أجد له ترجمة فيما نظرت من المصادر .
وانظر : السند بأكمله ص : ١٢٦ .

التعليق :

تقدم ذكر الآيات الدالة صراحة على زيادة الإيمان وكذا جملة من الأحاديث الدالة على الزيادة والنقص . ومن توقف عن القول بالنقص بحجة أنه لم يذكر في القرآن فقد أخطأ في اجتهاده . فالزيادة المذكورة تفيد النقص فكل ما هو قابل للزيادة فهو قابل للنقص ضرورة ، ذكر هذا بعض المحققين ، وهو ما أشار إليه الإمام أحمد في رواية صالح إذ يقول : إذا كان قبل زيادته تاما فكيف يزيد التام فكما يزيد كذا ينقص . وقد توقف الإمام أحمد في إطلاق صفة الإرجاء - في إحدى الروايات عنه - على من يقول بهذا وتفيد رواية أخرى إطلاق هذه الصفة فعندما سئل : من قال الإيمان يزيد ولا ينقص فقال هذا برىء من الإرجاء . وهو ما تفيدته مجموعة الروايات عنه .

أما ما نقل عن الإمام مالك في هذه المسألة :

فقد روى عبد الله بن أحمد عن أبيه : حدثنا سريح بن النعمان ، حدثنا عبد الله بن نافع قال : كان مالك يقول الإيمان قول وعمل يزيد وينقص^(١) وهذا إسناد صحيح . وأخرجه أبو بكر الخلال من طريق الميموني^(٢) ، ثنا سريح به .

وهذا إسناد صحيح أيضا .

وأخرجه الخلال أيضا من طريق الميموني قال : سمعت الزنبري أبا عثمان صاحب مالك قال : كان مالك يقول^(٣) . فذكره . والزنبري : هو سعيد بن داود بن أبي زنبر قال عنه ابن حجر : صدوق له مناكير عن مالك ، ويقال اختلط عليه بعض حديثه . وكذبه عبد الله بن نافع في دعواه أنه سمع من لفظ مالك . توفي في حدود العشرين ومئتين^(٤) .

(١) السنة لعبد الله بن أحمد ص : ٨٥ .

(٢) السنة للخلال (ق ١/١٠٣) .

(٣) المصدر السابق (ق ١/٩٧) .

(٤) تقريب : ٢٩٤/١ .

ذكر ابن عبد البر أن عبد الرحمن بن القاسم روى عن مالك أنه قال :
يزيد وتوقف في النقصان ، والرواية الأخرى رواية عبد الرازق ومعمر بن عيسى
وابن نافع وابن وهب أنه يزيد وينقص^(١) .

وقد تأول ابن بطال توقف مالك في إطلاق النقص بالنسبة للتصديق وقال :
« إذ لا يجوز نقصان التصديق لأنه إذا نقص صار شكاً » .

ثم ذكر وجهاً آخر حيث قال : وقال بعضهم إنما توقف مالك عن القول
بنقصان الإيمان خشية أن يتأول عليه موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل
المعاصي من المؤمنين بالذنوب^(٢) .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية تعليل آخر حيث يقول :
وكان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصان عليه لأنهم
وجدوا ذكر الزيادة في القرآن ، ولم يجدوا ذكر النقص ، وهذه إحدى الروايتين
عن مالك ، والرواية الأخرى عنه ، وهو المشهور عند أصحابه كقول سائرهم :
أنه يزيد وينقص^(٣) .

قال النووي وقد قال مالك بنقصان الإيمان مثل جماعة أهل السنة .

قال عبد الرازق سمعت من أدركت من شيوخنا وأصحابنا سفيان الثوري
ومالك بن أنس وعبيد الله بن عمر والأوزاعي ومعمر بن راشد وابن جريج وسفيان
ابن عيينة يقولون : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وهذا قول ابن مسعود وحذيفة
والنخعي والحسن البصري وعطاء وطاووس ومجاهد وعبد الله بن المبارك^(٤) .

وفي ختام الكلام حول زيادة الإيمان ونقصه أعرض بإيجاز أقوال بعض
الفرق في الزيادة والنقص .

(١) التمهيد : ٢٥٢/٩ .

(٢) مسلم بشرح النووي : ١٤٦/١ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٥٠٦/٧ .

(٤) مسلم بشرح النووي : ١٤٦/١ .

وأبدا بموقف الإمام أبن حنيفة: الذى يرى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص إذ يقول: «ثم الإيمان لا يزيد ولا ينقص لأنه لا يتصور زيادة الإيمان إلا بتقصان الكفر ولا يتصور نقصان الإيمان إلا بزيادة الكفر فكيف يجوز أن يكون الشخص الواحد فى حالة واحدة مؤمنا وكافرا والمؤمن مؤمن حقا وليس فى إيمان المؤمن شك كما أنه ليس فى كفر الكافر شك»^(١). ويقول أيضا: «وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص، والمؤمنون مستوون فى الإيمان والتوحيد»^(٢). هـ. إن ثبت هذا عنه.

فكل ما ذكره - رحمه الله - مردود شرعا وعقلا، وقد تقدمت أدلة صريحة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة. كما أن تصور الزيادة والنقص فى الإيمان واضح جلى، هذا من جهة الشرع ومن جهة العقل لا يمكن وبحال تصور إيمان الملائكة والرسل مساويا لإيمان بقية البشر.

مذهب المعتزلة: المعتزلة يقولون بزيادة الإيمان ونقصه. لكن الزيادة والنقص لها مفهوم آخر عندهم مخالف لمفهوم أهل السنة. فهم يرون أن الإيمان يزيد وينقص من ناحية التكليف فقط. فالناس متفاوتون من حيث التكليف، وقد يقام التكليف على أحدهم ويسقط عن الآخر، فالفقير مثلاً يسقط عنه تكليف الزكاة لأنه لا يجد حد النصاب حتى يزكى بعكس الغنى؛ لذا يرون أن الغنى أكمل إيمانا بالنظر إلى زيادة التكليف فى حقه على الفقير، فهم ينظرون إلى الزيادة والنقص التى أقروها من هذا الجانب ولا يدخلون العمل والتصديق فيها، لأنهم يعتقدون أن تصديق القلب شئ يجب أن يكون على جميع المكلفين بمستوى واحد أيضا فهو لا يزيد ولا ينقص وإنما الزيادة والنقص تكون بالنسبة لفوارق التكليف وكذلك العمل فإن نظروا إليه فإنما ينظرون إليه من الناحية التكليفية كما قدمنا، أما أن يكون العمل وسيلة لزيادة الإيمان، والمعصية وسيلة لنقص الإيمان فهذا ما ينكرونه بالجملة، لأن من المقرر فى قواعدهم أن مرتكب المعصية خرج من الإيمان ولم يدخل فى الكفر وهو ما يعبرون عنه بالمنزلة بين المنزلتين^(٣).

(١) شرح الفقه الأكبر ص: ٧١.

(٢) شرح الفقه الأكبر ص: ٧٠.

(٣) انظر: متشابه القرآن للقاضى عبد الجبار: ٣١٢/١ - ٣١٣.

مذهب الأشاعرة : للأشاعرة قولان رئيسان في زيادة الإيمان ونقصه
أذكرهما بإيجاز مع ملاحظة أن الإيمان عندهم عبارة عن التصديق القلبي :
الأول : أنه لا يزيد ولا ينقص لأنه إذا قبل الزيادة والنقص صار شكاً .
الثاني : أنه يزيد وينقص تبعاً « لكثرة النظر ووضوح الأدلة »^(١) .

وكما أسلفت عند الكلام على عقيدة أبي الحسن الأشعري^(٢) : موافقته لأهل
السنة في مسائل العقيدة فهو لا يقول بهذا ولا يرتضيه بل قد صرح في كتابه الأخير
الإبانة بالقول بزيادة الإيمان ونقصه على مذهب السلف^(٣) .

وكل المنكرين للزيادة والنقص إنما ارتكزوا على القاعدة المعروفة عندهم :
أن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وأما قول القائل : إن الإيمان إذا ذهب
بعضه ذهب كله . فهذا ممنوع ، وهذا هو الأصل الذي تفرعت منه البدع في
الإيمان فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله لم يبق منه شيء . ثم قالت
« الخوارج والمعتزلة » : هو مجموع ما أمر الله به ورسوله ، وهو الإيمان المطلق
كما قاله أهل الحديث ، قالوا فإذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان
شيء فيخلد في النار وقالت « المرجئة » على اختلاف فرقهم : لا تذهب الكبائر
وترك الواجبات الظاهرة شيئاً من الإيمان إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء
فيكون شيئاً واحداً يستوى فيه البر والفاجر ، ونصوص الرسول وأصحابه تدل
على ذهاب بعضه وبقاء بعضه ، كقوله : « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال
ذرة من إيمان^(٤) » .

(١) انظر : المواقف في علم الكلام ص : ٣٨٨ ، تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد ص ٥١ ، أصول
الدين للبغدادى ص ٢٥٢ .

(٢) انظر ص : ٧٤ .

(٣) انظر : الإبانة عن أصول الديانة ص : ١٠ .

(٤) مجموع الفتاوى : ٢٢٣/٧ .

قول الإمام أحمد في المعرفة هل تزيد وتنقص

قال أبو بكر الخلال :

٤١ - أخبرنا أبو بكر المروذي قال : قلت لأبي عبد الله في معرفة الله عز وجل في القلب يتفاضل فيه ؟ قال نعم . قلت : ويزيد ؟ قال : نعم^(١) .

٤٢ - أخبرنا أبو بكر محمد بن علي أن يعقوب بن يحنان^(٢) حدثهم قال : سألت أبا عبد الله عن المعرفة والقول تزيد وتنقص ؟ قال : لا قد جئنا بالقول والمعرفة وبقي العمل^(٣) .

• ونحوه نقل ابن هاني^(٤) وصالح بن أحمد بن حنبل فيما يتعلق بالقول^(٥) .

التعليق :

كما قدمت في معنى الزيادة والنقص في الإيمان أن مذهب السلف رضوان الله عليهم أن الزيادة والنقص تشمل العمل والتصديق وأوردت هناك بعض الروايات عن الإمام أحمد التي تدل على شمول الزيادة والنقص للعمل ، وأتكلم هنا عن موقف الإمام أحمد بالنسبة للزيادة والنقص في التصديق والمعرفة . والروايات عن الإمام أحمد في هذه المسألة، البعض يشير إلى أن المعرفة تزيد وتنقص، والبعض الآخر ظاهره عدم الزيادة والنقص بالنسبة للمعرفة، وقد أشار القاضي أبو يعلى ابن الفراء في كتابه الروايتين والوجهين^(٥) إلى هذا حيث يقول :

(١) السنة (ق : ٩٦/ب) .

(٢) هو : يعقوب بن إسحاق بن يحنان أبو يوسف ، كان أحد الصالحين الثقات قال عنه أبو بكر الخلال : كان جار أبي عبد الله وصديقه وروى عن أبي عبد الله مسائل صالحة كثيرة . تاريخ بغداد : ٢٨٠/١٤ ، طبقات الخنابلة : ٤١٥/١ .

(٣) السنة (ق : ٩٧/أ) .

(٤) انظر : رواية ابن هاني^(٤) في (السنة للخلال ق : ٩٣/أ) ورواية صالح في المصدر نفسه (ق : ٩٧/أ) .

(٥) انظر : (ق : ٢٥١/ب) .

« مسألة في المعرفة هل تزيد أو تنقص، نقل يعقوب بن بختان أنها لا تزيد ولا تنقص، ونقل المروزي : تتفاضل وتزيد وتنقص. وعندى أن المسألة ليست على روايتين وإنما هي على اختلاف حالين فالموضع الذى قال لا تزيد ولا تنقص يعنى به نفس المعرفة لأن المعرفة هي معرفة المعلوم على ما هو به وذلك لا يختلف بحال والموضع الذى قال : تزيد وتنقص يعنى بالزيادة في معرفة الأدلة وذلك قد يزيد وينقص فمنهم من يعرف الشيء من جهة واحدة ومنهم من يعرفه من جهات كثيرة » اهـ .

ويقول في كتابه مختصر المعتمد^(١) : « والمعرفة تزيد وتنقص قال أحمد رحمه الله في رواية المروزي في معرفة القلب يتفاضل ويزيد: «والوجه فيه أن من الناس من يعرف مخبرات الله تعالى مفصلة ومنهم من يعرفها مجملة فمن عرفها مجملة ، فإذا عرف تفصيلها ازداد علمه وتصديقه » اهـ .

فالمعرفة بوجود الله عز وجل مثلاً أصل ثابت. فهذا ونحوه هو ما عناه - والله أعلم - الإمام أحمد بقوله إن المعرفة لا تزيد ولا تنقص. أما ما ينتج عن المعرفة فيزيد وينقص وهو أمر محسوس مسلم به معلوم بالضرورة وهو ما عناه الإمام أحمد بالزيادة والنقص يوضح ذلك ما جاء في رواية المروزي قيل له الحجاج ابن يوسف نقول إيمانه مثل إيمان النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لا ، قيل : فيكون إيمانه مثل إيمان أبى بكر ، قال : لا وفي رواية صالح المتقدمة نقل قول وكيع على وجه الإقرار فقال : وقد كان وكيع قال : ترى إيمان الحجاج مثل إيمان أبى بكر وعمر رحمهما الله .

يقول الحافظ ابن مندة : « والعباد يتفاضلون في الإيمان على قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال له والمراقبة لله في السر والعلانية »^(٢) . اهـ .

وينقل ابن حجر عن الشيخ محيي الدين النووي قوله : « والأظهر المختار أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة ولهذا كان إيمان الصديق

(١) - انظر : ص ٣٠ .

(٢) الإيمان : ١/٣٠٠ .

أقوى من إيمان غيره ، بحيث لا تعتريه الشبهة ، قال : ويؤيده أن كل أحد يعلم أن ما في قلبه يتفاضل حتى أنه يكون في بعض الأحيان أعظم يقينا وإخلاصا وتوكلا منه في بعضها وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها^(١) . اهـ .

قلت : وهذا التفاوت في التصديق ينتج عن أمور منها ما ذكره ابن مندة والنووي وكذلك الانقياد لأوامر الله عز وجل والانتفاء عن نواهيه فمن شأن هذا زيادة الإيمان والتصديق في القلوب . كما أن اقرار المعاصي والإعراض عن الله عز وجل يورث في القلوب نقص الإيمان ، وقد جاء في رواية محمد بن موسى عن الإمام أحمد ما يفيد ذلك حيث يقول : « الإيمان يزيد وينقص إذا عملت الخير زاد وإذا ضيعت نقص^(٢) » . اهـ .

وبعد هذا العرض الموجز يتضح موافقة الإمام أحمد لبقية السلف في أن الزيادة والنقص تشمل العمل والتصديق - وأن الرواية التي جاءت عنه في أن المعرفة لا تزيد ولا تنقص إنما هو عائد لما ذكر .

هذا وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في معنى الزيادة والنقص ثمانية أوجه أذكر بعضها :

فمنها : أن العلم والتصديق نفسه يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت وأبعد عن الشك ، وهذا أمر يشهده كل أحد من نفسه كما أن الحس الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس للهِلال ، وإن اشتركوا في رؤيته فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض وكذلك سماع الصوت الواحد وشم الرائحة الواحدة فكذلك معرفة القلب وتصديقه ، يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة والمعاني التي يؤمن بها من معاني أسماء الرب وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها ، أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها .

(١) فتح الباري : ٤٦/١

(٢) انظر السنة للخلال (ق : ٩٧/١)

ومنها : أن التصديق المستلزم لعمل القلب أكمل من التصديق الذى لا يستلزم عمله ، فالعلم الذى يعمل به صاحبه ، أكمل من العلم الذى لا يعمل به ، وإذا كان شخصان يعلمان أن الله حق ، ورسوله حق ، والجنة حق ، والنار حق ، وهذا علمه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة فى الجنة ، والهرب من النار ، والآخر علمه لم يوجب ذلك ، فعلم الأول أكمل ، فإن قوة المسبب دالة على قوة السبب ، وهذه الأمور نشأت عن العلم ، فالعلم بالخبير يستلزم طلبه ، والعلم بالخوف ، يستلزم الهرب منه ، فإذا لم يحصل اللازم ، دل على ضعف الملزوم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس الخبير كالمعائن » فإن موسى لما أخبره ربه أن قومه عبدوا العجل ، لم يلق الألواح ، فلما رآهم قد عبدوه ، ألقاها^(١) ، وليس ذلك لشك موسى فى خبر الله ، لكن الخبير وإن جزم بصدق الخبير ، فقد لا يتصور الخبير به فى نفسه ، كما يتصوره إذا عاينه ، بل يكون قلبه مشغولاً عن تصور الخبير به ، وإن كان مصدقاً به ، ومعلوم أن عند المعاينة ، يحصل له من تصور الخبير به ، ما لم يكن عند الخبير ، فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق .

ومنها : أن أعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله ، وخشية الله تعالى ورجائه ، ونحو ذلك ، هى كلها من الإيمان ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف ، وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلاً عظيماً .

ومنها : أن الأعمال الظاهرة مع الباطنة ، هى أيضاً من الإيمان والناس يتفاضلون فيها .

ومنها : ذكر الإنسان بقلبه ما أمره الله به واستحضاره لذلك ، بحيث لا يكون غافلاً عنه ، أكمل ممن صدق به وغفل عنه ، فإن الغفلة تضاد كمال العلم والتصديق والذكر ، والاستحضار يكمل العلم واليقين . اهـ .

(١) رواه الإمام أحمد : ٢١٥/١ ، ٢٧١

هذه بعض الأوجه التي ذكرها شيخ الإسلام مع اختصار في بعضها ولولا خوف الإطالة لذكرتها كاملة فهي من أجمع ما رأيت في هذا الباب فمن أرادها فليراجع كتاب الإيمان^(١).

قول الإمام أحمد في الإسلام والإيمان

قال صالح بن أحمد بن حنبل :

٤٣ - سئل أبي عن الإسلام والإيمان قال : قال ابن أبي ذئب^(٢) :
الإسلام القول والإيمان العمل . ف قيل له : ما تقول أنت ؟ قال : الإسلام غير
الإيمان^(٣).

كذا روى عنه :

٤٤ - حنبل بن إسحاق قال : سمعت أبا عبد الله يقول : قال الزهري :
فنرى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل . قلت لأبي عبد الله : ما تقول أنت ؟
قال الإسلام غير الإيمان^(٤) . وفي رواية أخرى : سمعت أبا عبد الله وسئل عن
الإيمان والإسلام قال : الإيمان غير الإسلام^(٥).

٤٥ - عبد الملك الميموني قال : قلت لأبي عبد الله : تفرق بين الإيمان
والإسلام . قال : نعم^(٦).

وروى عنه ما يفيد تفريقه بين الإسلام والإيمان :

٤٦ - أحمد بن القاسم قال : سمعت أبا عبد الله يقول : .. قال الزهري
: فنرى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل . فاستحسنه أبو عبد الله^(٧).

(١) من ص : ٢١٩ - ٢٢٤

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ، ثقة فقيه فاضل ، توفي سنة ثمان وخمسين ومئة ، تقريب : ١٨٤/٢

(٣) مسائل صالح ص : ١٣ . وذكره ابن شكر في شرح اعتقاد الإمام أحمد ص : ٣١

(٤) انظر السنة للخلال (ق ١٠٣/١) .

(٥) المصدر نفسه : (ق ١٠٢/١) .

(٦) السنة للخلال : (ق ١٠٢/١) .

(٧) انظر : السنة للخلال : (ق ١٠٦/١) .

٤٧ - إسماعيل بن سعيد قال: سألت أحمد عن الإسلام والإيمان ؟ فقال : الإيمان قول وعمل والإسلام الإقرار . قال : وسألت أحمد عن قال : في الذي قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم إذ سأله عن الإسلام ، فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم . فقال : نعم . فقال قائل : وإن لم يفعلوا الذي قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم فهو مسلم أيضا ؟ فقال : هذا معاند للحديث ^(١) .

بعض ما احتج به الإمام أحمد على تفريقه بين الإسلام والإيمان

قال أبو بكر الحلال :

٤٨ - أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد قال : قلت لأبي عبد الله : تفرق بين الإيمان والإسلام ؟ قال : نعم وأقول مسلم ولا استثنى قلت : بأي شيء نحتج ؟ قال : عامة الأحاديث تدل على هذا . ثم قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ^(٢) » . وقال الله عز وجل : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا ^(٣) ۗ ۝ ﴾ .

قلت لأبي عبد الله : فنذهب إلى ظاهر الكتاب مع السنن ؟ قال : نعم . قلت : فإذا كان المرجحة يقولون أن الإسلام هو القول ؟ قال : هم يصيرون هذا كله واحدا ويجعلونه مسلماً ومؤمناً شيئاً واحداً على إيمان جبريل ومستكمل الإيمان . قلت : فمن ههنا حججتنا عليهم . قال : نعم ^(٤) .

٤٩ - قال صالح بن أحمد بن حنبل : سئل أبي عن الإسلام والإيمان .. قيل له ما تقول أنت . قال الإسلام غير الإيمان وذكر حديث عامر بن سعد قال

(١) المصدر نفسه : (ق ١٠٦ / ب) .

(٢) تقدم تخريجه ص : ٩٥ .

(٣) سورة الحجرات / آية : ١٤ .

(٤) السنة للحلال : (١٠٣ / ب) .

- أى أبوه سعد بن أبى وقاص - إنه مؤمن . فقال النبى عليه السلام :
أومسلم^(١) .^(٢)

٥٠ - وحديث : « لا يزنى الزانى .. سأل أبو الحارث الصائغ أبا عبد الله
عن معناه فقال : قد تألولوه فأما عطاء فقال: يتنحى عنه الإيمان، وقال طاووس
إذا فعل ذلك زال عنه الإيمان^(٣) وروى عن الحسن قال : إن تراجع راجعه
الإيمان وقد قيل : يخرج من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرج من الإسلام .

٥١ - وفى رواية حنبل بن إسحاق : قلت لأبى عبد الله : إذا أصاب
الرجل ذنبا من زنا أو سرقة يزايله إيمانه ؟ قال : هو ناقص الإيمان فخلع منه
كما يخلع الرجل من قميصه فإذا تاب وتراجع عاد إليه إيمانه .

٥٢ - وقال أيضا : سمعت أبا عبد الله وسئل عن قول النبى صلى الله عليه
وسلم : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » قال : هكذا يروى الحديث
ويروى عن أبى جعفر^(٤) قال : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » قال
يخرج : من الإيمان إلى الإسلام، فالإيمان مقصور فى الإسلام فإذا زنى خرج من
الإيمان إلى الإسلام^(٥) .

التعليق :

الإمام أحمد يفرق بين الإسلام والإيمان وهذا واضح مما تقدم من الروايات
عنه . وقد استحسّن قول الزهرى : أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل . ومقصود
الزهرى أن من أتى بالشهادتين استحق اسم المسلم أما الإيمان فيشترط فى إطلاقه
الاجئء بالعمل .

(١) الحديث انظره فى البخارى : ٧٩/١ ومسلم : ١٤٣/١ .

(٢) مسائل صالح ص : ٨٧ .

(٣) وقت وقوع الفعل لا أنه زال بالكلىة .

(٤) هو : محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب . انظر : هذه الرواية عند الترمذى : ١٦/٥ .

(٥) انظر : السنة للخلال : (ق ١٠٣) . وانظر : هذه الأقوال وغيرها فى شرح النووى لصحيح

مسلم : ٤١/٢ . وفتح البارى : ٥٩/١٢ .

وأنقل الآن نصوصا عن شيخ الإسلام ابن تيمية يتضح فيها - إن شاء الله - رأى الإمام أحمد في هذه المسألة :-

يقول ابن تيمية : وأما ما ذكره أحمد في الإسلام ، فاتبع فيه الزهري حيث قال : فكانوا يرون الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل ، في حديث سعد بن أبي وقاص ، وهذا على وجهين ، فإنه قد يراد به الكلمة بتوابعها من الأعمال الظاهرة ، وهذا هو الإسلام الذى بينه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت » . وقد يراد به الكلمة فقط من غير فعل الواجبات الظاهرة ، وليس هذا هو الذى جعله النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام ، لكن قد يقال إسلام الأعراب كان من هذا ، فيقال : الأعراب وغيرهم كانوا إذا أسلموا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أزموا بالأعمال الظاهرة : الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، ولم يكن أحد يترك بمجرد الكلمة ، بل كان من أظهر المعصية يعاقب عليها . وأحمد إن كان أراد في هذه الرواية أن الإسلام هو الشهادتان فقط ، فكل من قالها فهو مسلم ، فهذه إحدى الروايات عنه ، والرواية الأخرى : لا يكون مسلما حتى يأتي بها ويصلى ، فإذا لم يصل كان كافرا^(١) . والثالثة أنه كافر بترك الزكاة أيضا . والرابعة : أنه يكفر بترك الزكاة إذا قاتل الإمام عليها دون ما إذا لم يقاتله . وعنه أنه لو قال : أنا أؤديها ولا أدفعها إلى الإمام ، لم يكن للإمام أن يقتله^(٢) . وكذلك عنه رواية أن يكفر بترك الصيام^(٣) والحج ، إذا عزم أنه لا يحج أبدا^(٤) ومعلوم أنه على كفر تارك المباحي يمتنع أن يكون الإسلام مجرد الكلمة ، بل المراد أنه إذا أتى بالكلمة دخل في الإسلام ، وهذا صحيح ، فإنه يشهد له بالإسلام ولا يشهد له بالإيمان الذى في القلب ، ولا يستثنى في هذا الإسلام ، لأنه أمر مشهور ، لكن الإسلام الذى

(١) انظر : قول إمام أحمد في تارك الصلاة ص : ٣٤/٢ .

(٢) انظر : قول إمام أحمد في مانع الزكاة ص : ٤٦/٢ .

(٣) انظر : قول إمام أحمد في تارك الصيام ص : ٤٩/٢ .

(٤) انظر : قول إمام أحمد في تارك المباحي الخمسة ص : ٥٠/٢ .

هو أداء الخمس كما أمر به يقبل الاستثناء ، فالإسلام الذي لا يستثنى فيه الشهادتان
باللسان فقط فإنها لا تزيد ولا تنقص فلا استثناء فيها^(١) .

وفي موضع آخر يقول قال: أبو عبد الله بن حامد في كتابه المصنف في
« أصول الدين » : قد ذكرنا أن الإيمان قول وعمل ، فأما الإسلام فكلام أحمد
يحتمل روايتين : إحداهما : أنه كالإيمان ، والثانية : أنه قول بلا عمل . وهو نصه
في رواية إسماعيل بن سعيد^(٢) ، قال : والصحيح أن المذهب رواية واحدة أنه
قول وعمل ، ويحتمل قوله : إن الإسلام قول يريد به أنه لا يجب فيه ما يجب
في الإيمان من العمل المشروط فيه لأن الصلاة ليست من شرطه ، إذ النص عنه
أنه لا يكفر بتركه الصلاة . قال : وقد قضينا أن الإسلام والإيمان اسمان لمعنيين
وذكرنا اختلاف الفقهاء ، وقد ذكر قبل ذلك أن الإسلام والإيمان اسمان لمعنيين
مختلفين وبه قال مالك وشريك وحماد بن زيد بالفرقة بين الإسلام والإيمان قال :
وقال أصحاب الشافعي وأصحاب أبي حنيفة أنهما اسمان معناهما واحد قال : ويفيد
هذا أن الإيمان قد تنتفى عنه تسميته مع بقاء الإسلام عليه ، وهو بإتيان الكبائر
التي ذكرت في الخبر ، فيخرج عن تسمية الإيمان ، إلا أنه مسلم ، فإذا تاب
من ذلك عاد إلى ما كان عليه من الإيمان . ولا تنتفى عنه تسمية الإيمان بارتكاب
الصغائر من الذنوب بل الاسم باق عليه . ثم ذكر أدلة ذلك . ولكن ما ذكره
فيه أدلة كثيرة على من يقول : الإسلام مجرد الكلمة ، فإن الأدلة الكثيرة تدل
على أن الأعمال من الإسلام ، بل النصوص كلها تدل على ذلك فمن قال :
إن الأعمال الظاهرة المأمور بها ليست من الإسلام فقوله باطل ، بخلاف التصديق
الذي في القلب ، فإن هذا ليس في النصوص ما يدل على أنه من الإسلام ، بل
هو من الإيمان ، وإنما الإسلام الدين كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم بأن
يسلم وجهه وقلبه لله ، فأخلص الدين لله إسلام ، وهذا غير التصديق ، ذلك من
جنس عمل القلب وهذا من جنس علم القلب .

(١) انظر : مجموع الفتاوى : ٢٥٨/٧ - ٢٥٩ .

(٢) تقدمت . انظر ص : ٦٦ .

وأحمد بن حنبل وإن كان قد قال في هذا الموضوع : إن الإسلام هو الكلمة ، فقد قال في موضع آخر : إن الأعمال من الإسلام وهو اتبع هنا قول الزهري - رحمه الله - فإن كان مراد من قال ذلك : أنه بالكلمة يدخل في الإسلام ولم يأت بتام الإسلام ، فهذا قريب . وإن كان مراده أنه أتى بجميع الإسلام وإن لم يعمل فهذا غلط قطعاً ، بل قد أنكر أحمد هذا الجواب ، وهو قول من قال : يطلق عليه الإسلام وإن لم يعمل ، متابعة لحديث جبريل ، فكان ينبغي أن يذكر قول أحمد جميعه^(١) . قال إسماعيل بن سعيد : ... فقد جعل أحمد من جعله مسلماً إذا لم يأت بالخمسة معانداً للحديث مع قوله : إن الإسلام هو الإقرار ، فدل ذلك على أن ذلك أول الدخول في الإسلام وأنه لا يكون قائماً بالإسلام الواجب حتى يأتى بالخمسة ، وإطلاق الاسم مشروط بها ، فإنه ذم من لم يتبع حديث جبريل . وأيضاً فهو في أكثر أجوبته يكفر من لم يأت بالصلاة ، بل وغيرها من المباني ، والكافر لا يكون مسلماً باتفاق المسلمين ، فعلم أنه لم يرد أن الإسلام هو مجرد القول بلا عمل ، وإن قدر أنه أراد ذلك ، فهذا يكون أنه لا يكفر بترك شيء من المباني الأربعة ، وأكثر الروايات عنه بخلاف ذلك . والذين لا يكفرون من ترك هذه المباني يجعلونها من الإسلام كالشافعي ومالك ، وأبي حنيفة ، وغيرهم ، فكيف لا يجعلها أحمد من الإسلام . وقوله في دخولها في الإسلام أقوى من قول غيره^(٢) . اهـ .

وبهذا البيان الشافي من شيخ الإسلام يتضح لنا مراد الإمام أحمد من تفريقه بين الإسلام والإيمان . ومن قال بالفرق بينهما ابن عباس والحسن البصري وابن سيرين وعبد الرحمن بن مهدي إضافة إلى من تقدم في قول ابن حامد^(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ولا علمت أحداً من المتقدمين خالف هؤلاء فجعل نفس الإسلام نفس الإيمان ، ولهذا كان عامة أهل السنة على هذا »^(٤) . اهـ .

(١) مراد شيخ الإسلام أن أبا عبد الله بن حامد عندما استشهد برواية إسماعيل بن سعيد ذكر الجزء الأول منها ولم يذكر كامل الرواية التي توضح مراد الإمام أحمد .

(٢) مجموع الفتاوى : ٣٦٩/٧ - ٣٧١

(٣) انظر : الإيمان لابن منة : ٣١١ ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكافي : ٨١٢/٤ ، مجموع الفتاوى : ٣٧٩/٧ .

(٤) مجموع الفتاوى : ٣٥٩/٧ .

وقد تقدم ما احتج به الإمام أحمد وهي أدلة من قال بالفرق بينهما^(١).
 ومن قال بعدم الفرق بينهما: الإمام البخاري^(٢) ومحمد بن نصر المروزي^(٣) وابن
 مندة وغيرهم. وقد ساق ابن مندة الأدلة على هذا القول في كتابه الإيمان إذ يقول:
 ذكر الأخبار الدالة والبيان الواضح من الكتاب أن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى
 واحد وأن الإيمان الذي دعا الله العباد إليه وافترضه عليهم هو الإسلام... فقال
 الله عز وجل: ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٤) وقال: فمن يرد
 الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾^(٥) وقال في قصة لوط: ﴿فأخرجنا من
 كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾^(٦). اهـ. هذه
 بعض الأدلة التي استدلت بها من قال بالترادف.

وبالنظر إلى أدلة القائلين بالفرق نجد أن من أقواها قول الله تعالى: ﴿قالت
 الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ وحديث سعد ابن أبي وقاص
 قال سعد: والله إني لأراه مؤمناً فقال عليه الصلاة والسلام: «أو مسلماً».
 وقد أجاب القائلون بالترادف على الاستدلال بالآية: بأن الإسلام المقصود
 هنا ليس الإسلام الشرعي وإنما هو الاستسلام أو الخوف من القتل^(٧). إلا أن
 هذا التفسير لم يرتضه من قال بالفرق بينهما.

يقول شارح الطحاوية: ويشهد للفرق بين الإسلام والإيمان قوله تعالى:
 ﴿قالت لأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾^(٨). وقد اعترض على

(١) انظر أيضاً: الإيمان لابن مندة: ٣١١/١ - ٣١٨، شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٤ - ٨١٤،

مجموع الفتاوى: ٤٧٢/٧ - ٤٧٨.

(٢) انظر: فتح الباري: ٧٩/١، ١١٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٥٨/٧ - ٣٥٩، ٣٦٨.

(٤) سورة المائدة/٣.

(٥) سورة الأنعام / ١٢٥.

(٦) سورة الذاريات/٣٦.

(٧) انظر: الإيمان: ٣٢١/١.

(٨) انظر: فتح الباري: ٧٩/١، الإيمان لابن مندة: ٣٢٢/١ - ٣٢٣.

(٩) سورة الحجرات/١٤.

هذا بأن معنى الآية : ﴿ قولوا أسلمنا ﴾ انقذنا بظواهرنا ، فهم منافقون في الحقيقة ، وهذا أحد قولى المفسرين في هذه الآية الكريمة . وأجيب بالقول الآخر ورجح ، وهو أنهم ليسوا بمؤمنين كاملى الإيمان لا أنهم منافقون كما نفى الإيمان عن القاتل ، والزانى ، والسارق ، ومن لا أمانة له . يؤيد هذا سياق الآية ، فإن السورة من أولها إلى هنا فى النهى عن المعاصى ، وأحكام بعض العصاة ، ونحو ذلك ، وليس فيها ذكر المنافقين . ثم قال بعد ذلك : ﴿ وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا ﴾ ^(١) ولو كانوا منافقين ما نفعتم الطاعة ، ثم قال : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ ^(٢) الآية ، يعنى - والله أعلم - أن المؤمنى الكاملى الإيمان ، هم هؤلاء ، لا أنتم بل أنتم منتف عنكم الإيمان الكامل ، يؤيد هذا : أنه أمرهم ، أو أذن لهم أن يقولوا : أسلمنا ، والمنافق لا يقال له ذلك ، ولو كانوا منافقين لنفى عنهم الإسلام ، كما نفى عنهم الإيمان ، ونهاهم أن يمينوا باسلامهم فأثبت لهم إسلاما ونهاهم أن يمينوا به على رسوله ، ولو لم يكن إسلاما صحيحا لقال : لم تسلموا ، بل أنتم كاذبون ، كما كذبهم فى قولهم : ﴿ نشهد إنك لرسول الله ﴾ ^(٣) ^(٤) . اهـ .

وهناك رأى ثالث فى المسألة وهو القول بالتلازم بينهما مع افتراقهما فمتى قرن الإسلام والإيمان كان المراد بالإسلام الأعمال الظاهرة والمراد بالإيمان أعمال القلب - وهذا يدل عليه حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « يا محمد أخبرنى عن الإسلام فقال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال صدقت . قال فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال فأخبرنى عن الإيمان : قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال : صدقت ... الحديث ^(٥) وإن ذكر أحدهما شمل الآخر . وهو ما يدل عليه حديث وفد عبد القيس حيث فسر الإيمان

(١) سورة الحجرات / ١٤ .

(٢) سورة المنافقون / ١ .

(٣) الحجرات / ١٥ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٩٢ - ٣٩٣ .

(٥) رواه مسلم : ٣٦/١ - ٣٧ واللفظ له من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ورواه

البخارى : ١١٤/١ ومسلم : ٣٩/١ من حدث أبى هريرة رضى الله عنه .

بما فسر به الإسلام في حديث جبريل حيث قال عليه الصلاة والسلام لهم :
« أتدرون ما الإيمان بالله وحده » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « شهادة
أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان
وأن تعطوا من المغنم الخمس ... » الحديث^(١) .

والقول الأخير هو الراجح ، ومن عبارات السلف في هذا المعنى قولهم « كل
مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن » . ولكن لا بد للمسلم من إيمان يصح به
إسلامه حتى لا يكون منافقاً .

والقول بالتلازم بين الإسلام والإيمان ارتضاه كثير من العلماء ورجحوه
لما فيه من الجمع بين الأدلة^(٢) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر جملة من كلام محمد بن نصر
المروزي - وهو من القائلين بالترادف كما مر معنا : « مقصود محمد بن نصر
المروزي - رحمه الله - : أن المسلم المدوح هو المؤمن المدوح ، وأن المذموم
ناقص الإسلام والإيمان ، وأن كل مؤمن فهو مسلم ، وكل مسلم لا بد أن يكون
معه إيمان ، وهذا صحيح ، وهو متفق عليه ، ومقصوده أيضاً ، أن من أطلق
عليه الإسلام أطلق عليه الإيمان ، وهذا فيه نزاع لفظي ، ومقصوده أن مسمى
أحدهما هو مسمى الآخر ، وهذا لا يعرف عن أحد من السلف وإن قيل هما
متلازمان . فالتلازمان لا يجب أن يكون مسمى هذا هو مسمى هذا ، وهو
لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام المشهورين
أنه قال : مسمى الإسلام هو مسمى الإيمان كما نصر ... فإذا قيل إن الإسلام
والإيمان التام متلازمان لم يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر كالروح والبدن ،
فلا يوجد عندنا روح إلا مع البدن ، ولا يوجد بدن حياً إلا مع الروح وليس
أحدهما الآخر ، فالإيمان كالروح ، فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن ، والإسلام
كالبدن ولا يكون البدن حياً إلا مع الروح بمعنى أنهما متلازمان لا أن مسمى
أحدهما هو مسمى الآخر^(٣) . اهـ .

(١) رواه البخاري : ١٢٩/١ ، ومسلم : ٤٦/١ من حديث ابن عباس وهذا لفظ البخاري .

(٢) انظر : شرح السنة للبخاري : ١٠/١ - ١١ ، مسلم بشرح النووي : ١٤٧/١ - ١٤٨ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٣٦٥/٧ - ٣٦٧ .

قول الإمام أحمد في الاستثناء في الإيمان

قال أبو بكر الخلال :

٥٣ - أخبرني محمد بن الحسن بن هارون^(١) قال : سألت أبا عبد الله عن الاستثناء في الإيمان فقال : نعم الاستثناء على غير معنى الشك مخافة واحتياطا للعمل^(٢)

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانيء :

٥٤ - وسمعت يقول : أذهب إلى حديث ابن مسعود^(٣) في الاستثناء في الإيمان لأن الإيمان قول والعمل الفعل فقد جئنا بالقول ونخشى أن نكون قد فرطنا في العمل ، فيعجبني أن نستثنى في الإيمان نقول : أنا مؤمن إن شاء الله تعالى^(٤)

نقل عن الإمام أحمد روايات بهذا المعنى .

٥٥ - أبو داود قال : (سمعت) أحمد قال : أليس الإيمان قول وعمل ؟ فقال الرجل : بلى . قال : فجئنا بالقول . قال : نعم . قال : فجئنا بالعمل . قال : لا . قال فكيف تعيب أن نقول إن شاء الله ونستثنى^(٥) .

(١) ابن بدينا ، أبو جعفر الموصلي ، مثل الدارقطني عنه فقال : لا بأس به ما علمت إلا خيرا .
ت/بغداد ١٩١/٢ .

(٢) السنة (ق : ١٠٠/أ) .

(٣) وهو قوله : « من شهد أنه مؤمن فليشهد أنه من أهل الجنة » . أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ص : ٩٥ . بسند صحيح . وأخرج نحوه عن ابن مسعود : ابن أبي شيبة في الإيمان ص : ٩ ، وأبو عبيد في الإيمان ص : ١٧ بأسانيد صحيحة .

(٤) مسائل ابن هانيء^٤ : ١٦٢/٢ ، وأخرجه الخلال في السنة (ق : ١٠١/ب) .

(٥) مسائل أبي داود (ظ ، ص : ٢٥١ وفي المطبوع ص : ٢٧٣) .

٥٦ - ابن هانيء قال : سألت أبا عبد الله عن الاستثناء في الإيمان فقال :
الاستثناء في العمل لعلنا أن نكون قد قصرنا والقول هو ذا يجيء به^(١) .

٥٧ - حرب الكرماني قال : سئل ما تقول في الاستثناء قال : نحن
نذهب إليه . قيل الرجل يقول : أنا مؤمن أنشاء الله ؟ قال : نعم^(٢) .

٥٨ - حبيش بن سندی^(٣) قال : قيل له : فيستثنى في الإيمان ؟ قال :
نعم أقول : أنا مؤمن إن شاء الله استثنى على اليقين لا على الشك^(٤) .

٥٩ - أبو طالب^(٥) قال : قال أحمد إذا قال أنا مؤمن فقد جاء بالقول .
فإنما الاستثناء بالعمل لا بالقول^(٦) .

٦٠ - عبد الملك الميموني : أنه سأل أبا عبد الله عن الاستثناء فأجاب :
أقول أنا مؤمن إن شاء الله ومؤمن أرجو لأنه لا يدري كيف آداؤه للأعمال
على ما افترض عليه أم لا .

٦١ - أبو بكر بن حماد المقرئ^(٧) قال : قال أبو عبد الله : لو كان
القول كما تقول المرجحة إن الإيمان قول ثم استثنى بعد على القول لكان هذا قبيحا
أن نقول : لا إله إلا الله إن شاء الله ولكن الاستثناء على العمل^(٨) .

(١) مسائل ابن هانيء : ١٦١/٢ .

(٢) السنة للخلال (ق ١٠٠/أ) .

(٣) قال عنه أبو بكر الخلال : من كبار أصحاب أبي عبد الله . كان رجلا جليلا القدر جدا . وعنده
عن أبي عبد الله جران مسائل مشبعة حسان جدا ، يغرب فيها على أصحاب أبي عبد الله وهو رجل
كثير العلم . طبقات الحنابلة : ١٤٦/١ ، ت/بغداد : ٢٧٢/٨ .

(٤) السنة للخلال (ق ١٠٠/ب) .

(٥) هو : أحمد بن حميد المشكالي ، المتخصص بصحبة أحمد روى عنه مسائل كثيرة وكان أحمد يكرمه
ويعظمه ، توفي سنة أربع وأربعين ومئتين . انظر : تاريخ بغداد : ١٢٢/٤ ، طبقات الحنابلة : ٣٩/١ .

(٦) السنة للخلال (ق ١٠١/أ) .

(٧) هو : محمد بن حماد بن بكر بن حماد . قال عنه أبو بكر الخلال : كان عالما بالقرآن وأسبابه . وكان
أحمد يصل خلفه في شهر رمضان وغيره نقل عن أبي عبد الله مسائل جماعة ، لم يجيء بها أحد غيره .
طبقات الحنابلة : ٢٩١/١ .

(٨) السنة للخلال (ق ١٠١/ب) .

٦٢ - أبو بكر الأثرم قال : سمعت أبا عبد الله يسأل عن الاستثناء فقال : إذا كان يقول إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فاستثنى مخافة واحتياطاً ليس كما يقولون على الشك إنما يستثنى للعمل . وقال : قلت لأبي عبد الله فأنت بأى شيء تقول . فقال : نحن نذهب إلى الاستثناء^(١) .

التعليق :

من الروايات السابقة عن الإمام أحمد يتضح تأييده الشديد للاستثناء في الإيمان وهو مذهب عامة السلف .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « فكللام أحمد يدل على أن الاستثناء لأجل العمل وأنه لغير شك في الأصل »^(٢) . اهـ

وفي موضع آخر يقول : « إن الإيمان المطلق ، يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله ، وترك المحرمات كلها ، فإذا قال الرجل : أنا مؤمن بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه ، بأنه من الأبرار المتقين ، القائمين بفعل جميع ما أمروا به ، وترك كل ما نهوا عنه ، فيكون من أولياء الله ، وهذا من تزكية الإنسان لنفسه وشهادته لنفسه ، بما لا يعلم ، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة ، لكان ينبغي له أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال ، ولا أحد يشهد لنفسه بالجنة ، فشهادته لنفسه بالإيمان كشهادته لنفسه بالجنة إذا مات على هذه الحال وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون ، وإن جوزوا ترك الاستثناء بمعنى آخر^(٣) . اهـ

وقد ذكر الآجروى نحو ما تقدم ثم قال : « هذا طريق الصحابة رضی الله عنهم ، والتابعين لهم بإحسان . عندهم أن الاستثناء في الأعمال لا يكون في القول والتصديق بالقلب وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان ،

(١) أخرجها ابن بطّة في الإبانة الكبرى : ٧٦٠/٢ . ونقلها ابن تيمية من كتاب السنة للأثرم . انظر :

الإيمان ص : ٢٤١/٢٤٠ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٦٦٩/٧ . وانظر : الإيمان له ص : ٤٣٠، ٤٣٢ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٤٤٦/٧ .

والناس عندهم على الظاهر مؤمنون به يتوارثون به ويتناحون وبه تجرى أحكام ملة الإسلام لكن الاستثناء منهم على حسب ما بيناه لك وبينه العلماء قبلنا^(١) اهـ

قول الإمام أحمد فيمن ترك الاستثناء في الإيمان

قال أبو بكر الخلال :

٦٣ - أخبرني محمد بن علي قال : ثنا أبو بكر الأثرم قال : قلت : لأبي عبد الله يعني لما قال الاستثناء مخافة واحتياطاً - فقلت له : فكأنك لا ترى بأساً أن لا يستثنى ؟ فقال : إذا كان ممن يقول : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فهو أسهل عندي ، ثم قال أبو عبد الله : إن قوما تضعف قلوبهم عن الاستثناء كالتعجب منهم^(٢) .

ونقل عن الإمام أحمد روايات بهذا المعنى :

٦٤ - ابنه عبد الله قال : سألت أبي عن رجل يقول : الإيمان قول وعمل ولكن لا يستثنى أمرجى ؟ قال : أرجو أن لا يكون مرجحاً^(٣) .

٦٥ - حبيش بن سندی قال : دخل عليه شيخ فقال له : أقول مؤمن إن شاء الله ؟ قال : نعم . فقال له : إنهم يقولون لي إنك شاك قال : بئس ما قالوا : ثم خرج فقال : ردوه ، فقال أليس يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ؟ قال : نعم . قال : هؤلاء مستثنون قال كيف يا أبا عبد الله قال : قل لهم زعمتم أن الإيمان قول وعمل فالقول قد أتيتم به والعمل لم تأتوا به فهذا الاستثناء لهذا العمل^(٤) .

(١) الشريعة ص : ١٣٦ .

(٢) السنة للخلال (ق ١٠١/أ) وذكرها ابن تيمية في الإيمان ص : ٢٤١ نقلاً من كتاب السنة للأثرم .

(٣) السنة له (ق ٣٦/أ) ظ وفي المطبوع ص : (٨١)

(٤) السنة للخلال (ق ١٠٠/ب) .

وقال أبو داود :

٦٦ - سمعت أحمد وقال له « رجل ^(١) » : أعلّى في هذا شيء إن قلت أنا مؤمن فقال أحمد لا تقل أنا مؤمن حقا ولا البتة ولا عند الله ^(٢) .

* ونقل عنه زوايات بهذا المعنى :

٦٧ - أبو داود أيضا قال : سمعت أحمد قال له رجل قيل لي : أمؤمن أنت : فقلت : نعم ، هل علّى في ذلك شيء ؟ هل الناس إلا مؤمن وكافر ؟ فغضب أحمد وقال هذا كلام الإرجاء ^(٣) .

٦٨ - أبو طالب قال : سمعت أبا عبد الله يقول : لا نجد بدا من الاستثناء لأنه إذا قال أنا مؤمن فقد جاء بالقول فإنما الاستثناء بالعمل لا بالقول ^(٤) .

٦٩ - زياد بن أيوب ^(٥) قال : سمعت أحمد يقول : لا يعجبنا أن نقول حقا ولا نكفر من قاله ^(٦) .

٧٠ - أحمد بن القاسم : أنه قال لأبي عبد الله : يروى عن الأوزاعي أنه قال : الاستثناء وترك الاستثناء سواء كما قال الله عز وجل ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ﴾ فهذا ليس على شك فلم أره يعجبه ترك الاستثناء ورأيته أكثر عنده ^(٧) .

(١) في الأصل : (قال له هذا الرجل) لعلاقته بكلام سابق .

(٢) مسائل أبي داود ط، ص : ٢٥٧ وفي المطبوع ص : ٢٧٤ .

(٣) المصدر نفسه ط، ص : ٢٥٦ وفي المطبوع ص : ٢٧٣ .

(٤) السنة للخلال (ق ١/١٠١) .

(٥) هو : زياد بن أيوب بن زياد البغدادي ، أبو هاشم الطوسي ، يلقب : دلويه ، ولقبه أحمد : شعبة الصغير ، ثقة حافظ ، توفي سنة اثنين وخمسين ومئتين تاريخ بغداد : ٤٧٩/٨ ، طبقات الخنابلة : ١٥٦/١ ، تقريب : ٢٦٥/١ ، المنهج الأحمد : ١٩٧/١ .

(٦) السنة للخلال (ق ١/٩٤) .

(٧) السنة للخلال (ق ١/١٠١) .

٧١ - الحسين بن منصور^(١) قال : قال لي أحمد بن حنبل : من قال من العلماء أنا مؤمن قلت : لا أعلم رجلاً أثق به ، قال : لم تقل شيئاً لم يقله أحد من أهل العلم قبلنا^(٢) .

٧٢ - إسماعيل الشالنجي قال : سألت أحمد : من قال : أنا مؤمن عند نفسي من طريق الأحكام والمواريث ولا أعلم ما أنا عند الله عز وجل قال : ليس هذا بمرجىء^(٣) .

التعليق :

يتضح مما سقته من روايات عن الإمام أحمد استحبابه للاستثناء في الإيمان وعدم تركه ، والمرجئة والجهمية ومن سار على منهجهم يحرمون الاستثناء في الإيمان وينكرون على من استثنى ويتهمونهُ بالشك في إيمانه . وتحريمهم للاستثناء جاء اعتماداً على رأيهم في الإيمان وأنه شيء واحد لا تعدد فيه^(٤) .

لذلك نجد الإمام أحمد يرد هذا القول ويبين أن الاستثناء لا يعود إلى أصل الإيمان وإنما هو عائد إلى فرعه الذي هو العمل ، ومن أجل هذا نجد أن السلف أجازوا ترك الاستثناء نسبة إلى أصل الإيمان . فاستثنأؤهم إنما كان خوفاً من تركية النفس واحتياطاً للعمل أما تركه على اعتبار ما يعلمه المسلم من نفسه بأنه غير كافر فهو جائز ومن يرى وجوب الاستثناء في الإيمان فحجته : أن الإيمان هو ما يموت عليه صاحبه والكفر كذلك والإنسان لا يدرى على ماذا يموت^(٥) .

(١) هو : الحسين بن منصور بن جعفر بن عبد الله السلمي ، أبو علي النيسابوري ثقة فقيه ، توفي سنة ثمان وثلاثين ومئتين . تقريب : ١٨٠/١ .

(٢) السنة للخلال : (ق ٩٣/ب) .

(٣) نفس المصدر : (ق ٩٥/أ) .

(٤) انظر : أصول الدين للبغدادي ص ٢٥٣ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٩٥ - ٣٩٨ ، مجموع

الفتاوى : ٢٥٣/٧ ، ٤٢٩ - ٤٤٧ ، ٦٦٦ .

(٥) انظر : الإيمان لابن تيمية ص : ٤١٩ .

ذكر بعض ما احتج به الإمام أحمد في الاستثناء في الإيمان

قال أبو بكر الخلال :

٧٣ - أخبرني محمد بن أبي هارون^(١) أن حبيش بن سندی حدثهم في هذه المسألة قال أبو عبد الله : قول النبي صلى الله عليه وسلم حين وقف على المقابر فقال وإنما إن شاء الله بكم لاحقون^(٢) . وقد نعت إليه نفسه أنه صائر إلى الموت . وفي قصة صاحب القبر: «عليه حيبت وعليه تبعث إن شاء الله»^(٣) وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم : إني اختبأت دعوتي وهي نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئا^(٤) وفي مسألة الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: أهدنا يصبح جنبنا يصوم .. فقال: «والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله»^(٥) وهذا كثير وأشباهه على اليقين ... ثم قال : قال الله عز وجل ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ﴾^(٦) فقد علم تبارك وتعالى أنهم داخلون المسجد الحرام^(٧) . اهـ .

٧٤ - ونقل استشهاده بهذه الآية أيضا : محمد بن الحسن بن هارون و حرب الكرماني وقال في رواية حرب : لأنه لا بد داخلوه^(٨) ونحو ما تقدم نقل عن أبي عبد الله أبو بكر الأثرم^(٩) والفضل بن زياد^(١٠) .

(١) هو محمد بن موسى تقدم ، انظر ص : ١٥ .

(٢) أخرجه مسلم : ٦٦٩/٢ ح ٩٧٤ من حديث عائشة رضی الله عنها ، وأخرجه أيضا من حديث أبي هريرة : ٢١٨/١ ح : ٢٤٩ ، وكذا أحمد ١٨٠/٦ ، والنسائي ٩٤/١ ، وأخرجه مسلم : ٦٧١/٢ ح : ٩٧٥ ، والنسائي ٩٤/٤ من حديث بريدة بن الحصيب .

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٤٢٦/٢ - وغيره - من حديث أبي هريرة .

(٤) أخرجه مسلم : ١٨٨/١ ح : ٣٣٤ ، ١٨٩/١ ح : ٣٣٥ من حديث أبي هريرة .

(٥) أخرجه مسلم ٧٨١/٢ من حديث عائشة رضی الله عنها .

(٦) سورة الفتح /آية ٢٧ .

(٧) السنة للخلال (ق ١٠٠) .

(٨) السنة للخلال (ق ١٠٠) .

(٩) نقلها ابن تيمية في الإيمان ص : ٢٤١ من كتاب السنة للأثرم .

(١٠) انظر : الإبانة الكبرى لابن بطة : ٧٥٩/٢ .

٧٥ - وفي رواية أخرى قال أبو بكر الأثرم : ثنا أبو عبد الله بحديث عائشة : إني لأرجو ... فقال هذا أيضا أى هو حجة في الاستثناء في الإيمان أى أنه قد قال : « أرجو » وهو أخشاهم^(١) .

٧٦ - ونقل حرب عن أحمد في الحديث السابق « ولإنا إن شاء الله بكم لاحقون » قال أحمد : هذا حجة الاستثناء في الإيمان^(٢) .

٧٧ - وقال عبد الله بن أحمد : سمعت أبا يعقوب : الحجة على من لا يستثنى .. فذكر الحديث الآنف الذكر^(٣)^(٤) .

قول الإمام أحمد فيمن يسأل أمؤمن أنت

قال أبو بكر الخلال :-

٧٨ - أخبرني أحمد بن أصرم المزني^(٥) أن أبا عبد الله قيل له : إذا سألتني الرجل أمؤمن أنت قال : سؤاله إياك بدعة لا يشك في إيمانك أو قال لا نشك في إيماننا وقال المزني : وحفظي أن أبا عبد الله قال : أقول كما قال طاووس^(٦) :
أمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله^(٧) .

* بنحو هذا أجاب في رواية :

٧٩ - يوسف بن موسى قال : سئل عن الرجل يقال له أمؤمن أنت قال : سؤاله إياك بدعة يقول : إن شاء الله .

(١) السنة للخلال (ق ١٠٠) .

(٢) نفس المصدر .

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد (ق ٣٦ ، ظ . وفي المطبوع ص : ٨٢) .

(٤) الإمام أحمد استدل بالكتاب والسنة على جواز الاستثناء في الإيمان وبين وجه الدلالة على ما استشهد به من الآيات والأحاديث ، وبالله التوفيق .

(٥) قال عنه أبو بكر الخلال : ثقة . تاريخ بغداد ٤/٤٤٤ .

(٦) هو : طاووس بن كيسان اليماني ، ثقة ، فقيه فاضل ، توفي سنة ست ومئة ، تقريبا : ٣٧٧/١ .

(٧) السنة (ق ١٠٢ / أ) . ورواه الإمام أحمد بسنده عن طاووس . انظر : السنة لعبد الله بن أحمد

ص : ٨٨ .

٨٠ - أحمد بن الحسن : أنه سأل أبا عبد الله يقول لي : أنت مؤمن فقال
سؤاله إياك بدعة، وقال أنا مؤمن أرجو. قلت أقول إن شاء الله ؟ قال: إن قلت
إن شاء الله أرجو .

٨١ - إسماعيل بن إسحاق^(١) : أن أبا عبد الله سئل عن الرجل يسألني
مؤمن أنت . قال : تقول : نعم إن شاء الله^(٢) .

٨٢ - حنبل بن إسحاق قال : قيل له : فإذا قال الرجل : أمؤمن أنت ؟
قال : هذا بدعة . قيل فما يرد عليه ؟ قال : يقول مؤمن إن شاء الله^(٣) .

التعليق :

أكتفى بما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حول هذه المسألة إذ يقول : « وقد
كان أحمد وغيره من السلف مع هذا يكرهون سؤال الرجل لغيره أمؤمن أنت ،
ويكرهون الجواب لأن هذه بدعة أحدثها المرجئة ليحتجوا بها لقولهم فإن الرجل
يعلم من نفسه أنه ليس بكافر ، بل يجد قلبه مصدقا بما جاء به الرسول فيقول :
أنا مؤمن فيثبت أن الإيمان هو التصديق لأنك تجزم بأنك مؤمن ، ولا تجزم بأنك
فعلت كل ما أمرت به ، فلما علم السلف مقصدهم ، صاروا يكرهون الجواب ،
أو يفصلون في الجواب ، وهذا لأن لفظ « الإيمان » فيه إطلاق وتقييد ، فكانوا
يجيبون بالإيمان المقيد الذي لا يستلزم أنه شاهد فيه لنفسه بالكمال ، ولهذا كان
الصحيح أنه يجوز أن يقال : أنا مؤمن إذا أراد ذلك لكن ينبغي أن يقرن كلامه
بما يبين أنه لم يرد الإيمان المطلق الكامل ، ولهذا كان أحمد يكره أن يجيب على
المطلق بلا استثناء يقدمه^(٤) .

(١) هو إسماعيل بن إسحاق الثقفي . كان له اختصاص بأحمد . قال عنه الدارقطني : ثقة ، تاريخ بغداد :

٢٩٣/٦ ، طبقات الحنابلة : ١٠٣/١ .

(٢) انظر السنة للخلال (ق ١٠٢/أ) .

(٣) شرح اعتقاد الإمام أحمد لابن شكر ص : ١٣ .

(٤) مجموع الفتاوى : ٤٤٨/٧ - ٤٤٩ .

قول الإمام أحمد في الفاسق الملي

قال أبو بكر الخلال :

٨٣ - أخبرني موسى بن سهل^(١) قال : ثنا محمد بن أحمد الأسدي^(٢) قال : ثنا إبراهيم بن يعقوب^(٣) عن إسماعيل بن سعيد^(٤) قال : سألت أحمد عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا »^(٥) قال : على التأكيد والتشديد ولا أكفر أحدا إلا بترك الصلاة^(٦) .

* ونقل نحو هذا عن أحمد :

٨٤ - أبو داود قال : سمعت أحمد يقول : « إذا قال الرجل لا أصلي فهو كافر »^(٧) .

٨٥ - ابن هانيء قال : « حضرت رجلا عند أبي عبد الله ، وهو يسأله فجعل الرجل يقول : وأن لا يكفر أحد بذنب ؟ قال أبو عبد الله : اسكت من ترك الصلاة فقد كفر »^(٨) .

(١)، (٢) لم أتمكن من تحديدهما .

(٣) هو : إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، ثقة حافظ رُمي بالنصب . قال أبو بكر الخلال : كان أحمد يكتبه ويكرمه وعنده عن أبي عبد الله مسائل .

طبقات الحنابلة : ٩٨/١ ، تقريب : ٤٦/١ .

(٤) هو : الشالنجي .

(٥) رواه مسلم : ٩٩/١ وأبو داود : ٧٣٢/٣ والترمذي : ٦٠٦/٣ وابن ماجه : ٧٤٩/٢ من حديث أبي هريرة . ورواه أحمد : ٥٠/٢ ، ٤١٧ ، ٤٦٦ من حديث أبي هريرة وغيره .

(٦) السنة (ق ٩٦/ب) .

(٧) مسائل أبي داود (ظ ص : ٢٥٥ وفي المطبوع ص : ٢٧٢) .

(٨) مسائل ابن هانيء : ١٥٦/٢ .

٨٦ - حنبل بن إسحاق قال : قال أبو عبد الله : « لم نسمع في شيء من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة »^(١) .

٨٧ - عبدوس بن مالك قال : سمعت أحمد يقول : « ومن ترك الصلاة فقد كفر ، وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة » . وفي موضع آخر : « ... ومن لقيه مصرا غير تائب من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له »^(٢) .

٨٨ - مسدد بن مسرهد : كتب له أحمد : ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرج من الإسلام شيء إلا الشرك بالله العظيم أو يرد فريضة من فرائض الله عز وجل جاحدا بها فإن تركها تكاسلا أو تهاونا كان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه^(٣) .

٨٩ - محمد بن عوف الطائي قال : أملى عليّ أحمد : ومن لقيه مصرا غير تائب من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة؛ فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، إذا توفي على الإسلام والسنة^(٤) .

٩٠ - الحسن بن إسماعيل الربيعي قال : قال لي أحمد : وأن لا تكفر أحدا من أهل التوحيد وإن عملوا الكبائر^(٥) .

٩١ - محمد بن حبيب الأندرائي قال : سمعت أحمد يقول : صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة ... ولم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب وإرجاء ما غاب عنه من الأمور إلى الله عز وجل وفوض أمره إلى الله تعالى ولم يقطع بالذنوب العصمة من عند الله^(٦) .

(١) أحكام أهل الملل للخلال ص : ٢٠٩ .

(٢) انظر : رسالة عبدوس بن مالك عن الإمام أحمد ق ٤ ، ٥ ، طبقات الحنابلة : ٢٤٣/١ ، ٢٤٥ .

(٣) رسالة مسدد بن مسرهد ، طبقات الحنابلة : ٣٤٣/١ .

(٤) طبقات الحنابلة : ٣١١/١ .

(٥) طبقات الحنابلة : ١٣٠/١ - ١٣١ .

(٦) المصدر السابق : ٢٩٤/١ .

٩٢ - أحمد بن جعفر الإصطخري قال : قال أحمد : والكف عن أهل القبلة ولا تكفر أحدا منهم بذنوب ولا تخرجهم عن الإسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك حديث فيروى الحديث كما جاء وكما روى نصدقه ونقبله ونعلم أنه كما روى نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج عن الإسلام فاتبع الأثر في ذلك ولا تجاوزه^(١) .

فهذه روايات صريحة عن الإمام أحمد توضح موقفه من الفاسق الملى، ونقل عنه ما يؤكد ما ذكرته عنه .

٩٣ - محمد بن حبيب قال : سمعت أحمد يقول : والإيمان بأن الموحدين يخرجون من النار بعدما امتحشوا كما جاءت الأحاديث في هذه الأشياء عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي موضع آخر ورجا لمحسن أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتخوف على مسيئهم . ولم ينزل أحدا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الجنة بالإحسان ولا النار بالذنب اكتسبه حتى يكون الله تعالى هو الذى ينزل خلقه حيث يشاء^(٢) .

٩٤ - عبدوس بن مالك قال : سمعت أحمد يقول : ويقوم يخرجون من النار بعد ما احترقوا وصاروا فحما فيؤمر بهم إلى نهر على باب الجنة كما جاء الأثر كيف شاء وكما شاء . إنما هو الإيمان والتصديق . وفي موضع آخر : ولا نشهد على أحد من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار ونرجو للصالح وتخاف عليه وتخاف على المسيء المذنب ونرجو له . ويقول أيضا : ومن مات من أهل القبلة موحدا يصلى عليه ويستغفر له ولا يحجب عنه الاستغفار ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيرا كان أو كبيرا أمره إلى الله تعالى^(٣) .

٩٥ - مسدد بن مسرهد : كتب أحمد : والصلاة على من مات من أهل القبلة وحسابهم على الله عز وجل^(٤) .

(١) المصدر السابق : ٢٧/١ ، وانظر : كتاب السنة لأحمد ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٦ .
 (٢) وانظر : قول الإمام أحمد في تارك الصلاة ص : ٣٦/٢ .
 (٣) طبقات الخنابلة : ٢٩٥/١ .
 (٤) رسالة عبدوس ق ١ ، ٦ ، والطبقات : ٢٤٣/١ ، ٢٤٦ .
 طبقات الخنابلة : ٣٤٤/١ .

٩٦ - الحسن بن إسماعيل الربيعي قال : قال لي أحمد : والصلاة على من مات من أهل القبلة^(١) .

٩٧ - محمد بن عوف الطائي قال : ولا تنزل أحدا من أهل القبلة جنة ولا ناراً إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) .

التعليق :

الإمام أحمد يرى أن الفاسق الملى مؤمن ناقص الإيمان ، فهو لا يسلبه الإيمان بالكلية ولا يعطيه صفة الإيمان المطلق . وهذا واضح مما تقدم عنه من روايات كما أن الروايات السابقة عنه في زيادة الإيمان ونقصانه تشير إلى هذا ففى : رواية المروذى - مثلاً - يقول : الإيمان قول وعمل ، الزيادة فى العمل (والنقصان) إذا سرق وزنى ، وفى رواية حنبل بن إسحاق : قلت لأبى عبد الله : إذا أصاب الرجل ذنباً من زنا أو سرقة يزياله إيمانه ؟ قال : هو ناقص الإيمان ... وفى رواية أحمد ابن القاسم قلت : يا أبا عبد الله تقول الإيمان يزيد وينقص قال : نعم . قلت : فيكون ذلك من هذا المعنى أن يكون الرجل إذا أتى هذه الأشياء التى نهى عنها يكون أنقص ممن لم يفعلها ويكون هذا أكثر إيماناً منه ؟ قال : نعم يكون الإيمان : بعضه أكثر من بعض هكذا هو^(٣) .

ومن المعلوم أن نقصان الإيمان إنما هو نتيجة لترك الواجبات واقتراف المنهيات ، والإمام أحمد وصف من هذا شأنه بنقص الإيمان ولم يسلبه اسم الإيمان بالكلية هذا بالنسبة إلى التسمية ، أما بالنسبة للحكم فى الآخرة فهو يرى أنه واقع تحت مشيئة الله عز وجل إن شاء غفر له ابتداءً وإن شاء عذبه . ثم لا بد له من الخروج من النار - بعد أن يلبث فيها ما شاء الله - ويدخل الجنة^(٤) .

(١) طبقات الخنابلة : ١٣٠/١ .

(٢) المصدر نفسه : ٣١٢/١ .

(٣) انظر : هذه الروايات ص : ٤٠ .

(٤) تقدم من الأحاديث ما يدل على ذلك ص : ٤٩ . وانظر : قول الإمام أحمد فى الشفاعة ص : ٧١١ ،

وقول الإمام أحمد فى خروج الموحدين من النار ص : ٧١٥ .

وهذا هو مذهب السلف في التسمية والحكم . وهذا ما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن ظهر الخوارج وأظهروا معهم معتقداتهم الفاسدة التي منها تكفير مرتكب الكبيرة^(١) - وهو قول جمهورهم - ومنهم من يكفر بالذنوب عامة صغيرها وكبيرها^(٢) مع الإصرار عليها وعلى التقيض من ذلك ما قاله غلاة المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فأتسبغوا على الفاسق المنحرف اسم الإيمان المطلق .

ونتيجة لهذا الوضع المتناقض ظهر المعتزلة ولم يذهبوا بعيدا عن الخوارج في مرتكب الكبيرة، فوافقوهم في الحكم وخالفوهم في التسمية فقالوا: هو في منزلة بين المنزلتين بين الكفر والإيمان لأمؤمن ولا كافر وكان هدفهم من وراء ذلك معاملتهم في الدنيا معاملة المسلمين في النكاح والميراث ونحو هذا بخلاف الخوارج الذين كفروه كفرا ينقله عن الملة وجعله معظمهم مباح الدم والمال والعرض .

والسلف رحمهم الله وفقهم الله عز وجل إلى الصواب - في هذه القضية العقيدية الخطيرة - فكان قولهم وسطا بين المرجئة من جهة والخوارج والمعتزلة من جهة أخرى فهم لم يصفوا الفاسق بالإيمان المطلق ، لأن هذا الوصف يترتب عليه دخول صاحبه الجنة ونجاته من النار ، والفاسق مستحق للوعد بما معه من إيمان وللوعيد لما اقترفه من المعاصي أو لما ترك من الواجبات قال جل ذكره ﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويفغر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾^(٣) والفاسق يخاطب باسم الإيمان أو الإسلام ويعامل معاملة المسلمين . لذلك قالوا : هو من حيث التسمية مؤمن ناقص الإيمان وبعضهم يقول : مؤمن بإيمانه فاسق

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين فهو كافر وأما الأعمال الأربعة فاحتلفوا في تكفير تاركها ، ونحن إذا قلنا أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنوب ، قائما بزهد المعاصي كالزنا والشرب ، وأما هذه المباحات ففى تكفير تاركها نزاع مشهور . اهـ . الإيمان ص : ٣٨٧ . وقد ساق ابن تيمية بعض الروايات عن أحمد في ذلك وسأذكرها جميعها عند الكلام عن قول الإمام أحمد في تارك الصلاة والزكاة والصيام والحج ص : ٣٤٢/٢ - ٥٢ .

(٢) انظر : الخلاف في ضابط الكبيرة والصغيرة : مسلم بشرح النووي : ٨٤/٢ - ٨٧ ، شرح العقيدة الطحاوية ص : ٤١٦ - ٤١٩ . مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٦٥٠/١١ - ٦٦٠ .

(٣) سورة النساء / ٤٨ ، ١١٦ .

بكبيرته ونحو هذا من العبارات المتحددة المدلول . أما من حيث الحكم في الآخرة فهم لم يتجرؤوا على الله عز وجل كما يفعل غيرهم ، وإنما فوضوا أمره إلى الله عز وجل إن شاء غفرله ابتداءً وإن شاء عذبه وإن عذب فلا بد له من الخروج من النار ودخول الجنة^(١) . وكما مر بنا في رواية محمد بن حبيب الأندرائي عن الإمام أحمد والتي فيها : ... ولم ينزل أحدا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الجنة بالإحسان ولا النار بالذنب اكتسبه حتى يكون الله تعالى هو الذي ينزل خلقه حيث يشاء . بقى أن نعرف أن موقف أهل السنة هذا مبني على الأسس المتينة والأدلة الشاملة لجميع زوايا الموضوع^(٢) فهم لم يأخذوا جوانب ويففلوا أخرى كما فعل طرفا النقيض : المرجئة ، والخوارج والمعتزلة .

فالمرجئة نظروا إلى النصوص التي تخاطب الفساق باسم الإيمان أو الإسلام فأعطوهم صفة الإيمان المطلق . وقالوا إن المعاصي مهما كانت لا تؤثر في إيمانه ولا تنقصه وهو من أهل الجنة . ولا يخفى الخطر العظيم والفساد الكبير الذي ينشأ عن هذا الاعتقاد الظاهر البطلان والذي يفتح الباب على مصرعيه لانتهاك حرمان الله عز وجل والانغماس في الرذائل واقتراف المعاصي والموبقات .

وآيات الوعيد التي جاءت في العصاة كثيرة جدا ومعروفة لا يجهلها أحد من تلك الآيات قول الله جل وعلا ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾^(٣) .

وروى البخاري^(٤) من حديث عبادة بن الصامت : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بيهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب

(١) انظر : عقيدة السلف لأبي عثمان الصابوني ١/١٢٤ ، والفتاوى لابن تيمية : ٧/٤٨١ - ٤٨٢ ،

(٢) فتح الباري : ١/٦٤ ، ٧٢ ، ٨٤ - ٨٥ ، ومسلم بشرح النووي : ٢/٤١ .

(٣) سورة النساء / ١٠ .

(٤) في الصحيح : ١/٦٤ .

من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه « فبايعناه على ذلك .

أما الخوارج والمعتزلة فقالوا : إن الله سبحانه وتعالى وصف المؤمن بالطاعة والاستقامة فمن لم يتحقق فيه هذه الصفة فهو خارج عن الإيمان بالكلية ، ولا يخفى فساد هذا المذهب أيضا وبعده عن الحق كسابقه فكلاهما فيه تجرؤ على الله عز وجل ، والخوارج والمعتزلة بقولهم هذا أقفلوا باب الرجاء وسعة رحمة الله في وجه العصاة والمذنبين مما ينتج عنه اليأس والقنوط من رحمة الله وعفوه ومغفرته .

والله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة خاطب الفساق والمذنبين باسم الإسلام أو الإيمان فقال جل وعلا ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ﴾ ^(١) الآية . وقد نزلت هذه الآية في شأن حاطب بن بلتعة لما حاول إخبار قريش بخروج النبي صلى الله عليه وسلم إليهم ^(٢) . وقال جل ذكره ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ ^(٣) الآية . فسماهم مؤمنين مع اقتتالهم .

مما تقدم يتضح ما سبق ذكره من أن أهل السنة أخذوا بجميع جوانب الموضوع ونظروا إلى النصوص مجتمعة ، وبنوا عليها حكمهم وهو الحق والصواب . والله تعالى أعلم .

مسألة في أحاديث الوعيد :

تقدم في رواية إسماعيل بن سعيد أنه سأل أحمد عن قول النبي صلى الله عليه وسلم « من غشنا فليس منا » فقال أحمد على التأكيد والتشديد . وسئل في رواية حرب الكرماني عن معنى الحديث فلم يجب فيه فقيل له إن قوما قالوا : من غشنا فليس مثلنا . فأنكره . وذكر عن عبد الرحمن بن مهدي

(١) سورة الممتحنة / ١

(٢) انظر : تفسير ابن كثير : ٣٦٧/٤ .

(٣) سورة الحجرات / ٩ .

قوله « لو أن رجلا عمل بكل حسنة أكان يكون مثل النبي صلى الله عليه وسلم »^(١) .

وفي رواية محمد بن الحكم الأحول قال - لما سئل عن الحديث : لا أدرى إلا على ما روى وذكر قول عبد الرحمن السابق^(٢) . ونحو ما تقدم في رواية حرب والأحول نقل أبو طالب عنه^(٣) . ومجمل الروايات عن أحمد تفيد توقعه عن التفسير وهو ما درج عليه بعض السلف في أحاديث الوعيد .

يقول ابن حجر : والأولى عند كثير من السلف إطلاق لفظ الخبر من غير تعرض لتأويله ليكون أبلغ في الزجر^(٤) . اهـ .

وإن كان البعض منهم قد تكلم في معناها . يقول أبو عبيد : وكذلك الأحاديث التي فيها البراءة فهي مثل قوله : من فعل كذا وكذا فليس منا لا نرى شيئا منها يكون معناه التبرؤ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من ملته ، وإنما مذهبه عندنا أنه ليس من المطيعين لنا ، ولا من المقتدين بنا ولا من المحافظين على شرائعنا^(٥) . اهـ . ونحو ذلك ذكر الخطابي^(٦) .

(١) السنة للخلال (ق : ٩٥/ب) وانظر : نفس المصدر(ق : ٩٦/أ) .

(٢) المصدر السابق (ق : ٩٦/ب) .

(٣) نفس المصدر (ق : ٩٦/أ) .

(٤) فتح الباري : ٢٤/١ .

(٥) الإيمان ص : ٩٢ - ٩٣ .

(٦) انظر : معالم السنن مع سنن أبي داود : ٧٣٢/٣ .

٢ - مسائل القدر

- قول الإمام أحمد في القدر . ص : ١٣٥ .
- ما أثر عن الإمام أحمد من وجوب الإيمان بالقدر . ص : ١٣٨ .
- قول الإمام أحمد في ذكر أول من تكلم في القدر . ص : ١٤١ .
- قول الإمام أحمد فيمن جحد العلم من القدرية . ص : ١٤٢ .
- قول الإمام أحمد في أفعال العباد . ص : ١٤٧ .
- قول الإمام أحمد في الجبرية . ص : ١٥٧ .
- ما أثر عن الإمام أحمد من وجوب الإيمان باللوح المحفوظ والقلم . ص : ١٦٢ .
- ما أثر عن الإمام أحمد في الصلاة خلف القدرية ومجادلتهم . ص : ١٦٧ .
- قول الإمام أحمد في من مات من أطفال المسلمين . ص : ١٧٠ .
- قول الإمام أحمد في من مات من أطفال المشركين . ص : ١٧٤ .
- قول الإمام أحمد في معنى حديث « كل مولود يولد على الفطرة » . ص : ١٨١ .

قول الإمام أحمد في القدر

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانيء :

٩٨ - سئل عن القدر فقال : القدر قدرة الله على العباد^(١) .

التعليق :

القدر : مصدر قدر يقدر قدرا . وقد تسكن داله^(٢) . والآيات المثبتة له كثيرة منها قول الله تعالى ﴿ وكل شيئا أحصيناه في إمام مبين ﴾^(٣) وقوله عز وجل ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾^(٤) وقوله جل ذكره ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ﴾^(٥) وقوله جل وعلا ﴿ وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾^(٦) وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾^(٧) وقوله تبارك وتعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد الله قلبه ﴾^(٨) .

وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصحيحة في إثبات القدر من الكثرة بمكان نذكر منها :

١ - ما أخرجه مسلم^(٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » .

(١) مسائل ابن هانيء : ١٥٥/٢ .

(٢) النهاية لابن الأثير : ٢٢/٤ .

(٣) سورة يس / ١٢ .

(٤) سورة القمر / ٤٩ .

(٥) سورة الحديد / ٢٢ .

(٦) سورة الأحزاب / ٣٨ .

(٧) سورة الفرقان / ٢ .

(٨) سورة التغابن / ١١ .

(٩) في الصحيح : ٢٠٤٤/٤ .

٢ - ما أخرجه البخارى^(١) ومسلم^(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه بالروح ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها . واللفظ لمسلم .

٣ - ما أخرجه مسلم^(٣) عن طاوس أنه قال : « أدركت ناساً من أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم يقولون : كل شيء بقدر » . قال : وسمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول صلى الله عليه وسلم : « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس . أو الكيس والعجز » .

٤ - ما أخرجه البخارى^(٤) ومسلم^(٥) من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : « كنا جلوساً مع النبى صلى الله عليه وسلم ومعه عود ينكت به في الأرض فنكس وقال : ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة . فقال رجل من القوم : ألا نتكل يا رسول الله . قال : لا . اعملوا فكل ميسر^(٦) ، ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ .

٥ - ما أخرجه الحاكم^(٧) من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمى رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله عز وجل

(١) في الصحيح : ٣٠٣/٦ ح : ٣٢٠٨ .

(٢) في الصحيح : ٢٠٣٦/٤ .

(٣) في الصحيح : ٢٠٤٥/٤ .

(٤) في الصحيح : ٤٩٤/١١ ح : ٦٦٠٥ .

(٥) في الصحيح : ٢٠٤٠/٤ .

(٦) استشهد به رواية حنبل بن إسحاق . انظر : السنة للخلال (ق : ٨٨/ب) .

(٧) في المستدرک : ٣١/١ .

خلق آدم ثم خلق الخلق من ظهره وقال : هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي . فقال قائل : يا رسول الله فعلى ماذا نعمل . قال : على مواقع القدر .

قال الحاكم : صحيح قد اتفقا على الاحتجاج برواته عن آخرهم إلى الصحابة ، وعبد الرحمن من الصحابة ، وأقره الذهبي .

وعزاه العراقي لأحمد وابن حبان . وقال : قال ابن عبد البر في الاستيعاب : إنه مضطرب الإسناد^(١) . اهـ .

قلت : وأخرج نحوه أحمد^(٢) عن معاذ بن جبل ، والترمذي^(٣) عن عبد الله ابن عمرو بن العاص يرفعانه . قال الترمذي : حسن غريب صحيح .

ونظائر ما أوردت كثير . ومن أراد الاستزادة فليراجع كتب الحديث ، أبواب القدر وكتب العقائد .

قال النووي بعد ذكره لبعض هذه الأحاديث وغيرها : « وفي هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر ، وأن جميع الواقعات بقضاء الله وقدره ، خيرها وشرها نفعها وضرها »^(٤) .

يقول ابن القيم رحمه الله : « وقال الإمام أحمد : القدر قدرة الله واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدا وقال : هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين وهو كما قال أبو الوفاء : فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الرب على خلق الأعمال وكتابتها وتقديرها »^(٥) . اهـ .

وروى الإمام أحمد بسنده عن قتادة قال : سألت ابن المسيب عن القدر فقال : ما قدر الله فهو قدر^(٦) .

(١) تخرج الإحياء : ٤٧/٣ .

(٢) في المسند : ٢٣٩/٥ .

(٣) في السنن : ٣٠٤/٣ .

(٤) مسلم بشرح النووي : ١٩٥/١٦ - ١٩٦ .

(٥) شفاء العليل ص : ٢٨ .

(٦) السنة لعبد الله بن أحمد ص : ١٣٣ .

وقال الخطابي : القدر اسم لما صدر مقدرًا عن فعل القادر^(١) . اهـ .
وكذا ذكر البيهقي^(٢) .

وقال النووي : القدر معناه : أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم
وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات
مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى^(٣) .

قال الطحاوي : وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك
ملك مقرب ولا نبي مرسل^(٤) .

ما أثر عن الإمام أحمد من وجوب الإيمان بالقدر

٩٩ - وقال^(٥) : حضرت رجلاً عند أبي عبد الله وهو يسأله ، فجعل
الرجل يقول : يا أبا عبد الله ، رأس الأمر وإجماع المسلمين على أن الإيمان بالقدر
خير من شره ، حله ومره ، والتسليم لأمره ، والرضا بقضائه ؟ فقال أبو عبد
الله : نعم^(٦) .

* نقل عن الإمام أحمد روايات بهذا المعنى :

١٠٠ - حنبل بن إسحاق قال : سألت أبا عبد الله عن الإيمان
بالقدر ؟ قال : تؤمن به ونعلم أن ما أصابنا لم يكن يخطئنا وما أخطأنا لم يكن
ليصيبنا^(٧) .

(١) انظر : معالم السنن مع سنن أبي داود : ٧٧/٥ .

(٢) انظر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص : ٨٣ .

(٣) مسلم بشرح النووي : ١٥٤/١ ، وانظر : أيضاً فتح الباري : ٤٧٧/١١ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٢٧٦ .

(٥) ابن هانئ^٤ .

(٦) مسائل ابن هانئ^٤ : ١٥٦/٢ .

(٧) السنة للخلال (ق) : ٨٧ / أ .

١٠١ - وفي رواية أخرى : فمن لم يؤمن بالقدر ورده فقد ضاد الله عز وجل في أمره ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به وجحد القرآن وما أنزل الله عز وجل^(١) .

وفي أخرى أيضاً قال : ليس شيء أشد على القدرية من قول الله عز وجل ﴿ وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ وقوله : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ وفي القرآن في غير موضع إثبات القدر لمن تفهمه وتدبره^(٢) .

١٠٢ - مسدد بن مسرهد : كتب له أحمد : وثؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره وحلوه ومره^(٣) .

١٠٣ - عبدوس بن مالك قال : سمعت أحمد يقول : الإيمان بالقدر خيره وشره والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها لا يقال : لم ولا كيف إنما هو التصديق والإيمان بها^(٤) .

١٠٤ - الحسن بن إسماعيل الربيعي قال : قال لي أحمد : الرضا بقضاء الله عز وجل والتسليم لأمره والصبر على حكمه والإيمان بالقدر خيره وشره^(٥) .

١٠٥ - محمد بن حبيب الأندراقي قال : سمعت أحمد يقول : وعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره والخير والشر جميعاً^(٦) .

١٠٦ - أحمد بن جعفر الإصطخري قال : قال لي أحمد : والقدر خيره وشره وقليله وكثيره وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحبوه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله قضاءً وقدرًا قدره عليهم لا يعدو واحد منهم مشيئة الله عز وجل ولا يجاوز قضاءه بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له واقعون فيما قدر عليهم لا محالة وهو عدل منه عز ربنا وجل^(٧) .

(١) نفس المصدر (ق : ٨٨ / ب) .

(٢) نفس المصدر (ق : ٨٦ / ب) .

(٣) طبقات الحنابلة : ٣٤٣/١ .

(٤) رسالة عبدوس (ق : ١ / ب) والطبقات : ٢٤١/١ .

(٥) طبقات الحنابلة : ١٣٠/١ .

(٦) المصدر السابق : ٢٩٤/١ .

(٧) المصدر السابق : ٢٥/١ ، وانظر : كتاب السنة لأحمد ضمن شذرات البلائين ص : ٤٤ .

١٠٧ - محمد بن عوف الطائي قال : أملى عليّ أحمد : والإيمان بالقدر خيره وشره^(١) .

التعليق :

الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان التي لا يتحقق إيمان عبد إلا بها . روى مسلم^(٢) عن يحيى بن يعمر قال : انطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر . فوفق لنا عبد الله ابن عمر بن الخطاب داخل المسجد فاكتفته أنا وصاحبي ، أحدنا عن يمينه وأحدنا عن شماله . فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ . فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم - وذكر من شأنهم - وأنهم يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أنف . قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني . والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم قال : حدثني أبي عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال : صدقت.... ثم قال لي : « يا عمر أتدرى من السائل » قلت الله ورسوله أعلم . قال : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » اهـ . وفي الإيمان بالقدر سعادة في الدنيا والآخرة فمتى علم العبد أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه اطمأن قلبه وتعلق بربه وصرف أمره إليه . هذا مع ما في الإيمان بالقدر من تحقيق العبودية لله تعالى واستشعار عظمته وقدرته جل وعلا .

(٢) في الصحيح : ٣٦/١ .

(١) طبقات المناجاة : ٣١٣/١ .

قول الإمام أحمد في ذكر أول من تكلم في القدر

قال أبو بكر الحلال :

١٠٨ - أخبرني أحمد بن محمد أبو حامد الوراق الطرسوسي^(١) :
قال : ثنا محمد بن حاتم بن نعيم المروزي^(٢) قال : ثنا علي بن سعيد^(٣) قال :
سمعت أحمد يقول : أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني^(٤) وسسلوا^(٥)
رجل من الأساورة^(٦) .

(١) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر .

(٢) ثقة ، تقريب : ١٥٢/٢ .

(٣) ابن جرير ، النسائي ، صدوق ، صاحب حديث ، توفي سنة بضع وخمسين ومئتين . تقريب : ٣٧/٢ .

(٤) معبد بن خالد الجهني القدرى ، أول من أظهر القدر بالبصرة ، مبتدع ضال مضل . خرج مع ابن الأشعث على الحجاج فقتل سنة ثمانين . المرحم والتعديل : ٢٨٠/٨ ، ميزان الاعتدال : ١٤١/٤ ،
تقريب : ٢٦٢/٢ .

(٥) هكذا جاء في الأصل . وفي رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل ذكر أحمد بسنده عن عبد العزيز بن
مهران البصرى قال : ولا أعلم أحداً يومئذ يتكلم في القدر غير معبد ورجل من الأساورة يقال له
سويوه . السنة لعبد الله ص ١٢٣ .

وقال ابن عون : أدركت الناس وما يتكلمون إلا في علي وعثمان حتى نشأ ههنا حقير يقال له سنسويه
اليقال . فكان أول من تكلم في القدر .

وقال الأوزاعي : أول من نطق في القدر : رجل من أهل العراق يقال له : سوسن كان نصرانياً فأسلم
ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد .

وقال يونس بن عبيد : أدركت البصرة وما بها قدرى إلا سنسويه ومعبد الجهني وآخر ملعون في
بنى عوافة . انظر : شرح السنة للالكافي : ٧٤٩/٤ - ٧٥٠ .

قال الذهبي : سنسويه : زوج والدته موسى الأسوارى ، مجهول . هكذا في ميزان الاعتدال : ٢٥٤/٢

وفي لسان الميزان ٣٣٥/٦ قال ابن حجر : اسمه يونس الأسوارى أول من تكلم بالقدر وكان بالبصرة
فأخذ عنه معبد الجهني ، ذكره الكعبي في طبقات المعتزلة وذكر أنه كان يلقب سنسويه . اهـ .

ومما تقدم يتضح لنا أن أول من ابتدأ هذه البدعة هو : سنسويه وأخذ معبد عنه ونشرها وأخذ غيلان
عن معبد وهذا هو المشهور . وغيلان هو ابن أبي غيلان الدمشقي قال الساجي : كان قدرياً داعية

دعا عليه عمر بن العزيز فقتل رسلب وكان غير ثقة ولا مأمون ، وناظره الأوزاعي وأقضى بقتله .
فصلب بعد الخمسين ومئة . انظر : ميزان الاعتدال : ٣٣٨/٣ ، لسان الميزان : ٤٢٤/٤ .

(٦) السنة (ق) : ١/٨٥ .

التعليق :

بدعة القدر تتلخص في اتجاهين :

الأول : إنكار علم الله السابق للوقائع^(١) .

الثاني : إيجاد العبد لفعله من غير أن يكون لله مشيئة وإرادة فيه^(٢) .

وقد بدأت هذه البدعة تطل برأسها في أواخر عهد الصحابة رضوان الله عليهم ، لذلك نجدهم قاوموا هذه البدعة وأنكروها لما فيها من خطر عظيم على عقيدة المسلم وهدم لركن أساسي من أركان الإيمان .

قال عبد القاهر بن طاهر البغدادي : « ثم حدث في زمان المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية في القدر والاستطاعة من معبد الجهني وغيلان الدمشقي ، والجعد بن درهم . وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة كعبد الله ابن عمر وجابر بن عبد الله وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى وعقبة بن عامر الجهني وأقرانهم وأوصوا أخلافهم بأن لا يسلموا على القدرية ولا يصلوا على جنائزهم ولا يعودوا مرضاهم^(٣) .

قول الإمام أحمد فيمن جحد العلم من القدرية

قال أبو بكر الخلال :

١٠٩ - أخبرني محمد بن يحيى الكحال^(٤) أن أبا عبد الله قال : القدرية الذي يقول إن الله لم يعلم الشيء حتى يكون هذا كافر^(٥) .

(١) سيأتي « قول الإمام أحمد فيمن جحد العلم من القدرية » والتعليق عليه .

(٢) سيأتي « قول الإمام أحمد في أفعال العباد » والتعليق عليه .

(٣) الفرق بين الفرق ص : ١٤ .

(٤) هو : محمد بن يحيى الكحال ، أبو جعفر البغدادي المتطبب . قال أبو بكر الخلال : « كانت عنده

عن أبي عبد الله مسائل كثيرة حسان مشبعة وكان من كبار أصحاب أبي عبد الله وكان يقدمه

ويكرمه » . طبقات الخبابة : ١ / ٣٢٨ .

(٥) السنة (ق) : ٨٥ / أ .

• نقل عن الإمام أحمد روايات بهذا المعنى :

١١٠ - أبو بكر المروذي قال : سألت أبا عبد الله عن عمرو بن عبيد^(١) . قال : كان لا يقر بالعلم؛ وهذا الكفر بالله عز وجل .

١١١ - وفي رواية أخرى قال المروذي : سألت أبا عبد الله عن القدرى فلم يكفره إذا أقر بالعلم . وقال أيضا : قلت لأبي عبد الله الرجل يكون له قرابة قدرى قال : القدر لا يخرج من الإسلام . قلت : أولئك لم يكونوا يدعون إلى القدر فأما من كان عالما وجحد العلم؟ قال : إذا جحد كفر .

١١٢ - حنبل بن إسحاق : أن أبا عبد الله قال : ولم يزل الله عالما . قلت لأبي عبد الله : آدم عليه السلام خلقه الله عز وجل للأرض قال : نعم خلقه عز وجل للأرض و علم ما هو كائن منه قبل أن يكون قال الله عز وجل ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾^(٢) هذا قبل أن يخلق آدم قد علم الله ما هو كائن منه قبل أن يكون . وسمعت أبا عبد الله يقول : علم الله عز وجل أن آدم سيأكل من الشجرة التي نهاه عنها قبل أن يخلقها^(٣) .

١١٣ - أحمد بن جعفر الإصطخري قال : قال أحمد.. وعلم الله عز وجل ماض في خلقه بمشيئة منه قد علم من إبليس ومن غيره ممن عصاه من لدن أن عصى تبارك وتعالى إلى أن تقوم الساعة المعصية وخلقهم لها وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها . وكل يعمل لما خلق له^(٤) .

قال أبو بكر الخلال :

١١٤ - أخبرني أبو بكر^(٥) قال : سمعت أبا عبد الله يقول : إذا جحد

(١) هو عمرو بن عبيد المعتزل المشهور : كان داعية إلى بدعة . توفي سنة ثلاث وأربعين ومئة أو قبلها .

تقريب : ٧٤/٢ .

(٢) سورة البقرة / ٣٠ .

(٣) السنة للخلال (ق : ٨٥) .

(٤) طبقات الخنابلة : ٢٥/١ ، انظر : السنة لأحمد ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٥ .

(٥) المروذي .

العلم . قال : إن الله عز وجل لا يعلم الشيء حتى يكون استتيب فإن تاب وإلا قتل^(١) .

• نقل عن الإمام أحمد روايات بهذا المعنى :

١١٥ - أبو بكر المروذي قال : سألت أبا عبد الله عن قال : إن لمن الأشياء لم يخلقها الله يكون مشركا ؟ قال : لم يخلقها الله !! إذا جحد العلم يستتاب فإن تاب وإلا قتل^(٢) .

١١٦ - وفي رواية أخرى : سمعت أبا عبد الله يُسأل عن قال : إن من الأشياء شيئا لم يخلق الله ، هذا يكون مشركا ؟ قال : إذا جحد العلم فهو مشرك يستتاب فإن تاب وإلا قتل إذا قال : إن الله عز وجل لا يعلم الشيء حتى يكون^(٣) .

١١٧ - جعفر بن محمد النسائي^(٤) قال : سمعت أبا العباس صاحب أبا عبيد وسأل أبا عبد الله : عن جحد العلم . قال : يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه^(٥) .

١١٨ - محمد بن الحكم^(٦) : أنه سأل أبا عبد الله عن القدرى يستتاب وقتل : إن مالكا وعمر بن عبد العزيز يرون أن يستيبوه فإن تاب وإلا ضربت عنقه . قال : أرى أن أستيبه إذا جحد علم الله . قلت وكيف يجحد

(١) السنة (ق : ٨٥/ب) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه (ق : ٩١/ب) .

(٤) هو : جعفر بن محمد النسائي ، الشمراني . قال عنه أبو بكر الخلال : « رفيع القدر ثقة جليل ورع ، أمار بالمعروف نهاء عن المنكر . كان أبو عبد الله يكرمه روى عن أبي عبد الله أجزاء صالحة ومساائل كثيرة » طبقات الخنابلة : ١٢٤/١ ، المنهج الأحمد : ٣٨٢/١ .

(٥) السنة للخلال (ق : ٨٥/ب) .

(٦) هو : محمد بن الحكم المروزي الأحول بن أبي طالب ، صاحب أحمد ، ثقة فاضل ، توفى سنة ثلاث وعشرين ومئتين . تقريب : ١٥٥/٢ وقال عنه أبو بكر الخلال : « مات قبل موت أبي عبد الله بثمان عشرة سنة » . طبقات الخنابلة : ٢٩٥/١ .

علم الله ؟ قال : إذا قال : لم يكن هذا في علم الله . أستتبه فإن تاب وإلا ضربت عنقه . قال : إن منهم من يقول كان في علم ولكن لم يأمرك بالمعصية^(١) .

التعليق :

تقدم أن بدعة القدر تلتخص في اتجاهين :
الأول : إنكار علم الله السابق للوقائع . وهو ما أنا بصدد الكلام عنه . والمنكرون علم الله السابق للأشياء قبل وقوعها هم غلاة القدرية^(٢) ، ولا يخفى ما يترتب على هذا الاعتقاد من أمور منزه عنها الله جل وعلا ، لذلك أنكر السلف على هؤلاء إنكاراً شديداً وكفروهم وأفتوا بقتلهم إن لم يرجعوا^(٣) ونتيجة لهذا الإنكار الشديد من جانب السلف ولقباحة ورداءة هذا المعتقد أيضاً تراجع تراجعاً سريعاً حتى لم يعد له وجود . ويرى ابن تيمية أنه : « لما اشتهر الكلام في القدر ودخل فيه كثير من أهل النظر والعباد ، صار جمهور القدرية يقولون بتقدم العلم ، وإنما ينكرون عموم المشيئة والخلق »^(٤) .

يقول ابن حجر : وقد حكى المصنفون في المقالات عن طوائف القدرية إنكار كون الباري عالماً بشيء من أعمال العباد قبل وقوعها منهم ، وإنما يعلمها بعد كونها .

قال القرطبي وغيره : قد انقرض هذا المذهب . ولا نعرف أحداً ينسب إليه من المتأخرين قال : والقدرية اليوم مطبقون على أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها^(٥) ، وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم

(١) السنة للخلال (ق : ١٨٥ / ب - ١/٦) .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٠٢ ، ٣٠٥ .

(٣) تقدم فيما سقته من روايات عن الإمام أحمد تكفيره هؤلاء وإباحة دماهم إن لم يرجعوا وانظر : شرح السنة للالكائي : ٧٠٦/٤ - ٧٢٥ حيث ساق أقوال السلف في تكفير هؤلاء وإباحة دماهم .

(٤) الإيمان ص : ٣٦٩ .

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وقول أولئك كفرهم عليه مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وأما هؤلاء فهم مبتدعون ضالون ، لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك ، وفي هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد كتب =

وواقعة منهم على جهة الاستقلال، وهو مع كونه مذهبا باطلا . أخف من المذهب الأول ^(١) . اهـ .

والإيمان بالقدر لا يتم إلا بتحقيق مراتبه الأربع :

وأولى هذه المراتب : مرتبة العلم : ومقتضاها الإيمان بأن الله عز وجل عالم بكل شيء بما كان وما سيكون جملة وتفصيلا أزلا وأبدا ﴿ لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ﴾ ^(٢) والعلم صفة له عز وجل وهي من صفات الذات ^(٣) قال تعالى : ﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ﴾ ^(٤) ، وقال عز وجل : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ ^(٥) ، وقال جل شأنه ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ ^(٦) ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ ^(٧) ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ﴾ ^(٨) . وغير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على شمول علمه عز وجل لجميع الكليات والجزئيات سواء منها ما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده .

= عنهم العمم وأخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم ، لكن من كان داعية إليه لم يخرجوا له ، وهذا مذهب فقهاء أهل الحديث كأحمد وغيره . اهـ . الإيمان ص : ٣٦٩ . قلت : وهم من عناهم أحمد عندما قيل له : الرجل يكون له قرابة قدرى قال : القدر لا يخرج من الإسلام . السنة للخلال (ق : ٨٦/أ) .

(١) فتح الباري : ١/١١٩ .

(٢) سورة سبأ / ٣ .

(٣) وسيأتي مزيد من التفصيل حول هذه الصفة عند الكلام عن قول الإمام أحمد في صفة العلم ص :

٢٨٣ .

(٤) سورة سبأ / ٢ ، والحديد / ٤ .

(٥) سورة الحديد / ٣ .

(٦) سورة الأنعام / ٥٩ .

(٧) سورة الطلاق / ١٢ .

(٨) سورة العنكبوت / ١٠ .

قال شارح الطحاوية : « وقد ضل في هذا الموضوع خلائق من المشركين والصابئين والفلاسفة وغيرهم ممن ينكر علمه بالجزئيات أو بغير ذلك ، فإن ذلك كله مما يدخل في التكذيب بالقدر »^(١) . اهـ .

وثانيها : مرتبة الكتابة : ومقتضاها الإيمان بأن الله عز وجل قد كتب مقادير كل شيء . كما أخبر جل وعلا في غير موضع من القرآن الكريم . حيث يقرن العلم والكتاب ويذكر الكتاب وحده أحيانا .

وسياتي مزيد من الإيضاح حول هذه المرتبة عند الكلام عن الإيمان باللوح المحفوظ والقلم^(٢) وكذا تفصيل المرتبتين المتبقيتين وهما : الخلق والمشيئة عند الكلام عن « أفعال العباد » .

قول الإمام أحمد في أفعال العباد

قال أبو بكر الحلال :

١١٩ - أخبرني عصمة بن عصام^(٣) قال : ثنا حنبل قال : سمعت أبا عبد الله قال : أفاعيل العباد مخلوقة وأفاعيل العباد بقضاء وقدر^(٤) .

١٢٠ - (وقال) حنبل^(٥) : قال أبو عبد الله : الاستطاعة لله والقوة ما شاء الله كان من ذلك وما لم يشأ لم يكن ليس كما يقول هؤلاء - يعني المعتزلة - الاستطاعة إليهم^(٦) .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٠٥ .

(٢) انظره ص : ١٦٢ .

(٣) روى عنه الحلال جملة كبيرة من المسائل - عن أصحاب الإمام أحمد - في كتابه هذا وكتبه الأخرى . وقد ذكره الخطيب في تاريخه ٢٨٨/١٢ مبينا أنه يروى عن حنبل وعنه الحلال ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً .

(٤) السنة (ق : ٨٨/ب) .

(٥) بالإسناد السابق .

(٦) السنة (ق ٩١/ب ، ق : ٩٢/أ) وأخرجه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة : ١/١٤٥ من طريق آخر عن حنبل وفيه : ليس كما يقول المعتزلة .

١٢١ - وفي رواية أخرى قال حنبل أيضا : سألت أبا عبد الله
قلت : أفاعيل العباد مخلوقة . قال : نعم مقدرة عليهم بالشقاء والسعادة^(١) .

١٢٢ - ونقل يوسف بن موسى قال : سئل عن أعمال الخلق مقدرة
عليهم من الطاعة والمعصية قال : نعم^(٢) .

١٢٣ - في رواية جعفر بن محمد النسائي قال : ذكر عنده أن رجلا
محدثا قال : ما شاء الله يفعل وما لم يشأ لم يفعل فقال رجل عنده : ما شاء الله
أو لا يشاء الله يفعل . فاستعظم ذلك أي - الإمام أحمد - قلت : يستتاب ؟
قال : أيش يستتاب هذا الكفر^(٣) .

١٢٤ - وفي رسالة أحمد بن جعفر الإصطخرى قال أحمد : والقدرية
هم الذين يزعمون أن إليهم الاستطاعة والمشيئة والقدرة وأنهم يملكون لأنفسهم
الخير والشر والضر والنفع والطاعة والمعصية والهدى والضلال وأن العباد يعملون
بدءاً من غير أن يكون قد سبق لهم ذلك من الله عز وجل أو في علمه ... ومن
زعم أن الله شاء لعباده الذين عصوه الخير والطاعة وأن العباد شاءوا لأنفسهم
الشر والمعصية فعملوا على مشيئتهم فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة
الله فأى افتراء أكثر على الله عز وجل من هذا^(٤) .

١٢٥ - أخبرنا أبو بكر المروذي قال : قال رجل لأبي عبد الله : إن
عندنا قوما يقولون : إن الله خلق الخير ولم يخلق الشر ويقولون القرآن
محدث . فقال : هذا كفر هؤلاء قدرية جهمية . الخير والشر مقدر على العباد .
قيل له : الله خلق الخير والشر . قال : نعم الله قدره^(٥) .

(١) السنة للخلال (ق : ٨٦/ب) .

وانظر : الروايات في الشقاء والسعادة ص : ١٦٧ .

(٢) السنة للخلال (ق : ٩١/ب) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) طبقات الختابة : ٢٥/١ ، ٣٢ ، وانظر السنة لأحمد ضمن شذرات البلايين ص : ٤٥ ، ٥٠ .

(٥) السنة (ق : ٨٨/ب) .

نقل عن الإمام أحمد روايات بهذا المعنى :

١٢٦ - أحمد بن الحسين بن حسان^(١) قال : سئل عن القدر ؟ فقال : الخير والشر مقدران^(٢) .

١٢٧ - يوسف بن موسى قال : سئل عن القدر ؟ فقال : خيره وشره كتبه الله عز وجل على العباد . قيل له من الله ؟ قال : فمن من !! وأظنه قال : نعم فمن من^(٣) .

١٢٨ - أبو الحارث الصائغ قال : سئل عن القدر ؟ فقال : الخير والشر بقدر والزنا والسرقة وشرب الخمر كله بقدر^(٤) .

١٢٩ - أبو داود السجستاني قال : سمعت أبا عبد الله قال له رجل : يلجئني القدرى إلى أن أقول : الزنا بقدر والسرقة بقدر . فقال : الخير والشر من الله^(٥) .

١٣٠ - حنبل بن إسحاق قال : سمعت أحمد قال : الخير والشر مكتوبان على العباد . وفي موضع آخر قلت : الخير والشر مكتوبان على العباد ؟ قال : المعاصى بقدر^(٦) .

١٣١ - وفي رواية أخرى قال : قال أحمد : الزنا بقدر والعجز والكيس بقدر قدر الله ذلك على العباد فمن أتى من ذلك شيئاً فأمره إلى الله عز وجل إن شاء عذبه وإن شاء غفر له وهن قدر الله^(٧) .

(١) ذكره أبو بكر الخلال فقال : « رجل جليل روى عن أبي عبد الله مسائل حسان جداً » وقال الخطيب : « ثقة مشهور » . ت/بغداد ٨٠/٢ ، طبقات الخنابلة : ٣٩/١ .

(٢) السنة للخلال (ق : ٨٩/أ) .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر (ق : ٨٨/ب) .

(٥) مسائل أبي داود (٨ ص : ٢٥٥ وفي المطبوع ص : ٢٧٢) .

(٦) السنة للخلال (ق : ٨٨/ب) .

(٧) نفس المصدر (ق : ٨٩/أ) .

١٣٢ - أبو بكر المروذي قال : سئل أبا عبد الله عن الزنا بقدر فقال : الخير والشر بقدر ثم قال : الزنا والسرقه . وذكر عن سالم وابن عباس أنهم قالوا : الزنا والسرقه بقدر . ثم قال : أبو عبد الله : كان ابن مهدي قد سأله عن ذا فقال : الخير والشر بقدر ففحشوا عليه فقالوا له : الزنا والسحاق بقدر فكأنه أنكر هذا وقال : قد أجابهم إلى أن الخير والشر بقدر فجعلوا يذكرون له مثل هذه الأقدار^(١) .

١٣٣ - أبو الحارث الصائغ قال : سمعت أبا عبد الله وسئل عن القدر قيل له : إنهم يقولون إن الله عز وجل لا يضل أحدا هو أعدل من أن يضل أحدا ثم يعذبه على ذلك فقال أليس قال الله عز وجل ﴿ يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾^(٢) فالله عز وجل قدر الطاعة والمعاصي وقدر الخير والشر^(٣) .

١٣٤ - ابن هانيء قال : سئل إن زنى فبقدر الله وإن سرق فبقدر الله ؟ قال : نعم الله عز وجل قدره عليه^(٤) .

١٣٥ - أحمد بن جعفر الإصطخري قال : قال أحمد : والزنا والسرقه وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والذنوب والمعاصي كلها بقضاء وقدر من غير أن يكون لأحد من الخلق على الله حجة بل لله الحجة البالغة على خلقه ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾^(٥)^(٦) .

التعليق :

ذكرت آنفا أن بدعة القدر تتلخص في اتجاهين . وتكلمت عن الاتجاه الأول وهو : إنكار علم الله السابق للوقائع وستحدث الآن عن الاتجاه

(١) المصدر نفسه (ق : ٨٨/١) .

(٢) سورة النحل / ٩٣ ، فاطر / ٨ .

(٣) السنة للخلال (ق : ٨٧/١) .

(٤) مسائل ابن هانيء : ١٥٥/٢ .

(٥) سورة الأنبياء / الآية ٢٣ .

(٦) طبقات الحنابلة : ٢٥/١ .

وانظر : السنة لأحمد ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٤ - ٤٥ .

الثاني : وهو الادعاء بأن العبد هو الموجد لفعله من غير أن يكون لله تقدير و مشيئة ، وهو الذي عليه جمهور القدرية . والإمام أحمد رد على الاتجاهين وبين خطأهما وابتعادهما عن الحق والصواب .

وأصحاب الاتجاه الثاني هذا ينكرون عموم المشيئة والخلق ويقولون إن الخير من الله والشر من الشيطان وإن العبد يملك الاستطاعة التامة على الفعل وعدمه وينكرون أن يكون لله جلا وعلا مشيئة وإرادة فيما يفعله العباد .

يقول شارح الطحاوية في معرض كلامه عن المعتزلة وأصولهم الخمسة : « فأما العدل فستروا تحته نفى القدر وقالوا : إن الله لا يخلق الشر ولا يقضي به ، إذ لو خلقه ثم يعذبهم عليه يكون ذلك جوراً والله تعالى عادل لا يجور^(١) ويلزم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون في ملكه ما لا يريد فيريد الشيء ولا يكون، ولازمه وصفه بالعجز !! تعالى الله عن ذلك^(٢) » . اهـ .

قلت : وهذا خلاف مذهب أهل السنة والجماعة الذين يرون أن أفعال العباد كلها من طاعات ومعاصر مخلوقة لله عز وجل مقدره على العباد مقضية عليهم قبل وقوعها منهم^(٣) . وهذا لايعنى أن العبد مسلوب المشيئة والإرادة ، كما يدعى الجبرية - لكن أهل السنة يرون أن العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدرة غير خارجة عن مشيئة الله وتقديره بل هي تابعة لمشيئة الرب جل وعلا ، يقول ابن تيمية : « ومما ينبغي أن يعلم أن مذهب سلف الأمة - مع قولهم : الله خالق كل شيء وربهم ومليكه وأنه ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن - أن العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدرة قال تعالى : ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾^(٤) وقال تعالى : ﴿ إن هذه تذكرة فمن شاء

(١) يقول الشارح أيضاً في موضع آخر : « وتفصيل حكمة الله عز وجل في خلقه وأمره ، يعجز عن معرفته عقول البشر ، والقدرية دخلوا في التعليل على طريقة فاسدة مثلوا الله فيها بخلقه ، ولم يشعروا بحكمة تعود إليه » . شرح الطحاوية ص ١١٩ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٨٩ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٦٣/٨ - ٦٤ .

(٤) سورة التكويد / ٢٨ ، ٢٩ .

اتخذ إلى ربه سبيلا وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ﴿^(١)﴾ وقال تعالى : ﴿ كلا إنه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ ^(٢) ^(٣) . اهـ .

ويحسن الآن أن نذكر ما تبقى من مراتب الإيمان بالقدر حيث ذكرت مرتبة العلم والكتابة وأتكلّم الآن عن : مرتبة المشيئة :

وهي المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر ومقتضاها الإيمان بأن الله عز وجل المشيئة التامة والقدرة الشاملة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . قال جل شأنه ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ ^(٤) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ﴾ ^(٥) وقال عز وجل : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ﴾ ^(٦) وقال جل وعلا : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ ^(٧) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ما ذكر . ولكن هذا لا يعنى أن الله عز وجل يرضى عن ما يقع من العباد من الكفر والمعاصى .

يقول شارح الطحاوية : ومنشأ الضلال من التسوية بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضى ، فسوى بينهما الجبرية والقدرية ، ثم اختلفوا : فقالت الجبرية : الكون كله بقضائه وقدره ، فيكون محبوبا مرضيا . وقالت القدرية النفاة : ليست المعاصى محبوبة لله ولا مرضية له ، فليست مقدره ولا مقضية فهي خارجة عن مشيئته وخلقه وقد دل على الفرق بين المشيئة والمحبة الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة ^(٨)

(١) سورة الإنسان / ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) سورة المدثر / ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ .

(٣) مجموع الفتاوى ١١٧/٨ - ١١٨ .

(٤) سورة يس / ٨٢ .

(٥) سورة هود / ١١٨ .

(٦) سورة يونس / ٩٩ .

(٧) سورة السجدة / ١٣ .

(٨) في موضع آخر يقول : « أما أهل السنة فيقولون : إن الله وإن كان يريد المعاصى قدرا فهو لا يجبا =

فإن قيل كيف يريد الله أمراً ولا يرضاه ولا يحبه ؟ وكيف يشاؤه ويكونه ؟ وكيف يجمع إرادته له وبغضه وكرهته ؟ .

قيل : هذا السؤال هو الذى افترق الناس لأجله فرقاً ، وتباينت طرقهم وأقوالهم فاعلم أن المراد نوعان : مراد لنفسه ، ومراد لغيره . فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير فهو مراد لإرادة الغايات والمقاصد . والمراد لغيره ، قد لا يكون مقصوداً لما يريد ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته ، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده ، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته ، مراد له من حيث قضاؤه وإيصاله إلى مراده . فيجتمع الأمران : بغضه وإرادته ، ولا يتنافيان ، لاختلاف متعلقهما . وهذا كاللواء الكريه ، إذا علم المتناول له أن فيه شفاءً ، وقطع العضو المتآكل ، إذا علم أن في قطعه بقاء جسده ، وكقطع المسافة الشاقة إذا علم أنها توصل إلى مراده ومحبوه . بل العاقل يكتفى في إثارة هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب ، وإن خفيت عنه عاقبته فكيف ممن لا يخفى عليه خافية فهو سبحانه يكره الشيء ولا ينافى ذلك إرادته لأجل غيره ، وكونه سبباً إلى أمر هو أحب إليه من فوقه . من ذلك : أنه خلق إبليس الذى هو مادة لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات ، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد وعملهم بما يغضب الرب سبحانه تبارك وتعالى ، وهو الساعى فى وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه . ومع هذا فهو وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه ، ووجودها أحب إليه من عدمها :

منها : أنه يظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات ، فخلق هذه الذات ، التى هى أحبب الذوات وشرها وهى سبب كل شر ، فى

ولا يرضاهم ولا يأمر بها بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها . وهذا قول السلف قاطبة ... والمحققون من أهل السنة يقولون : الإرادة فى كتاب الله نوعان : إرادة قدرية كونية خلقية وإرادة دينية أمرية شرعية ، فالإرادة الشرعية هى المضمنة للمحبة والرضى ، والكونية هى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات . اهـ . شرح العقيدة الطحاوية ص : ١١٦ . وانظر : أدلة القسامين ص : ١١٤ ، ٢٧٧ - ٢٧٨ ، ٥٠٥ - ٥٠٦ .

ولمزيد من التفصيل حول نوعى الإرادة انظر : كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص : ١٢١ - ١٢٦ ، مجموع الفتاوى له : ٤٤٠/٨ - ٤٤١ .

مقابلة ذات جبريل ، التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها ، وهي مادة كل خير ، فتبارك خالق هذا وهذا . كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار ، والدواء والداء ، والحياة والموت ، والحسن والقيح والخير والشر . وذلك من أدل دليل على كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه فإنه خلق هذه المتضادات ، وقابلها بعضها ببعض ، وجعلها محال تصرفه وتديره فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتديره ملكه .

ومنها : ظهور آثار أسمائه القهرية مثل القهار والمنتقم والعدل والضار والشديد العقاب والسريع العقاب وذى البطش الشديد والخافض والمذل فإن هذه الأسماء والأفعال كمال لا يبد من وجود متعلقها ، ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء .

ومنها : ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه وعتقه لمن شاء من عبديه ، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا بقوله : « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر الله لهم »^(١) .

ومنها : ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة فإنه الحكيم الخبير ، الذى يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها اللائقة بها فلا يضع الشيء في غير موضعه ولا ينزله في غير منزلته التى يقتضيهما كمال علمه وحكمته وخبرته .^(٢) اهـ .

ولابن القيم كلام بديع أيضا حول هذا الموضوع ولولا خشية الإطالة لنقلته^(٣) .

الاحتجاج بالقدر : لقد ضل البعض في هذا الموضوع وأخذ ينغمس في فعل المعاصي ويقترف الموبقات ثم يحتج على ذلك بالقدر وأنه لا حيلة له فيما

(١) أخرجه مسلم : ٢١٠٦/٤ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ونحوه من حديث أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٢٨٠ - ٢٨٢ .

(٣) انظره في شفاء العليل ص : ١٢٥ - ١٢٨ ، وراجع مجموع الفتاوى لابن تيمية : ١١٥/٦ - ١١٦ .

قدر عليه . وهذا في غاية البطلان فالعبد له مشيئة وقدرة على الاختيار - كما تقدم - وهو فاعل حقيقة قال تعالى ﴿ وما فعلوا من خير يعلمه الله ﴾ (١) ، وقال جل شأنه ﴿ وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾ (٢) وقال جل شأنه ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ﴾ (٣) . ولو صح الاحتجاج بالقدر لما حدث الحدود وفرضت الفرائض وخلق الجنة والنار والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (٤) . وهذا لا يناق القول بأن الله سبحانه وتعالى خلق أفعال العباد كلها وقدرها عليهم . ولقد تطرق شارح الطحاوية لهذه المسألة الدقيقة في معرض رده على المعتزلة الذين زعموا : أن القول بأن العبد محدث لفعله من غير أن يكون لله مشيئة أمر لا بد منه - ومما قاله : إنه لا منافاة بين كون العبد محدثا لفعله وكون هذا الإحداث واجب وجوده بمشيئة الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ فقوله ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ إثبات للقدر بقوله ﴿ فألهمها ﴾ وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه ، ليعلم أنها هي الفاجرة والمنتقية وقوله بعد ذلك : ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ إثبات أيضاً لفعل العبد ، ونظائر ذلك كثيرة .

وهذه شبهة أخرى من شبه القوم التي فرقتهم ... وهي أنهم قالوا : كيف يستقيم الحكم على قولكم بأن الله يعذب المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم ؟ فأين العدل في تعذيبهم على ما هو خالقه وفاعله فيهم ، وهذا السؤال لم يزل مطروقا في العالم على ألسنة الناس وكل منهم يتكلم في جوابه بحسب علمه ومعرفته وعنه تفرقت بهم الطرق :

- فطائفة أخرجت أفعالهم عن قدرة الله تعالى .
- وطائفة أنكرت الحكم والتعليل وسدت باب السؤال .
- وطائفة أثبتت كسبا لا يعقل جعلت الثواب والعقاب عليه .

(١) سورة البقرة / ١٩٧ .

(٢) سورة الحج / ٧٧ .

(٣) سورة غافر / ١٧ .

(٤) سورة النساء / ١٦٥ .

وطائفة التزمت لأجله وقوع مقدور بين قادرين ومفعول بين فاعلين .
وطائفة التزمت الجبر وأن الله يعذبهم على ما لا يقدرون عليه !

وهذا السؤال هو الذى أوجب التفرق والاختلاف .

والجواب الصحيح عنه أن يقال : إن ما يتلى به العبد من الذنوب الوجودية وإن كانت خلقاً لله تعالى فهي عقوبة له على ذنوب قبلها؛ فالذنب يكسب الذنب ومن عقاب السيئة السيئة بعدها .

يبقى أن يقال : فالكلام فى الذنب الأول الجالب لما بعده من الذنوب ؟

يقال هو عقوبة أيضاً على عدم فعل ما خلق له وفطر عليه فإن الله سبحانه خلقه لعبادته ... فلما لم يفعل ما خلق له وفطر عليه ... عوقب على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصى فإنه صادف قلباً خالياً قابلاً للخير والشر ولو كان فيه الخير الذى يمنع ضده لم يتمكن منه الشر... فيكون جعله مذنباً مسيئاً فى هذه الحالة عقوبة له على عدم هذا الإخلاص وهى محض العدل ... وإذا ثبت كون العبد فاعلاً فأفعاله نوعان : نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته فيكون صفة له ولا يكون فعلاً كحركات المرتعش . ونوع يكون منه مقارناً لايجاد قدرته واختياره ، فيوصف بكونه صفة وفعلاً وكسباً للعبد كالحركات الاختيارية والله تعالى هو الذى جعل العبد فاعلاً مختاراً وهو الذى يقدر على ذلك وحده لا شريك له ، ولهذا أنكر السلف الجبر ، فإن الجبر لا يكون إلا من عاجز ، فلا يكون إلا مع الإكراه ، يقال للأب إجبار البكر الصغيرة على النكاح وليس له إجبار الثيب البالغ ، أى ليس له أن يزوجها مكرهة . والله تعالى لا يوصف بالإجبار بهذا الاعتبار ، لأنه سبحانه خالق الإرادة والمراد ، قادر على أن يجعله مختاراً بخلاف غيره..

فالحاصل : أن فعل العبد فعل له حقيقة ولكنه مخلوق لله تعالى ومفعول لله تعالى ، وليس هو نفس فعل الله . ففرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق^(١) . اهـ .

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص : ٤٩٦ - ٥٠٢ ، وراجع الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص : ١١٤ وما بعدها ، ومجموع الفتاوى : ٢٦٢/٨ - ٢٦٨ ، ٢٣٧ - ٢٣٨ لابن تيمية .

هذا بعض ما ذكره الشارح حول هذه المسألة وأود أن أذكر بما أشرت له سابقاً نقلاً عن الطحاوي : « القدر سر الله عز وجل » . اهـ . فليس من الضروري أن تعلم لنا جميع جزئياته فيجب الإيمان والتسليم بما جاء حول هذا الركن العظيم .

بقي أن أذكر - وبإيجاز - المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر وهي : مرتبة الخلق : ومقتضاها الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله جل وعلا قال تعالى ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ . وأفعال العباد كما مر بنا داخلة في عموم خلق الله ، وبهذا سلط بعض الضوء على مراتب الإيمان بالقدر : العلم ، الكتابة ، المشيئة ، الخلق ^(١) .

قول الإمام أحمد في الجبرية

قال أبو بكر الخلال :

١٣٦ - أخبرنا أبو بكر المروزي قال : قلت لأبي عبد الله : رجل يقول : إن الله جبر العباد . فقال : هكذا لا تقول وأنكر هذا وقال : يضل من يشاء ويهدى من يشاء ^(٢) .

• نقل عن الإمام أحمد روايات بهذا المعنى :

١٣٧ - عبد الملك الميموني قال : سمعت أبا عبد الله يناظر خالد بن خدش ^(٣) - يعني في القدر - فذكروا رجلاً فقال أبو عبد الله : إنما كره من هذا (أنه) يقول : جبر الله عز وجل ^(٤) .

(١) ولزيد من التفصيل حول هذه المراتب؛ راجع شفاء العليل لابن القيم ص : ٢٩ - ٦٤ ، ومجموع الفتاوى : ١٤٨/٣ - ١٥٠ .

(٢) السنة (ق : ٩٠/أ) قال تعالى : ﴿ ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ سورة النحل / الآية ٩٣ .

(٣) هو : خالد بن خدش ، أبو الهيثم المهلبى قال عنه الذهبي : الإمام الحافظ الصدوق . سير أعلام النبلاء : ٤٨٨/١٠ ، وفي التقريب : ٢١٢/١ قال ابن حجر : صدوق يخطئ .

(٤) السنة للخلال (ق : ٩٠/أ) .

١٣٨ - إسحاق بن إبراهيم بن هاني قال : كنت يوما عند أبي عبد الله فجاء رجل فقال : إن فلانا قال : إن الله عز وجل جبر العباد على الطاعة . فقال : بئس ما قال . ولم يقل شيئا غير هذا^(١) .

١٣٩ - وفي رواية المروزي أنكروا الإمام أحمد على من قال : لم يجبر وعلى من رد عليه بالجبر فقد روى الخلال عن المروزي قال : قال رجل قدرى : إن الله لم يجبر العباد على المعاصي . فرد عليه أحمد بن رجاء : إن الله جبر العباد . أراد بذلك إثبات القدر . فوضع أحمد بن علي كتابا يحتج فيه . فأدخلته على أبي عبد الله فأخبرته بالقصة فقال : ويضع كتابا . وأنكر أبو عبد الله عليهما جميعا على ابن رجاء حين قال : جبر العباد وعلى القدرى الذى قال : لم يجبر العباد . وأنكر على أحمد بن علي وضعه الكتاب واحتجاجه وأمر بهجرانه لوضعه الكتاب . وقال لى : يجب على ابن رجاء أن يستغفر ربه لما قال : جبر العباد . فقلت لأبي عبد الله : فما الجواب فى هذه المسألة قال : ﴿ يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ﴾^(٢) .

وفي موضع آخر قال المروزي : فما كان بأسرع من أن قدم أحمد بن علي من عكبرا ومعه (مشيخة) وكتاب من أهل عكبرا فأدخلت أحمد بن علي على أبي عبد الله فقال له : يا أبا عبد الله هو ذا الكتاب ادفعه إلى أبى بكر حتى يقطعه وأنا أقوم على منبر عكبرا وأستغفر الله عز وجل فقال أبو عبد الله لى : ينبغي أن تقبلوا منه وترجعوا له^(٣) .

التعليق :

تقدم الكلام عن القدرية بصنفها ، وتسميتهم بالقدرية يعود إلى زعمهم بأن العبد هو الموجد لفعله . وإن كانوا ينكرون هذه التسمية ويتبرؤون منها ، ويدعون أن من أثبت القدر هو الأولى بها على حد زعمهم .

(١) مسائل ابن هاني : ١٥٤/٢ - ١٥٥ .

(٢) سورة المدثر / الآية ٣١ .

(٣) السنة للخلال (ق : ٩٠ / ب) .

يقول النووي : وقد حكى أبو محمد بن قتيبة في كتابه غريب الحديث وأبو المعالي إمام الحرمين في كتابه : الإرشاد في أصول الدين أن بعض القدرية قال : لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم إثبات القدر . قال ابن قتيبة والإمام هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهمة وتوافق فإن أهل الحق يضيفون القدر والأفعال إلى الله سبحانه وتعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه إلى أنفسهم ومدعى الشيء لنفسه ومضيفه إليها أولى بأن ينسب إليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه ^(١) . اهـ .

وبعد هذا أعود إلى ما أنا بصدد الكلام عنهم وهم الجبرية أتباع زعيم المعطلة الجهم بن صفوان الترمذى ومذهبهم في القدر على النقيض من مذهب القدرية السابق ، وملخصه : أن العبد مجبور على ما يصدر منه من أفعال مسلوب الإرادة والاختيار تماما . وصدور الفعل منه ونسبته إليه مجاز والله هو الفاعل حقيقة ^(٢) .

ولو رجعنا إلى آيات القرآن الكريم لوجدناها تنقض هذا الزعم وتقتلعه من أساسه فالله سبحانه وتعالى أثبت المشيئة والإرادة للعبد في غير آية قال تعالى ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ﴾ ^(٣) ، وقال عز وجل ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾ ^(٤) ، والله سبحانه وتعالى أضاف العمل إلى العبد في غير آية قال جل شأنه ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ ^(٥) ، وقال تبارك وتعالى ﴿ وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾ ^(٦) ، وقال جل شأنه ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ ^(٧) .

(١) مسلم بشرح النووي : ١٥٤/١ .

(٢) قال شارح الطحاوية : « وقد تسمى الجبرية قدرية لأنهم غلوا في إثبات القدر » . شرح العقيدة الطحاوية ص : ٥٩٢ .

وفي موضع آخر قال : « وسماوا قدرية لإنكارهم القدر ، وكذلك تسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضاً ، والتسمية على الطائفة الأولى أغلب » .

المصدر السابق ص : ١١٥ ، وانظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية : ١٠٥/٨ .

(٣) سورة الكهف / ٢٩ .

(٤) سورة فصلت / ٤٦ .

(٥) سورة المدثر / ٣٨ .

(٦) سورة الحج / ٧٧ .

(٧) سورة البقرة / ١٩٧ .

فهذه الآيات وغيرها توضح أن العباد مختارون وأن أعمالهم واقعة بمشيئتهم ، وإن كانت هذه المشيئة غير خارجة عن مشيئة الله جل وعلا كما سبق إيضاحه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلامه عن القدرية والجبرية : « قسم يجعلون أنفسهم هي الخالقة المحدثة للحسنات والسيئات ، وأن نعمة الله الدينية على المؤمن والكافر سواء وأنه لم يعط العبد إلا قدرة واحدة تصلح للضدين وليس بيد الله هداية خص بها المؤمن ، أو تطلب منه بقول العبد ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ^(١) وأنه لا يقدر على هداية ضال ، ولا إضلال مهتد ، فهؤلاء القدرية الجوسية .

وقسم : يسلبون العبد اختياره وقدرته ، ويجعلونه مجبورا على حركاته من جنس حركة الجمادات ، ويجعلون أفعاله الاختيارية والاضطرارية من نمط واحد يقول أحدهم : إن جميع ما أمر الله به ورسوله فإنما هو أمر بما لا يقدر عليه ، ولا يطيقه ، فيسلبونه القدرة مطلقا ، إذ لا يثبتون له إلا قدرة واحدة مقارنة بالفعل ولا يجعلون للعاصي قدرة أصلا .

فهذه المقالات وأمثالها من مقالات الجبرية والقدرية الذين أنكر قولهم - كما أنكروا قولهم الأولون- أئمة الهدى مثل عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، وسفيان ابن سعيد الثوري ، ومحمد بن الوليد الزبيدي ، وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد ابن محمد بن حنبل وغيرهم فإن ضموا إلى ذلك إقامة العذر للعصاة بالقدر وقالوا : إنهم معذورون لذلك لا يستحقون اللوم والعذاب ، أو جعلوا عقوبتهم ظلما، فهؤلاء كفار، كما أن من أنكر علم الله القديم من غلاة القدرية فهو كافر.

وإن جعلوا ثبوت القدر موجبا لسقوط الأمر والنهي والوعد والوعيد كفعل المباحية ، فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من جنس المشركين الذين قالوا : ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ، قل فله الحجة البالغة فلو شاء هدامكم

(١) سورة الفاتحة / ٦ .

أجمعين ﴿^(١)﴾ فإن هذا القول يستلزم طى بساط كل أمر ونهى وهذا مما يعلم بالاضطرار من العقل والدين أنه يوجب الفساد في أمر الدنيا والمعاد .

وأما القسم الرابع : فهو شر الأقسام كما قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى قال : أنت عند الطاعة قدرى ، وأنت عند المعصية جبرى . أى مذهب وافق هواك تمذهبت به فهو لاء شر أتباع الشيطان، وليس هو مذهباً لطائفة معروفة ولكن هو حال عامة المحولين عن الأمر والنهى ، إن فعل طاعة أخذ يضيفها إلى نفسه ويعجب حتى يحبط عمله ، وإن عمل معصية أخذ يعتذر بالقدر ويحتج بالقضاء ، وتلك حجة داحضة ، وعذر غير مقبول .

وتراه إذا أصابته مصيبة بفعل العباد أو غيرهم لا يستسلم للقدر وتراه إذا ظلم نفسه أو غيره احتج بالقدر ... وإن ظلمه غيره ظلماً دون ذلك أو توهم أنه ظلمه أحد ، سعى في الانتقام من ذلك بأضعاف ذلك ولا يعذر غيره بمثل ما عذر به نفسه من القدر وهما سواء ^(٢) . اهـ .

وأختم الكلام عن القدرية والجبرية بما ذكره شارح الطحاوية حيث يقول : فكل دليل صحيح يقيمه الجبرى ، فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء ، وأنه على كل شيء قدير ، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته ، وأنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة ولا مرید ولا مختار ، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار . وكل دليل صحيح يقيمه القدرى فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة ، وأنه مرید له مختار له حقيقة وأن إضافته ونسبته إليه حق ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته ، فإذا ضمنت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى فإنما يدل على ما دل عليه القرآن من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما فى الكون من الأعيان والأفعال وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم ^(٣) .

(١) سورة الأنعام / ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٤٤٤/٨ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٤٩٤ .

ما أثار عن الإمام أحمد من وجوب الإيمان باللوح المحفوظ والقلم

قال أبو بكر الخلال :

١٤٠ - أخبرني عصمة بن عصام قال : ثنا حنبل قال : سألت أبا عبد الله عن الإيمان بالقدر . قال : تؤمن به وتعلم أن ما أصابنا لم يكن يخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وأن الله عز وجل قدر كل شيء من الخير والشر فهو سابق في اللوح المحفوظ والشقاء والسعادة مكتوبان على ابن آدم قبل أن يخلق . ونحن في أصلاب الآباء^(١) .

١٤١ - وفي رواية أخرى بنفس الإسناد قال حنبل : قلت له الشقاء والسعادة مكتوبان على العبد . قال : نعم . سابق في علم الله وهما في اللوح المحفوظ^(٢) .

١٤٢ - وفي رسالة أحمد بن جعفر الإصطخرى قال : واللوح المحفوظ تستنسخ منه أعمال العباد لما سبق فيه من المقادير والقضاء . والقلم حق كتب الله به مقادير كل شيء وأحصاه في الذكر تبارك وتعالى^(٣) .

التعليق :

تقدم عند ذكر مراتب القدر الكلام عن مرتبة الكتابة باختصار^(٤) ولارتباط هذه المرتبة بذكر اللوح المحفوظ والقلم آثرت تفصيلها هنا . فأقول وبالله التوفيق : إن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بأن الله جلّت قدرته قد كتب

(١) السنة (ق : ٨٧/١) .

(٢) انظر : طبقات الخنابلة : ٢٧/١ وكتاب السنة لأحمد ضمن شذرات البلاطين ص : ٤٧ .

(٣) انظر : ص ١٢٠ .

(٤) انظر : ص ١٢٠ من هذا البحث .

مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ . وقد دل القرآن الكريم والسنة المطهرة على ذلك يقول جل شأنه في محكم التنزيل : ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾^(١) ويقول تبارك وتعالى في قصة موسى عليه السلام مع فرعون : ﴿ فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربى في كتاب لا يضل روى ولا ينسى ﴾^(٢) ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾^(٣) ويقول عز وجل : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾^(٤) وقال جل شأنه : ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾^(٥) ، وقال جل ذكره : ﴿ وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾^(٦) وقال تباركت أسماؤه : ﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾^(٧) وهو اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب وهو الذكر قال تعالى : ﴿ حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾^(٨) وقال جل جلت قدرته : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾^(٩) هذه آيات الكتاب العزيز تدل على ما ذكرنا ونذكر الآن شيئا مما ورد عنه صلى الله عليه وسلم ، روى مسلم^(١٠) من حديث عبد الله بن عمرو

(١) سورة البروج / ٢١ - ٢٢ .

(٢) سورة طه / ٥١ - ٥٢ .

(٣) سورة الحج / ٧٠ .

(٤) سورة الأنعام / ٥٩ .

(٥) سورة فاطر / ١١ .

(٦) سورة يونس / ٦١ .

(٧) سورة يس / ١٢ .

(٨) سورة الزخرف / ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٩) سورة الأنبياء / ١٠٥ .

(١٠) في الصحيح : ٢٠٤٤/٤ .

ابن العاص رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » .

وروى البخارى^(١) ومسلم^(٢) عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عود ينكت به فى الأرض فنكس وقال : « ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو الجنة فقال رجل من القوم : ألا نتكل يا رسول الله . قال : لا ، اعملوا فكل ميسر ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ » .

وروى البخارى^(٣) من حديث عمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض » . والأحاديث الصحيحة فى هذا المعنى كثيرة .

قال ابن القيم : وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب فى أم الكتاب وقد دل القرآن على أن الزب تعالى كتب فى أم الكتاب ما يفعله وما يقوله فكتب فى اللوح أفعاله وكلامه^(٤) . اهـ .

ثم إن من عقيدة أهل السنة الإيمان بالقلم ، روى أبو داود^(٥) أن عبادة ابن الصامت قال لابنه : يا بنى إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب ، قال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » يا بنى إني سمعت رسول الله يقول : « من مات على غير هذا فليس منى »^(٦) .

(١) فى الصحيح : ٤٩٤/١١ .

(٢) فى الصحيح : ٢٠٤٠/٤ .

(٣) فى الصحيح : ٢٨٦/٦ .

(٤) شفاء العليل ص : ٤١ .

(٥) فى السنن : ٧٦/٥ .

(٦) حديث صحيح . انظر : السنة لابن أبى عاصم : ٤٨/١ .

وروى ابن أبي عاصم^(١) والآجري^(٢) عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أول ما خلق الله تعالى القلم ، فأخذه يمينه وكتلتا يديه يمين قال : فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول بر وفاجر رطب أو يابس ، فأحصاه عنده في الذكر . فقال : اقرأوا إن شئتم : ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾^(٣) فهل تكون النسخة إلا من شيء قد فرغ منه »^(٤) .

وروى ابن أبي عاصم^(٥) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أول شيء خلقه الله تعالى القلم فأمره فكتب كل شيء يكون »^(٦) وقد ساق ابن أبي عاصم عدة أحاديث في ذكر القلم^(٧) .

يقول شارح الطحاوية بعد أن ذكر بعض ما تقدم من الأحاديث : « وقد جاءت الأقلام في هذه الأحاديث وغيرها مجموعة ، فدل ذلك على أن للمقادير أقلاما غير القلم الأول الذى تقدم ذكره مع اللوح المحفوظ والذى دلت عليه السنة أن الأقلام أربعة وهذا التقسيم غير التقسيم المقدم ذكره^(٨) :

القلم الأول : العام الشامل لجميع المخلوقات وهو الذى تقدم ذكره مع اللوح.
القلم الثانى : خبير خلق آدم وهو قلم عام أيضا، لكن لبنى آدم، وورد في

(١) في السنة : ٤٩/١ - ٥٠ .

(٢) في الشريعة ص : ١٧٥ .

(٣) سورة الجاثية/٢٩ .

(٤) حديث صحيح . انظر : السنة لابن أبي عاصم : ٥٠/١ .

(٥) في السنة : ٥٠/١ .

(٦) حديث صحيح . انظر : المصدر السابق .

(٧) انظر : السنة له ص : ٤٨ - ٥٠ .

(٨) حيث قال : وفي اللفظ الآخر « لما خلق الله القلم قال له اكتب » فهذا القلم أول الأقلام وأفضلها وأجلها . وقد قال غير واحد من أهل التفسير : « إنه القلم الذى أقسم الله به في قوله تعالى : ﴿ ونه والقلم وما يسطرون ﴾ سورة القلم / ١ - ٢ . والقلم الثانى : قلم الوحى : وهو الذى يكتب به وحى الله إلى أنبيائه ورسله . وقد رفع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ، فهذه الأقلام هى التى تكتب ما يوحىه الله تبارك وتعالى من الأمور التى يديرها » . اهـ . شرح العقيدة الطحاوية ص : ٢٩٦ .

هذا آيات تدل على أن الله قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم عقيب خلق أبيهم

القلم الثالث : حين يرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه ، فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وعمله ، وشقى أو سعيد كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة .

القلم الرابع : الموضوع على العبد عند بلوغه ، الذي بأيدي الكرام ، الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم . كما ورد ذلك في الكتاب والسنة^(١) . اهـ .

وأجتمعت الكلام بأن ما أوردته في ثنايا مباحث القدر من أحاديث تدل على سبق المقادير بالشقاء والسعادة والجنة والنار لا يقتضي ترك الأعمال بل يقتضي الاجتهاد والحرص كما قال ابن القيم وقد علق - رحمه الله - على حديث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه المتقدم^(٢) وغيره مما هو مشابه له فقال : « فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه بل يوجب الجهد والاجتهاد ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال : ما كنت أشد اجتهادا مني الآن . وهذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة ودقة أفهامهم وصحة علومهم فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليفة بالأسباب فإن العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه ويمكن منه وهيبه له فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب وكلما زاد اجتهادا في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى إليه... فمن عطل العمل اتكالا على القدر السابق فهو بمنزلة من عطل الأكل والشرب والحركة في المعاش وسائر أسبابه اتكالا على ما قدر له^(٣) .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٢٩٧ .

(٢) في ص : ١٦٤ .

(٣) شفاء العليل ص : ٢٥ ، ٢٦ . وانظر ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى :

٨ / ٢٧٢ - ٢٩٤ والخطاى في معالم السنن مع سنن أبي داود : ٦٨/٥ - ٦٩ حول هذا الموضوع .

ما أثر عن الإمام أحمد في الصلاة خلف القدرية ومجادلتهم .

١٤٣ - قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي رحمه الله يقول : لا يصلى خلف القدرية والمعتزلة والجهمية . سألت أبي مرة أخرى عن الصلاة خلف القدرية . فقال : إن كان ممن يخاصم فيه ويدعو إليه لا نصلى خلفه^(١) .

١٤٤ - وقال أبو داود السجستاني : سمعت أحمد سئل عن القدرى يجادل؟ قال: ما يعجبني، قال: لا يدعني، قال: ذلك أحرى أن لا تكلمه إذا كان صاحب جدال^(٢) .

١٤٥ - وقال الإمام أحمد في رسالة عبدوس بن مالك : وأن لا يخاصم أحدا ولا يناظر ولا يتعلم الجدل ، فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه منبى عنه ، لا يكون صاحبه - إن أصاب بكلامه السنة - من أهل السنة حتى يدع الجدل ويؤمن بالآثار .

وفي موضع آخر قال : ... وما كان مثله في القدر ومثل أحاديث الرؤيا كلها . وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع فإنما عليه الإيمان بها لا يرد منها حرفاً واحداً وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات^(٣) .

التعليق :

أتكلم الآن - وباختصار - عن مسألتين مهمتين وهما : الصلاة خلف القدرية والجدال في القدر فأقول وبالله التوفيق : إنه من الواضح من الروايات العديدة عن الإمام أحمد سواء في هذا الباب أو في غيره : ترك الصلاة خلف دعاة المبتدعة^(٤) .

(١) السنة (ظ : ق : ١/٥٠) .

(٢) مسائل أبي داود (ظ ، ص : ٢٥٥ وفي المطبوع ص : ٢٧٢) .

(٣) انظر : رسالة عبدوس بن مالك (ق : ١/ب) .

(٤) وسيأتي مزيد من التفصيل حول هذه المسألة عند : قول الإمام في حكم المبتدعة وما أثر عنه في الصلاة خلف الفساق ، ص : ٩٣٥ ، ٩٤٠ .

وهذا أيضا يشمل الرواية عنهم ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلامه عن القدرية : وأخرج البخارى ومسلم لجماعة منهم لكن من كان داعية إليه لم يخرجوا له . وهذا مذهب فقهاء الحديث كأحمد وغيره أن من كان داعية إلى بدعة ، فإنه يستحق العقوبة لدفع ضرره عن الناس^(١) .

وقد عقد الحافظ اللالكائى فى كتابه شرح أصول أهل السنة فصلا بعنوان « سياق ما روى فى منع الصلاة خلف القدرية والتزويج إليهم وأكل ذبائحهم ورد شهادتهم » ذكر فيه جملة كبيرة من أقوال التابعين^(٢) كما ساق اللالكائى جملة كبيرة من أقوال الصحابة والتابعين فى مجانبة أهل القدر وسائر أهل الأهواء^(٣) .

أما الجدل فى القدر فهو منهى عنه وذلك لما يؤدى من نتائج سلبية؛ فالقدر سر الله عز وجل . روى الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لقد جلست أنا وأخى مجلسا ما أحب أن لى به حمر النعم أقبلت أنا وأخى وإذا مشيخة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس عند باب من أبوابه فكرهنا أن نفرق بينهم فجلسنا حجرة إذ ذكروا آية من القرآن فتاروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا قد احمر وجهه يرميهم بالتراب ويقول : « مهلا يا قوم بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكعب بعضها ببعض إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا بل يصدق بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه »^(٤) .

وقد كان السلف يكرهون الجدل فى القدر ويذمونهُ . وقد تقدم فى رواية المروذى إنكار أحمد على من قال : جبر العباد وعلى القدرى الذى قال : لم يجبر فلما سأله المروذى عن الجواب فى هذه المسألة أجابه بقول الله تعالى : ﴿ يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾^(٥) .

(١) الإيمان ص : ٣٦٩ .

(٢) انظر : المصدر المشار إليه : ٧٣٠/٤ - ٧٣٦ .

(٣) انظر : المصدر المشار إليه : ٦٣٤/٤ - ٦٣٨ .

(٤) مسند أحمد : ١٨١/٢ ، وابن ماجه : ٣٣/١ ، واللائكائى فى شرح أصول السنة : ٦٢٧/٤ والحديث صحيح .

انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص : ٢١٨ .

(٥) انظر ص : ١٥٧ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وكان السلف قد أظهروا ذلك لما أظهرت
القدرية أن أفعال العباد غير مخلوقة لله . وزعموا أن العبد يحدثها أو يخلقها دون الله ،
فبين السلف والأئمة أن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها^(١) . اهـ .

فالسلف رحمهم الله تعالى كرهوا الكلام في القدر والقرآن ونحو ذلك لكن لما
خاضت الميتدعة في هذه الأمور وحادوا عن الصواب رأى سلفنا الصالح لزاما عليهم
أن يبينوا للناس الحق والصواب فيما ضل فيه هؤلاء .

قال الطحاوي رحمه الله تعالى : وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه ، لم
يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل ، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة
الخذلان ، وسلم الحرمان ، ودرجة الطغيان ، فالخذر كل الخذر من ذلك نظرا
وفكرا ووسوسة فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه ،
كما قال تعالى في كتابه : ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾^(٢) فمن
سأل : لم فعل ؟ فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من
الكافرين^(٣) .

قال الشارح معلقا على قوله : فمن سأل ... إلخ : اعلم أن معنى العبودية والإيمان
بالله وكتبه ورسله - على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر
والنواهي والشرائع . ولهذا لم يحك الله عن أمة نبي صدقت بنبيها وآمنت بما جاء
به أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونهاها عنه وبلغها عن ربها ،
ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها بل انقادت وسلمت وأذعنت ، وما عرفت
من الحكمة عرفته وما خفى عنها لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته
ولاجعلت ذلك من شأنها^(٤) . اهـ .

وفي الختام أقول : إن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان لا يتحقق إيمان
عبد إلا به . وقد ذكرت ما وجدته عن الإمام أحمد من روايات في مسائل القدر

(١) مجموع الفتاوى : ٤٠٦/٨ - ٤٠٧ .

(٢) سورة الأنبياء / ٢٣ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٢٧٦ .

(٤) نفس المصدر ص : ٢٩ .

وعلقت عليها بما يقتضيه الحال . ومن أراد الاستزادة فليراجع كتب السلف التي
عنيت بهذه المسائل . والله تعالى أعلم .

قول الإمام أحمد في : من مات من أطفال المسلمين

قال أبو بكر الحلال :

١٤٦ - أخبرني منصور بن الوليد^(١) أن جعفر بن محمد حدثهم قال :
سمعت أبا عبد الله يُسأل عن أطفال المسلمين ؟ فقال : ليس فيهم اختلاف
أنهم في الجنة .

١٤٧ - أخبرني عبد الله الميموني أنهم ذكروا أبا عبد الله في أطفال
المؤمنين وذكروا له حديث عائشة رضی الله عنها وأرضاهما في قصة الأنصاري
وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه^(٢) فسمعت أبا عبد الله يقول غير مرة وهذا
حديث وذكر فيه رجلاً ضعفه : طلحة .

١٤٨ - وسمعت يقول غير مرة : واحد يشك أنهم في الجنة ، ثم أُملي
علينا الأحاديث فيه .

١٤٩ - وسمعت غير مرة يقول : هو يرجي لأبويه كيف يشك .

١٥٠ - وقال أبو عبد الله : إنما اختلفوا في أطفال المشركين^(٣) .

(١) لم أجد له ترجمة فيما اطّلت عليه من المصادر .

(٢) أخرج مسلم : ٢٠٥٠/٤ وأبو داود : ٨٦/٥ ، النسائي ح : ١٩٤٩ وابن ماجه في المقدمة ح :
٨٢ عن طلحة بن يحيى عن عمته عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت : دُعي رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الأنصار فقلت : يا رسول الله طوي لهذا عصفور من
عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه . قال : « أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم
ها وهم في أصلاب آياتهم . وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آياتهم » . وطلحة هو
ابن يحيى بن طلحة بن عبيد التيمي المدني ، صدوق يخطئ^٤ . تقريب : ٣٨٠/١ . وقال عنه الإمام
أحمد : صالح الحديث . إنما أنكر عليه حديث «عصفور من عصافير الجنة» . تهذيب : ٢٧/٥ .
وقد تابعه فضيل بن عمرو . كما عند مسلم : ٢٠٥٠/٤ بلفظ مقارب مما تقدم .

(٣) أحكام أهل الملل ص : ٣٦ .

التعليق :

إن ما ذهب إليه الإمام أحمد من أن أطفال المسلمين في الجنة هو - والله أعلم - الصواب وهو ما يكاد يكون مجمعا عليه بين العلماء . والأدلة على ذلك كثيرة منها : ما أخرجه البخاري^(١) عن أنس رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الخنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » . وأخرج البخاري^(٢) ومسلم^(٣) عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن النساء قلن للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما . فوعظهن وقال : « أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حججا من النار » . قالت امرأة : واثنان ؟ قال : « واثنان » واللفظ للبخاري . وأخرج مسلم^(٤) عن أبي هريرة قال : أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم بصبي لها . فقالت : يا نبي الله ادع الله له . فلقد دفنت ثلاثة . قال : « دفنت ثلاثة » ؟ قالت : نعم . قال : « لقد احتظرت بحظار شديد من النار » . والأحاديث الصحيحة في هذا كثيرة .

قال ابن حجر : إن من يكون سببا في حجب النار عن أبويه أولى بأن يحجب هو لأنه أصل الرحمة وسببها^(٥) . اهـ .

قلت : وهو ما أشار إليه أحمد بقوله السابق : هو يرجى لأبويه كيف يشك وقد جاء في بعض الأحاديث التصريح بدخولهم الجنة منها : ما أخرجه مسلم^(٦) عن أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة : إنه قد مات لى ابنان فما أنت محدثى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : قال : نعم « صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه ، - أو قال أبويه - ، فيأخذ بثوبه ، - أو قال بيده - ، كما أخذ أنا بصنفة ثوبك هذا . فلا

(١) في الصحيح : ١١٨/٣ .

(٢) في الصحيح : ١١٨/٣ .

(٣) في الصحيح : ٢٠٢٨/٤ .

(٤) في الصحيح : ٢٠٣٠/٤ .

(٥) فتح الباري : ٣٤٤/٣ .

(٦) في الصحيح : ٢٠٢٩/٤ .

يتناهى - أو قال : فلا ينتهى - حتى يدخله الله وأباه الجنة » قال مسلم : وفي رواية سويد قال : حدثنا أبو السليل . وحدثني عبيد الله بن سعيد . حدثنا يحيى (يعنى ابن سعيد عن التيمى بهذا الإسناد) وقال : فهل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : نعم . وأخرج النسائى^(١) عن معاوية بن قررة عن أبيه رضى الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابن له فقال له : « أتجبه » فقال : أحبك الله كما أحبه . فمات ففقدته فسأل عنه فقال : « ما يسرك أن لا تأتى بابا من أبواب الجنة إلا وجدتته عنده يسعى يفتح لك » . قال ابن حجر : إسناده صحيح^(٢) .

وأخرج ابن ماجه^(٣) عن حرير بن عثمان ، عن شرحبيل بن شفعة قال : لقيني عتبة بن عبد السلمى فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد ، لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية ، من أيها شاء دخل » . قال المحقق : فى الزوائد : فى إسناده شرحبيل بن شفعة ، ذكره ابن حبان فى الثقات . وقال أبو داود : شرحبيل وحرير ، كلهم ثقات . اهـ . وبقى رجال الإسناد على شرط البخارى . اهـ .

والحاصل أن الأحاديث الدالة على أنهم فى الجنة كثيرة^(٤) .

قال النووى : أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لأنه ليس مكلفا وتوقف فيه بعض من لا يعتد به لحديث عائشة^(٥) . وأجاب العلماء بأنه لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع كما أنكر على سعد بن أبى وقاص فى قوله : أعطه إني لأراه مؤمنا قال « أو مسلما » الحديث^(٦) . ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين فى الجنة فلما علم قال ذلك فى قوله

(١) فى السنن : ٢٣/٤ .

(٢) فتح البارى : ١٢١/٣ .

(٣) فى السنن : ٥١٢/٢ .

(٤) راجع فتح البارى : ١١٨/٣ - ١٢٤ ، ٢٤٤ - ٢٤٨ .

(٥) المتقدم ص : ١٧٠ .

(٦) تقدم ص : ١٠٩ .

صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » . وغير ذلك من الأحاديث والله أعلم ^(١) .

ونقل عن المازرى قوله : أما أولاد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فالإجماع متحقق على أنهم في الجنة وأما أطفال من سواهم من المؤمنين فجماهير العلماء على القطع لهم بالجنة ، ونقل جماعة الإجماع في كونهم من أهل الجنة قطعا لقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ وتوقف بعض المتكلمين فيها وأشار إلى أنه لا يقطع لهم كالمكلفين ، والله أعلم ^(٢) .

قال ابن حجر : قال القرطبي نفى بعضهم الخلاف في ذلك ، وكأنه عنى ابن أبي زيد فإنه أطلق الإجماع في ذلك ، ولعله أراد إجماع من يعتد به ^(٣) .

وقال أيضا ^(٤) : « وكون أولاد المسلمين في الجنة قاله الجمهور ووقفت طائفة قليلة » ^(٥) . اهـ .

قلت : وقول الإمام أحمد : « ليس فيهم اختلاف أنهم في الجنة » محمول على إجماع الجمهور ممن يعتد بقولهم .

(١) مسلم بشرح النووي : ٢٠٧/١٦ .

(٢) مسلم بشرح النووي : ١٨٣/١٦ .

(٣) فتح الباري : ٢٤٥/٣ .

(٤) أبى ابن حجر .

(٥) تقس المصنر : ١٢٤/٣ .

قول الإمام أحمد في : من مات من أطفال المشركين

قال أبو بكر الخلال :

١٥١ - رأيت في كتاب لهارون المستملي^(١) قال أبو عبد الله : إذا سأل الرجل عن أولاد المشركين مع آبائهم . فإنه أصل كل خصومة ولا يسأل عنه إلا رجل الله أعلم به .

قال : ونحن نمر هذه الأحاديث على ما جاءت ونسكت ولا نقول شيئاً^(٢) .

١٥٢ - وفي رواية جعفر بن محمد : سمعت أبا عبد الله سئل عن أطفال المشركين فلم يقل شيئاً .

١٥٣ - وفي رواية حنبل بن إسحاق أنكروا على السائل سؤاله .

١٥٤ - أخبرني عبد الله بن محمد^(٣) قال : حدثنا بكر بن محمد^(٤) عن أبيه عن أبي عبد الله وسأله عن أولاد المشركين فقال : أذهب إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الله أعلم بما كانوا عاملين »^(٥) .
ونحو هذه الرواية نقل عنه أبو طالب^(٦) .

(١) هارون بن سفيان المستملي ، قال أبو بكر الخلال : رجل قديم مشهور معروف عنده عن أبي عبد الله مسائل كثيرة ، توفي سنة سبع وأربعين ومئتين . ت/بغداد : ٢٤/١٤ ، طبقات الخنابلة : ٣٩٥/١ - ٣٩٦ .

(٢) أحكام أهل الملل ص : ٣٧ .

(٣) ابن عبد الحميد القطان ، ثقة . ت/بغداد : ١٠٥/١٠ .

(٤) قال عنه أبو بكر الخلال : كان أبو عبد الله يكرمه وعنده مسائل كثيرة سمعها من أبي عبد الله . طبقات الخنابلة ١/١١٩ .

قلت : وهو هنا يروى عن أبيه عن عبد الله وأبوه هو : محمد بن الحكم تقدمت ترجمته ص : ١٤٤ .

(٥) أخرجه البخاري : ٢٤٥/٣ ح ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ومسلم ٢٠٤٩ من حديث أبي هريرة .

(٦) أحكام أهل الملل ص : ٣٧ .

التعليق :

هذا ما وجدته من روايات مسندة عن الإمام أحمد وسأورد الآن ما جاء حول هذا الموضوع فأقول وبالله التوفيق : جاء في رواية أبي طالب : « أن أبا عبد الله سئل عن أطفال المشركين فقال : كان ابن عباس يقول : فأبواه يهودانه وينصرانه حتى سمع : « الله أعلم بما كانوا عاملين » فترك قوله وهي صحاح ومخرجها كلها صحيح . اهـ .

وقول ابن عباس هذا رواه أحمد^(١) عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال : أتى عليّ زمان وأنا أقول : أولاد المسلمين مع المسلمين وأولاد المشركين مع المشركين حتى حدثني فلان عن فلان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنهم فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » . قال : فلقيت الرجل فأخبرني فأمسكت عن قولي . اهـ . قال الألباني : إسناده صحيح^(٢) .

والحديث في الصحيحين عن ابن عباس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال : « الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين »^(٣) .

وقد تقدم قول أبي عبد الله في رواية جعفر بن محمد وعبد الملك الميموني حيث قال في أطفال المسلمين : ليس فيهم اختلاف أنهم في الجنة ، إنما اختلفوا في أطفال المشركين .

قلت : والخلاف في مصير أولاد المشركين كبير والذي يظهر من إحدى الروايتين عن أحمد الإمساك .

وهذا عرض للأقوال واستعراض للأدلة وما رجحه العلماء :

قال الحافظ ابن حجر: اختلف العلماء قديما وحديثا في هذه المسألة على

أقوال :

(١) في المسند : ٧٣/٥ .

(٢) انظر : السنة لابن أبي عاصم : ٩٦/١ .

(٣) انظر : فتح الباري : ٣٤٥/٣ ، وصحيح مسلم : ٢٠٤٩/٤ .

أحدها : أنهم في مشيئة الله تعالى ، وهو منقول عن الحمادين وابن المبارك وإسحاق ونقله البيهقي في الاعتقاد^(١) عن الشافعي في حق أولاد الكفار خاصة ، قال ابن عبد البر : وهو مقتضى صنيع مالك ، وليس عنده في هذه المسألة شيء منصوص ، إلا أن أصحابه صرحوا بأن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال الكفار خاصة في المشيئة ، والحجة فيه حديث : « الله أعلم بما كانوا عاملين »^(٢) .

ثانياً : أنهم تبع آباؤهم فأولاد المسلمين في الجنة وأولاد الكفار في النار وحكاه ابن حزم عن الأزارقة^(٣) من الخوارج واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾^(٤) وتعقبه بأن المراد قوم نوح خاصة وإنما دعى بذلك لما أوحى الله إليه : ﴿ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴾^(٥) وأما حديث : « هم من آباؤهم أو منهم »^(٦) فذاك ورد في حكم الحرى وروى أحمد من حديث عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ولدان المسلمين ، قال : « في الجنة » . وعن أولاد المشركين ، قال : « في النار » . فقلت : يا رسول الله لم يدركوا الأعمال ، قال : « ربك أعلم بما كانوا عاملين ، لو شئت لأسمعتك تضاغيبهم في النار »^(٧) . وهو حديث ضعيف جداً لأن في إسناده أبا عقيل مولى بنية وهو متروك^(٨) .

ثالثها : أنهم يكونون في برزخ بين الجنة والنار ، لأنهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنة ولا سيئات يدخلون بها النار^(٩) .

- (١) انظر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص : ١٠٧ - ١٠٨ .
- (٢) انظر : تعليق ابن القيم على هذا القول في طريق المهجرتين ص : ٣٩٤ .
- (٣) انظر التعريف بهذه الفرقة ص : ١٧٨ ، ٣٤٨/٢ .
- (٤) سورة نوح / ٢٦ .
- (٥) سورة هود / ٣٦ .
- (٦) أخرجه أحمد : ٣٨/٤ ، ٧١ ، والبخارى : ٣١/٤ ، ومسلم : ١٣٦٤/٣ من حديث الصعب بن جثامة رضى الله عنه .
- (٧) انظر : المسند : ٢٠٨/٦ . والسنة لابن أبي عاصم ص : ٩٤ - ٩٥ .
- (٨) انظر : تعليق ابن القيم على هذا القول في طريق المهجرتين ص : ٣٩٤ - ٣٩٦ .
- (٩) نفس المصدر ص : ٣٩٣ - ٣٩٤ .

رابعها : خدم أهل الجنة ، وفيه حديث عن أنس ضعيف^(١) أخرجه أبو داود الطيالسي وأبو يعلى ، وللطبراني والبخاري من حديث سمرة مرفوعاً : « أولاد المشركين خدم أهل الجنة » وإسناده ضعيف^(٢) .

خامسها : أنهم يصيرون تراباً ، روى عن ثمامة بن أشرس^(٣) .

سادسها : هم في النار حكاه عياض عن أحمد وغلطه ابن تيمية بأنه قول لبعض أصحابه ولا يحفظ عن الإمام أصلاً^(٤) .

سابعها : أنهم يمتحنون في الآخرة بأن ترفع لهم نار ، فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ، ومن أتى عذب . أخرجه البخاري من حديث أنس وأبي سعيد وأخرجه الطبراني من حديث معاذ بن جبل وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة ، وحكى البيهقي في كتاب الاعتقاد أنه المذهب الصحيح^(٥) وتعقب بأن الآخرة ليست دار تكليف فلا عمل فيها ولا ابتلاء ، وأجيب بأن ذلك بعد أن يقع الاستقرار في الجنة أو النار وأما في عرصات القيامة فلا مانع من ذلك . وقد قال تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون

(١) قال ابن القيم : واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن القاري ، عن أبي حازم المدني ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس .

قال الدارقطني : ورواه عبد العزيز الماجشون عن ابن المنكدر عن يزيد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سألت ربي للآلهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم ، فأعطانيهم ، فهم خدام أهل الجنة » يعنى الصبيان فهذان طريقان ، وله طريق ثالث عن فضيل بن سليمان عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن أنس قال ابن قتيبة : اللاهون من هبت عن الشيء إذا غفلت عنه وليس هو من هوت ، وهذه الطرق ضعيفة ، فإن يزيد الرقاشي واه ، وفضيل بن سليمان متكلم فيه وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف . طريق الهجرتين ص : ٣٩٤ .

(٢) انظر : مجمع الزوائد : ٢١٩/٧ .

(٣) العمري وإليه ينسب التامة من فرق المعتزلة وذكر الشهرستاني عنه مثل هذا في أطفال المؤمنين أيضاً . انظر : الملل والنحل ج ١ : ٨٩/١ .

(٤) قال ابن القيم : وهذا قول جماعة من التكلمين وأهل التفسير وأحد الوجهين لأصحاب أحمد ، وحكاه القاضي نصاً عن أحمد . طريق الهجرتين ص : ٣٨٩ . وانظر تعليقه على هذا القول من ص : ٣٨٩ - ٣٩١ .

(٥) راجع الكتاب المذكور ص : ١١١ - ١١٢ .

إلى السجود فلا يستطيعون ﴿١﴾ وفي الصحيحين أن الناس يؤمرون بالسجود
فيصير ظهر المنافق طيقاً فلا يستطيع أن يسجد ﴿٢﴾ (٣)

(١) سورة القلم / ٤٢ .

(٢) أخرج البخارى : ٤٢٠ / ١٣ . ومسلم : ١٦٨ / ١ من حديث أنى سعيد الخدرى يرويه عن النبى صلى
الله عليه وسلم فى أهوال ومشاهد يوم القيامة : « ... فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ،
ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كما يسجد فيعود ظهره طيقاً واحداً » . الحديث
واللفظ للبخارى .

(٣) هذا القول ذكره ابن القيم على وجه آخر حيث قال فى عرضه للمذاهب المختلفة فى هذه المسألة :
المذهب الثامن : أنهم يمتحنون فى عرصات القيامة ويرسل إليهم هناك رسول وإلى كل من لم تبلغه
الدعوة فمن أطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه أدخله النار . وعلى هذا يكون بعضهم فى الجنة
وبعضهم فى النار . وبهذا يتألف شمل الأدلة كلها وتتوافق الأحاديث ويكون معلوم الله الذى أحال
عليه النبى صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « الله أعلم بما كانوا عاملين » يظهر حينئذ ويقع الثواب
والعقاب عليه حال كونه معلوماً علماً خارجياً لأعلماً مجرداً ، ويكون النبى صلى الله عليه وسلم قد
رد جوابهم إلى علم الله فيهم ، والله يرد ثوابهم وعقابهم إلى معلومه منهم ، فالخير عنهم مردود إلى
علمه ، ومصيرهم مردود إلى معلومه . وقد جاءت بذلك آثار كثيرة يؤيد بعضها بعضاً ... ثم ساق
ما يراه مؤيداً لقوله ورد على ما يرد من اعتراضات . راجع طريق المهجرتين ص : ٣٩٦ - ٤٠١ .
وقد أيد شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية هذا القول إذ يقول : « ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن يموت من أطفال المشركين وهو صغير قال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » أى الله
يعلم من يؤمن منهم ومن يكفر لو بلغوا . ثم إنه قد جاء فى حديث إسناده مقارب عن أنى هريرة
رضى الله عنه : عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كان يوم القيامة فإن الله يمتحنهم ويبحث
إليهم رسولا فى عرصة القيامة ، فمن أجابه أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار » فهناك يظهر فيهم
ما علمه الله سبحانه وجزىهم على ما ظهر من العلم وهو إيمانهم وكفرهم ، لا على مجرد العلم .
وهذا أجود ما قيل فى أطفال المشركين وعليه تنزل جميع الأحاديث . مجموع الفتاوى :
٤ / ٢٤٦ - ٢٤٧ . وفى موضع آخر قال : وأما أطفال المشركين فأصح الأجوبة فيهم جواب رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « الله أعلم بما كانوا عاملين » فلا يحكم على معين منهم بجنة ولا بنار ويروى
« أنهم يوم القيامة يمتحنون فى عرصات القيامة ، فمن أطاع حينئذ دخل الجنة ومن عصى دخل النار .
ودلت الأحاديث الصحيحة أن بعضهم فى الجنة وبعضهم فى النار » . مجموع الفتاوى : ٤ / ٣١٢ .
قلت : « قد لا يكون الفرق جوهرياً بين من قال : « يرسل إليهم رسولا وبين من قال : ترفع لهم
نار . فالخلاص من القولين أنهم يمتحنون فى الآخرة وقد ساق البيهقى فى الاعتقاد ص : ١١١ -
١١٢ وابن القيم فى المصدر السابق ما جاء فى هذا الباب من آثار فراجعهما .

ثامنها : أنهم في الجنة . قال النووي^(١) : وهو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون لقوله تعالى : ﴿ وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا ﴾ وإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة فلأن لا يعذب غير العاقل من باب الأولى ، ولحديث سمرة^(٢) المذكور في هذا الباب ، ولحديث عمه خنساء^(٣) المتقدم ، ولحديث عائشة^(٤) الآتي قريباً .

تاسعها : الوقف^(٥) .

عاشرها : الإمساك^(٦) وفي الفرق بينهما دقة^(٧) .

قال ابن القيم : وقد نقل عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية والقاسم بن محمد وغيرهم أنهم كرهوا الكلام في هذه المسألة جملة^(٨) .

(١) انظر : مسلم بشرح النووي : ٢٠٧/١٦ - ١٧٧ .

(٢) يرفعه : « أولاد المشركين خدم أهل الجنة » وقد تقدم ص : ١٧٩ .

(٣) قلت يا رسول الله من في الجنة ؟ قال : « النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والمولود في الجنة » . قال ابن حجر : رواه أحمد : ٥٨/١ ، ٤٠٩ وإسناده حسن .

(٤) قال ابن حجر : وروى عبد الرزاق : من طريق أبي معاذ ، عن الزهري ، عن عروة عن عائشة قالت : « سألت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال : هم مع آبائهم ، ثم سأله بعد ذلك فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، ثم سأله بعد ما استحكم الإسلام فنزل : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ قال : هم على الفطرة أو قال : « في الجنة » . وأبو معاذ هو سليمان بن أرقم وهو ضعيف ، ولو صح هذا لكان قاطعاً للنزاع رافعاً لكثير من الإشكالات المتقدم . فتح الباري : ٢٤٧/٣ .

وقد علق ابن القيم على هذا القول وساق ما احتج به أصحابه ثم قال : وهذه حجج كما ترى قوة وكثرة ولاسيبيل إلى دفعها . وسيأتي إن شاء الله فصل النزاع في هذه المسألة والقول بموجب هذه الحجج الصحيحة كلها . طريق الهجرتين ص : ٣٩١ - ٣٩٣ . قلت يشير بقوله الأخير هذا إلى ما قدمناه من ترجيحهم لامتحانهم في الآخرة .

(٥) انظر : تعليق ابن القيم على هذا في طريق الهجرتين ص : ٣٨٧ - ٣٨٩ .

(٦) انظر : رواية هارون المستمل وجعفر بن محمد عن أحمد ص : ١٥٧ فظاهرهما الإمساك والله أعلم .

(٧) فتح الباري : ٢٤٦/٣ - ٢٤٧ . وللمزيد : انظر : ما ذكره ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل : ٧٢/٤ - ٧٩ .

(٨) طريق الهجرتين ص : ٤٠١ - ٤٠٢ .

وفي موضع آخر قال : وفي صحيح أبي حاتم ابن حبان من حديث جرير ابن حازم قال : سمعت أبا رجاء يقول وهو على المنبر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال أمر هذه الأمة قواماً^(١) - أو مقارباً - ما لم يتكلموا في الولدان والقدر »^(٢) .

قال : أبو حاتم : والولدان أراد به أطفال المشركين .

قال ابن القيم معلقاً : وأما حديث أبي رجاء العطاردي عن ابن عباس ، ففي القلب من رفعه شيء ، وإن أخرجه ابن حبان في صحيحه^(٣) . وهو يدل على ذم من تكلم فيهم بغير علم . أو ضرب النصوص بعضها ببعض فيهم . كما ذم من تكلم في القدر بمثل ذلك ، وأما من تكلم فيهم بعلم وحق فلا^(٤) .

(١) في صحيح ابن حبان « مؤتياً » .

(٢) انظره في صحيح ابن حبان : ٢٥٥/٨ - ٢٥٦ عن أبي رجاء العطاردي قال : سمعت ابن عباس وهو يقول على المنبر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكره . وذكره الهيثمي في موارد الظمان ص : ٤٥١ .

(٣) الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد : ٢٠٢/٧ وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجال البزار رجال الصحيح . اهـ .

وذكر الحديث الهيثمي أيضاً في كشف الأستار عن زوائد البزار : ٣٥/٣ - ٣٦ ، وقال : قال البزار : قد رواه جماعة فوقوه على ابن عباس .

(٤) طريق المجرتين ص : ٣٨٧ ، ٣٨٩ .

قول الإمام أحمد في معنى حديث : « كل مولود يولد على الفطرة »

قال أبو بكر الخلال :

١٥٥ - أخبرني محمد بن يحيى الكحال أنه قال لأبي عبد الله : « كل مولود يولد على الفطرة »^(١) ما تفسيرها ؟ قال : هي الفطرة التي فطر الله عز وجل الناس عليها شقى أو سعيد^(٢) .

• نقل مثل هذا عن أحمد الفضل بن زياد وحنبل بن إسحاق وأبو الحارث الصائغ وعلى بن سعيد^(٣) والحسن بن ثواب^(٤) وعنده قال :

١٥٦ - كل مولود من أطفال المشركين على الفطرة . فولد على الفطرة التي خلقه عليها من الشقاء والسعادة التي سبقت في الكتاب . ارجع في ذلك إلى الأصل^(٥) .

١٥٧ - وفي رواية عبد الملك الميموني ... قال - أي أحمد - والذي نقول : كل مولود يولد على الفطرة الأولى التي فطر الله الناس عليها قلت : فما الفطرة الأولى هي الدين . قال لي : نعم ...^(٦) .

(١) أخرجه البخارى : ٢٤٥/٣ ومسلم : ٢٠٤٧/٤ من حديث أبي هريرة قال : « قال النبي صل الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء » واللفظ للبخارى ولفظ مسلم : « كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » .

(٢) السنة (ق ٨٦/أ) ونقله ابن أبي بطل في طبقات الحنابلة : ٣٢٨/١ .

(٣) أحكام أهل الملل للخلال ص : ٣٨ .

(٤) قال عنه أبو بكر الخلال : « كان شيخاً جليل القدر وكان له بأبي عبد الله أنس شديد » . اهـ . وقال

الدارقطنى « ثقة » . ت/بغداد : ٢٩٢/٧ ، طبقات الحنابلة : ١٣١/١ .

(٥) أحكام أهل الملل ص : ٣٨ .

(٦) انظر الرواية بأكملها في المصدر السابق .

١٥٨ - وأجاب في رواية يوسف بن موسى : الفطرة التي فطر الله العباد عليها^(١) .

١٥٩ - وفي رواية أحمد بن الحسين بن حسان : الفطرة التي فطر الله عز وجل التي فطر الناس عليها^(٢) .

١٦٠ - وفي الشقاء والسعادة : نقل عنه حنبل بن إسحاق أنه قال : والشقوة والسعادة مكتوبان على العبد واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم : « فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً » . قال : هذا من كتب الله عليه الشقاء والسعادة .

١٦١ - وفي موضع آخر قال : قلت له : الشقاء والسعادة مكتوبان على العبد . قال : نعم سابق في علم الله وهما في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقه والشقاء والسعادة من الله عز وجل الشقى من شقى في بطن أمه .

١٦٢ - وفي رواية أخرى : الشقاء والسعادة مكتوبان على ابن آدم قبل أن يخلق ونحن في أصلاب الآباء^(٣) .

١٦٣ - وفي رواية الفضل بن زياد : قيل له الشقى من شقى في بطن أمه . قال : نعم . الشقى من شقى في بطن أمه^(٤) .

١٦٤ - وفي رواية يوسف بن موسى قيل له : الشقاء والسعادة مقدران على العباد . قال : نعم . قيل له : والناس يصيرون إلى مشيئة الله من حسن أو شئ . قال : نعم^(٥) .

١٦٥ - وفي رواية أبي الحارث الصائغ : من كتب سعيداً فهو سعيد ومن كتب شقيماً فهو شقى^(٦) .

(١) نفس المصدر .

(٢) السنة للخلال (ق ٨٦/ب) .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

(٥) المصدر السابق (ق ٩١/ب) ونقله ابن يعلى في طبقات الختابة ١٤/٢ .

(٦) السنة للخلال (ق ٨٧ / أ) وانظر قول الإمام أحمد في أفعال العباد ص : ١٤٧ .

التعليق :

المشهور عن الإمام أحمد في تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة »^(١) أى على ما كتب له من شقاوة وسعادة^(٢) وقد نقل هذا التفسير أيضاً عن جملة من العلماء منهم عبد الله بن المبارك .

يقول الحافظ ابن حجر : اختلف السلف في المراد بالفطرة في هذا الحديث على أقوال كثيرة ، وحكى أبو عبيد أنه سأل محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة عن ذلك فقال : كان هذا في أول الإسلام قبل أن تنزل الفرائض ، وقبل الأمر بالجهاد . قال أبو عبيد : كأنه عنى أنه لو كان يولد على الإسلام فمات قبل أن يهوده أبواه مثلاً لم يرثاه ، والواقع في الحكم أنهما يرثاه فدل على تغير الحكم وقد تعقبه ابن عبد البر وغيره . وسبب الاشتباه أنه حمل على أحكام الدنيا . فلذلك ادعى فيه النسخ . والحق أنه إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم بما وقع في نفس الأمر ، ولم يرد به إثبات أحكام الدنيا وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام . قال ابن عبد البر : وهو المعروف عند عامة السلف^(٣) . وأجمع أهل العلم بالتأويل المراد بقوله تعالى : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾^(٤) الإسلام واحتجوا بقول أبي هريرة في آخر الحديث اقرؤوا إن شئتم ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ وبحديث عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه : « إني خلقت عبادي حنفاء كلهم ،

(١) قال الخطابي : « أصل الفطرة ابتداء الخلق ومنه قول الله سبحانه : ﴿ الحمد لله فاطر السموات

والأرض ﴾ أى مبتدئها . معالم السنن مع سنن أبي داود : ٨٨/٥ .

(٢) وهذه إحدى الروايتين عنه وهي المشهورة والأخرى تفسره لها بالإسلام كما مر في رواية الميموني . وكما سيذكره ابن حجر في ثنايا كلامه هذا .

(٣) قال ابن تيمية : فالصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وهي فطرة الإسلام ، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال ﴿ ألسنت بربكم قالوا بلى ﴾ وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة ... ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لانعلم شيئاً ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق الذي هو الإسلام بحيث لو ترك من غير مغير لما كان إلا مسلماً . مجموع الفتاوى : ٢٤٥/٤ - ٢٤٧ . وانظر : فتح الباري : ٥١٢/٨ فقد جزم البخاري بأن الفطرة هي الإسلام .

(٤) سورة الروم / ٣٠ .

فاجتالهم الشياطين عن دينهم»^(١) الحديث . وقد رواه غيره فزاد فيه : « حنفاء مسلمين » ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى : ﴿ فطرة الله ﴾ لأنها إضافة مدح ، وقد أمر نبيه بلزومها فعلم أنها الإسلام .

وقد قال أحمد : من مات أبواه وهما كافران حكم بإسلامه^(٢) واستدل بحديث الباب فدل على أنه فسر الفطرة بالإسلام . وتعقبه بعضهم بأن كان يلزم أن لا يصح استرقاقه . ولا يحكم بإسلامه إذا أسلم أحد أبويه . والحق أن الحديث سبق لبيان ما هو في نفس الأمر ، لالبيان الأحكام في الدنيا . وحكى محمد بن نصر أن آخر قولى أحمد أن المراد بالفطرة الإسلام . قال ابن القيم : وقد جاء عن أحمد أجوبة كثيرة يحتج فيها بهذا الحديث على أن الطفل إنما يحكم بكفره بأبويه ، فإذا لم يكن بين أبوين كافرين فهو مسلم . وروى أبو داود عن حماد ابن سلمة أنه قال : المراد أن ذلك حيث أخذ الله عليهم العهد حيث قال : ﴿ ألسنت بربكم قالوا بلى ﴾^(٣) ونقله ابن عبد البر عن الأوزاعي وعن سحنون . ونقله أبو يعلى ابن الفراء في إحدى الروايتين عن أحمد وهو ما حكاه الميموني عنه وذكره ابن بطة^(٤) . اهـ .

والحاصل أن الراجح تفسير الفطرة بالإسلام وهو مذهب كثير من العلماء وهو إحدى الروايتين عن أحمد كما عند الميموني . والرواية الأخرى تفيد تفسيره لها بالشقاء والسعادة وهى المشهورة عنه .

(١) أخرجه مسلم : ٢/١٩٧/٤ .

(٢) قال ابن تيمية معلقاً على الحديث السابق : « إني خلقت عبادة حنفاء ... ولهذا ذهب الإمام أحمد رضى الله عنه في المشهور عنه إلى أن الطفل متى مات أحد أبويه الكافرين حكم بإسلامه لزوال الموجب للتغير عن أصل الفطرة . وقد روى عنه وعن ابن المبارك ، وعنهما : أنهم قالوا : يولد على ما فطر عليه من شقاوة و سعادة » . وهذا القول لا ينافي الأول . فإن الطفل يولد سليماً وقد علم الله أنه سيكفر فلا بد أن يصير إلى ما سبق له في أم الكتاب كما تولد البيمة جمعاء وقد علم الله أنها ستجده . مجموع الفتاوى : ٤/٢٤٦ ، وانظر : الروايتين والوجهين لأبى يعلى : ٢/٣٧٠ حيث ذكر الروايات عن أحمد في من مات أبواه أو أحدهما وهما كافران هل تحكم بإسلامهم . وقد ذكر ابن تيمية وابن حجر الرواية المشهورة .

(٣) سورة الأعراف / ١٧٢ .

(٤) فتح البارى : ٣/٣٤٨ - ٣٤٩ وقد ذكر أقوالاً أخر . وراجع معالم السنن للخطابى مع سنن أبى داود / ٨٦ - ٨٨ ومسلم بشرح النووي : ١٦/٢٠٨ .

قال ابن القيم : سبب اختلاف العلماء في معنى الفطرة في هذا الحديث أن القدرية كانوا يحتجون به على أن الكفر والمعصية ليس بقضاء الله بل مما ابتدأ الناس إحداثه ، فحاول جماعة من العلماء مخالفتهم بتأويل الفطرة على غير معنى الإسلام ولا حاجة لذلك . لأن الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام ، ولا يلزم من حملها على ذلك موافقة مذهب القدرية ، لأن قوله : « فأبواه يهودانه » إلخ . محمول على أن ذلك يقع بتقدير الله تعالى ومن ثم احتج عليهم مالك^(١) بقوله في آخر الحديث : الله أعلم بما كانوا عاملين^(٢) .

وقال ابن حجر : ... فقال مالك : احتج عليهم بآخره « الله أعلم بما كانوا عاملين » .

ووجه ذلك أن أهل القدر استدلوا على أن الله فطر العباد على الإسلام وأنه لا يضل أحدا وإنما يضل الكافر أبواه . فأشار مالك إلى الرد عليهم بقوله : « الله أعلم » فهو دال على أنه يعلم بما يصيرون إليه بعد إيجادهم على الفطرة ، فهو دليل على تقدم العلم الذي ينكره غلاتهم ، ومن ثم قال الشافعي : أهل القدر إن أثبتوا العلم خصموا^(٣) .

(١) أخرجه أبو داود عن عبد الله بن وهب قال : سمعت مالكا قيل له : إن أهل الأهواء يحتجون علينا بهذا الحديث قال مالك : احتج عليهم بآخره ، قالوا أرأيت من يموت وهو صغير قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » . سنن أبي داود : ٨٩/٥ .

قلت : يشير بذلك إلى رواية همام وغيره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها » . قالوا : يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » . أخرجه البخاري : ٤٩٣/١١ ، ومسلم : ٢٠٤٨/٤ .

(٢) انظر : فتح الباري : ٢٥٠/٣ .

(٣) فتح الباري : ٢٤٧/٣ .

مسائل القرآن الكريم

- قول الإمام أحمد في القرآن الكريم . ص : ١٨٧ .
معنى قول السلف : « منه بدأ وإليه يعود » . ص : ١٩٢ .
أدلة الإمام أحمد على أن القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق . ص : ١٩٦ .
رسالة الإمام أحمد إلى الخليفة المتوكل في أمر القرآن . ص : ١٩٩ .
رد الإمام أحمد على الجهمية ونقضه لمزاعمهم . ص : ٢٠٦ .
قول الإمام أحمد فيمن قال : القرآن مخلوق . ص : ٢٢٣ .
أدلة الإمام أحمد على تكفير من قال بخلق القرآن . ص : ٢٢٥ .
قول الإمام أحمد فيمن قال : لفظي بالقرآن مخلوق . ص : ٢٣٢ .
قول الإمام أحمد فيمن قال : لفظي بالقرآن غير مخلوق . ص : ٢٤٦ .
قول الإمام أحمد في الواقعة . ص : ٢٥٢ .
قول الإمام أحمد في الإيمان هل هو مخلوق أو لا . ص : ٢٥٧ .
ما أثر عن الإمام أحمد في حروف المعجم هل هي مخلوقة أم لا . ص : ٢٧٠ .

قول الإمام أحمد في القرآن الكريم

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

١٦٦ - سمعت أبي وسأله عبد الله بن عمر المعروف بمشكدانة^(١) عن القرآن فقال : كلام الله عز وجل وليس بمخلوق^(٢) .

• نقل مثل هذا عن أحمد :

ابن هانيء^(٣) وحنبل بن إسحاق^(٤) وسليمان بن الأشعث وأحمد بن الحسين ويوسف ابن موسى وإسماعيل بن إسحاق الثقفي^(٥) وصالح بن أحمد بن حنبل والحارث بن إبراهيم^(٦) والحسن البزار^(٧) وأبو الحارث الصائغ^(٨) ويعقوب بن إبراهيم الدورقي^(٩)

-
- (١) صدوق فيه تشيع ، توفي سنة تسع وثلاثين ومئتين . تقريب : ٤٣٥/١ .
 - (٢) السنة (ظ : ق ٦/٦) وفي المطبوع ص : ٢١ ونقله ابن أبي بعل في طبقات الحنابلة : ١٨٩/١ .
 - (٣) انظر : مسائل ابن هانيء ١٥٣/١ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، والسنة للخلال (ق : ١٥٥/أ) .
 - (٤) انظر : السنة للخلال (ق : ١٥٦/أ ، ١٥٧/أ ، ١٩٣/أ) ، ومحنة الإمام أحمد لحنبل بن إسحاق ص : ٦٨ ، ص : ٦٧ .
 - (٥) انظر : السنة للخلال (ق : ١٥٤/ب) .
 - (٦) لم أجد له ترجمة فيما نظرت من المصادر .
 - (٧) هو : الحسن بن الهيثم البزار ذكره أبو بكر الخلال فقال أخبرنا الحسن بن الهيثم البزار قال : قلت لأحمد بن حنبل : إني أطلب العلم ، وإن أُمي تمنعني من ذلك تريد مني أن أشتغل بالتجارة قال لي : دارها وارضاها ولا تدع طلب العلم . هـ . وذكره ابن الجوزي فيمن حدث عن أحمد . طبقات الحنابلة : ١٤٠/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٣١ ، والمنهج للأحمد : ٣٩٢/١ . والروايات المتقدمة في السنة للخلال (ق ١٥٥/أ) .
 - (٨) المصدر السابق (ق ١٥٢/أ ، ١٩٤/ب ، ١٩٦/أ) .
 - (٩) هو : يعقوب بن إبراهيم بن كثير الدورقي ، ثقة ، توفي سنة اثنتين وخمسين ومئتين وكان من الحفاظ . تقريب : ٣٧٤/٢ . طبقات الحنابلة : ٤١٤/١ .
- والرواية انظرها في السنة للخلال (ق ١٨٨/ب) .

وهارون بن عبد الله البرازي^(١) ومحمد بن سليمان الجوهري^(٢) وأبو بكر المروزي^(٣)
وأبو محمد فوران^(٤) وأبو طالب^(٥) ومحمد بن مسلم بن وارة^(٦) ومهنا بن يحيى^(٧)
وأعين بن زيد الشوبلي^(٨) وعلى بن الفرات الأصبهاني^(٩) ومحمود بن خالد الخانقيني^(١٠)

(١) هو : أبو موسى الجمال ، ثقة . قال عنه أبو بكر الخلال : رجل كبير السن قديم السماع ، وكان
أبو عبد الله بكرمه ويعرف حقه ، وكان عنده عن أبي عبد الله جزء كبير مسائل حسان جداً . وأخبرنا
المروزي أنه قال : سألت أبا عبد الله عن هارون الجمال ، قلت : أكتب عنه ؟ فقال : إى والله .
توفى سنة ثلاث وأربعين ومئتين وقد ناهز الثمانين . ت/بغداد : ٢٢/١٤ ، طبقات الحنابلة : ٣٩٦/١ ،
تقريب : ٣١٢/٢ ، تهذيب : ٨/١١ .

(٢) السنة للخلال (ق ١٩٠/أ) .

(٣) المصدر السابق (ق ٢٩٢/أ) .

(٤) هو : عبد الله بن محمد بن المهاجر ، يعرف بفوران . قال الدارقطني : فوران نبيل جليل ، كان
أحمد يحمله . اهـ . وذكره أبو بكر الخلال فقال : كان من أصحاب أبي عبد الله الذين يقدمهم ويأنس
بهم ويخلو معهم ويستقرض منهم . توفى سنة ست وخمسين ومئتين ت/بغداد : ٧٩/٢ ، طبقات
الحنابلة : ١٩٥/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٣٤ ، المنهج الأحمدي : ٢٠٢/١ ، وروايته في السنة
للخلال (ق ١٩٣/أ) .

(٥) نفس المصدر (١٩٣/ب) .

(٦) هو : محمد بن مسلم بن عثمان الرازي ، المعروف بابن وارة ، ثقة حافظ ، توفى سنة سبعين ومئتين
وقبل قبلها . طبقات الحنابلة : ٣٢٤/١ ، تقريب : ٢٠٧/٢ ، والرواية في السنة للخلال (ق ١٥١/أ) .
وتقلها ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة : ٣٢٤/١ .

(٧) السنة للخلال (ق ١٥١/ب) .

(٨) قال عنه أبو حاتم : صدوق . وقال ابن أبي يعلى : أحد أصحاب الإمام أحمد . اهـ . وذكره ابن
الجوزي فيمن حدث عن أحمد .

الجرح والتعديل : ٣٢٥/٢ ، طبقات الحنابلة : ١١٩/١ ، مناقب أحمد ص : ١٢٩ ، المنهج الأحمدي :
٣٨١/١ . والرواية في طبقات الحنابلة بالرقم السابق .

(٩) قال ابن أبي يعلى : نقل عن الإمام أحمد أشياء . اهـ . وذكره ابن الجوزي فيمن حدث عن أحمد
. قال أبو حاتم : صدوق .

الجرح والتعديل : ٢٠١/٦ ، طبقات الحنابلة : ٢٢٩/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٣٧ ، المنهج
الأحمدي : ٤٣٠/١ . والرواية في طبقات الحنابلة : ٢٢٩/١ .

(١٠) ذكره ابن أبي يعلى وابن الجوزي فيمن حدثوا عن الإمام أحمد . قال أبو حاتم : كان صدوقاً .

الجرح والتعديل : ٢٩١/٨ ، طبقات الحنابلة : ٣٤٠/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٤٢ ، المنهج
الأحمدي : ٤٤٨/١ .

والرواية في طبقات الحنابلة : ٢٤٠/١ .

وأحمد بن سعيد الدارمي^(١) ومسدد بن مسرهد^(٢) وعبدوس بن مالك^(٣) ومحمد بن عوف الطائي^(٤) والحسن بن إسماعيل الربيعي^(٥) ومحمد بن حبيب الأندرائي^(٦) وأحمد ابن جعفر الإصطخري^(٧) والحسن بن أيوب، وسلمة بن شبيب^(٨).

التعليق :

لعل من المفيد قبل البدء في تفاصيل مسائل القرآن الكريم من الناحية العقديّة أن تُعطى نبذة مختصرة عن « فتنة خلق القرآن » ومتى حدثت ومن أحدثها وكيف انتشرت ومن كان وراء انتشارها . فأقول وبالله التوفيق : ان أول ظهور لهذه الفتنة - أو الحنة كما يسميها البعض - كان في آواخر عهد بني أمية على لسان الجعد ابن درهم^(١٠) وأخذ هذه المقالة وغيرها عن الجهم بن صفوان^(١١) فنسبت إليه . وفي

- (١) هو : أحمد بن سعيد بن صخر الدارمي ، أبو جعفر السرخسي ، ثقة حافظ ، توفي سنة مئتين وثلاث وخمسين . ت/بغداد : ١١٦/٤ ، طبقات الحنابلة : ٤٥/١ . والرواية في المصدر الأخير .
- (٢) طبقات الحنابلة : ٣٤٢/١ .
- (٣) رسالة عبدوس (ق ١/ب) .
- (٤) طبقات الحنابلة : ٣١٣/١ .
- (٥) طبقات الحنابلة : ١٣٠/١ .
- (٦) المصدر السابق : ٢٩٥/١ .
- (٧) المصدر السابق : ٢٩/١ وانظر السنة لأحمد ضمن شذرات البلاطين ص : ٤٩ .
- (٨) قال عنه الخطيب : حكى عن أبي عبد الله أحمد بن حنبل . اهـ . وذكره ابن أبي يعلى وابن الجوزي فيمن رووا عن الإمام أحمد .
- ت/بغداد : ٢٨٧/٧ ، طبقات الحنابلة : ١٣١/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٣١ ، المنهج الأحمد : ٣٨٧/١ .
- والرواية في شرح أصول السنة لللكاؤي : ٦٢٣/٢ .
- (٩) هو : سلمة بن شبيب المسمعي النيسابوري ، نزيل مكة ، ثقة ، توفي سنة بضع وأربعين ومئتين . تقریب : ٣١٦/١ ، طبقات الحنابلة : ١٦٨/١ .
- والرواية في مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص : ٢٠٥ .
- (١٠) قال عنه الذهبي : مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً فقتل على ذلك بالعراق يوم الحر نحو سنة ثمان عشرة ومئة . ميزان الاعتدال : ٣٩٩/١ . وانظر شرح السنة لللكاؤي :
- ٣٧٨/٣ - ٣٨٥ فقد عقد فصلاً تحت عنوان : متى حدث القول بخلق القرآن في الإسلام .
- (١١) تقدمت ترجمته ص : ٧٣ .

العهد العباسي وبالتحديد في بداية القرن الثالث أثار هذه المسألة بشر الميرسي^(١) وابن أنى دُواد^(٢) وظهورها في هذه الفترة اختلف عن ظهورها في أيام الجعد الذي كان مصيره القتل . ففي هذه الفترة استخدم المبتدعة السلطة - وهو ما عينته بالاختلاف - وحاولوا بكل الطرق إيصال هذا المذهب إلى الناس وإجبارهم على اعتقاده ولا حاجة إلى تفصيل ذلك فقد أعطى من الشرح والتفصيل ما يفى بالغرض إلا أنى أشير إلى أن الخليفة العباسي الملقب بالمأمون^(٣) - والمشيح بأفكار المعتزلة المتحمس لترويجها وجعلها مذهباً لعامة المسلمين^(٤) - خاض معركة شرسة مع أئمة السنة لإجبارهم على القول بخلق القرآن وكان على رأسهم الإمام أحمد بن حنبل ، وقد استخدم معه بالذات كل السبل من حوار وتهديد وقهر إلا أنه رحمه الله كان صامداً ثابتاً على الحق ، ومات المأمون وخلفه أخوه المعتصم^(٥) وفعل ما فعله أخوه وزاد عليه

(١) هو : بشر بن غياث بن أنى كريمة مولى زيد بن الخطاب ، كان من أصحاب الراى ، أخذ الفقه عن أنى يوسف إلا أنه اشتغل بعلم الكلام وجرّد القول بخلق القرآن وحكى عنه أقوال شيعية ومذاهب مستنكرة . توفى سنة ثمان عشرة ومئتين .

انظر : ت/بغداد : ٥٦/٧ ، ميزان الاعتدال : ٣٢٢/١ ، البداية والنهاية : ٢٨١/١٠ .

(٢) هو : أحمد بن أنى دُواد الإيادى ، الجهمى ، ولى القضاء فى عهد المعتصم والوائق ، كان من رؤوس المعتزلين بخلق القرآن وأضى يقتل الإمام أحمد . توفى سنة مئتين وأربعين . انظر : ت/بغداد : ١٤١/٤ ، ميزان : ٩٧ ، السير للذهبي : ١٦٩/١١ ، لسان الميزان : ١٧١/١ .

(٣) هو : الخليفة أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ، ابن أنى جعفر المنصور العباسى ، قال الذهبي : كان كلامه فى القرآن سنة اثنتى عشرة ومئتين فأنكر الناس ذلك ، واضطربوا ، ولم ينل مقصوده ففتر إلى وقت .

وقال فى موضع آخر : أما مسألة القرآن فما رجع عنها وصمم على امتحان العلماء فى سنة ثمانى عشرة وشدد عليهم فأخذ الله .

انظر سيرته فى ت/بغداد : ١٨٣/١٠ ، سير أعلام النبلاء : ٢٧٢/١٠ ، البداية والنهاية : ٢٤٤/١٠ ، تاريخ الخلفاء ص : ٣٠٦ .

(٤) قال الذهبي : وكان المأمون يجلب أهل الكلام ويتناظرون فى مجلسه . السير : ٢٨٥/١٠ .

(٥) هو : الخليفة : أبو إسحاق محمد بن الرشيد هارون . قال الذهبي : امتحن الناس بخلق القرآن وكتب بذلك إلى الأمصار وأخذ بذلك المؤذنين وفقهاء المكاتب . وفى موضع آخر قال : وفى رمضان كانت محنة الإمام أحمد فى القرآن وضُرب بالسياط حتى زال عقله ولم يجب فأطلقوه . توفى المعتصم سنة سبع وعشرين ومئتين . انظر سيرته فى ت/بغداد : ٣٤٢/٣ ، السير للذهبي : ٢٩٠/١٠ ، البداية والنهاية : ٢٩٥/١٠ ، تاريخ الخلفاء ص : ٣٣٣ .

ومات المعتصم وخلفه ابنه الواثق^(١) الذي سار على نهجهما أيضاً ، ومات الواثق وخلفه أخوه المتوكل^(٢) فألقى ما توارثه أبوه وأخوه عن المأمون وأنهى هذه الفتنة وقطع دابرها وأظهر السنة فله الحمد والمنة^(٣) .

والقول بأن القرآن الكريم كلام الله عز وجل غير مخلوق هو مذهب السلف وقد ساق اللالكائي^(٤) جملة عظيمة عن التابعين وتابعيهم كلهم يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق .

يقول ابن تيمية : ومذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنة ، وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود^(٥) .

(١) هو : الخليفة أبو جعفر وأبو القاسم هارون بن المعتصم قال الخطيب : استولى أحمد بن أبي دواد على الواثق وحمله على النشدد في الحنة والدعاء إلى خلق القرآن . توفى سنة اثنتين وثلاثين ومئتين . انظر سيرته في ت/بغداد : ١٥/١٤ ، الكامل في التاريخ : ٥٢٨/٦ ، فوات الوفيات : ٢٢٨/٤ ، تاريخ الخلفاء ص : ٣٦٧ .

(٢) ستأق ترجمته . انظر ص : ١٩٩ .

(٣) انظر : ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عن موقف الإمام أحمد من هذه الفتنة في مجموع الفتاوى : ٤٣٩/١٢ وراجع ص : ١٨٨ .

(٤) في كتابه شرح أصول أهل السنة : ٢٣٤/٢ - ٣١٢ .

وانظر أيضاً : الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص : ٢٤٥ ، ورد الدارمي على بشر المريسي ص : ١١٦ ضمن عقائد السلف ، وصرح السنة للطبري ص : ١٩ ، والشريعة للأجزي ص : ٧٥ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية : ٩٧/١٢ ، ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٥) مجموع الفتاوى : ٣٧/١٢ ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٧٩ .

معنى قول السلف منه بدا وإليه يعود

قال أبو بكر الخلال :

١٦٧ - سمعت عبد الله بن أحمد قال : ذكر أبو بكر الأعمش^(١) قال :
سئل أحمد بن حنبل عن تفسير قوله : القرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود . فقال
أحمد : منه خرج وهو المتكلم وإليه يعود^(٢) .
• هذا التعبير نقله عن أحمد غير واحد :

١٦٨ - في رواية حنبل بن إسحاق قال : - أى أحمد - القرآن كلام
الله غير مخلوق منه بدا وإليه يعود^(٣) .

١٦٩ - وفي رسالة محمد بن عوف الطائى قال : القرآن كلام الله غير
مخلوق من حيثما سمع وتلى منه بدا وإليه يعود^(٤) .

التعليق :

روى الدارمى عن سفیان بن عيينة قال : قال عمرو بن دينار ، أدركت
أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون : الله
خالق وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود^(٥) وكذا روى
عنه الطبرى وعنده : أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة يقولون : القرآن كلام الله
منه بدا وإليه يعود^(٦) . اهـ . وهم بهذا يردون على الجهمية . يقول ابن

(١) هو : محمد بن أبى عتاب البغدادى ، صدوق ، توفى سنة أربعين ومئتين . تقريب : ١٨٩/٢ .

(٢) السنة للخلال (ق ١٥٧/ب) وذكر مثله عن أحمد ابن تيمية .

انظر : مجموع الفتاوى : ٤٠/١٢ ، ٢٤٨ ، ٣٩٠ .

(٣) السنة للخلال (ق ١٥٧/أ) .

(٤) طبقات الحنابلة : ٣١٣/١ .

(٥) انظر : الرد على الجهمية - ضمن عقائد السلف ص : ٣٤٠ ، والرد على المريسي ص : ١١٦ .

(٦) صريح السنة ص : ١٩ .

تسمية : قال أحمد بن حنبل رحمه الله : منه بدأ أى هو المتكلم به ، فإن الذين قالوا إنه مخلوق قالوا خلقه في غيره فبدأ من ذلك المخلوق فقال السلف : « منه بدأ » أى هو المتكلم به لم يخلق في غيره فيكون كلاماً لذلك المحل الذى خلقه فيه^(١) فإن الله تعالى إذا خلق صفة من الصفات في محل كانت الصفة صفة لذلك المحل ولم تكن صفة لرب العالمين ، فإذا خلق طعاماً أو لوناً في محل كان ذلك المحل هو المتحرك المتلون به ، وكذلك إذا خلق حياة أو إرادة أو قدرة أو علماً أو كلاماً في محل كان ذلك المحل هو المرید ، القادر ، العالم المتكلم بذلك الكلام ، ولم يكن ذلك المعنى المخلوق في ذلك المحل صفة لرب العالمين ، وإنما يتصف الرب تعالى بما يقوم به من الصفات ، لا بما يخلق في غيره من المخلوقات ، فهو الحى ، العليم ، القدير ، السميع ، البصير ، الرحيم ، المتكلم بالقرآن وغيره من الكلام ، بحياته وعلمه وقدرته وكلامه القائم به لا بما يخلق في غيره من هذه المعاني^(٢) .

ويقول أيضاً : وليس معنى قول السلف والأئمة : إنه منه خرج ومنه بدأ أنه فارق ذاته وحل بغيره فإن كلام المخلوق إذا تكلم به لا يفارق ذاته ويحل بغيره فكيف يكون كلام الله ؟ قال تعالى : ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾^(٣) فقد أخبر أن الكلمة تخرج من أفواههم ، ومع هذا فلم تفارق ذاتهم .

وأيضاً : فالصفة لا تفارق الموصوف وتحل بغيره ، لا صفة الخالق ولا صفة المخلوق ... ولكن مقصود السلف الرد على هؤلاء الجهمية فإنهم زعموا أن القرآن خلقه الله في غيره فيكون قد ابتداءً وخرج من ذلك المحل الذى خلق فيه لا من الله ، كما يقولون : « كلامه لموسى خرج من الشجرة »^(٤) فبين السلف والأئمة أن

(١) انظر : مزيداً من التوضيح لقولة السلف هذه في شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٤ - ١٩٥ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٤٠/١٢ - ٤١ .

وانظر : ٥٦٠ ، ٥٢٩ ، ١٦٤/١٢ .

(٣) سورة الكهف / ٥ .

(٤) انظر : في هذا أيضاً شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٨٦ - ١٨٧ .

القرآن من الله بدا وخرج وذكروا قوله : ﴿ ولكن حق القول منى ﴾ ^(١) فأخبر أن القول منه لا من غيره من المخلوقات .

و « من » هي لابتداء الغاية ، فإن كان المجرور بها عينا يقوم بنفسه لم يكن صفة لله كقوله : ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ ^(٢) وقوله في المسيح : ﴿ وروح منه ﴾ ^(٣) وكذلك ما يقوم بالأعيان كقوله : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ ^(٤) .

وأما إذا كان المجرور بها صفة ولم يذكر لها محل كان صفة لله كقوله : ﴿ ولكن حق القول منى ﴾ ^(٥) وكذلك قد أخبر في غير موضع من القرآن أن القرآن نزل منه وإنه نزل به جبريل منه رداً على هذا المبتدع المفتري وأمثاله ممن يقول : أنه لم ينزل منه ، قال تعالى : ﴿ أفغير الله أبتغى حكماً وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ﴾ ^(٦) وقال تعالى : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ ^(٧) وروح القدس هو جبريل كما قال في الآية الأخرى : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾ ^(٨) وقال : ﴿ من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ ^(٩) وقال هنا : ﴿ نزله روح القدس من ربك ﴾ فبين أن جبريل نزله من الله لا من هواء ولا من لوح ولا غير ذلك ... ثم استطرد رحمه الله وذكر جملة من الآيات الدالة على أن القرآن منزل من الله العزيز الحكيم . وأجاب عن بعض شبه المبتدعة وادعاءاتهم ^(١٠) .

(١) سورة السجدة / ١٣ .

(٢) سورة الجاثية / ١٢ .

(٣) سورة النساء / ١٧١ .

(٤) سورة النحل / ٥٣ .

(٥) سورة السجدة / ١٣ .

(٦) سورة الأنعام / ١١٤ .

(٧) سورة النحل / ١٠٢ .

(٨) سورة الشعراء / ١٩٣ .

(٩) سورة البقرة / ١٩٧ .

(١٠) انظر : مجموع الفتاوى : ٥١٧/١٢ - ٥٢٢ .

وقال في موضع آخر بعد أن ذكر بعض ما تقدم :

وفي قوله : ﴿ منزل من ربك ﴾ دلالة على أمور :

منها : بطلان قول من يقول إنه كلام مخلوق خلقه في جسم من الأجسام المخلوقة كما هو قول الجهمية الذين يقولون بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية^(١) والضرارية^(٢) وغيرهم فإن السلف كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال إن القرآن مخلوق وإن الله لا يرى في الآخرة جهماً...

ومنها : أن قوله : ﴿ منزل من ربك ﴾ فيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي صلى الله عليه وسلم من العقل الفعال أو غيره ، كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصائبة ، وهذا القول أعظم كفراً وضلالاً من الذي قبله^(٣) . اهـ .

وقال شارح الطحاوية بعد أن أورد بعض الآيات الدالة على أن القرآن الكريم منزل من الله عز وجل : « وقد أورد على ذلك إن إنزال القرآن نظير إنزال المطر ، أو إنزال الحديد ، وإنزال ثمانية أزواج من الأنعام .

والجواب : أن إنزال القرآن فيه مذكور أنه إنزال من الله ... وإنزال المطر مقيد بأنه منزل من السماء قال تعالى : ﴿ أنزلنا من السماء ماء طهوراً ﴾ والسماء العلو . وقد جاء في مكان آخر أنه منزل من المعصرات وإنزال الحديد والأنعام فكيف يشبه هذا الإنزال بهذا الإنزال^(٤) ... كما أن النزول المقيد بأنه من الله لم يرد إلا في نزول القرآن وليس من الله شيء مخلوق^(٥) . اهـ .

(١) أصحاب الحسين بن محمد النجار . انظر : الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل : ١١٢/١ - ١١٤ .

(٢) أصحاب ضرار بن عمرو وحفص الفرد . انظر : الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل : ١١٦ - ١١٤/١ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى : ١١٨/١٢ - ١٢٠ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٩٥ - ١٩٦ ، وانظر أيضاً : مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٥٢٠، ١١٨/١٢ .

(٥) انظر : الشريعة للأجري ص : ٧٩ .

أما قولهم إليه يعود فقيل إن الله يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية^(*). وذكر بعض المحققين أن قولهم هذا يحتمل معنيين :

أحدهما : ما سبق الإشارة إليه .
والآخر : « أنه تعود صفة الكلام بالقرآن إليه بمعنى أن أحداً لا يوصف بأنه تكلم به غير الله لأنه هو المتكلم به والكلام صفة للمتكلم »^(١).

أدلة الإمام أحمد على أن القرآن كلام الله غير مخلوق

قال أبو بكر الخلال :

١٧٠ - أخبرنا سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني قال : ثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي^(٢) قال : قلت لأحمد بن حنبل^(٣) ... فقال : ^(٤) القرآن كلام الله غير مخلوق على كل جهة وعلى كل وجه تصرف وعلى أي حال كان لا يكون مخلوقاً أبداً . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره

(*) قال الشوكاني : أخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال : إن هذا القرآن سيرفع قيل كيف يرفع وقد أثبتته الله في قلوبنا وأثبتناه في المصاحف؟ قال : يسرى عليه في ليلة واحدة فلا يترك منه آية في قلب ولا مصحف إلا رفعت فتصبحون وليس فيكم منه شيء ثم قرأ ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ﴾ وقد روى هذا عنه من طرق وأخرج ابن عدى عن أبي هريرة مرفوعاً نحوه . وأخرج محمد بن نصر عن عبد الله بن عمرو نحوه موقوفاً وأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن معاذ بن جبل مرفوعاً نحوه أيضاً وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن أبي هريرة موقوفاً نحوه أيضاً وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والديلمي عن حذيفة بن اليمان مرفوعاً ك نحوه أيضاً وأخرج ابن مردويه عن جابر مرفوعاً نحوه أيضاً وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن عمر مرفوعاً نحوه . فتح القدير : ٢٥٨/٣ - ٢٥٩ .

(١) انظر : العقيدة الواسطية ص : ٩٨ .

(٢) ثقة ، توفي سنة اثنتين وخمسين ومئتين ، وكان من الحفاظ . تقريب : ٢٧٤/٢ .

(٣) هذه الرواية ذكرها الخلال من طرق متعددة عن الدورقي واكتفينا هنا بطريق أبي داود . انظر : السنة

(ق) : ١٨٨/ب - ١٨٩/أ .

(٤) أي الإمام أحمد وقد سأله الدورقي : ما تقول فيمن زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق .

حتى يسمع كلام الله ﴿^(١) وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يصلح في الصلاة شيء من كلام الناس ﴾^(٢) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « حتى أبلغ كلام ربي »^(٣) .

بمثل هذا احتج في رواية عبد الله^(٤) وحنبل بن إسحاق^(٥) .

قال الخطابي - بعد ذكره لحديث ابن عباس والذي فيه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين : « أعيدكما بكلمات الله التامة .. » الحديث^(٦) - قال : كان أحمد بن حنبل يستدل بقوله : « بكلمات الله التامة » على أن القرآن غير مخلوق ، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستعين بمخلوق^(٧) وما من كلام مخلوق إلا وفيه نقص والموصوف منه بالتمام هو غير المخلوق . وهو كلام الله سبحانه^(٨) . اهـ .

١٧١ - وفي رواية أبي طالب قال : - أي أحمد - .. إنما هو كلام الله على كل حال الحجة فيه حديث أبي بكر « ألم غلبت الروم ﴾^(٩) فقيل له : هذا مما جاء به صاحبك فقال : لا والله ولكنه كلام الله هذا وغيره إنما هو كلام الله^{(١٠)(١١)} .

(١) سورة التوبة / ٦ .

(٢) أخرجه مسلم : ٣٨١/١ ، وأحمد : ٤٤٧/٥ ، وأبو داود : ٥٧٠/١ ، والنسائي : ١٤/٣ من حديث معاوية بن الحكم السلمي « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن » .

(٣) أخرجه أحمد : ٣٢٢/٣ وأبو داود : ١٠٣/٥ ، والترمذي : ١٨٤/٥ ، وابن ماجه : ٧٣/١ من حديث جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموقف ، فقال : « ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي » .

(٤) انظر : السنة لعبد الله بن أحمد (ط ق : ١٠ / ب) وفي المطبوع ص : ٣٥ - ٣٦ .

(٥) السنة للخلال (ق : ١٨٩ / ب) وراجع أيضاً محنة الإمام أحمد لحنبل بن إسحاق ص : ٥٢ فقد ذكر عنه بعض ما استدل به على أن القرآن العظيم كلام الله غير مخلوق .

(٦) أخرجه البخاري : ١٧٩/٤ ، وأحمد : ٢٣٦/١ ، والترمذي : ٣٩٦/٤ ، وابن ماجه : ١٦٤/٢ .

(٧) انظر في هذا أيضاً : شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٩١ .

(٨) معالم السنن مع سنن أبي داود : ١٠٥/٥ .

(٩) سورة الروم / ١ ، ٢ .

(١٠) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص : ٣١ ، وعبد الله بن أحمد في السنة ص : ٢٧ ، والترمذي :

٣٤٤/٥ - ٣٤٥ ، وابن خزيمة في التوحيد ص : ١٦٦ - ١٦٧ .

(١١) السنة للخلال (ق : ١٨٦ / أ) .

١٧٢ - وفي رواية ابن هانيء قال : أرأيت جبريل عليه السلام حيث جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتلا عليه تلاوة جبريل أكان مخلوقاً ما هو مخلوق^(١) .

١٧٣ - وفي رواية أبي داود قال : لا يكون من الله شيء مخلوق^(٢) ومثله نقل حنبل بن إسحاق^(٣) وعبدوس بن مالك^(٤) .

١٧٤ - وفي رواية أحمد بن الحسن الترمذي قال : سألت أحمد فقلت : يا أبا عبد الله قد وقع من أمر القرآن ما قد وقع فإذا سئلت عنه ماذا أقول ؟ فقال لي : ألسنت مخلوقاً . قلت : نعم . فقال : أليس كل شيء منك مخلوق . قلت : نعم . قال : فكلامك أليس هو منك وهو مخلوق . قلت : نعم . قال : فكلام الله عز وجل أليس هو منه . قلت : نعم . قال : فيكون من الله شيء مخلوق^(٥) .

(١) مسائل ابن هانيء ٤ : ١٥٣/٢ .

(٢) مسائل أبي داود (ظ : ص : ٢٤٧ ، وفي المطبوع ص : ٢٦٣) .

(٣) السنة للخلال (ق : ١/١٥٦) .

(٤) رسالة عبدوس (ق : ١/٢) ، وعنده أيضاً : فإن كلام الله ليس بيائن منه .

(٥) السنة للخلال (ق : ١/١٥٦) ، وشرح السنة للإكافي ٢/٢٦٣ .

(*) قال ابن تيمية معلقاً على هذه الرواية : بين أحمد للسائل أن الكلام من المتكلم وقائم به ، ولا يجوز أن يكون الكلام غير متصل بالمتكلم ولا قائم به ، بدليل أن كلامك أيها المخلوق منك لا من غيرك فإذا كنت أنت مخلوقاً وجب أن يكون كلامك أيضاً مخلوقاً ، وإذا كان الله تعالى غير مخلوق امتنع أن يكون ما هو منه وبه مخلوقاً وقصده بذلك الرد على الجهمية الذين يزعمون بأن كلام الله ليس من الله ولا متصل به فيين أن هذا الكلام ليس هو معنى كون المتكلم متكلماً ولا هو حقيقة ذلك ولا هو مراد الرسل والمؤمنين من الإخبار عن أن الله قال ويقول وتكلم بالقرآن ونادى وتاجى ودعا ونحو ذلك مما أخبرت به عن الله رسله .

رسالة الإمام أحمد إلى الخليفة المتوكل في أمر القرآن

١٧٥ - قال أبو عبد الرحمن^(١) (ق : ٦ / ب) : نحن كتبنا الصدر وقرأنا عليه .

قال أبو عبد الرحمن : وكان قال لنا الشيخ : اذهبوا بهذا الكتاب إلى أبي علي بن يحيى بن خاقان^(٢) وكان هو الرسول فأقرأوه عليه فإن أمركم أن تنقصوا منه شيئاً فانقصوا له وإن زاد شيئاً فردوه إليّ حتى أعرف ذلك فقرأته عليه فقال : يحتاج أن يزداد فيه دعاء للخليفة فإنه يسر بذلك فزدنا فيه هذا الدعاء :

كتب عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى أبي يخبره أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه - يعنى المتوكل -^(٣) أمرنى أن أكتب أسألك عن أمر القرآن لا مسألة امتحان ولكن مسألة معرفة وبصيرة .

وأملئ علىّ أبى :

إلى عبيد الله بن يحيى أحسن الله عاقبتك أبا الحسن في الأمور كلها ودفع عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته فقد كتبت إليك رضى الله عنك بالذى سألت عنه أمير المؤمنين أيده الله من أمر القرآن بما حضرني وإني أسألك الله عز وجل

(١) هو : عبد الله بن أحمد بن حنبل .

(٢) هو : عبيد الله بن يحيى بن خاقان التركي ، قال الذهبي : وزر للمتوكل وللمعتمد وذكر ابن أبي يعلى أنه نقل عن الإمام أحمد أشياء توفي سنة ثلاث وستين ومئتين . انظر : طبقات الحنابلة : ٢٠٤ / ١ ، سير أعلام النبلاء : ٩ / ١٣ ، المنتظم : ٤٥ / ٥ .

(٣) الخليفة أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون بن المهدي بن المتصور القرشي العباسي ، بويح عند موت أخيه الواثق سنة اثنتين وثلاثين ومئتين . قال خليفة بن خياط : استخلف المتوكل فأظهر السنة . وقال الذهبي : أظهر المتوكل السنة وزجر عن القول بخلق القرآن وكتب بذلك إلى الأمصار ... وأطلق من تبقى في الاعتقال ممن امتنع من القول بخلق القرآن ... واتمس المتوكل من أحمد بن حنبل أن يأتيه ، فذهب إلى سامرا ، ولم يجتمع به ، استعفى ، فأعفاه ، ودخل على ولده المعتز ، فدعا له . قتل المتوكل سنة سبع وأربعين ومئتين . انظر سيرته في ت/ بغداد : ١٦٥ / ٧ - ١٧٢ ، وفيات الأعيان : ٣٥٠ / ١ - ٣٥٦ ، سير أعلام النبلاء : ٣٠ / ١٢ - ٤١ ، البداية والنهاية : ٣١٠ / ١٠ ، تاريخ الخلفاء ص : ٣٤٦ - ٣٥٦ .

أن يديم توفيق أمير المؤمنين أعزه الله بتأييده فقد كان الناس في خوض من الباطل واختلاف شديد ينغمسون فيه حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين أيده الله عز وجل فنفى الله تعالى بأمير المؤمنين - أعزه الله - كل بدعة وانجلى عن الناس كل ما كانوا فيه من الذل وضيق المحابس فصرف الله عز وجل ذلك كله وذهب به بأمير المؤمنين فأسأل الله أن يستجيب في أمير المؤمنين صالح الدعاء وأن يتم ذلك لأمير المؤمنين أدام الله عزه وأن يزيد في نيته ويعينه على ما هو عليه .

فقال أئى : وقد ذكر عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لا تضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم ^(١) .

وقد ذكر عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن نقرأ كانوا جلوساً بباب النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : ألم يقل الله عز وجل كذا . قال : فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج كأنما فقىء في وجهه حب الرمان فقال : « أهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا إنكم لستم مما ها هنا في شيء انظروا الذى أمرتم به فاعملوا به وانظروا الذى نهيتم عنه فانتهوا عنه » ^(٢) .

وروى عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مرأء فى القرآن كفر » ^(٣) . وروى عن أبى جهم - رتبيل من أصحاب رسول الله صلى الله

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف : ١٠ / ٥٢٨ .

(٢) سبق تخريجه انظر ص : ١٦٨ .

(٣) أخرجه أحمد : ٢٨٦/٢ ، ٣٠٠ ، ٤٢٤ ، ٤٧٥ ، وأبو داود : ٩/٥٠ ، وصححه الحاكم وأقره الذهبى . المستدرک : ٢٢٣/٢ . قال الخطابى : اختلف الناس فى تأويله فقال بعضهم : معنى المرأء هنا الشك فيه ، كقولہ : ﴿ فلا تك فى مرة ﴾ أى فى شك ويقال : بل المراد هو الجدل المشكك فيه . وتأوله بعضهم على المرأء فى قراءته دون تأويله ومعانيه ، مثل أن يقول قائل : هذا قرآن قد أنزله الله تبارك وتعالى ويقول الآخر : لم ينزل الله هكذا فيكفر به من أنكره ، وقد أنزل سبحانه كتابه على سبعة أحرف كلها شاف كاف ، فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن إنكار القراءة التى يسمع بعضهم بعضاً يقرؤها ، وتوعدهم بالكفر عليها لينتبهوا عن المرأء فيه والتكذيب به ، إذ كان القرآن منزلاً على سبعة أحرف ، وكلها قرآن منزل يجوز قراءته ويجب علينا الإيمان به . وقال بعضهم : إنما جاء هذا فى الجدل فى القرآن فى الآمى التى فيها ذكر القدر والوعيد ، وما كان فى معناها على مذهب أهل الكلام =

عليه وسلم - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تماروا في القرآن فإن
مراء فيه كفر »^(١) .

وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنه : قدم على عمر بن الخطاب رضى
الله عنه رجل فجعل عمر يسأله عن الناس فقال : يا أمير المؤمنين قد قرأ القرآن
منهم كذا وكذا . قال ابن عباس : فقلت والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا
في القرآن هذه المسارعة .

قال : فزجرني عمر رضى الله عنه ثم قال : مه . فانطلقت إلى منزلى مكتئباً
حزيناً فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال : أجب أمير المؤمنين . فخرجت فإذا
هو بالباب ينتظرني فأخذ بيدي فخلا بى فقال : ما الذى كرهت مما قال الرجل
آنفا ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين متى يتسارعوا هذه المسارعة يحتقوا^(٢) ومتى يحتقوا
يختصموا ومتى يختصموا يختلقوا ومتى يختلقوا يقتلوا . قال : لله أبوك إن كنت
لأكرمها الناس حتى جئت بها .

قال أبى : وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : كان النبي
صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : « هل من رجل
يحملنى إلى قومه فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربي عز وجل »^(٣) .
وروى عن جبير بن نفير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « إنكم لن ترجعوا إلى الله عز وجل بشيء أفضل مما خرج
منه »^(٤) .

= و الجدل وعلى معنى ما يجرى من الخوض بينهم فيها دون ما كان منها في الأحكام وأبواب التحليل
والشجر والحظر والإباحة ، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تنازعوا فيما بينهم
وتحاجوا بها عند اختلافهم في الأحكام ولم يتخرجوا عن المناظر بها وفيها ، وقد قال سبحانه ﴿ فإن
تنازعتم في شىء فردوه إلى الله والرسول ﴾ فلم أن النهى منصرف إلى غير هذا الوجه ، والله أعلم .
معالم السنن مع سنن أبى داود : ١٠/٥ .

(١) أخرجه أحمد : ١٧٠/٤ ، والطبرانى في الكبير : ١٦٩/٥ .

(٢) قال ابن الأثير : أى يقول كل واحد منهم الحق بيدي . انظر : النهاية : ٤١٤/١ .

(٣) أخرجه أحمد : ٣٢٢/٣ ، وأبو داود : ١٠٣/٥ ، والترمذى : ١٨٤/٥ ، وابن ماجه : ٧٣/١ .

قال الترمذى حديث : غريب صحيح .

(٤) أخرجه الترمذى : ١٧٧/٥ ، والحاكم : ٤٤١/٢ .

وروى عن أبي أمامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما تقرب العباد إلى الله عز وجل بمثل ما خرج منه »^(١) يعنى القرآن .

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : جردوا القرآن ولا تكتبوا فيه شيئاً إلا كلام الله عز وجل^(٢) .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إن هذا القرآن كلام الله عز وجل فضعوه على مواضعه^(٣) .

وقال رجل للحسن البصرى : يا أبا سعيد إني إذا قرأت كتاب الله عز وجل وتدبرت ونظرت في عملي كدت أن آيس وينقطع رجائي . قال : فقال له الحسن : إن القرآن كلام الله عز وجل وأعمال بني آدم إلى الضعف والتقصير فاعمل وأبشر^(٤) .

وقال فروة بن نوفل الأشجعي : كنت جارا لخباب وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت معه يوماً من المسجد وهو أخذ بيدي فقال : يا هناه^(٥) تقرب إلى الله عز وجل بما استطعت فإنك لن تتقرب إلى الله عز وجل بشيء أحب إليه من كلامه^(٦) .

(١) أخرجه أحمد : ٢٦٨/٥ ، والترمذى : ١٧٦/٥ وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ويكره بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك وتركه في آخر أمره وقد روى هذا الحديث عن زيد بن أرقط عن جبير بن نفير عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل . قلت : وأخرج الحاكم : ٤٤١/٤ عن جبير بن نفير عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم لن ترجعوا إلى الله » الحديث قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف : ٥٥٠/١٠ .

(٣) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ص : ٣٣٠ - ضمن عقائد السلف - عن عمر رضى الله عنه نحوه .

(٤) أخرجه البيهقي في كتابه الأسماء والصفات ص : ٢٤٤ .

(٥) ويقال أيضاً هناه وهى لفظة نداء .

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف : ٥١٠/١٠ و الأجرى في الشريعة ص : ٧٧ .

وقال رجل للحكم بن عتبة : ما حمل أهل الأهواء على هذا ؟
قال : الخصومات^(١) .

وقال معاوية بن قررة - وكان أبوه ممن أتى النبي صلى الله عليه وسلم
(ق ٧/ب) : إياكم وهذه الخصومات فإنها تحبط الأعمال^(٢) .

وقال أبو قلابة - وكان أدرك غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم : لا تجالسوا أصحاب الأهواء - أو قال - أصحاب الخصومات فإنني
لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون^(٣) .

ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين فقالا : يا أبا بكر
نحدثك بحديث . قال : لا . قالوا : فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل .
قال : لا . لتقومان عني أو لأقومن . قال : فقام الرجلان فخرجا . فقال بعض
القوم : يا أبا بكر ما كان عليك أن يقرأ آية من كتاب الله عز وجل . فقال
محمد بن سيرين : إني خشيت أن يقرأ آية على فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي .
فقال محمد : لو أعلم أني أكون مثل الساعة لتركتهما^(٤) .

وقال رجل من أهل البدع لأيوب السخيتاني : يا أبا بكر أسألك عن كلمة
فولي وهو يقول : ولا نصف كلمة^(٥) .

وقال ابن طاوس لابن له - وتكلم رجل من أهل البدع - يا بني أدخل
أصبعيك في أذنيك حتى لا تسمع ما يقول . ثم قال : اشدد اشدد^(٦) .

وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر
التنقل^(٧) .

(١) أخرجه الأجرى في الشريعة ص : ٥٨ .

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح السنة : ١٢٩/١ .

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح السنة : ١٣٤/١ .

(٤) أخرجه الدارمي في السنن : ١٠٩/١ ، واللالكائي في شرح السنة : ١٣٣/١ .

(٥) أخرجه الدارمي في السنن : ١٠٩/١ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء : ٩/٣ .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في المصنف : ١٢٥/١١ ، واللالكائي في شرح السنة : ١٣٥/١ .

(٧) أخرجه الأجرى في الشريعة ص : ٥٦ ، واللالكائي في شرح أصول أهل السنة : ١٢٨/١ .

وقال إبراهيم النخعي : إن القوم لم يدخر عنهم شيء خبيء لكم لفضل
عندكم^(١)

وكان الحسن البصرى يقول : شر داء خالط قلباً يعنى الهوى^(٢) .

وقال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه - وكان من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم : اتقوا الله معشر القراء وخذوا طريق من قبلكم والله لئن استقمتم
لقد سبقتم بعيدا ولئن تركتموه يمينا وشمالا لقد ضللتكم ضلالا بعيدا - أو
قال - ميينا^(٣) .

قال عبد الله : قال أبى رحمه الله : وإنما تركت ذكر الأسانيد لما تقدم من
اليمين التى حلفت بها مما قد علمه أمير المؤمنين أيده الله تعالى لولا ذلك لذكرتها
بأسانيدها .

وقال الله عز وجل : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام
الله ﴾^(٤) وقال الله عز وجل : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾^(٥) فأخبر تبارك وتعالى
بالخلق ثم قال : ﴿ والأمر ﴾ فأخبر أن الأمر غير الخلق . وقال عز
وجل : ﴿ الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ﴾^(٦) فأخبر تبارك
وتعالى أن القرآن من علمه . وقال عز وجل : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا
النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد
الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير ﴾^(٧) ، وقال عز
وجل : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع
قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من

(١) أورده ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله : ١١٩/٢ .

(٢) ذكره ابن بطه فى الإبانة الصغرى ص : ١٢٤ وقال محققه : أخرجه الهروى فى ذم الكلام . وللكتاب

نسخة مصورة فى مكتبة عبد الرحيم صديق كما أشار المحقق .

(٣) أخرجه البخارى : ٢٥٠/١٣ ، واللائكائى فى شرح أصول أهل السنة : ٩٠/١ .

(٤) سورة التوبة / ٦ .

(٥) سورة الأعراف / ٥٤ .

(٦) سورة الرحمن / ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٧) سورة البقرة / ١٢٠ .

العلم إنك إذا لمن الظالمين ﴿١﴾ . فالقرآن من علم الله عز وجل وفي هذه الآيات دليل على أن الذي جاءه صلى الله عليه وسلم من العلم هو القرآن لقوله عز وجل : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ﴾ .

وقد روى عن غير واحد ممن مضى من سلفنا رحمهم الله أنهم كانوا يقولون : القرآن كلام الله عز وجل وليس ^(٢) بمخلوق وهو الذي أذهب إليه ولست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله عز وجل ، أو في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه أو عن التابعين . فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود ^(٣) .

(١) سورة البقرة / ١٤٥ .

(٢) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة للاكائي : ٢٢٧/٢ - ٣١٢ فقد ساق جملة كبيرة من أقوالهم .

(٣) في رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : القرآن كلام الله عز وجل وليس بمخلوق ولا تخصموا ولا تجالسوا من يخاصم . السنة لعبد الله ص : ٢١ .

وفي رواية حنبل بن إسحاق قال : القرآن كلام الله غير مخلوق ولا تخصم في هذا ولا تكلم فيه ولا أرى الجدل ولا المراء فيه . السنة للخلال (ق ١٥٦/أ) .

وفي رواية أخرى قال : سمعت أبا عبد الله يقول : قد نهيتم أن تماروا في القرآن وأن تضربوا بعضه ببعض ما لكم وللجدل في القرآن ، القرآن كلام الله غير مخلوق على كل جهة وعلى كل حال وحيث تصرف . المصدر السابق (ق : ١٩٣/ب) .

وفي أخرى : ولا أجذب الخوض في هذا ولا الكلام فيه . المصدر السابق (ق : ١٨٩/ب) وفي مناظرته في المحنة قال : ولست صاحب مراء ولا كلام وإنما أنا صاحب آثار وأخبار . محنة أحمد لحنبل بن إسحاق ص : ٥٤ .

وقال أيضاً : وقد كنا نهاب الكلام في هذا حتى أحدث هؤلاء ما أحدثوا وقالوا ما قالوا ودعوا الناس إلى ما دعوهم إليه . المصدر السابق (ق : ١٥٧/أ) .

ونقل الدارمي في الرد على المريسي ص : ١١٠ عن أحمد قوله : كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء فلما أظهروه لم نجد بدا من مخالفتهم والرد عليهم .

قال الدارمي : إنما كره السلف الخوض فيه مخافة أن يتأول أهل البدع والضلال ، وأغمار الجهال ما تأولت ... فحين تأولتم فيه خلاف ما أراد الله وعظمت صفات الله ، وجب على كل مسلم عنده بيان أن ينقض عليكم دعواكم فيه ، ولم يكره السلف الخوض في القرآن جهالة بأن كلام الخالق غير مخلوق ، ولا جهالة أنه صفة من صفاته فكره القوم الخوض فيه إذ لم يكن يخاض فيه علانية ، وقد أصابوا في ترك الخوض فيه إذ لم يعلن .

فلما أعلنوه بقوة السلطان ، ودعوا العامة إليه بالسياط والسيوف ، وادعوا أن كلام الله مخلوق أنكروا عليهم ذلك من غير من العلماء ومن بقي من الفقهاء فكذبوهم وكفروهم وحذروا الناس أمرهم

وإني أسأل الله عز وجل أن يطيل بقاء أمير المؤمنين وأن يشته وأن يمده
منه بمعونة إنه على كل شيء قدير^(١).

وقال الإمام أحمد في كتابه « الرد على الجهمية » ناقضا مزاعمهم :

١٧٦ - (ق : ١٢) : ففيما^(٢) يسأل عنه الجهمي يقال له : تجد في
كتاب الله آية تخبر عن القرآن أنه مخلوق ؟ فلا يجد . فيقال له : تجده في سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : مخلوق ؟ فلا يجد . فيقال له : فلم
قلت ؟ فيقول من قول الله : ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾^(٣) وزعم أن كل مجعول
مخلوق ، فادعى^(٤) كلمة من الكلام المتشابه يحتج بها من أراد أن يلحد في
تنزيلها ، ويتنقى الفتنة في تأويلها ، وذلك أن « جعل » في القرآن من المخلوقين
على وجهين على معنى التسمية ، وعلى معنى فعل من أفعالهم .
قوله^(٥) : ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾^(٦) . قالوا : هو شعر وأساطير
الأولين ، وأضغاث أحلام فهذا على معنى التسمية . وقال : ﴿ وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن إناثا ﴾^(٧) يعنى أنهم سموهم إناثا ثم ذكر (جعل) على

= وفسروا مرادهم من ذلك . فكان هذا من الجهمية خوفاً فيما نبها عنه ، ومن أصحابنا إنكارا
للكفر المبين ، ومنافحة عن الله كيلا يسب ولا تعطل صفاته ، وذبا عن ضعفاء الناس كيلا يضلوا
بمحتنهم هذه من غير أن يعرفوا ضدها من الحجج التي تنقض دعواهم وتبطل حججهم . المصدر
السابق ص : ١٠٧ - ١٠٩ .

(١) السنة (ظ : ق ٦/ب - ٨/أ) وفي المطبوع ص : ٢١ - ٢٦ ورواها أبو نعيم في حلية الأولياء
: ٢١٦/٩ - ٢١٩ والذهبي في سير أعلام النبلاء ص : ٢٨١ - ٢٨٦ ورواها مختصرة ابن الجوزي
في مناقب الإمام أحمد ص : ٣٧٧ - ٣٧٩ .

(٢) في المطبوع : فيما .

(٣) سورة الزخرف / ١ .

(٤) في الأصل : فالدعاء . والصواب ما أثبتته .

(٥) في المطبوع : وقوله .

(٦) سورة الحجر / ٩١ .

(٧) سورة الزخرف / ١٩ .

غير معنى تسميته^(١) فقال : ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم ﴾^(٢) . فهذا على معنى فعل من أفعالهم .

وقال : ﴿ حتى إذا جعله ناراً ﴾^(٣) هذا على معنى فعل ، فهذا جعل المخلوقين . ثم يذكر « جعل » من الله على معنى « خلق » و « جعل » على معنى غير « خلق » والذي قال الله تعالى « جعل » على معنى « خلق » لا يكون إلا خلقاً^(٤) ولا يقوم إلا مقام : خلق خلقاً لا يزول عنه المعنى . فإذا قال الله تعالى : « جعل » على معنى غير « خلق » لا يكون « خلقاً »^(٥) ولا يقوم مقام « خلق » ولا يزول عنه المعنى . فمما قال الله عز وجل : « جعل » على معنى « خلق » قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾^(٦) وقال : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾^(٧) يقول : وخلقنا الليل والنهار آيتين . وقال : ﴿ وجعل الشمس سراجاً ﴾^(٨) وقال : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ﴾^(٩) يقول : وخلق منها زوجها من آدم وحواء . وقال : ﴿ وجعل لها رواسي ﴾^(١٠) يقول : وخلق لها رواسي ، ومثله في القرآن كثير . فهذا وما كان على مثاله لا يكون إلا على معنى خلق^(١١) (ق ١٣ / أ) وقوله : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ﴾^(١٢) (لا) يعني^(١٣) ما خلق من بحيرة^(١٤) .

(١) في المطبوع ب : التسمية .

(٢) سورة البقرة / ١٩ .

(٣) سورة الكهف / ١٨ .

(٤) في المطبوع : إلا خلق .

(٥) في المطبوع : خلق .

(٦) سورة الأنعام / ١ .

(٧) سورة الإسراء / ١٢ .

(٨) سورة نوح / ١٦ .

(٩) سورة الأعراف / ١٨٩ .

(١٠) سورة النحل / ٦١ .

(١١) بعد هذا في المطبوع : ثم ذكر « جعل » على غير معنى خلق قوله ...

(١٢) سورة المائدة / ١٠٣ .

(١٣) في المخطوط : « يعنى » والصواب ما هو مثبت .

(١٤) قال الشوكاني : جعل هاهنا بمعنى سمي . فتح القدير : ٨٢ / ٢ .

وقال الله لإبراهيم : ﴿ إني جاعلك للناس إماما ﴾^(١) لايعنى أنى خالقك للناس إماما لأن خلق إبراهيم كان متقدما . وقال إبراهيم : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنا ﴾^(٢) وقال : ﴿ رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ﴾^(٣) لايعنى اخلقنى مقيم الصلاة وقال : ﴿ يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ﴾^(٤) لايعنى يريد الله أن لا يخلق لهم حظا فى الآخرة . وقال لأم موسى : ﴿ إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾^(٥) لايعنى وخالقوه من المرسلين لأن الله تعالى وعد أم موسى أن يرده إليها ثم يجعله من بعد ذلك مرسلا . قال : ﴿ ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم ﴾^(٦) لايعنى فيخلقه فى جهنم . وقال : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾^(٧) وقال : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ﴾^(٨) لايعنى خلقه دكا . ومثله فى القرآن كثير ، فهذا وما يكون على مثاله لا يكون على معنى خلق ، فإذا قال الله « جعل » على معنى خلق ، وقال « جعل » على معنى غير خلق . فبأى حجة قال الجهمى : جعل على معنى الخلق^(٩) .

فإن رد الجهمى الجعل على المعنى الذى (ق ١٣/ب) وضعه^(١٠) الله فيه وإلا كان من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فلما قال الله عز وجل : ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾^(١١) يقول : جعل جعلاً على معنى فعل من أفعال الله على غير معنى الخلق^(١٢) وقال : ﴿ بلسان عربى

(١) سورة البقرة / ١٢٤ .

(٢) سورة إبراهيم / ٣٥ .

(٣) سورة إبراهيم / ٤٠ .

(٤) سورة آل عمران / ١٧٦ .

(٥) سورة القصص / ٧ .

(٦) سورة الأنفال / ٣٧ .

(٧) سورة القصص / ٥ .

(٨) سورة الأعراف / ١٤٣ .

(٩) وانظر : محنة الإمام أحمد الحنبل بن إسحاق ص : ٥٣ .

(١٠) فى المطبوع : فإن رد الجهمى الجعل إلى المعنى الذى وصفه .

(١١) سورة الزخرف / ٣ .

(١٢) بعد هذا جاء فى الأصل : « وقال فى سورة يوسف : ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ -

مبين ﴿^(١)﴾ وقال : ﴿ فإِنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ ^(٢) فلما جعل الله القرآن عربيا ، ويسره بلسان نبيه : كان ذلك فعلا من أفعال الله ، جعل به القرآن عربيا ، وليس كما زعموا . معناه أنزلناه بلسان العرب وقيل : « بيناه » يعني هذا بيان لمن أراد الله هداه ^(٣) .

ثم إن الجهمي ادعى أمرا آخر وهو من المحال فقال : أخبرونا عن القرآن أهو الله تعالى ، أو غير الله ، فادعى في القرآن أمرا يوهم الناس ، فإذا سأل الجاهل عن القرآن : أهو الله أو غير الله فلا بد من أن يقول بأحد القولين . فإن قال : القرآن هو الله قال له الجهمي : كفرت . وإن قال له : غير الله ، قال له : صدقت ، فلم لا يكون غير الله مخلوقا ، فيقع في نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهمي ، وهذه المسألة من الجهمي هي من المغاليط والجواب للجهمي عن هذا السؤال أن يقال : إن الله (ق ١٤ / أ) لم يقل في القرآن أن القرآن أنا ، ولا هو غيري ، وقال : إن القرآن كلامي فسميناه باسم سماه الله به ، فقلنا : هو كلام الله تعالى ، فمن سمى القرآن بما سماه الله تعالى به كان من المهتدين ، ومن سماه باسم من عنده كان من الضالين ، وقد فصل الله بين قوله وبين خلقه ، ولم يسمه قولاً فقال : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ ^(٤) ، فلما قال : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ ﴾ فلم يبق شيء مخلوق إلا كان داخلا في ذلك ، ثم ذكر

= والصواب أن هذه الآية في سورة الزخرف ٣/ والذي في سورة يوسف ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ آية ٢/ .

(١) سورة الشعراء / ١٩٥ .

(٢) سورة مريم / ٩٧ ، سورة الدخان / ٥٨ .

(٣) هذه الآية أى قوله تعالى ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ مما استند إليه الجهمية في ادعائهم أن القرآن مخلوق وسيأتي مزيد من التفصيل حول حقيقة دعواهم ص : ٢٢٣ وما ذكره الإمام أحمد حول معنى الجمل بشقيه هو المفهوم الواضح من الآيات الكريمة . وهذا الذي ذكره الإمام أحمد هو ما فهمه وقرره السلف عامة .

راجع الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة ص : ٢٣٣ - ٢٣٤ والرد على الجهمية للدارمي ص : ٤٨٠ ضمن عقائد السلف وردة على المريسي ص : ١٢٣ وشرح العقيدة الطحاوية ص : ١٨٦ .

(٤) سورة الأعراف : ٥٤ ، وهذه الآية احتج عند مناظرتهم له في الحقنة ، محنة أحمد الحنبل بن إسحاق ص : ٥٣ .

ما ليس بخلق فقال : ﴿ والأمر ﴾ ، وأمره هو قوله تبارك وتعالى فلا يكون قوله خلقاً^(١) ، وقال : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾^(٢) ، ثم قال : القرآن هو أمر من عندنا ، وقال تعالى : ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾^(٣) يقول : لله القول من قبل الخلق ومن بعد الخلق^(٤) والله يخلق ويأمر وقوله غير مخلوق^(٥) وقال : ﴿ ذلك أمر الله أنزله إليكم ﴾^(٦) و ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾^(٧) و ﴿ جاء أمرنا ﴾^(٨) يقول قد جاء قولنا في أمر القرآن وفار التنوير .

وقال : وبيان ما فصل الله تعالى بين قوله وخلقه وذلك أن الله تعالى إذا سمى الشيء الواحد باسمين أو ثلاثة فهو مرسل غير مفصل مقيد وإذا سمى شيئين (ق ١٤/ب) مختلفين لا يدعهما مرسلاً حتى يفصل بينهما من ذلك قوله عز وجل : ﴿ قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخاً كبيراً ﴾^(٩) وقال : ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً ممنكن مسلمات مؤمنات قانتات تاتيات عابدات ﴾^(١٠) فهذا اسم شيء واحد فهو مرسل فلما ذكر شيئين مختلفين فصل بينهما فذلك قوله ﴿ تيات ﴾ ثم قال : ﴿ وأبكاراً ﴾ فلما كانت البكر غير الثيب لم يدعه مرسلاً حتى فصل بينهما فذلك قوله : ﴿ وأبكاراً ﴾ ثم قال : ﴿ وما

(١) قال الشوكاني : الخلق المخلوق والأمر كلامه وهو كن في قوله : ﴿ إنا أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ ، أو المراد بالأمر ما يأمر به على التفصيل ، أو التصرف في مخلوقاته . فتح

القدر : ٢٢٢/٢ .

(٢) سورة الدخان /٤ .

(٣) سورة الروم /٤ .

(٤) راجع تفسير الطبري : ١٥/٢١ ، ابن كثير : ٤٤٤/٣ ، والشوكاني : ٢١٤/٤ .

(٥) في المطبوع : وقوله غير خلقه .

(٦) سورة الطلاق /٥ .

(٧) سورة الحديد /١٤ .

(٨) جزء من آيات جاءت في سورة هود /٤٠ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٩٤ ، وسورة المؤمن /٢٧ .

(٩) سورة يوسف /٧٨ جاء بعد هذه الآية في المطبوع : فهذا شيء واحد سماه بثلاثة أسماء وهو مرسل ولم يقل أن له أباً وشيخاً كبيراً .

(١٠) سورة التحريم /٥ .

يستوى الأعمى ﴿^(١)﴾ ثم قال : ﴿ والبصير ﴾ فلما كان البصير غير الأعمى فصل بينهما ثم قال : ﴿ ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ﴾ ﴿^(٢)﴾ فلما كان كل واحد من هذا الشيء غير الآخر فصل بينهما .

ثم قال : ﴿ الملك القدوس السلام المؤمن المهيم العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور ﴾ ﴿^(٣)﴾ فهذا كله اسم شيء واحد فهو مرسل وليس بمنفصل وكذلك إذا قال : ألا له الخلق ثم قال : والأمر لأن الخلق غير الأمر فهو منفصل ﴿^(٤)﴾ .

باب ما أبطل الله تبارك وتعالى أن يكون القرآن إلا وحياً وليس بمخلوق

قال : قوله : ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ﴿^(٥)﴾ وذلك أن قريشاً قالوا : إن القرآن شعر وقالوا (ق ١٥ / أ) أساطير الأولين وقالوا أضغاث أحلام وقالوا : تقوله من تلقاء نفسه وقالوا : تعلمه من غيره فأقسم الله عز وجل بالنجم ﴿ إذا هوى ﴾ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴿ إلى قوله : ﴿ إن هو إلا وحى يوحى ﴾ يقول : إن محمداً لم يقله من تلقاء نفسه فقال : ﴿ إن هو ﴾ أى ما هو يعنى القرآن ﴿ إلا وحى يوحى ﴾ فأبطل الله أن يكون القرآن شيئاً غير الوحي لقوله ﴿ إن هو ﴾ يقول : فما هو إلا وحى يوحى ثم قال : ﴿ علمه شديد القوى ﴾ ﴿^(٦)﴾ يعنى علم

(١) سورة فاطر / ١٩ .

(٢) سورة فاطر / ٢١ .

(٣) سورة الحشر / ٢٤ .

(٤) وانظر : جواب الدارمى على ادعاء الجهمى هذا في الرد على بشر المربسى ص : ١١٢ - ١١٣ .

وانظر : الاعتقاد للبيهقى ص : ٥٧ .

(٥) سورة النجم / ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٦) سورة النجم / ٥ .

جبرائيل محمدا القرآن وهو شديد القوى ﴿ ذو مرة فاستوى ﴾^(١) إلى أن قال : ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾^(٢) فسمى القرآن وحيا ولم يسمه خلقا . قال ثم إن الجهمى ادعى شيئا آخر فقال : أخبرونا عن القرآن هو شيء . قلنا : نعم هو شيء . قال : إن الله خالق كل شيء فلم لا يكون القرآن مع الأشياء المخلوقة وقد أقررت أنه شيء .

فلعمري أنه ادعى أمرا أمكنه الدعوى فيه ولبس على الناس بما ادعى فقلنا إن الله لم يسم كلامه في القرآن شيئا (إنما سماه الذى كان يقول)^(٣) ألم تسمع إلى قوله : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾^(٤) فالشيء ليس هو قوله إنما الشيء الذى كان بقوله وقال في آية أخرى : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا ﴾^(٥) فالشيء ليس هو أمره إنما الشيء الذى يأمره^(٦) .

ومن الأعلام والدلالات أنه لايعنى كلامه مع الأشياء المخلوقة قوله في الريح التى أرسلها على عاد : ﴿ ما تذر من شيء أتت عليه ﴾^(٧) وقال : ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها ﴾^(٨) وقد أتت تلك الريح على أشياء لم تدمرها منازلهم ومسكنهم والجبال التى بحضرتهم قد أتت عليها تلك الريح ولم تدمرها وقال : ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها ﴾ فكذلك إذا قال : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾^(٩) لايعنى نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة ، وقال للملكة سبأ : ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾^(١٠) وقد كان ملك سليمان شيئا لم تؤته فكذلك إذا قال : ﴿ خالق كل شيء ﴾ لايعنى كلامه مع الأشياء المخلوقة وقال الله لموسى : ﴿ واصطنعتك

(١) سورة النجم / ٦ .

(٢) سورة النجم / ١٠ .

(٣) في المطبوع : إنما سمي شيئا الذى كان يقوله .

(٤) سورة النحل / ٤٠ .

(٥) سورة يس / ٨٢ .

(٦) في المطبوع : الذى كان يأمره .

(٧) سورة الذاريات / ٤٢ .

(٨) سورة الأحقاف / ٢٥ .

(٩) سورة الرعد / ١٦ ، وسورة الزمر / ٦٢ .

(١٠) سورة النمل / ٢٣ .

لنفسى ﴿^(١)﴾ وقال : ﴿ ويجذركم الله نفسه ﴾ ^(٢) وقال : ﴿ كتب على نفسه الرحمة ﴾ ^(٣) وقال : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ ^(٤) فقد عرف من عقل عن الله أنه لا يعنى نفسه مع الأنفس التى تذوق الموت وقد ذكر الله نفسه فكذلك إذا قال : ﴿ خالق كل شيء ﴾ لا يعنى نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة ففى ما مر دلالة لمن عقل عن الله تعالى ^(٥) .

قال أحمد - رحمه الله - : من تفكر ورجع عن القول الذى يخالف الكتاب والسنة (ق ١٦ / أ) ولم يقل على الله إلا الحق فإن الله تعالى أخذ ميثاق خلقه فقال تعالى : ﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ﴾ ^(١) وقال : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ ^(٢) فقد حرم أن يقال عليه الكذب ثم قال : ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾ ^(٣) أعاذنا الله وإياكم من فتن المضلين . وقد ذكر الله كلامه فى غير موضع من القرآن فسماه كلاما ولم يسمه خلقا . قوله : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ ^(٤) وقال : ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾ ^(٥) وقال : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾ ^(٦) وقال : ﴿ برسالاتى وبكلامى ﴾ ^(٧) وقال : ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ ^(٨) وقال : ﴿ النبى الأمى ﴾

- (١) سورة طه / ٤١ .
- (٢) سورة آل عمران / ٢٨ .
- (٣) سورة الأنعام / ١٢ .
- (٤) سورة آل عمران / ١٨٥ .
- (٥) وانظر : جواب شارح الطحاوية ص : ١٨٣ - ١٨٦ على ادعاء الجهمى هذا .
- (٦) سورة الأعراف / ١٦٩ .
- (٧) سورة الأعراف / ٣٣ .
- (٨) سورة الزمر / ٦٠ .
- (٩) سورة البقرة / ٣٧ .
- (١٠) سورة التوبة / ٦ .
- (١١) سورة الأعراف / ١٤٣ .
- (١٢) سورة الأعراف / ٤٤ .
- (١٣) سورة النساء / ١٦٤ .

الذى يؤمن بالله وكلماته ﴿^(١) فأخبر الله عز وجل أن النبي كان يؤمن بالله
وبكلمات الله وقال: ﴿يزيدون أن يدلوا كلام الله﴾ ^(٢) وقال: ﴿لو كان
البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي﴾ ^(٣)
وقال: ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ ولم يقل حتى يسمع خلق الله .

فهذا منصوص بلسان عربى مبين لا يحتاج إلى تفسير وهو مبين بحمد
الله ^(٤) قال أحمد رحمه الله: وقد سألت الجهمى (أليس) ^(٥) إنما قال
الله: ﴿قولوا آمنا بالله﴾ ^(٦) ، ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ ^(٧) ، ﴿وقولوا آمنا
بالذى أنزل إلينا﴾ ^(٨) ، ﴿وقولوا قولا سديدا﴾ ^(٩) ، و﴿فقولوا اشهدوا
بأننا مسلمون﴾ ^(١٠) وقال: ﴿وقل الحق من ربكم﴾ ^(١١) وقال: ﴿وقل سلام
فسوف يعلمون﴾ ^(١٢) ولم نسمع الله يقول قولوا إن كلامى خلقى
وقال: ﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾ ^(١٣) وقال: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام
لست مؤمنا﴾ ^(١٤) قال: ﴿لا تقولوا راعنا﴾ ^(١٥) ، ﴿ولا تقولوا لمن يقتل فى

(١) سورة الأعراف / ١٥٨ .

(٢) سورة الأعراف / ٤٤ .

(٣) سورة الكهف / ١٠٩ .

(٤) انظر: قول الإمام أحمد فى الجهمية ص: ٣٦٨/٢ فقد احتج عليهم من القرآن الكريم بمئة وسبع عشرة
آية ترد مزاعمهم وبدعهم المختلفة ومن ضمنها إنكارهم أن القرآن كلام الله غير مخلوق .

(٥) ما بين القوسين ليست من الأصل وأثبتها من المطبوع وهو ما يقتضيه السياق .

(٦) سورة البقرة / ١٣٦ .

(٧) سورة البقرة / ٨٣ .

(٨) سورة العنكبوت / ٤٦ .

(٩) سورة الأحزاب / ٧٠ .

(١٠) سورة آل عمران / ٦٤ .

(١١) سورة الكهف / ٢٩ .

(١٢) سورة الزخرف / ٨٩ .

(١٣) سورة النساء / ١٧١ .

(١٤) سورة النساء / ٩٤ .

(١٥) سورة البقرة / ١٠٤ .

سبيل الله أموات ﴿١﴾ ، ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا ﴾ ﴿٢﴾ ، ﴿ فلا تقل لهما أف ﴾ ﴿٣﴾ ، ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ ﴿٤﴾ ، ﴿ ولا تدع مع الله إلهاً آخر ﴾ ﴿٥﴾ ، ﴿ ولا تقتلوا أولادكم ﴾ ﴿٦﴾ ، ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ﴾ ﴿٧﴾ ، ﴿ ولا تقتلوا النفس ﴾ ﴿٨﴾ ، ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم ﴾ ﴿٩﴾ ، ﴿ ولا تمشى في الأرض مرحاً ﴾ ﴿١٠﴾ ومثله في القرآن كثير فهذا ما نهى الله عنه في القرآن ولم يقل لنا لا تقولوا إن القرآن كلامي وقد سمعت الملائكة كلام الله كلاماً ولم تسمه خلقاً قوله : ﴿ حتى إذ فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا : الحق ﴾ ﴿١١﴾ وذلك أن الملائكة لم يسمعوا أصوات الوحي بين عيسى ومحمد وبينهما السنون فلما أوحى الله إلى محمد سمع الملائكة صوت الوحي كوقوع الحديد على الصفا و ظنوا أنه أمر من أمر الساعة ففزعوا وخروا (ق ١٧/أ) لوجوههم سجداً وذلك لقوله : ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم ﴾ يقول إذا تجلى عن قلوبهم رفع الملائكة رؤسهم فيسألوا بعضهم بعضاً فقالوا : ﴿ ماذا قال ربكم ﴾ ﴿١٢﴾ ولم يقل ماذا خلق ربكم ﴿١٣﴾ ففى هذا بيان لمن أراد الله هداه .

(١) سورة البقرة / ١٥٤ .

(٢) سورة الكهف / ٢٣ .

(٣) سورة الإسراء / ٢٣ .

(٤) سورة الإسراء / ٣٦ .

(٥) سورة القصص / ٨٨ .

(٦) سورة الأنعام / ١٥١ .

(٧) سورة الإسراء / ٢٩ .

(٨) سورة الأنعام / ٦ ، وسورة الإسراء / ٣٣ .

(٩) سورة الأنعام / ١٥٢ .

(١٠) سورة لقمان / ١٨ .

(١١) سورة سبأ / ٢٣ .

(١٢) أخرجه البخارى : ٣٨٠/٦ ، ٤٥٣/١٣ ، والترمذى : ٣٦٢/٥ ، وابن ماجه : ٦٩/١ - ٧٠ من حديث أبى هريرة مرفوعاً : « إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم . قالوا : الحق وهو العلى الكبير » .

وأخرج نحوه أبو داود : ١٠٥/٥ - ١٠٦ من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً . وانظر : ما ورد فى تفسير الآية : تفسير الطبرى : ٨٩/٢٢ وابن كثير : ٥٦٠/٣ والشوكالى : ٣٢٨/٤ .
(١٣) كذا ذكر البخارى أيضاً . انظر : فتح البارى : ٤٥٢/١٣ .

باب آخر

قال أحمد رضى الله عنه : ثم إن الجهمى ادعى أمرا آخر فقال : أنا أجد آية في كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق قوله : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾^(١) فزعم أن الله تعالى قال : القرآن محدث وكل محدث مخلوق فلعمري لقد شبه على الناس بهذا وهى آية من المتشابهة فقلنا فى ذلك قولاً واستعنا بالله ونظرنا فى كتاب الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال أحمد رضى الله عنه : اعلم أن الشيتين إذا اجتمعا فى اسم واحد يجمعهما فكان أحدهما أعلى من الآخر ثم جرى عليهما اسم مدح كان أعلاهما أولى بالمدح وأغلب عليه وإن جرى عليهما اسم ذم فأدناها أولى به . من ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾^(٢) ، و ﴿ عينا يشرب بها عباد الله ﴾^(٣) يعنى الأبرار دون الفجار فإذا اجتمعوا فى اسم العباد واسم الإنسان فالمعنى به فى قول الله تعالى : ﴿ يشرب بها عباد الله ﴾^(٤) يعنى الأبرار دون الفجار لقوله إذا انفرد الأبرار ﴿ إن الأبرار لقى نعيم ﴾^(٥) وإذا انفرد (ق ١٧ / ب) الكفار : ﴿ إن الفجار لقى جحيم ﴾^(٦) وقوله : ﴿ إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾^(٧) فالمؤمن أولى به . وإن اجتمعا فى اسم الناس لأن المؤمن أعطى المدحة لقول الله تعالى : ﴿ إن الله بكم لرؤوف رحيم ﴾^(٨) ، ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾^(٩) وإذا انفرد الكفار جرى عليهم الذم فى

(١) سورة الأنبياء / ٢ .

(٢) سورة الحج / ١٣ .

(٣) سورة الإنسان / ٦ .

(٤) سورة الانفطار / ٦٥ .

(٥) سورة الانفطار / ١٤ .

(٦) سورة البقرة / ١٤٣ .

(٧) سورة الحديد / ٩ .

(٨) سورة الأحزاب / ٤٣ .

قوله : ﴿ أَلَا لعنة الله على الظالمين ﴾ ^(١) وقوله : ﴿ أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ﴾ ^(٢) فهؤلاء لا يدخلون في الرحمة وفي قوله : ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ﴾ ^(٣) فاجتمع الكفار والمؤمنون في اسم العباد فالكفار أولى بالبغى من المؤمنين لأن المؤمنين انفردوا ومدحوا فيما بسط لهم من الرزق وهو قول الله : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ﴾ ^(٤) وقوله : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ ^(٥) وقد بسط الله لداود وسليمان عليهما السلام وذى القرنين وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ومن كان على مثالهم ممن يبسط الله له فلم يبع . وإذا انفرد اسم الكافر وقع عليه اسم البغى في قوله لقارون : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ﴾ ^(٦) . وعن التمرود بن كنعان حين آتاه الله الملك فحاج في ربه وفرعون حين نال موسى : ﴿ ربنا إنك آتيت فرعون وملاه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ﴾ ^(٧) الآية فلما اجتمعوا في اسم واحد فجرى عليهم اسم البغى كان الكافر أولى به كما كان المؤمن أولى بالمدحة فلما قال الله : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ ^(٨) فجمع بين ذكرين ذكر الله و ذكر نبيه فأما ذكر الله إذا انفرد لم يجر عليه اسم الحدث أو لم تسمع إلى قوله : ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ ^(٩) ، وهذا ذكر مبارك أنزلناه ^(١٠) وإذا انفرد اسم النبي صلى الله عليه وسلم جرى عليه اسم الحدث ألم تسمع إلى قوله : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ ^(١١) فذكر النبي صلى الله

-
- (١) سورة هود / ١٨ .
 - (٢) سورة المائدة / ٨٠ .
 - (٣) سورة الشورى / ٢٧ .
 - (٤) سورة الفرقان / ٦٧ .
 - (٥) سورة البقرة / ٢ .
 - (٦) سورة القصص / ٧٦ .
 - (٧) سورة يونس / ٨٨ .
 - (٨) سورة الأنبياء / ٢ .
 - (٩) سورة العنكبوت / ٤٥ .
 - (١٠) سورة الأنبياء / ٥٠ .
 - (١١) سورة الصافات / ٩٥ .

عليه وسلم له عمل والله له خالق ومحدث والدلالة على أنه جمع بين الذكرين هو قوله : ﴿ ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ فأوقع عليه الحدث عند إتيانه إيانا وأنت تعلم أنه لا يأتينا إلا بمبلغ ومذكر وقال : ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ ^(١) ، ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾ ^(٢) ، و ﴿ إنما أنت مذكر ﴾ ^(٣) فلما اجتمعوا في اسم الذكرى جرى عليهم اسم الحدث وكان النبي إذا انفرد وقع عليه اسم الخلق وكان أولى بالحدث من ذكر الله عز وجل الذي انفرد ولم يقع عليه اسم خلق ولا حدث فوجدنا دلالة من قوله : ﴿ ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ إنما هو محدث إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأن النبي كان لا يعلم فعله الله تعالى فلما علمه الله تعالى (ق ١٨ / ب) كان ذلك محدثا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ^(٤) .

قال ثم إن الجهمي ادعى أمرا آخر قال : أنا أجد آية في كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق قول الله : ﴿ إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ﴾ ^(٥) وعيسى مخلوق .

فقلنا : إن الله منعك الفهم في القرآن إن عيسى تجرى عليه ألفاظ لا تجرى على القرآن لأنه يسميه مولودا وطفلا وصيبا وغلاما يأكل ويشرب وهو يخاطب بالأمر والنهي يجرى عليه اسم الخطاب والوعيد ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم فلا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى ، فهل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى ولكن المعنى في قول الله ﴿ إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ﴾ فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له كن فكان

(١) سورة الذاريات / ٥٥ .

(٢) سورة الأعلى / ٩ .

(٣) سورة الفاشية / ٢١ .

(٤) قال ابن كثير : « محدث » أى جديد إنزاله كما قال ابن عباس : ما لكم تسألون أهل الكتاب عما بأيديهم وقد حرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه وكتابكم أحدث الكتب بالله تفرؤنه محضاً لم يشب . اهـ . تفسير ابن كثير : ١٨٢/٣ . ولن يشب لأن الله عز وجل تكفل بحفظه ولم يكل ذلك إلى خلقه . قال جل وعلا ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

(٥) سورة النساء / ٧١ .

عيسى يكن وليس عيسى هو كمن، فالكن من قول الله وليس كمن مخلوقا ، وكذبت النصارى والجهمية على الله تعالى في أمر عيسى وذلك أن الجهمية قالوا : روح الله وكلمته إلا أن كلمته مخلوقة وقالت النصارى : عيسى روح الله من ذات الله وكلمة الله من ذات الله كما يقال إن هذه الخرقه من هذا الثوب قلنا نحن : إن عيسى بالكلمة كان (ق ١٩/أ) وليس هو الكلمة وإنما الكلمة قول الله قوله : ﴿ وروح منه ﴾ يقول : من أمره كان الروح فيه كقوله : ﴿ وسخر لكم ما السموات وما في الأرض جميعا منه ﴾^(١) يقول : من أمره وتفسير روح الله إنما معناها روح بكلمة الله خلقها الله كما يقال : عبد الله وسماء الله وأرض الله^(٢) .

ثم إن الجهمي ادعى أمرا آخر قال : إن الله يقول : ﴿ خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾^(٣) فزعم أن القرآن لا يخلو أن يكون في السماء أو في الأرض أو فيما بينهما فشبّه على الناس ولبس عليهم .

فقلنا لهم : أليس إنما أوقع الله عز وجل الخلق على المخلوق ما في السموات وما في الأرض وما بينهما فقالوا : نعم . قلنا : فهل فوق السموات شيء مخلوق قالوا : نعم . قلنا : فإنه لم يجعل ما فوق^(٤) السموات من الأشياء المخلوقة وقد عرف أهل العلم أن فوق السموات السبع الكرسي والعرش واللوح المحفوظ والحجب وأشياء كثيرة ولم يسمها ولم يجعلها من الأشياء المخلوقة ، وإنما وقع الخبر من الله عز وجل على السموات والأرض وما بينهما . فقلنا : فيما الدعوى أن

(١) سورة الجاثية ١٣/ .

(٢) في قول الله تعالى : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ دلالة عظيمة على أن القرآن كلام الله عز وجل وغير مخلوق فكمن مخلوقه والكائن بها مخلوق انظر : رد الدارمي على بشر المريسي ص : ١٤٨ . يقول أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى : « فلو كان القرآن مخلوقا لوجب أن يكون مقولا له كن فيكون ، ولو كان الله عز وجل قائلا للقول كن كان للقول قولاً وهذا يوجب أحد أمرين : إما أن يؤول إلى أن قول الله غير مخلوق ، أو يكون كل قول واقع بقول لا إلى غاية وذلك محال ، وإذا استحال ذلك صح وثبت أن لله عز وجل قولاً غير مخلوق .

الإهانة له ص : ١٩ - ٢٠ ونحوه ذكره البيهقي في الاعتقاد ص : ٥٦ - ٥٧ .

(٣) سورة السجدة ٤/ .

(٤) في الأصل : « لم يجعل ما في السموات » وما أثبتته كما في المطبوع وهو الصواب .

القرآن لا مخلو أن يكون في السموات والأرض أو فيما بينهما فقلنا : (ق/٩/ب) إن الله يقول : ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾^(١) فالخلق الذى خلق به السموات والأرض هو قوله : كن . ﴿ والله يقول الحق ﴾^(٢) قال : ﴿ فالخلق والحق أقول ﴾^(٣) ، ﴿ ويوم يقول كن فيكون قوله الحق ﴾^(٤) فالخلق الذى خلق به السموات والأرض قد كان قبل خلق السموات والأرض والحق قوله وقوله ليس بمخلوق^(٥) .

باب ما ادعت الجهمية أن القرآن مخلوق من هذه الأحاديث التى رويت

إن القرآن يجيء في صورة الشاب الشاحب فىأتى صاحبه فيقول : تعرفنى فيقول : من أنت . فيقول : أنا القرآن الذى أظمأت نهارك وأسهرت ليلك . قال : فىأتى به الله فيقول : يا رب^(٦) .

فادعوا أن القرآن مخلوق . فقلنا لهم : القرآن لا يجيء ، بمعنى^(٧) : أنه قد جاء من قرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾^(٨) (ق ٢٦/ب) فله كذا^(٩) ألا ترون أنه

(١) سورة الحجر / ٨٥ .

(٢) سورة الأحزاب / ٤ .

(٣) سورة ص / ٤٨ .

(٤) سورة الأنعام / ٧٣ .

(٥) راجع ما قيل في تفسير الآية الأولى : تفسير الطبرى : ٥٠/١٤ ، وابن كثير : ٦٠٢/٢ ، والشوكانى : ١٤٠/٣ .

(٦) أخرج أحمد : ٣٥٢/٥ ، وابن ماجه : ١٢٤٢/٢ وغيرهم من حديث عبد الله بن بريدة قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : « يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول : أنا الذى أسهرت ليلك وأظمأت نهارك »

قال محقق سنن ابن ماجه في الروائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

(٧) في المطبوع : إلا بمعنى .

(٨) سورة الإخلاص / ١ .

(٩) انظر : ما جاء في فضل سورة الإخلاص : فتح البارى : ٥٨/٩ - ٥٩ ، وصحيح مسلم :

٥٥٦/١ - ٥٥٧ ، وسنن الترمذى : ١٦٧/٥ - ١٧٠ .

من قرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ لا يجيئه بل يجيء ثوابه . لأننا نقرأ القرآن فنقول : كلام الله لا يجيء فلا يتغير من حال إلى حال ^(١) .

التعليق :

من خلال دراسة موقف الإمام أحمد من القرآن الكريم يتضح لنا مذهب سلف الأمة بأن القرآن الكريم كلام الله عز وجل غير مخلوق منه بدا وإليه يعود . وقد ساق رحمه الله من الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة ما يدل على صحة هذا الاعتقاد وسلامته ويدحض في نفس الوقت شبهة المبتدعة وادعاءاتهم .

ولا شك أن ما نقل عن الإمام أحمد يفى بالغرض في كشف زيغ المبتدعة

(١) الكلام حول هذا الحديث وما شابهه وتفسير أحمد له سيأتي بصورة مفصلة عند قول الإمام أحمد في : « الإتيان والجهيء » إلا أني سأورد هنا ما يقتضيه الحال ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وأيضاً وقع النزاع بين أصحابه ، هل اختلف اجتهاده في تأويل الجهيء والإتيان والنزول ونحو ذلك لأن حنبلاً نقل عنه في الهنة أنهم لما احتجوا عليه بقول النبي صلى الله عليه وسلم : تجيء البقرة وآل عمران كأنما غماتان أو غيابتان ، أو فرقان من طير صواف ونحو ذلك من الحديث الذي فيه إتيان القرآن وجيئه . وقالوا له : لا يوصف بالإتيان والجهيء إلا مخلوق فعارضهم أحمد بقوله ^(ب) ، وأحمد وغيره من أئمة السنة فسروا هذا الحديث بأن المراد به جيء ثواب البقرة وآل عمران ^(ج) كما ذكر مثل ذلك عن جيء الأعمال في القبر والقيامه والمراد منه ثواب الأعمال، والنبي صلى الله عليه وسلم قال : « اقرأوا البقرة وآل عمران ... » وهذا الحديث في الصحيح ^(د) فلما أمر بقراءتهما وذكر جيئهما بماجان عن القاريء علم أنه أراد بذلك قراءة القاريء لهما وهو عمله وأخير بمجيء عمله الذي هو التلاوة لهما في الصورة ذكرها كما أخبر بمجيء غير ذلك من الأعمال ...

والمقصود هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر بمجيء القرآن في هذه الصورة أراد به الإخبار عن قراءة القاريء التي هي عمله وذلك هو ثواب قاريء القرآن ليس المراد أن نفس كلامه الذي نفسه يتصور صورة غماتين فلم يكن في هذا حجة للجهمية على ما ادعوه ^(هـ) . مجموع الفتاوى : ٣٩٨/٥-٣٩٩/٥ وسياق الكلام بالتفصيل حول رواية حنبل هذه عند قول الإمام أحمد في صفة الإتيان والجهيء ص : ٣٥٤ ، وانظر : رد الدارمي على بشر المريسي ص : ١٢٤ .

(أ) سياق الكلام بالتفصيل حول رواية حنبل هذه عند قول الإمام أحمد في صفة الإتيان والجهيء ص : ٣٩٢ .

(ب) انظر : رد الدارمي على بشر المريسي ص : ١٢٤ .

(ج) أخرجه مسلم ٥٥٣/١-٥٥٤ من حديث أبي أمامة الباهل والنواس بن سمعان رضی الله عنهما .

(د) مجموع الفتاوى : ٣٩٨/٥-٣٩٩ .

في هذه المسألة إلا أني أريد تسليط مزيد من البحث حول الفرق المخالفة فأقول
وبالله التوفيق :

إن الجعد بن درهم هو أول من نطق بهذه البدعة ثم تلقفها عنه الجهم
بن صفوان فتولى إظهارها والدعوة إليها فنسبت إليه^(١) وأصبح القول بخلق القرآن
أشد التصاقا بالجهم وأتباعه ، ثم تولى أمر هذه البدعة المعتزلة وأرادوا إجبار الناس
على اعتقادها مستخدمين السلطة كما قدمنا^(٢) .

وقد استدل هؤلاء بآيات زعموا أن فيها دلالة على صحة قولهم ومن تلك
الآيات قول الله تعالى : ﴿ وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾^(٣) و قوله عز
وجل : ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾^(٤) وقد أجاب الإمام أحمد على شبههم
ونقض مزاعمهم^(٥) . والحقيقة أن أهل الكلام بصفة عامة احتكموا إلى العقول
المجردة في قضايا العقيدة ، وعرضوا القضايا العقيدية عليها فما وافقها - بادعائهم -
أخذوه وما خالفها رفضوه أو أولوه . لذلك نجد تخبطهم في مسائل العقيدة .
وذلك بخلاف أهل السنة والجماعة الذين اعتبروا الكتاب والسنة هما المصدران
اللذان يجب الأخذ عنهما في أمور العقيدة وغيرها . مع اعتقادي بأنه ليس هناك
أى تعارض بين العقل والشرع إلا أن هنالك أمورا هي فوق قدرة العقل وإمكاناته
ولا يمكن للعقل بحال تمييزها أو الوقوف على كنهها . فأهل السنة عندما قالوا إن
القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق استندوا في ذلك إلى الآيات الصريحة
والأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك وعلى أن الكلام بصفة لله عز وجل وصفاته
تبارك وتعالى غير مخلوقة ، وأيضا الآيات والأحاديث دلت على أن الله عز وجل

(١) انظر مجموع الفتاوى : ١١٩/١٢ .

(٢) انظر : ص : ١٩٠ .

(٣) سورة الأنبياء / ٢ .

(٤) سورة الزخرف / ٣ .

(٥) انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص : ٥٢٨ .

(٦) وسيأتي مزيد من النقص لهذه المزاعم عند الكلام عن :

قول الإمام أحمد في صفة الكلام ص : ٢٨٧ .

قول الإمام أحمد في مسألة الحرف والصوت : ٣٠٢ .

يتكلم بحرف وصوت لكن المتدعة لم يسلموا بهذا لأنهم عرضوا هذا على عقولهم القاصرة فوجدوا أن الكلام لا يمكن أن يكون إلا عن طريق الجوارح فعطلوا هذه الصفة كما عطلوا غيرها . لأنهم لم يتصوروا الكيفية . وهذا مبدأ عظيم الخطر على صاحبه . لذلك نجد كثيرا منهم اتناهم الشك والريب أعاذنا الله من ذلك وثبتنا على الإيمان .

ومن المعلوم ارتباط هذه المسألة بصفة الكلام لله عز وجل . وعند عرض أقوال المخالفين في مسألة الكلام يتضح قولهم في القرآن .

قول الإمام أحمد فيمن قال : القرآن مخلوق

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

١٧٧ - سمعت أبي رحمه الله يقول : من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافرا^(١) .
 • نقل مثل هذا عن أحمد : ابن هاني^(٢) وأبو داود^(٣) وحرب الكرماني وأبو بكر المروذي^(٤) وأحمد بن الحسين ويوسف بن موسى وإسماعيل بن إسحاق الثقفي^(٥) وصالح بن أحمد والحارث بن إبراهيم والحسن بن البزار^(٦) وأبو الحارث^(٧) وحنبل بن إسحاق^(٨) وعبد الملك الميموني^(٩) والحسن بن أيوب^(١٠)

(١) السنة (ظ : ق : ١/١) ، وفي المطبوع ص : ٢٩ .

(٢) انظر : مسائل ابن هاني : ١٥٣/٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ .

(٣) انظر : مسائل أبي داود (ظ : ص : ٢٤٦) وفي المطبوع ص : ٢٦٢ .

(٤) انظر : السنة للخلال (ق : ١٥٤/ب) .

(٥) انظر : المصدر السابق (ق : ١٥٤/ب) .

(٦) انظر : المصدر السابق (ق : ١٥٤/ب - ١٥٥/أ) .

(٧) انظر : المصدر السابق (ق : ١٩٦/أ) .

(٨) انظر : المصدر السابق (ق : ١٥٧/ب) .

(٩) انظر : المصدر السابق (ق : ١٥٥/ب) .

(١٠) انظر : شرح السنة لللكاني : ٢/٢٦٣ .

ومحمد بن إسماعيل السلمى^(١) وإسحاق بن إبراهيم البغوي^(٢) وإسحاق الكوسج^(٣) والحسن بن ثواب^(٤) والربيع بن نافع^(٥) ويعقوب بن إبراهيم الدورقي^(٦) وشاهين بن السميدع^(٧) ومحمود بن الخالد الخانقيني^(٨) ويحيى بن زكريا^(٩) وإسماعيل بن إسحاق السراج الثقفي^(١٠) وسلمة بن شبيب^(١١).

التعليق :

بعد أن ذكرت موقف الإمام أحمد من القرآن الكريم ورده على الجهمية القائلين بخلق القرآن كان من الأنسب أن أتبعه بذكر موقفه أيضا ممن قال بخلق

(١) أبو إسماعيل الترمذي ، نزيل بغداد ، ثقة حافظ ، لم يتضح كلام ابن أبي حاتم فيه . قال أبو بكر الخلال كان عنده عن أبي عبد الله مسائل صالحة حسان وفيها ما أغرب به على أصحاب أبي عبد الله وهو رجل معروف كثير العلم . ت/بغداد : ٤٢/٢ ، طبقات الخنابلة : ٢٧٩/١ ، تقريب : ١٢٥/١ ، تهذيب : ٦٢/٩ ، شذرات الذهب : ١٧٦/٢ . والرواية في شرح السنة للإلكائي : ٣٥٤/٢ .

(٢) هو : أبو يعقوب ، لقبه لؤلؤ وقيل : بؤيؤ ، ثقة ، توفي سنة تسع وخمسين ومئتين . طبقات الخنابلة : ١٠٩/١ ، تقريب : ٥٤/١ ، تهذيب : ٢١٤/١ . والرواية في شرح السنة : ٢٦٣/٢ ، مناقب أحمد : ٢٠١ .

(٣) مناقب أحمد : ص : ٢٠٢ .

(٤) انظر : طبقات الخنابلة : ١٣٢/١ .

(٥) هو : أبو توبة الحلبي ، نزيل طرسوس ، ثقة ، حجة عابد ، مات سنة إحدى وأربعين ومئتين ، تقريب : ٢٤٦/١ ، تهذيب : ٢٥٠/٣ ، والرواية في طبقات الخنابلة : ١٥٦/١ .

(٦) انظر : المصدر السابق : ٤١٤/١ .

(٧) انظر : المصدر السابق : ١٧٣/١ .

(٨) انظر : المصدر السابق : ٣٤٠/١ .

(٩) هو : يحيى بن زكريا المروذي صاحب إسحاق بن راهويه . قال أبو بكر الخلال : عنده عن أبي عبد الله مسائل حسان . وذكره ابن الجوزي فيمن حدث عن أحمد قال أبو حاتم : صدوق ، طبقات الخنابلة : ٤٠١/١ ، مناقب أحمد ص : ١٤٢ ، الجرح والتعديل : ١٤٥/٩ .

والرواية في طبقات الخنابلة : ٤٠١/١ .

(١٠) انظر : المصدر السابق : ١٠٣/١ ، مناقب أحمد ص : ٣٠٢ .

(١١) انظر : مناقب أحمد : ٢٠٢ .

القرآن وهو كما رأينا أطلق القول بكفر من قال بخلق القرآن الكريم وهو بهذا يوافق ما انعقد عليه إجماع سلف الأمة^(١)

وسأذكر في المبحث التالي بعض ما استدل به الإمام أحمد على كفر هؤلاء . ومما يجدر ذكره أن كثيراً من السلف لم يعد الجهمية من الفرق الثنتين والسبعين التي افتقرت عليها الأمة^(٢) . وقد نقل عن ابن المبارك قوله : إنا نستجيز أن نحكى كلام اليهود والنصارى ولا نستجيز أن نحكى كلام الجهمية^(٣) .

أدلة الإمام أحمد على تكفير من قال بخلق القرآن

(قال ابن أبي يعلى في ترجمة) : يعقوب بن إبراهيم الدورق : جالس إمامنا وسأله عن أشياء رواها عنه^(٤) من ذلك ما قرأته في كتاب أبي بكر الخلال قال :

١٧٨ - أخبرني علي بن هارون^(٥) قال : حدثني محمد بن أبي هارون الوراق قال : سمعت يعقوب بن إبراهيم الدورق قال : سألت أحمد بن حنبل عمن يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال : كنت لا أكفرهم حتى قرأت آيات من القرآن : ﴿ ولئن اتبعت أهوائهم من بعد ما جاءك من العلم ﴾^(٦) وقوله : ﴿ بعد الذى جاءك من العلم ﴾^(٧) وقوله : ﴿ أنزله بعلمه ﴾^(٨) فالقرآن من علم الله . ومن زعم أن علم الله مخلوق فهو كافر^(٩) .

(١) انظر : خلق أفعال العباد للبخارى ص : ١٤ ، والرد على الجهمية للدارمي ص : ٣٥٠ ، ورد الدارمي على المرسي ص : ٤٧٦ - ضمن عقائد السلف - والسنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ص : ٩ ، وشرح أصول السنة للإلكاني : ٢٧٧/٢ - ٣١٢ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص : ٥٩١ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية : ٤٨٦/٢ .

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد ص : ١٣ ، ورد الدارمي على المرسي ص : ١٠٩ .

(٤) وقد تقدمت ترجمته ص : ١٨٧ .

(٥) لعله الحنبل ، حدث عن إسحاق بن إبراهيم البغوي وعنه الطبراني . ت/بغداد : ٣٧٧/١١ .

(٦) سورة البقرة / ١٢٠ .

(٧) سورة آل عمران / ٦١ .

(٨) سورة النساء / ١٦٦ .

(٩) طبقات الحنابلة : ١/٤١٤ ولم أجده في كتاب السنة للخلال ولعله في الأجزاء المطبوعة التي لم أستطع قراءتها خاصة وأنها متعلقة بمسألة القرآن أو لعل ذلك في كتاب آخر له .

١٧٩ - وهذه الرواية ذكرها اللالكائي^(١) بسنده عن الحسن بن أيوب قال : سألت أحمد ما تقول في القرآن قال : كلام الله غير مخلوق . قال : قلت : ما تقول فيمن قال : مخلوق . قال : كافر . قلت : بم كفرته . قال : بآيات من كتاب الله (فذكر الآية الأولى والثانية ثم قال) فالقرآن علم الله فمن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر . اهـ .

١٨٠ - وقال الإمام أحمد لعبد الرحمن بن إسحاق في حضرة المعتصم لما نظره في مسألة القرآن . سألتني عبد الرحمن فقال لي : ما تقول في القرآن . فقلت له : ما تقول في العلم . فسكت . فقلت : القرآن من علم الله ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله^(٢) .
ومثل هذا نقل عنه : عبد الله بن أحمد بن حنبل^(٣) وابن هانئ^(٤) ومحمد بن إبراهيم البوشنجي^(٥) وحبيش بن سندی وجعفر بن محمد^(٦) ومحمد بن إسماعيل السلمى^(٧) .

التعليق :

أشرت آنفاً إلى أن الإمام أحمد وافق أئمة السلف في تكفير من قال بمخلق القرآن . ومن المعلوم أن للتكفير قواعد وضوابط . ولا شك أن الإمام أحمد وغيره من أئمة السلف هم أعلم بتلك القواعد والضوابط وعليها بنوا القول بتكفيرهم ،

(١) شرح السنة : ٢٦٣/٢ .

(٢) محنة أحمد لحنبل بن إسحاق ص : ٤٥ .

(٣) السنة له ص : ٩ - ١٠ .

(٤) مسائل ابن هانئ : ١٥٣/٢ - ١٥٤ .

(٥) محمد بن إبراهيم البوشنجي ، أبو عبد الله ، ثقة حافظ فقيه . قال ابن أبي يعلى : ذكره أبو بكر الخلال في جملة الأصحاب . نقل عن الإمام أحمد أشياء . اهـ . وذكره ابن الجوزي فيمن حدث عن أحمد . وجاء في السنة للخلال : الواشجي وما أثبتته هو الصواب ، تقريب : ١٤٠/٢ ، طبقات الخنابلة : ٦٤/١ ، مناقب أحمد ص : ١٣٩ .

(٦) رواياتهم في السنة للخلال (ق : ١/١٥٨ - ب) .

(٧) شرح السنة للالكائي : ٣٥٤/٢ .

وما نقل الإمام أحمد - هنا - من أدلة على تكفير هؤلاء وما تقدم في نقضه على الجهمية هو غاية في الدقة والإلزام .

ومن أراد الاستزادة فليراجع الرد على الجهمية للدارمي فقد عقد فصلا عنون له ب : باب الاحتجاج في إكفار الجهمية^(١) لكن هل تكفير السلف هؤلاء يعتبر ناقلا عن الملة أم لا .

للجواب عن مسألة التكفير بصفة عامة أكتفى بما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - وفيه الغنية - إذ يقول رحمه الله : « ... إذا ظهرت هذه المقدمات في اسم المؤمن والكافر ، والفاسق الملى وفي حكم الوعد والوعيد ، والفرق بين المطلق والمعين ، وما وقع في ذلك من الاضطراب ، ف « مسألة تكفير أهل البدع والأهواء » متفرعة على هذا الأصل .

ونحن نبدأ بمذهب أئمة السنة فيها قبل التنبيه على الحجة فنقول : المشهور من مذهب الإمام أحمد ، وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن ، فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب ، وحقيقة قولهم جحود الصانع ، ففيه جحود الرب . وجحود ما أخبر به عن نفسه على لسان رسله ... ولهذا كفروا من يقول القرآن مخلوق ، وأن الله لا يرى في الآخرة وأن الله ليس على العرش ، وأن الله ليس له علم ولا قدرة ولا رحمة ولا غضب ونحو ذلك من صفاته^(٢) .

وأما المرجحة فلا تختلف نصوصه أنه لا يكفرهم ، فإن بدعتهم من جنس اختلاف الفقهاء في الفروع ، وكثير من كلامهم يعود النزاع فيه إلى نزاع في الألفاظ والأسماء، ولهذا يسمى الكلام في مسائلهم « باب في الأسماء » وهذا من نزاع الفقهاء، لكن يتعلق بأصل الدين ، فكان المنازع فيه مبتدعاً^(٣) .

(١) انظر : ذلك ضمن كتاب عقائد السلف ص : ٢٤٦ - ٣٥٦ . وراجع أيضاً : الشريعة للأجرى ص : ٧٥ - ٧٩ .

(٢) انظر : قول الإمام أحمد في الجهمية ص : ٣٦٨/٢ .

(٣) انظر : قول الإمام أحمد في المرجحة ص : ٣٦٢/٢ .

وكذلك « الشيعة » المفضلون لعل على أبي بكر ، لا يختلف قوله أنهم لا يكفرون ، فإن ذلك قول طائفة من الفقهاء أيضاً وإن كانوا يبدعون^(١) .

وأما القدرية المقرون بالعلم والروافض الذين ليسوا من الغالية والجهمية والخوارج فيذكر عنه في تكفيرهم روايتان هذا حقيقة قوله المطلق ، مع أن الغالب عليه التوقف عن تكفير القدرية المقرين بالعلم^(٢) ، والخوارج^(٣) ، مع قوله : ما أعلم قوما شرا من الخوارج .

ثم طائفة من أصحابه يحكون عنه في تكفير أهل البدع مطلقاً روايتين حتى يجعلوا المرجئة داخلين في ذلك ، وليس الأمر كذلك ، وعنه في تكفير من لا يكفر روايتان ، أصحهما لا يكفر . وربما جعل بعضهم الخلاف في تكفير من لا يكفر مطلقاً . وهو خطأ محض . والجهمية - عند كثير من السلف مثل : عبد الله بن المبارك ، ويوسف بن أسباط ، وطائفة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم - ليسوا من الثنتين والسبعين فرقة ، التي افرقت عليها هذه الأمة ، بل أصول هذه عند هؤلاء : هم الخوارج والشيعة ، والمرجئة ، والقدرية ، وهذا المأثور عن أحمد ، وهو المأثور عن عامة أئمة السنة ، والحديث أنهم كانوا يقولون : من قال : القرآن مخلوق فهو كافر ، ومن قال : إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر ، ونحو ذلك .

ثم حكى أبو نصر السجزي عنهم في هذا قولين : أحدهما : أنه كفر ينقل عن الملة . قال : وهو قول الأكثرين . والثاني : أنه كفر لا ينقل^(٤) .

ولذلك قال الخطابي : إن هذا قالوه على سبيل التغليظ ، وكذلك تنازع المتأخرون من أصحابنا في تحليد المكفر من هؤلاء ، فأطلق أكثرهم عليه التحليد ،

(١) انظر : قول الإمام أحمد في الرافضة ص : ٣٥١/٢ .

(٢) تقدم الكلام عنهم انظر : ص : ١١٤ ، وانظر أيضاً : قول الإمام أحمد في المعتزلة ص : ٣٦٥/٢ .

(٣) انظر : قول الإمام أحمد في الخوارج ص : ٣٤٦/٢ .

(٤) ذكر ذلك في كتابه الرد على من أنكر الحرف والصوت (ق : ١٢) .

كما نقل عن ذلك عن طائفة من متقدمى علماء الحديث ، كأبى حاتم وأبى زرعة وغيرهم . وامتنع بعضهم من القول بالتخليد^(١) .

وسبب هذا التنازع تعارض الأدلة ، فإنهم يرون أدلة توجب إلحاق أحكام الكفر بهم ، ثم إنهم يرون من الأعيان ، الذين قالوا تلك المقالات من قام به من الإيمان ما يمتنع أن يكون كافرا . فيتعارض عندهم الدليلان وحقيقة الأمر أنهم أصابهم فى ألفاظ العموم فى كلام الأئمة ما أصاب الأولين فى ألفاظ العموم فى نصوص الشارع . كلما رأوهم قالوا من قال كذا فهو كافر ، اعتقد المستمع أن هذا اللفظ شامل لكل من قاله ، ولم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع قد تنتفى فى حق المعين ، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين ، إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع ، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة : الذين أطلقوا هذه العمومات ، لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه . فإن الإمام أحمد - مثلا - قد باشر الجهمية الذين دعوه إلى خلق القرآن ، ونفى الصفات ، وامتنعوه وسائر علماء وقته ، وقتلوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم على التجهم بالضرب والحبس والقتل والعزل عن الولايات وقطع الأرزاق ، ورد الشهادة وترك تخليصهم من أيدي العدو بحيث كان كثير من أولى الأمر إذ ذاك من الجهمية الولاية والقضاة وغيرهم : يكفرون كل من لم يكن جهمياً موافقاهم على نفي الصفات ، مثل القول بخلق القرآن ، ويحكمون فيه بحكمهم فى الكافر ، فلا يولونه ولاية ، ولا يفتكونه من عدو ، ولا يعطونه شيئا من بيت المال ، ولا يقبلون له شهادة ، ولا فتيا ، ولا رواية ويمتنحون الناس عند الولاية والشهادة ، والافتكاك من الأسر وغير ذلك فمن أقر بخلق القرآن حكموا له بالإيمان ومن لم يقر به لم يحكموا له بحكم أهل الإيمان ، ومن كان داعيا إلى غير التجهم قتلوه أو ضربوه وحبسوه .

ومعلوم أن هذا من أغلظ التجهم ، فإن الدعاء إلى المقالة أعظم من قولها وإثابة قائلها وعقوبة تاركها أعظم من مجرد الدعاء إليها ، والعقوبة بالقتل لقائلها أعظم من العقوبة بالضرب .

(١) هناك كلام للشيخ موفق الدين ابن قدامة حول مسألة التخليد . انظره : فى ذيل طبقات الحنابلة لابن

ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره، ممن ضربه وحبسه، واستغفر لهم وحلّهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم، فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع، وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية، الذين كانوا يقولون : القرآن مخلوق، وإن الله لا يرى في الآخرة، وقد نقل عن أحمد ما يدل على أنه كفر به قوما معينين، فأما أن يذكر عنه في المسألة روايتان ففيه نظر، أو يحمل الأمر على التفضيل فيقال : من كفر بعينه، فلقيام الدليل على أنه وجدت فيه شروط التكفير، وانتفت موانعه ومن لم يكفره بعينه، فلانتفاء ذلك في حقه، هذا مع إطلاق قوله بالتكفير على سبيل العموم .

والدليل على هذا الأصل : الكتاب، والسنة، والإجماع، والاعتبار . ثم استدل رحمه الله لكل ذلك، ثم قال : فهذا الكلام يمهّد أصليين عظيمين :

أحدهما : أن العلم والإيمان والهدى فيما جاء به الرسول، وأن خلاف ذلك كفر على الإطلاق، فنفي الصفات كفر، والتكذيب بأن الله يرى في الآخرة، أو أنه على العرش أو أن القرآن كلامه، أو أنه كلم موسى، أو أنه اتخذ إبراهيم خليلاً كفر، وكذلك ما كان في معنى ذلك، وهذا معنى كلام أئمة السنة وأهل الحديث .

والأصل الثاني : أن التكفير العام - كالوعيد العام - يجب القول بإطلاقه وعمومه .

وأما الحكم على المعين بأنه كافر، أو مشهود له بالنار، فهذا يقف على الدليل المعين، فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه .

ومما ينبغي أن يعلم في هذا الموضع أن الشريعة قد تأمرنا بإقامة الحد على شخص في الدنيا، إما بقتل أو جلد أو غير ذلك، ويكون في الآخرة غير معذب، مثل قتال البغاة والمتأولين مع بقائهم على العدالة، ومثل إقامة الحد على من تاب بعد القدرة عليه توبة صحيحة فإننا نقيم الحد عليه مع ذلك كما أقامه النبي صلى

الله عليه وسلم على ماعز بن مالك وعلى الغامدية مع قوله : « لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له »^(١) ومثل إقامة الحد على من شرب النبيذ المتنازع فيه متأولا، مع العلم بأنه باق على العدالة... وكذلك نعلم أن خلقا لا يعاقبون في الدنيا مع أنهم كفار في الآخرة، مثل أهل الذمة المقرين بالجزية على كفرهم، ومثل المنافقين المظهرين الإسلام فإنهم تجرى عليهم أحكام الإسلام وهم في الآخرة كافرون كما دل عليه القرآن في آيات متعددة كقوله : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ﴾^(٢) الآية، وقوله : ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فاتمسوا نورا، فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وجرمكم بالله الغرور فالיום لا يُوخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ﴾^(٣) الآية وهذا لأن الجزاء في الحقيقة إنما هو في الدار الآخرة، التي هي دار الثواب والعقاب . وأما الدنيا فإنما يشرع فيها من العقاب ما يدفع به الظلم والعدوان كما قال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾^(٤) وإذا كان الأمر كذلك فعقوبة الدنيا غير مستلزمة لعقوبة الآخرة ولا بالعكس . ولهذا أكثر السلف يأمرون بقتل الداعى إلى البدعة الذى يضل الناس لأجل فساده في الدين سواء قالوا هو كافر أو ليس بكافر .

وإذا عرف هذا فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم - بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار - لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية، التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسول، وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر .

(١) انظر : خير ماعز بن مالك وخير الغامدية في صحيح مسلم : ١٣١٩/٣ - ١٣٢٢ وانظر : فتح

البارى : ١١٧/١٢ ، ١٢٠ ، ١٢١ - ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٢) سورة النساء / ١٤٥ .

(٣) سورة الحديد / ١٢ - ١٤ .

(٤) سورة الأنفال / ٣٩ .

وهذا الكلام في تكفير جميع « المعينين » مع أن هذه البدع أشد من بعض وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ما ليس في بعض، فليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة ^(١) . اهـ .

قول الإمام أحمد فيمن قال : لفظي بالقرآن مخلوق

١٨١ - قال أبو داود : كتبت رقعة وأرسلت بها إلى أبي عبد الله وهو يومئذ متوار فأخرج جوابه مكتوباً فيه : قلت : رجل يقول التلاوة مخلوقة ^(٢) وألفاظنا بالقرآن مخلوقة والقرآن ليس بمخلوق وما ترى في مجانبته وهل يسمى مبتدعاً وعلى ما يكون عقد القلب في التلاوة والألفاظ وكيف الجواب فيه . قال : هذا بجانب وهو فوق المبتدع وما أراه إلا جهماً وهذا كلام الجهمية القرآن ليس بمخلوق . قالت عائشة رضي الله عنها : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ ^(٣) الآية . قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأحذروهم فإنهم هم الذين عنى الله » ^(٤) . ومثلها نقل عنه ابنه عبد الله ^(٥) .

(١) مجموع الفتاوى : ٤٨٤/١٢ - ٥٠١ . وانظر : نفس المصدر : ١٨٠/١٢ ، ٤٦٦ ، ٦١٨/٧ - ٦١٩ . وراجع الإيمان للمؤلف ص : ٢٠٥ فما بعدها ، وشرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٥٩ - ٣٥٥ .

(٢) في نسخة (ظ) مخلوق . وما أثبتته من المطبوع وهو أوفق .

انظر : الرواية في مسائل أبي داود ، (ظ) ص : ٢٤٨ وفي المطبوع ص : ٢٦٥ .

(٣) سورة آل عمران ٧/ .

(٤) أخرجه البخارى ٢٠٩/٨ ومسلم ٢٠٥٣/٤ ، وأحمد ٤٨/٦ ، وأبو داود ٦/٥ ، والترمذى ٢٢٣/٥ .

(٥) انظر : السنة ص : ٣٥٠ .

« والروايات عن الإمام أحمد في الإنكار على القائلين لفظي بالقرآن مخلوق وتبديعهم وتجهيمهم والتحذير منهم والاحتجاج عليهم كثيرة نقلها :

١٨٢ - ابنه عبد الله قال : سألت أبي رحمه الله قلت : إن قوماً يقولون لفظنا بالقرآن مخلوق فقال : هم جهمية وهم أشر ممن يقف هذا قول جهم .
١٨٣ - سمعت أبي يقول : كل من يقصد إلى القرآن بلفظ أو غير ذلك يريد به مخلوق فهو جهمي .

١٨٤ - سمعت أبي يقول : من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي .
١٨٥ - سمعت أبي وسئل عن اللفظية فقال : هم جهمية وهو قول جهم ثم قال : لاتجالسوهم .

١٨٦ - سمعت أبي يقول : من قال لفظي بالقرآن مخلوق هذا كلام سوء رديء وهو كلام الجهمية .

١٨٧ - سئل أبي وأنا أسمع عن اللفظية والواقفة فقال : من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي . قال مرة : هم شر من الجهمية وقال مرة أخرى : هم جهمية .

١٨٨ - سئل أبي وأنا أسمع عن اللفظية والواقفة فقال : من كان منهم جاهلاً فليسأل وليتعلم .

١٨٩ - وكان أبي يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء أو يقال مخلوق أو غير مخلوق .

١٩٠ - وسألته عن قال : لفظي بالقرآن مخلوق فقال : قال الله عز وجل : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « حتى أبلغ كلام ربي عز وجل »^(١) - وقال
النبي صلى الله عليه وسلم : « إن هذه الصلاة لا يصح فيها شئ من كلام
الناس »^{(٢) (٣)}

١٩١ - سألت أبي عن من قال : لفظي بالقرآن مخلوق ؟ قال : يقال لمن
قال هذه المقالة : لا إله إلا الله هو مخلوق هو يلزمه في مقالته هذه هذا^(٤) .

١٩٢ - يعقوب الدورق : أن أحمد بن حنبل قال له : إن اللفظية إنما
يدورون على كلام جهم يزعمون أن جبريل إنما جاء بشيء مخلوق^(٥) .

١٩٣ - قلت لأحمد : ماتقول فيمن زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق . قال :
فاستوى أحمد لي جالساً ثم قال : هؤلاء عندي شر من الجهمية لانكلم في شيء
من (هذا) القرآن كلام الله غير مخلوق على كل جهة وعلى كل وجه تصرف
وعلى أى حال كان لا يكون مخلوقاً أبداً^(٦) .

١٩٤ - أبو داود قال : سمعت أحمد يتكلم في اللفظية وينكر عليهم
كلامهم .

١٩٥ - هارون المستملي أنه قال لأحمد : يا أبا عبد الله هم جهمية .
فجعل يقول هم وهم ولم يصرح بشيء ولم ينكر عليه ما قاله من قوله : هم
جهمية^(٧) .

١٩٦ - أحمد بن إبراهيم الدورق^(٨) قال : سألت أحمد بن حنبل
قلت : هؤلاء الذين يقولون إن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة . قال : هم شر من قول

(١)؛(٢) تقدم تخريجهما ص : ١٩٧ .

(٣) الروايات المتقدمة في السنة لعبد الله ص : ٣٥ - ٣٦ .

(٤) السنة للخلال (ق ١/١٨٨) .

(٥) مسائل أبي داود (ظ) ص : ٢٥٤ وفي المطبوع ص ٢٧١ .

(٦) انظر : الرواية بأكملها في السنة للخلال (ق ١/١٨٨) .

(٧) انظر : الروايتين في مسائل أبي داود (ظ) ص : ٢٤٨ وفي المطبوع ص : ٢٦٤ - ٢٦٥ ورواهما
الخلال في السنة (ق ١/١٨٩) .

(٨) هو أحمد بن إبراهيم بن كثير الدورق ثقة حافظ ، توفي سنة ست وأربعين ومئتين . تقريب ٩/١ ،
تهذيب ١٠/١ ، طبقات الخنابلة ٢١/١ .

الجهمية . من زعم هذا فقد زعم أن جبريل جاء بمخلوق وأن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بمخلوق^(١) .

١٩٧ - ابن هانيء قال : سمعت أبا عبد الله يقول : من زعم أن لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي^(٢) .

١٩٨ - وسألته عن الذي يقول : لفظي بالقرآن مخلوق قال : هذا كلام جهم والجهمي كافر^(٣) .

١٩٩ - أبو طالب قال : قلت لأبي عبد الله كتب إلى من طرسوس أن الشراك يزعم أن القرآن كلام الله فإذا تلوته فتلاوته مخلوقة . قال : قاتله الله هذا كلام جهم بعينه . قلت : رجل قال : القرآن كلام الله وليس بمخلوق ولكن لفظي هذا به مخلوق قال : من قال هذا فقد جاء بالأمر كله وإنما هو كلام الله على كل حال الحججة فيه حديث أبي بكر « ألم غلبت الروم » فقيل له هذا مما جاء به صاحبك فقال : لا والله ولكنه كلام الله هذا وغيره إنما هو كلام الله^(٤) - قلت : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ هذا الذي قرأت الساعة كلام الله قال : أي والله هو كلام الله ومن قال : لفظي بالقرآن مخلوق فقد جاء بالأمر كله .

٢٠٠ - قلت : يا أبا عبد الله إني احتججت عليهم بالقرآن والحديث وأحب أن أعرضه عليك - فذكر له من الآيات والأحاديث ما تقدم ذكره - قال أبو عبد الله : ما أحسن ما احتججت ... ثم أتيت بعد ذلك فقال - أي أحمد - قد وجدت فيه غير آية ﴿ وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس ﴾ وفي سورة الجمعة ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ﴾^(٥) .

(١) مسائل أبي داود (الرقم السابق) ونقله ابن أبي عمير في طبقات الختابة ٢١/١ .

(٢) مسائل ابن هانيء ١٥٢/١ وأخرجه اللخلاق في السنة (ق ٧٩/ب) .

(٣) مسائل ابن هانيء ١٥٤/٢ .

(٤) تقدم تخريجه ص : ١٨٩ .

(٥) انظر : الرواية بأكملها في السنة للخللاق (ق ١٨٦ /) .

٢٠١ - إسحاق بن حنبل عم الإمام أحمد قال : ... وأريت أبا عبد الله كتاباً جاءني من طرسوس في الشرك أنهم احتجوا عليه بقول الله عز وجل : ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ وفي حديث أبي أمامة : « هو أشد تفصيلاً من صدور الرجال من النعم في عقلها »^(١) فقال أبو عبد الله : ما أحسن ما احتجوا فيه^(٢) .

٢٠٢ - أبو الحارث أنه قال لأبي عبد الله : إذا قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي قال : فأيش بقي إذا قال : لفظي بالقرآن مخلوق^(٣) .

٢٠٣ - محمد بن الحسن بن هارون قال : قلت يا أبا عبد الله هذا القول عندك يرجع إلى قول جهم . قال : هذا كله من قول جهم^(٤) .

٢٠٤ - حنبل بن إسحاق أنه سمع أحمد يقول : وأى شيء بقي إذا قال : لفظه بالقرآن مخلوق وكيف تتم به الصلاة لاتم بمخلوق^(٥) .

٢٠٥ - محمد بن مسلم بن واره : أنه سأل عن اللفظية . فقال أحمد قال الله عز وجل : ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾ وقال : ﴿ يسمعون كلام الله ثم يحرفونه ﴾ ممن كانوا يسمعون .

٢٠٦ - وقال لي أحمد : القرآن حيث تصرف كلام الله واللفظية جهمية . قلت : هل علمت أن أحداً من الجهمية كان يقوله قال : بلغني أن المريسي كان يقوله^(٦) .

(١) أخرجه البخاري ٧٩/٩ ، ومسلم ٥٤٤/١ من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً . وأخرجه كذلك من حديث أبي موسى الأشعري ونحوه أخرجا من حديث عبد الله بن عمر .

(٢) انظر : الرواية بأكملها في السنة للخلال (ق ١٨٧) .

(٣) المصدر السابق (ق ١٨٨/أ) .

(٤) المصدر السابق (ق ١٨٨/ب) .

(٥) المصدر السابق (ق ١٨٩/ب) .

(٦) المصدر السابق (ق ١٩٠/أ) .

٢٠٧ - سمعت أحمد يقول : من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي^(١) .

٢٠٨ - هارون بن عبد الله البزار قال : قلت لأبي عبد الله : أنه قد ظهر قوم يتكلمون بكلام تشتمن منه القلوب وأحببت أن أزداد برأيك بصيرة : قوم يقولون لفظنا بالقرآن مخلوق . فقال قولاً - بغضب - هذا كلام سوء حيث . فقلت : أليس نقول : القرآن كلام الله غير مخلوق على كل حال وعلى كل جهة ؟ قال : نعم^(٢) .

٢٠٩ - الحسين بن إسحاق التستري^(٣) أن أبا عبد الله سئل عن هؤلاء اللفظية فقال : هم جهمية^(٤) .

٢١٠ - إسماعيل بن إسحاق الثقفي وأحمد بن الحسين : سألو أحمد : من يقول لفظي بالقرآن مخلوق قال : هو جهمي . وزاد أحمد بن الحسين : لا يشك فيه^(٥) .

٢١١ - يعقوب بن بختان أنه سمعه قال : الذين قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق . هذا كلام الجهمي^(٦) .

(١) مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٢٠٦ .

(٢) السنة للخلال (ق ١٩٠/أ) .

(٣) ذكره أبو بكر الخلال فقال : شيخ جليل وكان عنده عن أبي عبد الله جزء مسائل كبار . وكان رجلاً مقدماً . وذكره ابن الجوزي فيمن حدث عن الإمام أحمد . طبقات الحنابلة ١/١٤٢ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٣١ ، المنهج الأحمد ١/٣٩٣ .

(٤) السنة للخلال (ق ١٩٠/أ) وذكره ابن أبي يعلى في الطبقات ١/١٤٢ ، عن الحسن بن إسحاق الخرق في ترجمته .

(٥) السنة للخلال (ق ١٩٠/أ) ونقله ابن أبي يعلى في الطبقات ١/١٠٣ في ترجمة إسماعيل .

(٦) السنة للخلال (ق ١٩٠/أ) .

٢١٢ - محمود بن خدّاش^(١) أنه قال له : كيف قلت يا أبا عبد الله في اللفظة قال : جهمية لا يشك فيهم^(٢) .

٢١٣ - جعفر بن محمد قال : قلت لأبي عبد الله : أيش ترى أنا أقول من قال لفظه بالقرآن مخلوق كافر قال : هو كلام جهم هو كلام جهم هو كلام جهم ؛ والجهمية يكفرون^(٣) .

٢١٤ - خطاب بن بشر^(٤) قال : سئل عن هؤلاء الذين يقولون : لفظنا بالقرآن مخلوق فكره المسألة وأعرض عنه ثم قال : هؤلاء جهمية هؤلاء جهمية^(٥) .

٢١٥ - يعقوب بن بختان - أيضا - أنه سمع أبا عبد الله يقول : في معرض كلامه عن اللفظية - قال الله عز وجل : ﴿ فَإِنَّمَا يَسِرْنَاهُ بلسانك لتبشّر به المتقين ﴾ فقلت له : قول الله عز وجل : ﴿ وَإِن أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ إِنَّمَا سَمِعُوا كَلَامَ اللَّهِ عز وجل من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم .

٢١٦ - قلت لأبي عبد الله : قال عبد الله الرازي : إذا قرأت القرآن فأردت منه الصلاة والثواب والأجر فهو مخلوق وإذا قرأت القرآن أريد الله به فهو غير مخلوق . فقال : لا فرج الله عن هذا . هذا كلام سوء^(٦) .

(١) هو الطالقاني ، نزيل بغداد ، صدوق . توفي سنة خمسين ومئتين وله تسعون سنة . تقريب ٢/٢٣٣ ،

ت/بغداد ٩٠/١٣ ، طبقات الحنابلة ٣٣٩ .

(٢) السنة للخلال (ق ١٩٠/ب) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) هو : أبو عمر المذكر ، البغدادي ، ذكره أبو بكر الخلال فقال : كان رجلا صالحا ... وكان

عنده عن أبي عبد الله مسائل حسان صالحة . وذكره ابن الجوزي فيمن حدث عن الإمام أحمد .

ت/بغداد ٣٣٧/٨ ، طبقات الحنابلة ١٥٢/١ ، المنهج الأحمد ١/٢٢٢ .

(٥) السنة للخلال (ق ١٩٠/ب) .

(٦) السنة للخلال (ق ١٩٠/ب - ١٩١/أ) .

٢١٧ - الحسن بن عبد الله^(١) قال : سألت أبا بكر المروزي عن قصة هشام بن عمار^(٢) أيش أنكر عليه أبو عبد الله فقال : ورد كتاب من دمشق فيه : سل لنا أبا عبد الله فإن هشام بن عمار قال : لفظ جبريل ومحمد عليهما السلام بالقرآن مخلوق . فسألت أبا عبد الله عما كتبوا به فقال : قاتله الله الكرايسى لم يجترىء أن يدخل جبريل ولا محمد صلى الله عليه وسلم هذا قد تجهم^(٣) .

٢١٨ - أبو إسماعيل الترمذي قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : اللفظية جهمية لقول الله جل اسمه : ﴿ حتى يسمع كلام ﴾ فمن يسمع . ثم قال - أى الترمذي - ثم سمعت جماعة من أصحابنا لأحفظ أسماءهم يذكرون أنه كان يقول - أى أحمد - من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي^(٤) .

٢١٩ - محمد بن شداد الصفدي^(٥) قال : تذاكرنا أمر القرآن فقال - أى أحمد - هو من حيث تصرف غير مخلوق اللفظ بالقرآن من قال مخلوق فهذا من قول جهم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل » وقال الله : ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾^(٦) .

٢٢٠ - أحمد بن زنجويه^(٧) قال : سمعت أحمد يقول : اللفظية شر من الجهمية^(٨) .

-
- (١) لم أعرفه .
 - (٢) هشام بن عمار ، حافظ صدوق مقرئ كبير فصار يتلقن والخير أورده الذهبي وعلق عليه . انظر سير أعلام النبلاء ٤٣٢/١١ .
 - (٣) السنة للخلال (ق ١/١٩١) .
 - (٤) صريح السنة للطبري ص : ٢٦ .
 - (٥) أبو جعفر : ذكره ابن أبي يعلى وابن الجوزي فيمن حدثوا عن الإمام أحمد طبقات الخنايلة ٢٩٩/١ ، مناقب الإمام أحمد ص ١٤٠ ، المنهج الأحمدي ٣٣٦/١ .
 - (٦) طبقات الخنايلة ٢٩٩ .
 - (٧) هو أبو العباس القطان الخرمي ، قال الخطيب : كان ثقة . تولى سنة أربع وثلاث مئة ، ت/بغداد ٢٨٧ ، ١٦٤/٤ .
 - (٨) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص : ٢٥٠ .

٢٢١ - محمد بن سليمان الجوهري قال : قال لي أبو عبد الله : وإياك
ومن أحدث حدثا ثالثا فقال باللفظ الكلام فيه لا يحل، القرآن كلام الله غير مخلوق
من جميع الجهات^(١)

٢٢٢ - الحسن بن محمد أنه قال لأبي عبد الله : فمن قال هذه المقالة
يحذر عنه ؟ قال : أشد التحذير^(٢)

٢٢٣ - عبدوس بن مالك قال : سمعت أحمد يقول : وإياك ومناظرة
من أحدث فيه ومن قال بلفظ وغيره^(٣)

٢٢٤ - مسدد بن مسرهد : كتب إليه أحمد : فأمركم أن لا تؤثروا على
القرآن شيئا فإنه كلام الله عز وجل وما تكلم به فليس بمخلوق وما أخبر به عن
القرون الماضية فغير مخلوق وما في اللوح المحفوظ وما في المصاحف وتلاوة الناس
وكيفما قرئء وكيفما يوصف فهو كلام الله غير مخلوق^(٤)

٢٢٥ - ونقل عنه شاهين بن السميذع تكفيرهم . وجدت ذلك في
طبقات الحنابلة^(٥) إذ يقول مؤلفه ابن أبي يعلى في ترجمة شاهين : نقل عن إمامنا
أشياء منها : ما قرأته بخط أبي حفص البرمكي^(٦) قال : قرأت على أبي مردك^(٧) :
حدثك علي بن سعيد الخفاف^(٨) حدثنا شاهين بن السميذع^(٩) قال : سمعت أبا
عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول : من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر
أه . قلت : ومراده من قال هذا القول قاصدا الملفوظ به الذي هو كلام الله

(١) السنة للخلال (ق ١٩٠ / أ) .

(٢) نفس المصدر (ق ١٩٠ / ب) .

(٣) رسالة عبدوس (ق ٢ / أ) .

(٤) طبقات الحنابلة ٣٤٢ / ١ .

(٥) طبقات الحنابلة ١٧٢ / ١ .

(٦) هو : عمر بن أحمد بن إبراهيم . قال عنه الخطيب : كان ثقة صالحا دينيا ت/بغداد ١١ / ٢٦٨ .

(٧) هو : علي بن عبد العزيز أبو الحسن ، قال الخطيب كان ثقة . وقال الصيرمي : ابن مردك أحد

الصلحين ، ترك الدنيا عن مقدرة واشتغل بالعبادة . ت/بغداد ١٢ / ٣٠ .

(٨) لم أجد له ترجمة .

(٩) ذكره ابن الجوزي وابن أبي يعلى فيمن نقل عن أحمد . انظر : ترجمته ص : ٦٢ .

عز وجل يوضح هذا ما رواه البيهقي في الاعتقاد^(١) عن أبي عمرو الأديب^(٢)
يقول : سمعت أبا بكر الإسماعيلي^(٣) يقول : سمعت عبد الله بن محمد بن ناجية^(٤)
يقول :

٢٢٦ - سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : سمعت أبي يقول :
من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فهو كافر . اهـ (٥) .

٢٢٧ - ونقل عنه روايات في مجانبتهم ومنع الصلاة خلفهم : عبد الله
ابن أحمد بن حنبل^(٥) وابن هاني^(٦) وأبو طالب^(٧) ويعقوب بن مختار^(٨) وأبو بكر
المروذي^(٩) وهارون الحمال^(١٠) ومحمد بن الحسن بن هارون^(١١) ويعقوب
الدورقي^(١٢) وحنبل بن إسحاق^(١٣) ومحمود بن خدّاش الطالقاني^(١٤) وصالح بن
أحمد بن حنبل^(١٥) ومحمد بن شداد الصفدي^(١٦) .

- (١) ص : ٦٧ .
(٢) قال الذهبي عند ترجمة البيهقي : وسمع من محمد بن محمد بن أحمد بن الأديب . السير ١٦٤/١٨ .
فعله هو ولم أجد له ترجمة فيما نظرته من المصادر .
(٣) هو : أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني ، ثقة حافظ مصنف . توفي سنة إحدى وسبعين وثلاث
مئة . سير أعلام النبلاء ١٩٢/١٦ .
(٤) قال عنه الخطيب : كان ثقة ثيبا . توفي سنة إحدى وثلاث مئة . ت/بغداد ١٠٤/١٠ ، سير أعلام
النبلاء ١٦٤/١٤ .
(٥) لأنه في هذه الحالة لا فرق بينه وبين من يقول : القرآن مخلوق وسيأتي تفصيل ذلك التعليق .
(٦) انظر : السنة له ص : ٢٦ .
(٧) انظر : مسائل ابن هاني ٣٥٢/٢ ، ١٥٢/٢ ، ١٥٤ ، والسنة للخلال (ق : ١٩١ / ب) ومناقب
أحمد لابن الجوزي ص : ٢٠٧ .
(٨) انظر : السنة للخلال (ق : ١٨٦ / أ) .
(٩) انظر : المصدر السابق (ق : ١٨٦ / ب) .
(١٠) انظر : المصدر السابق وانظر : أيضا : (ق : ١٨٧ / أ) .
(١١) انظر : المصدر السابق (ق : ١٨٧ / ب) .
(١٢) انظر : المصدر السابق (ق : ١٨٨ / ب) .
(١٣) انظر : المصدر السابق (ق : ١٨٨ / ب) (ق : ١٨٩ / أ) .
(١٤) انظر : المصدر السابق (ق : ١٨٩ / ب) (ق : ١٩١ / ب) .
(١٥) انظر : المصدر السابق (ق : ١٩١ / ب) (ق : ١٩٤ / ب) ومناقب أحمد لابن الجوزي ص :
٢٠٧ - ٢٠٨ .
(١٦) انظر : السنة للخلال (ق : ١٩١ / ب) ، ومناقب أحمد لابن الجوزي ص : ٢٠٥ .
انظر : طبقات الحنابلة ٢٩٩/١ .

التعليق :

بدعة اللفظية هذه ظهرت في زمن الإمام أحمد ، وأول من نطق بها أبو علي الكراييسي^(١) .

قال الإمام الطبري : «وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى ولاتباعى قضى ، إلا عمن في قوله الغناء والشفاء رحمة الله عليه ورضوانه . وفي اتباعه الرشد والهدى ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الأئمة الأولى ، أرى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه » اهـ.^(٢)

وقد اشتد إنكار الإمام أحمد على من قال هذه المقولة وعد اللفظية جهمية ، وهى قد تكون ذريعة يتستر خلفها من يعتقد أن القرآن مخلوق . حيث أنه لاداعى لهذه المقولة المبتدعة : « فالقرآن الكريم كلام الله عز وجل غير مخلوق وفي كل موضع وبكل جهة وعلى كل حال فهو كلام الله عز وجل المتكلم به حقا لفظه ومعانيه^(٣) .

يقول ابن القيم : والذي قصده أحمد أن اللفظ يراد به أمران : أحدهما : الملفوظ نفسه وهو غير مقدور للعبد ولافعل له .

(١) هو : الحسين بن علي بن يزيد البغدادي ، صحب الشافعي وهو من كبار أصحابه . قال الخطيب : يعز وجود حديثه جدا لأن أحمد بن حنبل كان يتكلم فيه بسبب مسألة اللفظ . وكان هو أيضا يتكلم في أحمد فتجنب الناس الأخذ عنه لهذا السبب . وقال ابن عبد البر : كان عالما مصنفنا متقنا وكان نظارا جدليا وكان فيه كبر عظيم . توفي سنة ثمان وأربعين وقيل خمس وأربعين ومئتين . قلت : انظر الروايات عن الإمام أحمد في التحذير من الكراييسي لأجل بدعته في مسائل ابن هانئ ١٥٤/٢ ، وفي طبقات الخنابلة ٤١/١ من رواية أحمد بن أبي بكر المقرئ : ٧٥/١ من رواية أحمد ابن محمد الصائغ ، ٢٣٣/١ من رواية علي بن أبي خالد ، ٢٨٨/١ من رواية محمد بن الحسن بن هارون ، ٤١٤/١ من رواية يعقوب بن إبراهيم الدورقي . وانظر : سيرة الكراييسي في ت/بغداد ٦٤/٨ ، وميزان الاعتدال ٥٤٤/١ ، وسير أعلام النبلاء ٧٩/١٢ ، والتهذيب ٣٩/٢ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١١٧/٢ .

(٢) صريح السنة للطبري ص ٢٥-٢٦ .

(٣) انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي ٧٤٨/٢ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٩٨/١٢ ، ٣٠٦-٣٠٨ ، ٣٧٣ ،

والثاني : التلظظ به والأداء له فعل العبد .
فإطلاق الخلق على اللفظ قد يوهم المعنى الأول وهو خطأ وإطلاق نفى الخلق
عليه قد يوهم المعنى الثاني وهو خطأ فمنع الإطلاقين (١).

ويزيدنا شيخ الاسلام ابن تيمية إيضاحا للمسألة فيقول :

« ... وأيضاً إذا قرأ الناس كلام الله فالكلام في نفسه غير مخلوق إذا كان
الله قد تكلم به ، وإذا قرأه المبلغ لم يخرج عن أن يكون كلام الله ، فإن الكلام
كلام من قاله مبتدئاً أمراً يأمر به ، أو خيراً يخبره ، ليس هو كلام المبلغ له عن
غيره ، إذ ليس على الرسول إلا البلاغ المبين ، وإذا قرأه المبلغ فقد يشار إليه من
حيث هو كلام الله فيقال هذا كلام الله مع قطع النظر عما بلغه به العباد من
صفاتهم . وقد يشار إلى نفس صفة العبد كحركته وحياته وقد يشار إليهما فالمشار
إليه الأول غير مخلوق ، والمشار إليه الثاني مخلوق ، والمشار إليه الثالث فمنه مخلوق
ومنه غير مخلوق ، وما يوجد في كلام الآدميين من نظير هذا هو نظير صفة العبد
لأنظير صفة الرب أبداً ... »

وما ينبغي أن يعرف كلام المتكلم في نفسه واحد ، وإذا بلغه المبلغون تختلف
أصواتهم به ، فإذا أنشد المنشد قول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

كان هذا الكلام كلام لبيد لفظه ومعناه ، مع أن أصوات المنشدين له
تختلف ، وتلك الأصوات ليست صوت لبيد . وكذلك من روى حديث النبي
صلى الله عليه وسلم بلفظه ، كقوله : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ
ما نوى » (٢) . كان هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظه ومعناه
ويقال لمن رواه : أدى الحديث بلفظه وإن كان صوت المبلغ ليس هو صوت
الرسول فالقرآن أولى أن يكون كلام الله لفظه ومعناه وإذا قرأه القراء فإنما يقرؤونه
بأصواتهم .

(١) مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله ٣١٠/٢ .

(٢) رواه البخارى ٩/١ ، ومسلم ١٥١٥/٣ .

ولهذا كان الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة يقولون : من قال اللفظ بالقرآن أو لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال أنه غير مخلوق فهو مبتدع . وفي بعض الرويات عنه : من قال لفظي بالقرآن مخلوق يعني به القرآن فهو جهمي لأن اللفظ يراد به مصدر لفظ يلفظ لفظاً ومسمى هذا فعل العبد وفعل العبد مخلوق ويراد باللفظ القول الذي يلفظ به الالفاظ وذلك كلام الله لا كلام القارىء فمن قال إنه مخلوق فقد قال إن الله لم يتكلم بهذا القرآن وإن هذا الذي يقرؤه المسلمون ليس هو كلام الله ومعلوم أن هذا مخالف لما علم بالاضطرار من دين الرسول . وأما صوت العبد فهو مخلوق وقد صرح أحمد وغيره بأن الصوت المسموع صوت العبد ولم يقل أحمد قط : من قال صوتي بالقرآن مخلوق فهو جهمي^(١) وإنما قال : من قال لفظي بالقرآن ، والفرق بين لفظ الكلام وصوت المبلغ له فرق واضح ، فكل من بلغ كلام غيره بلفظ ذلك الرجل فإنما بلغ لفظ ذلك الغير لا لفظ نفسه ، وهو إنما بلغه بصوت نفسه لا بصوت ذلك الغير ، ونفس اللفظ والتلاوة والقراءة والكتابة ونحو ذلك لما كان يراد به المصدر الذي هو حركات العباد وما يحدث عنها من أصواتهم وشكل المداد ، ويراد به نفس الكلام الذي يقرأه التالى ويتلوه ويلفظ به ويكتبه ، منع أحمد وغيره من إطلاق النفس والإثبات ، الذي يقتضى جعل صفات الله مخلوقة ، أو جعل صفات العباد ومدادهم غير مخلوق .

وقال أحمد : نقول القرآن كلام الله غير مخلوق حيث تصرف : أى حيث تلى وكتب وقرئ مما هو في نفس الأمر كلام الله ، فهو كلامه ، وكلامه غير مخلوق وما كان من صفات العباد وأفعالهم التي يقرؤون ويكتبون بها كلامه كأصواتهم ومدادهم فهو مخلوق ، ولهذا من لم يبتد إلى هذا الفرق يحار ، فإنه معلوم أن القرآن واحد ويقرأه خلق كثير ، والقرآن لا يكثر ويحدث في نفسه بكثرة قراءة القراء ، وإنما يكثر ما يقرؤون به القرآن ، فما يكثر ويحدث في العباد فهو مخلوق ، والقرآن نفسه لفظه ومعناه الذي تكلم الله به ، وسمعه جبريل من الله ،

(١) وانظر أيضاً مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٢/١٦٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٤٤ ، ٢٦٥ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٦٣ ، ٣٩٥ ، ٤٢١-٤٢٢ ، ٤٢٧-٤٢٨ ، ٥٦٧-٥٦٨ .

وسمعه محمد من جبريل وبلغه محمد إلى الناس وأنذر به الأمم لقوله تعالى : ﴿لأنذرکم به ومن بلغ﴾^(١) قرآن واحد ، وهو كلام الله ليس بمخلوق^(٢) .

ويقول أيضا : والإمام أحمد قد نص على رد المقاتلين - (أى من قال : لفظى بالقرآن مخلوق ومن قال : لفظى بالقرآن غير مخلوق) - وهو وسائر أئمة السنة من المستقدمين والمستأخرين ، لكن كان رده على « اللفظية النافية » أكثر وأشهر وأغلظ لوجهين :

أحدهما : أن قولهم يفضى إلى زيادة التعطيل النفى ، وجانب النفى - أبدا - شر من جانب الإثبات ، فإن الرسل جاءوا بالإثبات المفصل في صفات الله ، وبالنفى المجمل : فوصفوه بالعلم والرحمة والقدرة والحكمة والكلام والعلو وغير ذلك من الصفات، وفي النفى : ﴿ ليس كمثل شئ ﴾^(٣) ولم يكن له كفوا أحد^(٤) وأما الخارجون عن حقيقة الرسالة : من الصابئة والفلاسفة، والمشركين وغيرهم ، ومن تجهم من أتباع الأنبياء ، فطريقهم « النفى المفصل » ليس كذا ليس كذا ، وفي الإثبات أمر مجمل ولهذا يقال : المعطل أعمى والمشبه أعشى . فأهل التشبيه مع ضلالهم خير من أهل التعطيل .

الوجه الثانى : أن أحمد إنما ابتلى بالجهمية المعطلة فهم خصومه ، فكان همه منصرفا إلى رد مقالاتهم ، دون أهل الإثبات ، فإنه لم يكن في ذلك الوقت والمكان من هو داع إلى زيادة في الإثبات ، كما ظهر من كان يدعو إلى زيادة في النفى . والإنكار يقع بحسب الحاجة . والبخارى لما « ابتلى باللفظية المثبتة » ظهر إنكاره عليهم كما في تراجم آخر كتاب الصحيح وكما في كتاب « خلق أفعال العباد » مع أنه كذب من نقل عنه أنه قال : لفظى بالقرآن مخلوق من جميع أهل الأمصار^(٥) وأظنه حلف على ذلك . وهو الصادق البار^(٦) .

(١) سورة الأنعام: ١٩ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ١٢/٦١-٧٥ ، وانظر أيضا: ١٢/١٧٠-١٧٢ ، ٥٣٤-٥٣٣ المصدر السابق .

(٣) سورة الشورى: ١١ .

(٤) سورة الإخلاص : ٤ .

(٥) انظر : مختصر الصواعق المرسله لابن القيم: ٢/٣٠٦-٣١٣ .

(٦) مجموع الفتاوى : ١٢/٤٣٢-٤٣٣ .

قول الإمام أحمد فيمن قال : لفظي بالقرآن غير مخلوق

قال أبو بكر الحلال :

٢٢٨ - أخبرني محمد بن علي الوراق قال : ثنا صالح قال : تناهى إلي أن أبا طالب يحكى عن أبي أنه يقول : لفظي بالقرآن غير مخلوق فأخبرت أبي بذلك فقال : من أخبرك . قلت : فلان . قال : ابعث إلى أبي طالب فوجهت إليه فجاء وجاء فوران^(١) فقال له أبي : أنا قلت لكم لفظي بالقرآن غير مخلوق وغضب وجعل يردد . فقال قرأت عليك : « قل هو الله أحد » فقلت لى : هذا ليس بمخلوق . قال له : لم حكيت عنى أنى قلت لك لفظي بالقرآن غير مخلوق وبلغنى أنك وضعت ذلك فى كتابك وكتبت به إلى قوم فإن كان فى كتابك فاعلمه أشد الحو واكتب إلى القوم الذين كتب إليهم أنى لم أقل لك هذا وغضب وأقبل عليه فقال : تحكى عنى ما لم أقل فجعل فوران يعتذر إليه وانصرف من عنده وهو مرعوب . فعاد أبو طالب فذكر أنه حك ذلك من كتابه وأنه كتب إلى القوم يخبرهم أنه وهم على أبى عبد الله فى الحكاية^(٢) .

وقصة أبى طالب مع الإمام أحمد هذه مشهورة ومعروفة رواها أيضا أبو بكر المزودى وفوران وحنبل بن إسحاق^(٣) . ورواها أيضا إبراهيم بن أبان الموصلى^(٤) . لكن باختصار^(٥) .

٢٩٩ - وحكاها أبو طالب نفسه على وجه آخر إذ يقول : فقال لى - أى أحمد - حكيت عنى أنى قلت لفظي بالقرآن غير مخلوق . قال : إنما حكيت عن نفسى : قال لا تحك عنى ولا عنك هذا . ما سمعت عالما قال هذا . وقال :

(١) هو : عبد الله بن محمد بن المهاجر . انظر ترجمته ص : ١٩٠ .
(٢) السنة (ق ١٩٢/ب) وأخرجها ابن الجوزى فى مناقب أحمد ص ٥٣ من طريق آخر عن صالح .
(٣) انظر : السنة للحلال (ق ١٩٢/ب-١٩٣/ب) .
(٤) قال ابن أبى يعلى : عنده عن الإمام أحمد مسائل وذكره ابن الجوزى فىمن حدث عن أحمد ، طبقات الخابلة ٩٣/١ ، مناقب أحمد ص : ١٢٧ ، والمنهج الأحمد ١/٣٦٩ .
(٥) المصدر السابق .

القرآن كلام الله حيث تصرف وعلى كل جهة^(١).

٢٣٠ - وكذلك أنكر أبو عبد الله على حمدون بن شداد^(٢) كما جاء في رواية أبي بكر المروزي ... جاءنا حمدون بن شداد بالرقعة فيها مسائل . فأدخلتها على أبي عبد الله فنظر فرأى فيها أن لفظي بالقرآن غير مخلوق مع مسائل فيها فقال أبو عبد الله : فيها كلام ما تكلمت به فقام من الدهليز فدخل فأخرج الحبرة والقلم وضرب أبو عبد الله على موضع لفظي بالقرآن غير مخلوق . وكتب أبو عبد الله بخطه بين الشطرين : القرآن حيث تصرف غير مخلوق . وقال : ما سمعت أحدا ذكر هذا بشيء وأنكر على من قال : لفظي بالقرآن غير مخلوق^(٣) ونقل ذلك فوران أيضا^(٤) .

٢٣١ - وفي رواية أحمد بن الحسن بن علي البزوري^(٥) قال : - أي البزوري - سمعت أبا عبد الله حين سأله رجل عن اللفظ فقال له : يا أبا عبد الله حكوا عنك بالكرخ أنك قلت : لفظي بالقرآن غير مخلوق . فوقف غضبان وقال : ما أكثر الكذب علي ما قلت في هذا شيئا . ولا أقول إنما بلغني هذا الكلام فقلت : هذا كلام سوء . الله المستعان ودخل إلى منزله مغضبا^(٦) .

٢٣٢ - وفي رواية أبي بكر بن زنجويه^(٧) قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : من قال لفظه بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال : لفظه بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع لا يكلم^(٨) .

(١) المصدر السابق .

(٢) لم أجد له ترجمة ، وقد ذكر ابن أبي يعلى في الطبقات ١/١٥١ : حمدويه بن شداد وقال : نقل عن أحمد أشياء . اهـ فلعلة هو .

(٣) انظر : الرواية بأكملها في : السنة للخلال (ق ١٩٣ ب - ١٩٤ أ) .

(٤) المصدر السابق (ق : ١٩٤ أ) والروايتين والوجهين لأبي يعلى (ق ٢٥٢ أ) .

(٥) هو : أبو بكر الطبري البزوري . قال الخطيب : روى ببغداد عن محمد بن حميد الرازي حديث مواقف القيامة . وحدث به عنه أبو عمرو بن السماك . ت/بغداد ٥/٨٤ .

(٦) السنة للخلال (ق ١٩٤ أ) .

(٧) هو : محمد بن عبد الملك بن زنجويه ، ثقة ، توفي سنة ثمان وخمسين ومئتين ت/بغداد ٢/٣٤٥ ، طبقات الحنابلة : ١/٣٠٦ ، تقريب ٢/١٨٦ .

(٨) المصدر السابق (ق : ١٩٤ ب) ونقلها القاضي في الروايتين والوجهين (ق : ٢٥٢ أ) .

٢٣٣ - قال أبو إسماعيل الترمذى : سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه أنه كان يقول : من قال : لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى ومن قال هو غير مخلوق فهو مبتدع^(١) .

٢٣٤ - وقال جعفر بن محمد النسائى : صح عندى فى حياة أبى عبد الله أنه نهى أن يقال : لفظى بالقرآن غير مخلوق^(٢) .

التعليق :

تقدم موقف الإمام أحمد من « اللفظية النافية » كما يسميهم ابن تيمية ويطلق عليهم أيضا « اللفظية الخلقية »^(٣) . وفى التعليق السابق نُطِرَقَ إلى « اللفظية المثبتة » لاقتضاء الحال وهم من قالوا : لفظنا بالقرآن غير مخلوق . واتضح أن الإمام أحمد أنكر على الطائفتين وإن كان إنكاره على اللفظية النافية كان أشد وقد بين ابن تيمية سبب ذلك .

ولكن كيف بدأت هذه البدعة وما سبب نشوئها.

والجواب : أن هذه البدعة كانت نتاجا للمقولة الأولى بمعنى أنه لما أظهر الكراييسى القول بأن اللفظ بالقرآن مخلوق أراد البعض معارضة هذه البدعة فجاءوا ببدعة أخرى إذ قالوا : ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة .

يقول ابن تيمية : « ... فقابلهم قوم أرادوا تقويم السنة فوقعوا فى البدعة وردوا باطلا بباطل ، وقابلوا الفاسد بالفاسد ، فقالوا : تلاوتنا للقرآن غير مخلوقة وألفاظنا به غير مخلوقة ، لأن هذا هو القرآن والقرآن غير مخلوق ولم يفرقوا بين الاسم المطلق والاسم المقيد فى الدلالة ، وبين حال المسمى إذا كان مجردا وحاله إذا كان مقرونا مقيدا^(٤) . فأنكر الإمام أحمد على من قال : إن تلاوة العباد وقراءتهم وألفاظهم وأصواتهم غير مخلوقة وأمر بهجران هؤلاء كما جهم الأولين

(١) انظر : صريح السنة لابن جرير الطبرى ص : ٢٦ .

(٢) السنة للخلال (ق : ١٩٤ / ١) ونقلها القاضى أبو يعلى فى الروايتين والوجهين (ق : ٢٥٢ / ١) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٣٧٢ / ١٢ ، ٣٧٥ .

(٤) ذكر ابن تيمية لم شبهة أخرى وأجاب عنها . انظر : مجموع الفتاوى ٢٦٣ / ١٢ - ٢٦٤ .

وبدعهم ... وقد قام أخص أتباعه « أبو بكر المروزي ^(١) » بعد مماته في ذلك ،
 وجمع كلامه وكلام الأئمة من أصحابه وغيرهم مثل : عبد الوهاب الوراق ،
 والأثرم ، وأبي داود السجستاني ، والفضل بن زياد ، ومثنى بن جامع الأنباري ،
 ومحمد بن إسحاق الصنعاني ، ومحمد بن سهل بن عسكر وغير هؤلاء من علماء
 الإسلام وبين بدعة هؤلاء الذين يقولون : إن تلاوة العباد وألفاظهم بالقرآن غير
 مخلوقة ^(٢) ... ومع هذا فكل واحدة من الطائفتين الذين يقولون لفظنا بالقرآن
 غير مخلوق والذين يقولون لفظنا وتلاوتنا مخلوقة ينتحل أبا عبد الله وتحكى قولها
 عنه وتزعم أنه كان على مقالها لأنه إمام مقبول عند الجميع ^(٣) ، ولأن الحق الذي
 مع كل طائفة يقوله أحمد والباطل الذي تنكره كل طائفة على الأخرى يردده أحمد ،
 فمحمد بن داود المصيصي أحد علماء الحديث وأحد شيوخ أبي داود وجماعة
 في زمانه كأبي حاتم الرازي وغيره يقولون : لفظنا بالقرآن غير مخلوق ^(٤) .
 وتبعهم طائفة على ذلك كأبي عبد الله بن حامد ^(٥) وأبي نصر السجزي وأبي عبد
 الله بن مندة وشيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري ، وأبي العلاء الهمداني وأبي
 الفرج المقدسي وغير هؤلاء يقولون : إن ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة ويروون ذلك
 عن أحمد ، وأنه رجع إلى ذلك . كما ذكره أبو نصر في كتابه « الإبانة » وهي
 روايات ضعيفة بأسانيد مجهولة لاتعارض ما تواتر عنه عند خواص أصحابه وأهل
 بيته والعلماء الثقات لا سيما وقد علم أنه في حياته خطأ أبا طالب في النقل عنه
 حتى رده أحمد عن ذلك وغضب عليه غضبا شديدا ^(٦) .

وقد رأيت بعض هؤلاء طعن في تلك النقول الثابتة عنه . ومنهم من حرفها
 لفظا ، وأما تحريف معانيها فذهب إليه طوائف فأما الذين ثبتوا النقل عنه ووافقوه

- (١) انظر أيضا : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٣٨/١٢ ، ٢٨١ .
- (٢) انظر الروايتين والوجهين لأبي يعلى (ق : ٢٥٢/ب) .
- (٣) انظر أيضا : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٦٤/١٢ ، ٣٩٥ .
- (٤) انظر أيضا : المصدر السابق ٢٠٧/١٢ ، ٢٣٨ .
- (٥) انظر الروايتين والوجهين (ق ٢٥٢/ب) إذ نقل عنه القاضي أبو يعلى قوله : « لا بأس بإطلاق هذا القول لأن أحمد قد قطع بتكفير الواقعة التي تقول في القرآن بأنه مخلوق ولا غير مخلوق . وإنما كره أحمد إطلاق هذا القول لأن السلف من أهل عصره ومن قبله امتنعوا عن ذلك » .
- (٦) انظر أيضا : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٠٧/١٢ - ٢٠٨ .

على إنكاره الأمرين وهم جمهور أهل السنة^(١) ومن انتسب إليهم من أهل الكلام كأبي الحسن الأشعري وأمثاله فإنه ذكر في مقالات أهل السنة والحديث أنهم ينكرون على من قال : لفظي بالقرآن مخلوق ومن قال : لفظي بالقرآن غير مخلوق وأنه يقول بذلك .

لكن من هؤلاء من تأول كلام أحمد وغيره في ذلك بأنه منع أن يقال إن القرآن يلفظ به^(٢) . اهـ .

قال - أي ابن تيمية - في موضع آخر يرد هذا التأويل إن الإمام أحمد وغيره من الأئمة لم ينكروا قول القائل : لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق لكون اللفظ الطرح ، فإنه لو كان كذلك لما أنكروا إلا مجرد ما يتصرف من حروف لفظ يلفظ ، وليس كذلك ، بل أنكروا على من قال : التلاوة والقراءة مخلوقة وعلى من قال : تلاوتي وقراءتي غير مخلوقة ، مع جواز قول المسلمين : قرأت القرآن وتلوته ، وأيضا فإنه يجوز أن يقال : لفظت الكلام وتلفظت به كما قال تعالى : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾^(٣) ولكن الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة قالوا : من قال لفظي بالقرآن وتلاوتي أو قراءتي مخلوقة فهو جهمي . ومن قال : إنه غير مخلوق فهو مبتدع ، لأن اللفظ والتلاوة والقراءة يراد به مصدر لفظ يلفظ لفظا ، ومصدر قرأ يقرأ قراءة وتلا يتلو تلاوة ومسمى المصدر هو فعل العبد وحركاته ، ليس هو بتقديم باتفاق سلف الأمة وأئمتها . حتى القدرية القائلون بأن أفعال العباد غير مخلوقة يقولون إن ذلك ليس بتقديم ويقولون إنه مخلوق لله^(٤) .

(١) قال القاضي أبو يعلى بن الفراء : « وقد صح عندنا أن أبا عبد الله نهي عن ذلك وقد روى عن علي بن شعيب صاحب شعيب بن حرب ومحمد بن عبد الله الخرمي الحافظ ، وأبو الفضل العباس بن محمد الدوري وهارون بن سفيان المستمل وعلي بن الحسن الحروري ومحمد بن هشام المروزي وأبو يوسف يعقوب الكرخي وأبو الحسن محمد وعلي أبناء داود القنطري وغير ذلك مما يطول شرحه بكرهية ذلك ومنعه » . الروايتان والوجهان : (ق : ٢٥٢ / ب) .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥٩/١٢ - ٣٦٢ وانظر ما بعدها أيضا .

(٣) سورة : ق/١٨ .

(٤) مجموع الفتاوى ٢١٠/١٢ وانظر رد ابن القيم على هذا التأويل وغيره في مختصر الصواعق المرسله ٣٠٩/٢ وما بعدها .

وزيادة في الإيضاح يقول : وأما المنصوص الصريح عن الإمام أحمد ، وأعيان أصحابه ، وسائر أئمة السنة والحديث فلا يقولون مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا يقولون التلاوة هي المتلو مطلقاً ، ولا غير المتلو مطلقاً ، كما لا يقولون : الاسم هو المسمى ، ولا غير المسمى . وذلك أن التلاوة والقراءة كاللفظ قد يراد به مصدر تلى يتلو تلاوة ، وقرأ يقرأ قراءة ، ولفظ يلفظ لفظاً ، ومسمى المصدر هو فعل العبد وحركاته ، وهذا المراد باسم التلاوة والقراءة واللفظ مخلوق ، وليس ذلك هو القول المسموع : الذي هو المتلو . وقد يراد باللفظ الملفوظ وبالتلاوة المتلو وبالقراءة المقروء . وهو القول المسموع وذلك هو المتلو ، ومعلوم أن القرآن المتلو : الذي يتلوه العبد ، ويلفظ به غير مخلوق ، وقد يراد بذلك مجموع الأمرين ، فلا يجوز إطلاق الخلق على الجميع ولا نفى الخلق عن الجميع^(١) . اهـ .

وقد بينا سابقاً أن أبا طالب المكي غلط في فهم مراد الإمام أحمد لما قرأ عليه ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وسأله : هل هذا كلام الله ، وهل هو مخلوق فأجابته بأنه كلام الله وأنه غير مخلوق ، فنقل عنه أنه قال : لفظي بالقرآن غير مخلوق ، يقول ابن تيمية موضحاً مراد الإمام أحمد - بعد ذكره لهذه القصة - : وهذا الذي ذكره أحمد من أحسن الكلام وأدقه ، فإن الإشارة إذا أطلقت انصرفت إلى المقصود وهو كلام الله الذي تكلم به لا إلى ما وصل به إلينا من أفعال العباد وأصواتهم . فإذا قيل : لفظي ، جعل نفس الوسائط غير مخلوقة وهذا باطل^(٢) . اهـ .

مما تقدم يتضح لنا دقة المسألة ، لأجل هذا لم يطلق الإمام أحمد في المشهور عنه تكفيرهم واكتفى بتجهيم اللفظية النافية وتبديع اللفظية المثبتة وتجهيم اللفظية النافية لا يعنى بالضرورة تكفيرهم .

يقول ابن تيمية : ... كما أن الأئمة - كأحمد وغيره - كانوا يقولون : افرقت الجهمية على ثلاث فرق : فرقة يقولون القرآن مخلوق وفرقة تقف ولا

(١) مجموع الفتاوى ١٢/٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/٢٨١ - ٢٨٢ وانظر أيضاً ١٢/٢٤٢ ، ٢٦١ - ٢٦٤ وللمؤلف أيضاً

انظر : مذهب السلف القويم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣/٥٨ ، ٥٩ .

تقول مخلوق ولا غير مخلوق . و فرقة تقول : ألفاظنا بالقرآن مخلوقة . ومن المعلوم أنهم إنما أرادوا بذلك افتراقهم في مسألة القرآن خاصة ، وإلا فكثير من هؤلاء يثبت الصفات والرؤية ، والاستواء على العرش وجعلوه من الجهمية في بعض المسائل : أى أنه وافق الجهمية فيها ، ليتبين ضعف قوله ، لا أنه مثل الجهمية ولا أن حكمه حكمهم فإن هذا لا يقوله من يعرف ما يقول . ولهذا عامة كلام أحمد إنما هو بجهم اللقضية ، لا يكاد يطلق القول بتكفيرهم كما يطلقه بتكفير المخلوقية^(١) . وقد نسب إلى هذا القول غير واحد من المعروفين بالسنة والحديث^(٢)

قول الإمام أحمد في الواقعة

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

٢٣٥ - سمعت أبى رحمه الله يقول : من كان من أصحاب الحديث أو من أصحاب الكلام فأمسك عن أن يقول : القرآن ليس بمخلوق فهو جهمي^(٣) .

* - الروايات عن الإمام أحمد في الإنكار على الواقعة وتبديعهم وتجهيمهم كثيرة نقلها :

٢٣٦ - أبو داود قال : سمعت أحمد سئل : هل لهم رخصة أن يقول الرجل كلام الله ثم يسكت . قال : ولم يسكت لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت ولكن حيث تكلموا لأى شيء لا يتكلمون^(٤) .

٢٣٧ - سمعت أحمد قيل له : أن فلانا يعنى هذا الرجل روى عنك أنك أمرته أن يقف قال : وأنا لم أثبتة معرفة إلا بعد وأنه ربما سألتنى الإنسان عن الشيء فأقف لا أقف إلا كراهية الكلام فيه^(٥) .

(١) الذين قالوا : القرآن مخلوق .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠٦/١٢ .

(٣) السنة (ظ : ق ٩/أ) وفي المطبوع ص ٢٩ وأخرجه الخلال في السنة (ق ١٥/أ) .

(٤) مسائل أبى داود ص : ٢٦٣ - ٢٦٤ . وأخرجه الخلال في السنة (ق ١٥١/ب) .

(٥) مسائل أبى داود ص ٢٦٤ .

٢٣٨ - وأخرج الخلال بسنده عن أبي داود قال : قلت لأحمد إن ابن أبي شيبة روى عنك أنك أمرته أن يقف وذكر هذا الكلام^(١) . وانظر نحو هذا في رواية مهنا وأبي بكر الأثرم وإبراهيم بن الحارث العبادي^(٢) .

٢٣٩ - مهنا بن يحيى قال : قلت لأحمد بن حنبل : أى شيء تقول في القرآن ؟ قال : كلام الله وهو غير مخلوق . قلت : إن بعض الناس يحدثني عنك أنك تقول : كلام الله وتسكت قال : من قال ذا فقد أبطل^(٣) .

٢٤٠ - ابنه عبد الله قال : سمعت أبي رحمه الله سئل عن الواقعة فقال أبى : من كان يخاصم ويعرف بالكلام فهو جهمي ومن لم يعرف بالكلام يجانب حتى يرجع ومن لم يكن له علم يسأل يتعلم .

٢٤١ - سئل أبى وأنا أسمع عن اللفظية والواقفة فقال : من كان منهم جاهلا ليس بعالم فليسأله وليتعلم .

٢٤٢ - سمعت أبى وسئل عن اللفظية والواقفة فقال : من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي وقال مرة أخرى هم شر من الجهمية^(٤) .

٢٤٣ - محمد بن إسماعيل السلمى قال : قال أبو عبد الله : الواقف الذى يبصر الكلام ويعرف هو جهمي والذى لا يبصر ولا يعرف يبصر^(٥) .

٢٤٤ - أبو بكر المروذى قال : سألت أبا عبد الله عن رجل من الواقفة (بياض في الأصل) - وقد تركت عدة روايات بسبب الطمس الكثير - ويتكلم قال : هذا داعية هذا جهمي ...

(١) السنة (ق ١٥١/ب) .

(٢) في المصدر السابق (ق ١٥٢ - ١٥٣) .

(٣) انظر : المصدر السابق (ق : ١٥١/ب) .

(٤) انظر : لما تقدم السنة لعبد الله ص : ٤١٣ والرواية الأولى والثالثة أخرجها الخلال في السنة (ق ١٥١/أ) .

(٥) شرح أصول السنة ٣٥٤/٢ .

٢٤٥ - سألت أبا عبد الله عن (بياض في الأصل) يقول غير مخلوق قال : أنا أقول كلام الله قال : يقال له : إن العلماء يقولون غير مخلوق فإن أئى فهو جهمى^(١) .

٢٤٦ - صالح بن على الحلبي^(٢) أنه : قال لأبى عبد الله ما تقول فيمن وقف قال : لا أقول خالق ولا مخلوق ؟ قال - أئى أحمد - هو مثل من قال القرآن مخلوق (بياض في الأصل) .

٢٤٧ - محمد بن يحيى^(٣) أنه قال : لأبى عبد الله : الشكاك عندك بمنزلة الجهمية قال : من كان منهم يتكلم فهو جهمى .

٢٤٨ - محمد بن مسلم بن وارة أن أبا عبد الله قيل له فالواقفة قال : أما من كان لا يعقل فإنه يبصر وإن كان يعقل ويبصر الكلام فهو مثلهم .

٢٤٩ - يعقوب بن مجتبان قال : سألت أبا عبد الله عن الرجل يقف قال : هذا عندى شاك مرتاب^(٤) .

٢٥٠ - أبو الحارث الصائغ قال : سألت أبا عبد الله قلت : إن بعض الناس يقول إن هؤلاء الواقفة هم شر من الجهمية . قال : هم أشد على الناس تربيتا من الجهمية هم يشككون الناس وذلك أن الجهمية قد بان أمرهم وهؤلاء قد استمالوا العامة إنما هذا يصير إلى قول الجهمية .

٢٥١ - قال وسمعتة يسأل عمن قال : القرآن كلام الله وأسكت قال : لا ، هذا شاك ، لا حتى يقول غير مخلوق^(٥) .

٢٥٢ - شاهين بن السميزع قال : سمعت أبا عبد الله يقول : الواقفة شر من الجهمية^(٦) .

(١) السنة للخلال (ق ١٥١/أ) .

(٢) قال ابن أبى يعلى : نقل عن إماننا أشياء ط/الحنابلة ١٧٧/١ .

(٣) لعله الكحال .

(٤) الروايات الأربع في السنة للخلال (ق : ١٥١/أ) .

(٥) السنة للخلال (ق ١٥٢/أ) .

(٦) طبقات الحنابلة ١٧٢/١ .

٢٥٣ - أحمد بن محمد بن الليث^(١) قال : سئل أحمد بن حنبل - وأنا حاضر - عن الواقعة فقال : الواقعة والجهمية واللفظية عندنا سواء^(٢) .

٢٥٤ - ونقل عنه روايات في مجاباتهم ومنع الصلاة خلفهم : أبو داود^(٣) وابن هاني^(٤) وأبو طالب^(٥) ويعقوب بن يوسف المطوعي^(٦) وحنبل بن إسحاق^(٧) وصالح بن أحمد بن حنبل^(٨) وعبدوس بن مالك^(٩) .
وكفرهم في رواية:

٢٥٥ - أبي طالب قال : (قال) أحمد : ومن وقف فهو كافر .

٢٥٦ - يعقوب بن يوسف المطوعي قال : (قال) أحمد : ومن شك فهو كافر^(١٠) .

٢٥٧ - سلمة بن شبيب قال : (قال) أحمد : الواقفي لا تشكن في كفره^(١١) .

٢٥٨ - في رواية أخرى : فقلت : ما تقول فيمن يقول القرآن كلام الله . فقال أحمد : من لم يقل القرآن كلام الله غير مخلوق فهو كافر . ثم قال :

(١) قال عنه الخطيب : حدث عن يعقوب الدورق وعمود بن خدش . روى عنه عبد الله بن إبراهيم الجرجاني المعروف بالأبندوني . ت/بغداد ٨٤/٥ .

(٢) مناقب أحمد ص : ٢٠٥ .

(٣) انظر مسائل أبي داود ص : ٢٦٤ والسنة للخلال (ق ١/١٥٤) .

(٤) انظر مسائل ابن هاني ١٥٧/٢ .

(٥) انظر : السنة للخلال (ق ١/١٥١ - ١/١٥٢ ب) .

(٦) هو أبو بكر المطوعي . قال أبو بكر الخلال : كان له مسائل صالحة حسان . وقال الدارقطني : ثقة فاضل مأمون . ت/بغداد ٢٨٩/١٤ ، طبقات الحنابلة ٤١٧/١ . والرواية في السنة للخلال

(ق : ١/١٥١) .

(٧) المصدر السابق (ق ١/١٥١ ب - ١/١٥٢) .

(٨) انظر : مناقب أحمد ص : ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٩) رسالة عبدوس (ق ٢/٢) .

(١٠) انظر : الروايتين في السنة للخلال (ق ١/١٥١ ب) .

(١١) شرح أصول السنة للإلكائي ٣٢٩/٢ .

لا تشكن في كفرهم فإن لم يقل القرآن كلام الله غير مخلوق فهو يقول مخلوق
ومن قال : هو مخلوق فهو كافر .

٢٥٩ - وفي أخرى : قلت لأحمد : الواقعة كفار ؟ فقال : كفار بالله
عز وجل^(١) .

التعليق :

الواقفة هم من وقفوا في القرآن وأمسكوا فلم يقولوا بأنه غير مخلوق أو
مخلوق . وهم أصناف :

فمنهم : من وقف مطلقا ولم يصرح بشيء مدعيا أن الأمر لم يتبين له .
وهم من يسميهم السلف بالشاكة . وقد اشد إنكار السلف عليهم . وعدهم
الإمام أحمد جهمية بل إنه أطلق القول بتكفيرهم في بعض الروايات عنه . وكذا
فعل كثير من العلماء^(٢) . لأن ادعاء عدم تبين الحق في الغالب ذريعة يتستر
خلفها من يعتقد بأن القرآن مخلوق . وهو - والله أعلم - ما عناه الإمام أحمد بقوله :
الواقف الذي يبصر الكلام ويعرف فهو جهمي والذي لا يبصر ولا يعرف يبصر .

ومنهم من يقول : القرآن كلام الله فقط . وقد سبق أن بينا أن أئمة السلف
كلهم يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق . وهؤلاء اعتقدوا أن سلوكهم هذا
أسلم . وقد سئل الإمام أحمد عن هؤلاء كما في رواية أبي داود السابقة فقبل له :
هل لهم رخصة أن يقول الرجل كلام الله ثم يسكت فقال : ولم يسكت لولا
ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت ولكن حيث تكلموا لأي شيء لا يتكلمون^(٣) .

يقول ابن قتيبة رحمه الله : ليس في غرائز الناس احتمال الإمساك عن أمر
في الدين قد انتشر هذا الانتشار وظهر هذا الظهور ، ولو أمسك عقلاؤهم ما

(١) مناقب الإمام أحمد ص : ٢٠٦ .

(٢) انظر : شرح أصول السنة للإلكاوي ٢/٣٢٣ - ٣٢٩ ، والشريعة للأجري ص : ٨٨ .

(٣) وانظر ما ذكره الدارمي في الاحتجاج على الواقفة في كتابه الرد على الجهمية ص : ٣٤٢ - ٣٤٥ .

، ضمن عقائد السلف ورد الدارمي على المريسي ص : ١٠٨ .

أمسك جهلاؤهم ، ولو أمسكت الأكنة ما أمسكت القلوب ، وقد كان لهؤلاء أسوة فيمن تقدمهم من العلماء حين تكلم جهم ... في القرآن ولم يكن دار بين الناس قبل ذلك ولا عرف ولا كان مما تكلم الناس فيه ، فلما فزع الناس إلى علمائهم لم يقولوا : هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها ولم يتكلفوها ، ولكنهم أزالوا الشك باليقين ، وجلوا الحيرة وكشفوا الغمة وأجمع رأيهم على أنه غير مخلوق فأفتوهم بذلك ، وأدلو بالحجج والبراهين وناظروا ، وقاسوا واستنبطوا الشواهد من كتاب الله عز وجل ... وأما قولهم: هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها فلا تتكلفوها فإنما يفزع الناس إلى العالم في البدعة لا فيما جرت به السنة . وتكلم فيه الأوائل ولو كان هذا مما تكلم الناس فيه لاستغنى عنهم ، الكلام لا يعارض بالسكوت والشك لا يداوى بالوقوف ، والبدعة لا تدفع إلا بالسنة . وإنما يقوى الباطل أن تبصره وتمسك عنه^(١) .

قول الإمام أحمد في الإيمان هل هو مخلوق أم لا

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانيء :

٢٦٠ - سألت أبا عبد الله عن الإيمان مخلوق هو ؟ قال أبو عبد الله - وقرأ : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾^(٢) - أم مخلوق هذا . ما هو والله مخلوق^(٣) .

وقال ابن أبي يعلى في ترجمة إبراهيم بن الحكم القصار^(٤) : نقل عن إمامنا أشياء منها .

(١) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشيبة - ضمن عقائد السلف - ص : ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٢) سورة البقرة / ٢٥٥ ، وسورة آل عمران / ٢ .

(٣) مسائل ابن هانيء : ١٦٢/٢ .

(٤) قال الخطيب : حدث عن عبيد الله بن عمر القواريري وعنه محمد بن مخلد ، وسكت عنه . ت/بغداد

٥٦/٦ . وقال : « حكيم » بدل « الحكم » .

٢٦١ - قال : سئل أحمد بن محمد بن حنبل عن الإيمان : مخلوق أم لا ؟ قال : أما ما كان مسموعا فهو غير مخلوق . وأما ما كان من عمل الجوارح فهو مخلوق^(١) .

٢٦٢ - ونقل أبو عبد الله بن حامد^(٢) عن أبي طالب عن أبي عبد الله في الإيمان : أن من قال مخلوق فهو جهمي ومن قال : أنه غير مخلوق فقد ابتدع ، وأنه يهجر حتى يرجع^(٣) .

التعليق :

قبل الكلام عن الروايات الماثورة عن أحمد في هل هو مخلوق أم لا يجدر التنبيه إلى أن هذه المسألة مرتبطة بمسألة اللفظ السابقة بل إنها نتيجة لتلك المقالة ، لذلك نجد في رواية أبي طالب نهي الإمام أحمد عن كلا القولين ، كنهيه أن يقال لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق .

وهذا ما نصره أبو إسحاق بن شاقلا^(٤) . يقول القاضي أبو يعلى بن الفراء : اعلم أنه لا يجوز إطلاق القول في الإيمان أنه مخلوق أو غير مخلوق ، لأن من قال مطلقا أنه مخلوق أوهم أن كلام الله وأسماءه وصفاته مخلوقة ، ومن قال أنه غير مخلوق أوهم أن أفعال العباد قديمة غير مخلوقة ، وهذه طريقة أبي إسحاق بن شاقلا من أصحابنا^(٥)

(١) طبقات الحنابلة ٩٣/١ - ٩٤ .

(٢) سنن أبي يعلى : ٢٦٠ .

(٣) المصدر السابق ١٧٦/٢ .

(٤) هو : إبراهيم بن أحمد بن بن عمر بن حمدان بن شاقلا . قال عنه الخطيب : أحد شيوخ الحنابلة قال لى أبو يعلى بن الفراء : كان رجلا جليل القدر حسن الهيئة كثير الرواية حسن الكلام في الفقه . غير أنه لم يظلم له العمر . توفي سنة تسع وستين وثلاثمائة عن أربع وخمسين عاما . ت/ بغداد ١٧/٦ ، طبقات الحنابلة ١٢٨/٢

(٥) مختصر المعتمد ص : ١٩١ .

ويقول أيضا : وقال أبو إسحاق بن شاقلا فيما وجدته معلقا بخطه مرات في كتاب السنة جمع أبي بكر الخلال : أخبرني محمد بن العباس^(١) قال : سمعت أبا بكر بن صدقة^(٢) يقول : من قال الإيمان مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع . قال أبو إسحاق قلت أنا : فلا جائز أن يقال أنه مخلوق .. الصلاة من الإيمان وفيها القرآن فيكون قائل ذلك كافراً ولا جائز أن يقال : أنه غير مخلوق لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وأدناه إمطة الأذى عن الطريق^(٣) . ومن قال : إمطة الأذى عن الطريق غير مخلوق فقد زعم أن أفعال العباد غير مخلوقة وقائل ذلك كافر . فلا جائز أن يقال مخلوق ولا غير مخلوق ولأنه لم يقله أهل العلم قبلنا . فقد صرح بالقول بخلق الأفعال ونفى الخلق عن الأقوال إلا أنه توقف على إطلاق القول بالخلق في الجملة والتفصيل^(٤) . اهـ .

وفي رواية إسحاق بن إبراهيم بن هانيء أنكر أن يكون مخلوقا وقرأ : ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ . لأن إطلاق القول بالخلق يقتضى أن يكون هذا مخلوقا وهذا كفر .

وفي رواية إبراهيم القصار فصل الإمام أحمد المسألة حيث فرق بين ما يتعلق بكلام الله وصفاته وبين ما يتعلق بفعل العبد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وإذا قال الإيمان مخلوق أو غير مخلوق ؟ قيل له : ما تريد بالإيمان أتريد به شيئا من صفات الله وكلامه ، كقوله ﴿ لا إله إلا هو ﴾ وإيمانه الذي دل عليه اسم المؤمن فهو غير مخلوق ، أو تريد شيئا من أفعال العباد وصفاتهم فالعباد كلهم مخلوقون وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة ، ولا يكون للعباد المحدث المخلوق صفة قديمة غير مخلوقة ولا يقول هذا من يتصور ما يقول ، فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل ، وقد قيل

(١) لم أتمكن من تحديده .
(٢) هو : أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة ، الحافظ ، قال الدارقطني : ثقة ثقة ، قوس سنة ثلاث وسبعين ومئتين . ت/بغداد ٤٠/٥ .
(٣) تقدم تخريجه انظر ص : ٨٤ .
(٤) الروايتان والوجهان (ق : ٢٥٣ / أ) .

كثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء وأمثالها مما كثر فيه تنازع الناس بالنفى والإثبات ، إذا فصل فيها الخطاب ، ظهر الخطأ من الصواب ^(١) .

ما أثر عن الإمام أحمد في حروف المعجم هل هي مخلوقة أم لا

قال القاضي أبو يعلى بن الفراء :

٢٦٣ - مسألة في حروف المعجم التي يدور عليها كلام الآدميين هل هي مخلوقة أم لا . قال شيخنا أبو عبد الله ^(٢) : المذهب أنها مخلوقة وقد قال أحمد : الآدمي وكلامه مخلوق وهذا كلام الآدمي فيجب أن تكون مخلوقة .

قال الشيخ أبو عبد الله : ورأيت طائفة تزعم أنها على المذهب قالوا : هي غير مخلوقة وركبوا في الأسماء المحدثات مثل ذلك قال : وأصل هذا ما نقله أبو طالب عن أحمد وقد حكى له (قول) سري السقطي ^(٣) لما خلق الله الحروف سجدت له إلا الألف فقال : لأسجد حتى أوامر فقال : هذا كفر . فقد أنكر القول على الحروف .

ووجه هذا القائل : أن هذا الكلام كلام الله تعالى بقوله : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ ^(٤) . وإذا كانت كلاما له لم تكن مخلوقة ومثل كلامه الذي هو القرآن .

(١) مجموع الفتاوى ٦٦٤/٧ .

وانظر : مسألة في الإيمان من كلام أبي الحسن الأشعري . وهي مخطوطة وتقع في عدة ورقات لها صورة في مكتبة فضيلة الشيخ حماد بن محمد الإنصاري وانظر أيضا : ما ذكره القاضي أبو يعلى حول هذه المسألة في الروايتين والوجهين (ق : ٢٥٣) ، وفي مختصر المعتمد ص : ١٩١ فما بعدها .

(٢) هو : الحسن بن حماد بن علي البغدادي المعروف بأبي عبد الله بن حماد قال عنه الذهبي : شيخ الحنابلة ومقتبهم ، مصنف كتاب « الجامع » في عشرين مجلد في الاختلاف . انظر ترجمته في : ت/بغداد ٣٠٣/٧ ، طبقات الحنابلة ١٧١/٢ ، سير أعلام النبلاء ٢٠٣/١٧ ، البداية والنهاية ٣٤٩/١١ .

(٣) أبو الحسن البغدادي ، الصوفي ، توفي سنة إحدى أو ثلاث أو سبع ومحمدين . انظر ترجمته في : ت/بغداد ١٨٧/٩ ، سير أعلام النبلاء ١٨٥/١٢ ، حلية الأولياء ١١٤/١٠ .

(٤) سورة البقرة / ٣١ .

وهذا غلط لأن كلام الله تعالى ما كان وحياً أو من وراء حجاب كما أخبر .
 يعنى وليس بمعنى أن الله تعالى تكلم بذلك وقوله : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾
 ليس معنى أنه تكلم بها ويجوز أن يكون ألهمه تعليمها من غير قول^(١) .

التعليق :

هذه المسألة بحثها باستفاضة شيخ الإسلام ابن تيمية وأبان مراد الإمام أحمد
 بما أثر عنه من روايات إذ يقول :

« ... فإن المتسبين إلى السنة تكلموا في حروف المعجم في غير القرآن
 والكتب الإلهية ، وقال طوائف منهم : كابن حامد وأبى نصر السجزي والقاضى
 فى أشهر قولىه وابن عقيل وغيرهم : أنها مخلوقة ، وقالوا : الحروف حرفان .
 وقال طوائف وهم كثير من أهل الشام والعراق وخراسان: كالقاضى يعقوب
 البرزبنى^(٢) ، والشريف أبى الفضائل الزيدى الحراتى^(٣) ويروى ذلك عن الشيخ
 أبى الحسين بن مسمون^(٤) وهو قول القاضى أبى الحسين^(٥) وحكاه عن أبىه^(٦)
 فى آخر قولىه وهو قول الشيخ أبى الفرج الأنصارى^(٧) والشيخ عبد القادر^(٨)
 وابن الزاغونى^(٩) وغيرهم : الحرف واحد ، وحروف المعجم غير مخلوقة حيث
 تصرفت لأنها من كلام الله وحقيقة الحرف واحدة لا تختلف .

وقد نقل عن الإمام أحمد رضى الله عنه الإنكار على من قال : بخلق
 الحروف ، وأنه لما حكى له : أن بعض الناس قال : لما خلق الله الحروف سجدت

(١) الروايات والوجهان (ق : ٢٥٢ ب / ٢٥٣) .

(٢) الحنبل . تلميذ القاضى أبى يعلى . كان صاحب فنون . سر أعلام النبلاء ٩٣/١٩ .

(٣) لم أعرفه .

(٤) هو محمد بن أحمد . الواظظ المحدث . انظر السير ٥٠٥/١٦ .

(٥) ابن أبى يعلى . انظر ترجمته ص : ٣٢ .

(٦) انظر : ترجمته ص : ٤٦ .

(٧) الحنبل ، عبد الواحد بن محمد . مصنف . انظر السير ٥١/١٩ .

(٨) الجليلى الصوفى . انظر : السير ٤٣٩/٢٠ .

(٩) انظر ترجمته ص : ٣٩٦ .

له إلا الألف . فقال الإمام أحمد : هذا كفر . وروى إنكار ذلك عن غيره من الأئمة . والأولون لا ينازعون في هذا . فإنهم ينكرون على من يقول : إن الحروف مخلوقة فإنه إذا قال ذلك دخل فيه حروف كلام الله تعالى من القرآن وغيره وهم يخصصون الكلام في الحروف الموجودة في كلام المخلوق ، دون الحروف الموجودة في كلام الله ، ويقولون : حقيقة الحروف والاسم وإن كانت واحدة فذلك بمنزلة كلمات موجودة في القرآن ، وقد تكلم بها بعض المخلوقين ، فالتكلم تارة يقصد أن يتكلم بكلام غيره ، وإن وافقه في لفظه بالنسبة إلينا ، وهذا لا يتأتى إلا في الشيء اليسير ، وهو ما دون السورة القصيرة قال الأولون : فموافقة لفظ الكلام للفظ الكلام لا يوجب أن يكون لأحدهما حكم الآخر في النسبة إلى المتكلم المخلوق بحيث ينسب أحدهما إلى من ينسب إليه الآخر ، فكيف بالنسبة إلى الخالق ؟ بل لما كتب مسيلمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله رد عليه النبي صلى الله عليه وسلم « من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب » كان اللفظ برسول الله من المتكلمين سواء : من أحدهما صدق - ومن أعظم الصدق - ومن الآخر كذب ومن أقبح الكذب .

وقد ذكر الله عن الكفار مقالات سوء في كتابه مثل قولهم ﴿ اتخذ الله ولدا ، ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾^(١) ، وقولهم ﴿ عزير ابن الله ﴾^(٢) و ﴿ المسيح ابن الله ﴾^(٣) . وغير ذلك من الأقوال الباطلة ، وقد حكاها الله عنهم فإذا تكلمنا بما حكاها الله عنهم كنا متكلمين بكلام الله ولو حكيناه عنه ابتداءً لكنا قد حكينا كلامهم الكذب المذموم ... وإذا كان كذلك فمن أدخل في كلام له بعض لفظ أدخله غيره في كلامه لم يوجب أن يكون هذا اللفظ من كلام ذلك المتكلم وإن كان أحد اللفظين شبيها بالآخر ، وهو بمنزلة من كتب حروفا تشبه حروف المصحف كتبها كلاما آخر لم يكن ذلك مما يوجب أن يكون من حروف المصحف ، وقال الآخرون : مجرد الموافقة في اللفظ لا يوجب أن يجعل حكم أحد اللفظين حكم الآخر ،

(١) سورة الكهف / ٥ .

(٢) سورة التوبة / ٣٠ .

(٣) سورة التوبة / ٣٠ .

لكن إذا كان أحدهما أصلا سابقا إلى ذلك الكلام والآخر إنما احتذى فيه حذوه ومثاله : كان اللفظ والكلام منسوبا إلى الأول بمنزلة من تمثل بقول لبيد :
ألا كل شيء ما خلا الله باطل

أو يمثل من الأمثال السائرة كقوله : (... كل الصيد في جوف الفراء)
ونحو ذلك فهذا الكلام هو تكلم به في المعنى الذى أراده ، لا على سبيل التبليغ
عن غيره ، ومع هذا فهو منسوب إلى قائله الأول . فهكذا الحروف الموجودة
في كلام الله وإن أدخلها الناس في كلامهم الذى هو كلامهم فأصلها مأخوذ
من كلام الله .

قال الأولون هنا مقامان :

أحدهما : أن كل من أنطقه الله بهذه الحروف فإنما كان ذلك بطريق
الاستفادة من كلام الله أو من استفادها من كلام الله . وهذه الدعوة العامة تحتاج
إلى دليل فإن تعليم الله لآدم الأسماء أو إنزاله كتبه بهذه الحروف لا يوجب أن
يكون لم ينطق غير آدم ممن لم يسمع الكتب المنزلة بهذه الحروف كما كانت العرب
تنطق بهذه الحروف والأسماء قبل نزول القرآن ، والله تعالى أنزله بلسانهم الذى
كانوا يتكلمون به قبل نزول القرآن .

المقام الثانى : أنه لو لم يكن أحد نطق بها إلا مستفيدا لها من كلام الله
لكن إذا أنشأ بها كلاما لنفسه ولم يقصد بها قراءة كلام الله لم تكن في هذه
الحال من كلام الله كما لو فعل ذلك في بعض الجمل المركبة وأولى ويدل على
ذلك الأحكام الشرعية .

قال الآخرون - القائلون بأن حروف المعجم غير مخلوقة مطلقا - لنا في
الأسماء الموجودة في غير القرآن قولان . منهم من يقول بأن جميع الأسماء غير
مخلوقة كما يقول ذلك في الحروف ، ومنهم من لا يقول ذلك ، وقد حكى القولين
ابن حامد وغيره عمن ينتسب إلى مذهب الإمام أحمد وغيره من القائلين بأن
حروف المعجم غير مخلوقة فمن عمم ذلك استدلال بقوله تعالى : ﴿ وعلم آدم
الأسماء كلها ﴾ وهذه الحجة مبينة على مقدمتين :

إحداهما : أن مبدأ اللغات توقيفية وأن المراد بالتوقيف خطاب الله بها لاتعريفه بعلم ضروري وهذا الموضوع قد تنازع فيه الناس من أصحاب الإمام أحمد وسائر الفقهاء وأهل الحديث والأصول .

فقال قوم : إنها توقيفية وهو قول أبي بكر عبد العزيز^(١) والشيخ أبي محمد المقدسي^(٢) وطوائف من أصحاب الإمام أحمد وهو قول الأشعري^(٣) وابن فورك^(٤) وغيرهما .

وقال قوم : بعضها توقيفي وبعضها اصطلاحى وهذا قول طوائف منهم ابن عقيل^(٥) وغيره .

وقال قوم : يجوز فيها هذا وهذا ولا نجزم بشيء . وهذا قول القاضى أبى يعلى والقاضى أبى بكر بن الباقلانى^(٦) وغيرهما . ولم يقل : إنها كلها اصطلاحية إلا طوائف من المعتزلة ومن اتبعهم ورأس هذه المقالة أبو هاشم بن الجبائى^(٧) . والذين قالوا إنها توقيفية تنازعوا : هل التوقيف بالخطاب أو بتعريف ضرورى أو كليهما ، فمن قال : إنها توقيفية والتوقيف بالخطاب فإنه يبنى على ذلك أن يقال : إنها غير مخلوقة لأنها كلها من كلام الله تعالى ، لكن نعلم قطعاً أن فى أسماء الأعلام ما هو مرتجل وضعه الناس ابتداء فيكون التردد فى أسماء الأجناس .

وأيضاً فإن تعليم الله لآدم بالخطاب لا يوجب بقاء تلك الأسماء بألفاظها فى ذريته بل المأثور أن أهل سفينة نوح لما خرجوا من السفينة أعطى كل قوم لغة وتبليت ألسنتهم . وهذه المسألة فيها تجاذب والتزاع فيها بين أصحابنا وسائر أهل السنة يعود إلى نزاع لفظى فيما يتحقق فيه النزاع وليس بينهم والحمد لله خلاف محقق معنوى . وذلك أن الذى قال الحرف حرف واحد وأن حروف

(١) غلام الحلال . تقدمت ترجمته ص : ٤٤ .

(٢) لهله : ابن قدامة .

(٣) سبقت ترجمته ص : ٧٤ .

(٤) التكملة محمد بن الحسن انظر سير أعلام النبلاء ١٧ / ٢١٤ .

(٥) سائق ترجمته ص : ٣٥٥ .

(٦) سبقت ترجمته ص : ٥٣ .

(٧) عبد السلام بن محمد المعتزلى انظر سير أعلام النبلاء ١٥ / ٦٣ .

المعجم ليست مخلوقة وإنما مقصودهم بذلك أنها داخلة في كلام الله وأنها منتزعة من كلام الله وأنها مادة لفظ كلام الله وذلك غير مخلوقة، وهذا لا نزاع فيه، فأما حرف مجرد فلا يوجد في لا القرآن ولا في غيره ولا ينطق بالحرف إلا في ضمن ما يأتلف من الأسماء والأفعال وحروف المعاني، وأما الحروف التي ينطق بها مفردة مثل: ألف، لام، ميم، ونحو ذلك فهذه في الحقيقة أسماء الحروف، وإنما سميت حروفا باسم مسماها كما يسمى ضرب فعل ماض باعتبار مسماها، ولهذا لما سأل الخليل^(١) أصحابه كيف تنطقون بالراء من زيد قالوا: نقول: زاء. قال جثم بالاسم وإنما يقال: زه

وليس في القرآن من حروف الهجاء-التي هي أسماء الحروف إلا نصفها وهي أربعة عشر حرفا، وهي نصف أجناس الحروف: نصف المجهورة، والمهموسة، والمستعلية، والمطبقة والشديدة والرخوة وغير ذلك من أجناس الحروف وهو أشرف النصفين، والنصف الآخر لا يوجد في القرآن إلا في ضمن الأسماء أو الأفعال أو حروف المعاني - التي ليست باسم ولا فعل، فلا يجوز أن نعتقد أن حروف المعجم بأسمائها جميعا موجودة في القرآن، لكن نفس حروف المعجم التي هي أبعاض الكلام موجودة في القرآن، بل قد اجتمعت في آيتين إحداهما في آل عمران والثانية في سورة الفتح: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم﴾^(٢) الآية، و﴿محمد رسول الله﴾^(٣) الآية.

وإذا كان كذلك فمن تكلم بكلام آخر مؤلف من حروف الهجاء فلم ينطق بنفس الحروف التي في لفظ القرآن، وإنما نطق بمثلها وذلك الذي نطق به قد يكون هو أخذه، وإذا ابتدأ من لفظ كلام الله تعالى وقد لا يكون حقيقة.

قيل: الحرف من حيث هو شيء واحد له الحقيقة المطلقة التي لا تأليف فيها لا توجد لا في كلام الله تعالى ولا في كلام عباده، وإنما الموجود الحرف

(١) الخليل بن أحمد، الأزدي القراهيدي، أبو عبد الرحمن البصرى، اللغوى، صاحب العروض، والنحو، صدوق، عالم، عابد، مات بعد الستين ومئة وقيل سنة ١٧٠ وبعبه، تقريب ٢٨/١.

(٢) سورة آل عمران ١٥٤.

(٣) سورة الفتح ٢٩.

الذي هو جزء من اللفظ أو اسمه إذا لم يوجد إلا حرف ، ولكن هذا المطلق بل الأعيان الموجودة في الخارج قائمة بأنفسها ، كالإنسان لا يوجد مجردا عن الأعيان في الأعيان ، لا يوجد مجردا عن الأعيان إلا في الذهن، لافي الخارج، فكيف بالحرف الذي لا يوجد في الخارج إلا مؤلفا ، فلو قدر أنه يوجد في الخارج غير مؤلف متعدد الأعيان كما يوجد الإنسان لم تكن حقيقته مطلقة من حيث هي هي موجودة إلا في الأذهان لا في الأعيان .

فتبين أن الحروف تختلف أحكامها باختلاف معانيها واختلاف المتكلم بها ، وهذا أوجب تعظيم حروف القرآن المنطوقة والمسطورة وكان لها من الأحكام الشرعية ما امتازت به عما سواها ، واختلاف الأحكام إنما كان لاختلاف صفاتها وأحوالها .

فتبين أن الواجب أن يقال ما قاله الأئمة كأحمد وغيره : أن كلام الإنسان كله مخلوق حروفه ومعانيه ، والقرآن غير مخلوق حروفه ومعانيه . وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله : أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته »^(١) وقال الربيع بن أنس عن المسيح أنه قال : « عجبنا لهم كيف يكفرون به وهم يتقبلون في نعمائه ويتكلمون بأسمائه »^(٢) .

وذكر في معظم حروف المعجم أنها مباني أسماء الله الحسنى ، وكتبه المنزلة من السماء ، وهذا مما يحتاج به من قال : ليست مخلوقة ، وليس بحجة ، فإن أسماء الله من كلامه وكلامه غير مخلوق ، وما اشتقه هو من أسمائه فتكلم به فكلامه به غير مخلوق وأما إذا اشتقوا اسما أحدثوه فذلك الاسم هم أحدثوه ولا يلزم إذا كان المشتق منه غير مخلوق، أن يكون المشتق كذلك . وما يروى عن المسيح فلا يعرف ثبوته عنه ، وبتقدير ثبوته فإذا كان قد ألهم عباده أن يتكلموا بالحروف التي هي مباني أسمائه التي تكلم بها لم يلزم أن يكون ما أحدثوه هم غير مخلوق^(٣) .

(١) انظر : فتح الباري ١٠/٤١٧ ؛ وضحیح مسلم ٤/١٩٨٠ - ١٩٨١ .

(٢) وهذه الأخبار لا يجوز الاعتماد عليها ، وهو ما سيبينه ابن تيمية .

(٣) مجموع الفتاوى ١٢/٤٤١ - ٤٥١ .

وقال رحمه الله في موضع آخر :

ولما تكلموا في « حروف المعجم » صاروا بين قولين طائفة فرقت بين المتأثرين فقالت الحرف حرفان هذا قديم وهذا مخلوق ... فأنكر ذلك عليهم الأكثرون وقالوا هذا مخالفة للحس والعقل فإن حقيقة هذا الحرف هي حقيقة هذا الحرف وقالوا الحرف حرف واحد ... وذكر القاضي يعقوب أن كلام أحمد يحتمل القولين . وهؤلاء تعلقوا بقول أحمد لما قيل له أن سرىا السقطى قال : لما خلق الله الأحرف سجدت له إلا الألف فقالت لا أسجد حتى أوامر فقال أحمد : هذا كفر . وهؤلاء تعلقوا من قول أحمد بقوله : كل شيء من المخلوقين على لسان المخلوقين فهو مخلوق ، وبقوله : لو كان كذلك لما تمت صلواته بالقرآن كما لا تتم بغيره من كلام الناس .

وبقول أحمد لأحمد بن الحسن الترمذى : ألسنت مخلوقا قال بلى . قال : أليس كل شيء منك مخلوقا ؟ قال : بلى . قال فكلامك منك وهو مخلوق^(١) .

قلت : الذى قاله أحمد في هذا الباب صواب يصدق بعضه بعضا وليس في كلامه تناقض ، وهو أنكره على من قال : إن الله خلق الحروف ، فإن من قال إن الحروف مخلوقة كان مضمون قوله : إن الله لم يتكلم بقرآن عربى وأن القرآن العربى مخلوق ، ونص أحمد أيضا على أن كلام الآدميين مخلوق ، ولم يجعل منه شيئا غير مخلوق ، وكل هذا صحيح والسرى إنما ذكر ذلك عن بكر بن خنيس^(٢) العابد فكان مقصودهما بذلك : أن الذى لا يعبد الله إلا بأمره هو أكمل ممن يعبده برأيه من غير أمر من الله واستشهدا على ذلك بما بلغهما أنه لما خلق الله الحروف سجدت له إلا الألف ... وهذا الأثر لا يقوم بمثله حجة في شيء ... وأحمد أنكر قول القائل إن الله لما خلق الحروف وروى عنه أنه قال : من قال أن حرفا من حروف المعجم مخلوق فهو جهمى ، لأنه سلك طريقا إلى البدعة ، ومن قال إن ذلك مخلوق فقد قال إن القرآن مخلوق^(٣) .

(١) انظر ص : ٢٠٠ .

(٢) صدوق له أغلاط أفرط فيه ابن حبان وفيه من الناحية الحديثية كلام كثير . تقريب ١٠٥/١ ، تهذيب

٨١/١ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٢/٨٣ - ٨٦ .

وقال أيضا^(١) : ولا ريب أن من جعل نوع الحروف مخلوقا باثنا عن الله
كائنا بعد أن لم يكن لزم عنده أن يكون كلام الله العرى والعبرى ونحوهما
مخلوقا^(٢) .

ويقول في موضع آخر : فمن قال أن حروف المعجم كلها مخلوقة وأن
كلام الله تبارك وتعالى مخلوق فقد قال قولاً مخالفاً للمعقول الصريح والمنقول
الصحيح . ومن قال : إن الحرف المعين أو الكلمة المعينة قديمة العين فقد ابتدع
قولاً باطلاً في الشرع والعقل . ومن قال : إن جنس الحروف التي تكلم الله
بها بالقرآن وغيره ليست مخلوقة وإن الكلام العرى الذي تكلم به ليس مخلوقاً
والحروف المنتظمة منه جزء منه ولازمة له وقد تكلم الله بها فلا تكون مخلوقة
فقد أصاب^(٣) .

(١) أى ابن تيمية .

(٢) المصدر السابق ١٢/١٦٠ .

(٣) المصدر السابق ١٢/٥٤ - ٥٥ . وللمزيد انظر نفس المصدر ١٢/٣٧ - ٤١ ، ٥٣ - ٥٤ ، ٧٣ ، ٧٦ ،

١٥٨ - ١٦٠ ، ٣٢٤ ، ٣٦٨ ، ٤١٣ ، ٥٧١ ، ومختصر الصواعق المرسله لابن القيم ٢/٣٠٤ وما

بعدها .

مسائل الأسماء والصفات

- ٢٧٠ . قول الإمام أحمد في « أسماء الله عز وجل » .
- ٢٧٦ . قول الإمام أحمد في « الصفات » .
- ٢٨٣ . قول الإمام أحمد في صفة « العلم » .
- ٢٨٧ . قول الإمام أحمد في صفة « الكلام » .
- ٣٠٢ . قول الإمام أحمد في « مسألة الحرف والصوت » .
- ٣٠٧ . قول الإمام أحمد في صفة « اليدين » .
- ٣١٠ . قول الإمام أحمد في صفة « القدم » .
- ٣١٤ . قول الإمام أحمد في صفة « الأصابع » .
- ٣١٥ . قول الإمام أحمد في صفة « الضحك » .
- ٣١٧ . قول الإمام أحمد في « العلو » .
- ٣٣٥ . قول الإمام أحمد في « العرش » .
- ٣٤٢ . قول الإمام أحمد في صفة « الاستواء » .
- ٣٤٨ . قول الإمام أحمد في صفة « النزول » .
- ٣٥٢ . قول الإمام أحمد في صفة « الإتيان والنجى » .
- قول الإمام أحمد في « الحديث المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله خلق آدم على صورته » .
- ٣٥٦ . قول الإمام أحمد في « المشبهة » .
- ٣٦٤ .

قول الإمام أحمد في : « أسماء الله عز وجل »

قال أبو داود :

٢٦٤ - سمعت أحمد ذكر له رجل أن رجلا قال : إن أسماء الله مخلوقة .
قال أحمد : كفر بين^(١) . اهـ .

٢٦٥ - وفي رواية عبد الملك الميموني : أنه قال لأبي عبد الله : ما تقول
فيمن قال إن أسماء الله عز وجل محدثة فقال : كافر ، ثم قال لي : « الله » من
أسمائه ... فأعظم أمرهم عنده وجعل يكفرهم وقرأ عليّ : ﴿ الله ربكم ورب
آبائكم الأولين ﴾ وقرأ آية أخرى^(٢) .

٢٦٦ - وفي رواية أحمد بن محمد بن جامع الرازي قال : ثنا
أبو زرعة^(٣) قال : ثنا أحمد بن حنبل قال : ثنا أبو أسامة ، عن مجالد ، عن أبي
الوداك ، عن أبي سعيد (الخدري) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لتغلبن مضر عباد الله حتى لا يبقى لله اسم يعبد أو ليغلبنهم عباد الله حتى لا
يمنعوا ذنبا تلعة^(٤) .

قال أبو زرعة قال أحمد بن حنبل : أسماء الله غير مخلوقة . أما ترى أنه
قال حتى لا يبقى لله اسم يعبد^(٥) .

(١) مسائل أبي داود (ظ : ص : ٢٤٦ وفي المطبوع ص : ٢٦٢ وأخرجها الخلال في السنة (ق ١/٥٨)
وذكرها أبو يعلى بن القراء في إبطال التأويل .

(٢) السنة للخلال (ق : ١٥٥ / ب) ونقلها القاضي أبو يعلى في إبطال التأويل (ق : ٢٨٨ / أ) .

(٣) هو : عبد الرحمن بن عمرو النصرى ، ثقة حافظ مصنف ، قال أبو بكر الخلال : كان عالما بأحمد
وسمع منه كثيرا وسمع من أبي عبد الله مسائل مشبعة بحكمة . طبقات الخنابلة ٢٠٥ / ١ ، تقريب
٤٩٣ / ١ .

(٤) المسند ٨٦ / ٣ - ٨٧ .

(٥) السنة للخلال (ق ١/٥٨ ب) وانظر نفس المصدر (ق ١/٥٧ ب) والرد على الجهمية لأحمد
(ق : ٢٥) .

٢٦٧ - وقد روى أن رجلاً أراد الخروج إلى طرسوس فقال لأحمد
رضي الله عنه : زدني دعوة فأني أريد الخروج إلى طرسوس فقال : قل : يا دليل
الخياري دلني على طريق الصادقين ، واجعلني من عبادك الصالحين^(١) .

التعليق :

مذهب السلف على وجوب إثبات أسماء الله عز وجل إثباتاً حقيقياً بألفاظها
ومعانيها ما جاء منها في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة قال تعالى : ﴿ والله
الأسماء الحسنی فادعوه بها ﴾^(٢) وقال جلا وعلا : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا
الرحمن أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحسنی ﴾^(٣) وقد أنكر الجهمية أسماء الله عز
وجل ومنفوها وزعموا أنه لا يجوز تسمية الله عز وجل باسم يصح إطلاقه على
المخلوق . مدعين أن ذلك يقتضي التشبيه لأجل هذا أثبتوا بعض الأسماء التي رأوا
أنها لا يجوز أن تكون مشتركة بين الخالق والمخلوق . كالحمي والمميت والمخلوق
والقادر ... مع أنهم يطلقون الأسماء كلها على الله عز وجل على جهة المجاز^(٤) .
وهو إطلاق لا يجدي مع نفيم حقيقة الاسم . أما ما ادعوه من أن إثباتها يستلزم
التشبيه فهو خطأ واضح .

يقول ابن خزيمة في الرد عليهم : وليس في تسميتنا بعض الخلق ببعض أسامي
(الله) بموجب عند العقلاء الذين يعقلون عن الله خطابه . أن يقال : إنكم
شبهتم الله بخلقه إذ أوقعتم بعض أسامي الله على بعض خلقه . وهل يمكن عند
هؤلاء الجهال حل هذه الأسامي من المصاحف أو محوها من صدور أهل القرآن
أو ترك تلاوتها ... أليس قد أعلمنا منزل القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم

(١) مختصر المعتمد ص : ٦٨ وذكرها ابن تيمية في مجموع الفتاوى وسيأتي مناسبة إيرادها والتي قبلها
في التعليق .

(٢) سورة الأعراف / ١٨٠ .

(٣) سورة الإسراء / ١١٠ .

(٤) انظر : الفرق بين الفرق للبغدادى ص : ٢١٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص : ١٢١ .

أنه الملك ، وسمى بعض عبده ملكا . وخبرنا أنه السلام وسمى تحية المؤمنين بينهم
 سلاما في الدنيا وفي الجنة فقال : ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ ^(١) ونبينا
 المصطفى صلى الله عليه وسلم قد كان يقول بعد فراغه من تسليم الصلاة : « اللهم
 أنت السلام ومنك السلام » ^(٢) . وقال عز وجل : ﴿ ولا تقولوا لمن ألقى إليكم
 السلام لست مؤمنا ﴾ ^(٣) . فثبت بخبر الله أن الله هو السلام كما في قوله :
 ﴿ السلام المؤمن المهيمن ﴾ ^(٤) ، وأوقع هذا الاسم على غير الخالق الباري .
 وأعلمنا عز وجل أنه المؤمن وسمى بعض عباده المؤمنين فقال : ﴿ إنما المؤمنون
 الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ ^(٥) وقال : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله
 ورسوله ﴾ ^(٦) ، وقال : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ ^(٧) وقال : ﴿ إن
 المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ﴾ ^(٨) ... ^(٩) اهـ .

أما إنكار أحمد على من زعم أن أسماء الله مخلوقة وتكفيره فلأن هذا القول
 هو امتداد للقول بخلق القرآن .

يقول ابن تيمية: « اختلف في الاسم والمسمى هل هو أو غيره أو
 لا يقال: هو هو ، ولا يقال: هو غيره . أو هو له ؟ أو يفصل في ذلك ؟ فإن
 الناس قد تنازعوا في ذلك والتزاع اشتهر في ذلك بعد الأئمة، بعد أحمد وغيره،
 والذي كان معروفا عند أئمة السنة أحمد وغيره: الإنكار على الجهمية الذين
 يقولون: أسماء الله مخلوقة. فيقولون: الاسم غير المسمى. وأسماء الله غيره وما كان
 غيره فهو مخلوق وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلظوا فيهم القول، لأن أسماء

(١) سورة الأحزاب/٤٤ .

(٢) أخرجه مسلم ٤١٤/١ من حديث ثوبان وعائشة رضی الله عنهما .

(٣) سورة النساء/٩٤ .

(٤) سورة الحشر/٢٣ .

(٥) سورة الأنفال/٢ .

(٦) سورة الحجرات/١٥ .

(٧) سورة الحجرات/٢٩ .

(٨) سورة الأحزاب/٣٥ .

(٩) التوحيد ص: ٢٨ وانظر ما بعدها إلى ص ٣٦ .

الله من كلامه وكلامه غير مخلوق بل هو المتكلم به، وهو المسمى لنفسه بما فيه من الأسماء . والجهمية: يقولون: كلامه مخلوق وأسماءه مخلوقة وهو نفسه لم يتكلم بكلام يقوم بذاته ولا سمي نفسه باسم هو المتكلم به . بل قد يقولون: إنه تكلم به ، وسمى نفسه بهذه الأسماء بمعنى أنه خلقها في غيره لا بمعنى أنه نفسه تكلم بها الكلام القائم به . فالقول في أسمائه هو نوع من القول في كلامه ... والمقصود هنا أن المعروف عن أئمة السنة إنكارهم على من قال أسماء الله مخلوقة ، وكان الذين يطلقون القول بأن الاسم غير المسمى هذا مرادهم اهـ^(١) .

والمسألة الأخرى : هل أسماء الله عز وجل محصورة بعدد معين أم لا . وهل هي توقيفية أم أنه يجوز أن يشتق له اسم ما دام لا يتعارض مع العقل والسمع .

أما العدد فقد روى البخاري^(٢) ومسلم^(٣) عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة » . وأكثر العلماء على أن العدد الذى جاء به الحديث لا يقتضى الحصر لأسماء الله عز وجل وقد خالف في ذلك البعض ومنهم ابن حزم رحمه الله^(٤) فأخذ بظاهر الحديث .

يقول ابن تيمية : هذا القول وإن كان قد قاله طائفة من المتأخرين كأبى محمد بن حزم وغيره . فإن جمهور العلماء على خلافه ، وعلى ذلك مضى سلف الأمة وأئمتها وهو الصواب لوجهه^(٥) .. اهـ .

(١) مجموع الفتاوى ١٨٥/٦ - ١٨٧ . وانظر ما بعدها إلى ص : ٢١٢ فقيه بحث نفيس لهذه المسألة - أبى الاسم والمسمى - وانظر أيضا : مقالات الإسلاميين للأشعري ٢٥٢/١ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص : ١٣١ .
وينظر في الرد على من قال : أسماء الله مخلوقة . رد الدارمي عثمان بن سعيد على المريسي ص : ٧ - ١٣ .

(٢) في الصحيح ٣٧٧/١٣ .

(٣) في الصحيح ٢٠٦٣/٤ .

(٤) المحلى ٣٦/١ .

(٥) مجموع الفتاوى ٤٨٢/٢٢ وانظر تلك الأوجه إلى ص : ٤٨٦ .

قال ابن حجر بعد أن أورد كلام ابن حزم: وهذا الذي قاله ليس بحجة على ما تقدم لأن الحصر المذكور عندهم باعتبار الوعد الحاصل لمن أحصاها، فمن ادعى على أن الوعد وقع لمن أحصى زائداً على ذلك أخطأً ولا يلزم من ذلك أن لا يكون هناك اسم زائد^(١) اهـ .

ومما يدل على عدم الحصر ما رواه أحمد^(٢) والحاكم^(٣) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ... الحديث .

يقول الخطابي: فهذا يدل على أن الله أسماء لم ينزلها في كتابه حججها عن خلقه ولم يظهرها لهم^(٤) .

ويقول أيضا: «إن الله تسعة وتسعين اسما» فيه إثبات هذه الأسماء المحصورة بهذا العدد وليس فيه نفى ما عداها من الزيادة عليها ، وإنما وقع التخصيص بالذكر لهذه الأسماء لأنها أشهر الأسماء ، وأبينها معاني وأظهرها ، وجملة قوله: « إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة» قضية واحدة لا قضيتان ، ويكون تمام الفائدة في خبر « إن » في قوله: « من أحصاها دخل الجنة » لا في قوله: « تسعة وتسعين اسما » . وإنما هو بمنزلة قولك: إن لزيد ألف درهم أعددها للصدقة وهذا لا يدل على أنه ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم . اهـ^(٥) .

ثم هل هذه الأسماء توقيفية أم أنه يجوز أن يشتق له اسم ما دام لا يتعارض مع العقل والسمع على قولين :

(١) فتح الباري ١١/٢٢١ .

(٢) في المسند ١/٣٩١ ، ٤٥٣ .

(٣) في المستدرک ١/٥٠٩ .

(٤) شأن الدعاء ص : ٢٥ .

(٥) المصدر السابق ص : ٢٣ - ٢٤ .

الأول : أنه لا يجوز أن يسمى الله جل وعلا إلا بما ورد في الكتاب والسنة فكما أنها لا تثبت إلا عن هذا الطريق فكذلك لا يصح أن يسمى إلا بما ثبت عن هذا الطريق . وهذا هو الذى يفيد كلام أحمد عندما قال : لا يوصف الله تبارك وتعالى بأكثر مما وصف به نفسه^(١) .

قال القاضى أبو يعلى : وظاهر هذا أنه لا يجوز تسميته إلا بما سمى به نفسه أو سماه رسوله نصا . وهذا محمول على أنه لا يجوز تسميته بغير ذلك مما لا يثبت له معناه فى اللغة ، وقد منع منه السمع . اهـ^(٢) .

الثانى : جواز ذلك إذا لم يتعارض مع العقل والسمع - .

يقول القاضى أبو يعلى : ويجوز أن يسمى الله تعالى بكل اسم ثبت له معناه فى اللغة ودل العقل والتوقيف عليه إلا أن يمنع من ذلك سمع وتوقيف ، ولا يقف جواز تسميته على نص كتاب أو سنة أو إجماع . لأن أحمد قد أجاز تسميته سبحانه دليلا ويدعى به ، وقد أجاز أحمد تسميته بذلك لأن معناه المرشد^(٣) .

ويقول ابن تيمية : ويفرق بين دعائه والإخبار عنه فلا يدعى إلا بالأسماء الحسنى . وأما الإخبار عنه فلا يكون باسم سيئ . لكن قد يكون باسم حسن أو باسم ليس بسيئ وإن لم يحكم بحسنه مثل اسم شيبى ، وذات ، وموجود ، إذا أريد به الثابت وأما إذا أريد به الموجود عند الشدائد فهو من الأسماء الحسنى وكذلك المرید والمتكلم ، فإن الإرادة والكلام تنقسم إلى محمود ومذموم ، فليس ذلك من الأسماء الحسنى بخلاف الحكيم والرحيم والصادق ونحو ذلك . فإن ذلك لا يكون إلا محمودا^(٤) .

(١) انظر قوله فى الصفات ص ٢٧٦ .

(٢) مختصر المعتمد ص : ٦٢ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) مجموع الفتاوى ١٤٢/٦ .

ويقول أيضا : وقد قال أحمد - رضى الله عنه - لرجل ودعه قل : يا دليل الخائرين دلتى على طريق الصادقين واجعلنى من عبادك الصالحين . اهـ^(١) .
وهذا القول هو الأرجح خاصة إذا أخذ بالاعتبار تفريق ابن تيمية بين الدعاء والاختيار والله تعالى أعلم .

قول الإمام أحمد في الصفات

(قال أبو بكر الحلال) :

٢٦٨ - حدثنا أبو بكر المروذى رحمه الله قال : سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تردّها الجهمية في الصفات والرؤية وقصة العرش فصحبها أبو عبد الله وقال : قد تلقّتها العلماء بالقبول . نسلم الأخبار كما جاءت قال : فقلت له أن رجلا اعترض في بعض هذه الأخبار كما جاءت فقال : يجفى . وقال ما اعترضه في هذا الموضوع يسلم الأخبار كما جاءت . اهـ^(٢) .

ونقل حنبل عنه رواية طويلة أخرجها أبو الحلال .

٢٦٩ - ...فهذه صفات الله سبحانه وتعالى وصف بها نفسه ولا ندفع ولا نرد^(٣) .

٢٧٠ - وعن حنبل - أيضا - قال : سمعت أبا عبد الله يقول : ولا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه عز وجل .^(٤)

(١) المصدر السابق ٤٨٤/٢٢ .

(٢) السنة (ق : ٣١/أ) وأخرجهما الآجرى في الشريعة ص : ٣١٥ ، ونقلها أبو يعلى في إبطال التأويلات (ق : ١٨٧/ب) . وعنده ... قد تلقّتها الأمة بالقبول وتمر الأخبار كما جاءت . وأخرجها ابنه كما في الطبقات : ٥٦/١ ، كما في إبطال التأويلات .

(٣) السنة (ق : ١٥٧/أ) .

(٤) ذكره الإمام أحمد لحنبل بن إسحاق ص : ٦٨ ، ونقلها ابن القيم من كتاب السنة للحلال وزاد بلا حد ولا غاية .

٢٧١ - وقال أحمد : صفات الله له ومنه كما وصف نفسه لا تدركه الأبصار بحد ولا غاية وهو يدرك الأبصار. (١)

٢٧٢ - وهذه الرواية ذكرها عن حنبل ابن أبي يعلى (٢) واللفظ عنده :
« تؤمن به ولا نرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال بل تؤمن بالله
وبما جاء به الرسول قال الله عز وجل : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا ﴾ اهـ .

٢٧٣ - وفي رواية أبي طالب : أن أحمد قال : قلب العبد بين أصبعين
وخلق آدم بيده وكلما جاء الحديث مثل ذلك قلنا به (٣) .

٢٧٤ - وفي رسالة عبدوس بن مالك قال : فعليه الإيمان به
والتسليم مثل أحاديث الرؤية كلها وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع
وإنما عليه الإيمان بها وأن لا يرد منها حرفا واحدا . وغيرها من الأحاديث المأثورات
عن الثقات (٤)

٢٧٥ - وقال حنبل بن إسحاق في موضع آخر عن أحمد : ليس كمثل
شيء في ذاته كما وصف نفسه قد أجمل الله الصفة فحد لنفسه صفة ليس يشبهه
شيء وصفاته غير محبوده ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه ، فهو سميع بصير
بلا حد ولا قدر ولا يبلغ الواصفون صفته ، ولا يتعدى القرآن والحديث فنقول
كما قال ونصفه بما وصف به نفسه ولا يتعدى ذلك ولا يبلغ صفته الواصفون
تؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفة من صفاته بشناعة شنت
وما وصف به نفسه من كلام ونزول وخلوه بعبده يوم القيامة ووضعه كنفه عليه
فهذا كله يدل على أن الله سبحانه يرى في الآخرة . والتحديد في هذا كله بدعة
والتسليم فيه بغير صفة ولا حد إلا ما وصف به نفسه سميع بصير لم يزل متكلم
عالما غفورا ، عالم الغيب والشهادة علام الغيوب ، فهذه صفات وصف بها نفسه

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ، ص : ٨٢ نقل عن كتاب السنة لأبي بكر الخلال . من رواية حنبل .

(٢) في طبقات الحنابلة ١/١٤٤ .

(٣) إبطال التأويلات (ق ٢٦ / أ) .

(٤) رسالة عبدوس (ق ١/ب) .

لا تدفع ولا ترد وهو على العرش بلا حد كما قال تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ كيف شاء المشيئة إليه والاستطاعة إليه ليس كمثلته شيء وهو خالق كل شيء تعالى عما يقول الجهمية والمشبهة^(١) .

التعليق :

يتضح مما تقدم من روايات عن الإمام أحمد مذهبه في الصفات بصورة عامة وهو مذهب السلف : وجوب إثبات ما أثبتته الله عز وجل لنفسه من الصفات سواء منها : ما جاء في القرآن الكريم أو في السنة الصحيحة .

يقول ابن تيمية : قال الإمام أحمد رضى الله عنه : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث^(٢) . اهـ .

وقال الخطابي : إن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفى الكيفية والتشبيه عنها ، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبتته الله ، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف وإنما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين ودين الله بين الغالى فيه والجافى والمقصر عنه .

والأصل في هذا : إن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ويحتذى في ذلك حدوه ومثاله . فإذا كان معلوماً أن إثبات البارئ سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية ، فكذا إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف^(٣) .

وقال ابن عبد البر : أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة ، لا على المجاز ،

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٨٣ . نقلا من كتاب السنة للخليل .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٦/٥ وذكر نحوه ابن قدامة في لمعة الاعتقاد ص : ٩ . وروى عن أحمد هذا القول عدة من أصحابه كما تقدم ص : ٢٨٩ .

(٣) مجموع الفتاوى ٥٨/٥ .

إلا إنهم لا يكتفون شيئا من ذلك ، ولا يجدون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع : الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرونها ، ولا يحملون شيئا منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بها مشبه ، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون : بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهم أئمة الجماعة^(١) . اهـ .

ويقول ابن تيمية : سئل مالك بن أنس ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾^(٢) كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرخصاء ثم قال : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا مبتدعا ، ثم أمر به فأخرج . وجميع أئمة الدين : كابن الماجشون ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، وحماد بن زيد والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم : كلامهم يدل على ما دل عليه كلام مالك ، من أن العلم بكيفية الصفات ليس بحاصل لنا ، لأن العلم بكيفية الصفة فرع على العلم بكيفية الموصوف ، فإذا كان الموصوف ، لا تعلم كيفيته امتنع أن تعلم كيفية الصفة^(٣) .

ويقول في موضع آخر : وجماع القول في إثبات الصفات هو القول بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ويصان ذلك عن التحريف والتمثيل والتكيف والتعطيل ، فإن الله ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فمن نفى صفاته كان معطلا ومن مثل صفاته بصفات مخلوقاته كان ممثلا ، والواجب إثبات الصفات ونفى مماثلتها لصفات المخلوقات ، إثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل ، كما قال تعالى : ﴿ ليس كمثل شيء ﴾ فهذا رد على المثلة ، ﴿ وهو السميع البصير ﴾ رد على المعطلة فالمثل يعبد صنما والمعطل يعبد عدما^(٤) . اهـ .

ويقول أيضا : مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف : أن هذه الأحاديث تمر كما جاءت ويؤمن بها وتصدق .

(١) المصدر السابق ٨٧/٥ .

(٢) سورة طه / ٥ .

(٣) مجموع الفتاوى ٦/٣٩٨ - ٣٩٩ .

(٤) المصدر السابق ٦/٥١٥ .

وتصان عن تأويل يفضى إلى تعطيل ، وتكيف يفضى إلى تمثيل^(١) . اهـ .

وبعد هذه المقدمة الموجزة في الصفات ومذهب السلف فيها بصورة عامة يجدر هنا أن أشير إلى تقسيم السلف رحمهم الله للصفات ، ثم أتبعه بموقف الفرق من الصفات بشكل عام .

فالسلف جعلوا الصفات على قسمين :

- ١ - صفات ذاتية لا تنفك عن الذات ، بل هي لازمة لها أزلا وأبدا ولا تتعلق بها مشيئته وقدرته . منها ما هو عقلي ومنها ما هو خبري .
- ٢ - صفات فعلية ، تتعلق بها مشيئته وقدرته كل وقت وأن تحدث بمشيئته وقدرته منها ما هو عقلي ومنها ما هو خبري .

والصفات الذاتية على قسمين :-

- أ - عقلية : أى أن الاستدلال عليها يحصل بالعقل فيقترن في معرفتها السمع والعقل : كصفة الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر ...
- ب - خبرية : أى أن الاستدلال عليها وإثباتها لا يمكن إلا عن طريق النص كصفة اليدين .

والصفات الفعلية على قسمين أيضا :

- أ - عقلية : كصفة الخلق والرزق ... فيشترك في معرفتها السمع والعقل .
 - ب - خبرية : كالاستواء والنزول والإتيان والجمي... .
- هذا تقسيم السلف للصفات .

أما الأشاعرة فيجعلون الصفات على أربعة أقسام :

نفسية ، وسلبية ، ومعان ، ومعنوية^(٢) .

وأختم حديثي - كما أشرت آنفا - بموقف الفرق من الصفات بصورة

(١) مجموع الفتاوى ٦/٣٥٥ .

(٢) انظر : تعريفات هذه الأقسام الأربعة في : شرح أم البراهين للسنوسى ص : ٢٥ ، وحاشية النسوق على أم البراهين ص : ٩٣ ، وحاشية البيجورى على متن السنوسية ص : ١٩ ، وحاشية الصاوى على شرح الخريدة البية ص : ٥٩ .

عامة : يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها « ستة أقسام » كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة .
قسمان يقولان : تجرى على ظواهرها .
وقسمان يقولان : هي على خلاف ظاهرها .
وقسمان يسكتون .

إما الأولون فقسمان :

أحدهما : من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل أنكروه السلف .

الثاني : من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله ، كما يجرى ظاهر اسم العليم والقدير والرب والإله ... ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله ، فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق إما جوهر محدث وإما عرض قائم به . فالعلم والقدرة والكلام والمشية والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك ، في حق العبد أعراض ، والوجه واليد والعين في حقه أجسام ، فإذا كان الله موصوفا عند عامة أهل الإثبات بأن له علما وقدرة وكلاما ومشية - وإن لم يكن ذلك عرضا ، يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين - جاز أن يكون وجه الله ويده صفات ليست أجساما ، يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين .

وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف ، وعليه يدل كلام جمهورهم ، وكلام الباقرين لا يخالفه ، وهو أمر واضح وأن الصفات كالذات فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات . فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات .

فمن قال : لا أعقل علما ويذا إلا من جنس العلم واليد المعهودين .
قيل له : فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين . ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته ، فمن لم يفهم من صفات الرب - الذي ليس كمثلته شيء - إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه .

وما أحسن ما قاله بعضهم : إذا قال لك الجهمي : كيف استوى أو كيف

ينزل إلى السماء الدنيا أو كيف يدها ونحو ذلك . فقل له : كيف هو ذاته ؟ فإذا قال لك لا يعلم ما هو إلا هو وكنه الباري تعالى غير معلوم للبشر . فقل له : فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف ، فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته . وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذى ينبغى لك ...

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها ، أعنى الذين يقولون : ليس لها فى الباطن مدلول هو صفة لله تعالى قط ، وإن الله لا صفة له ثبوتية ، بل صفاته إما سلبية وإما إضافية وإما مركبة منهما ، أو يثبتون بعض الصفات - وهى الصفات السبع أو الثمانية أو الخمسة عشر - أو يثبتون الأحوال دون الصفات ، ويقرون من الصفات الخبرية بما فى القرآن دون الحديث على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين فهؤلاء قسمان :

قسم يتأولونها ويعنون المراد مثل قولهم : استوى بمعنى استولى ، أو بمعنى علو المكانة والقدر ، أو بمعنى ظهور نوره للعرش ، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه إلى غير ذلك من معانى المتكلمين .

وقسم يقولون : الله أعلم بما أراد بها ، لكننا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية عما علمناه .

وأما القسمان الواقفان :

فقوم يقولون : يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال الله ويجوز أن لا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك . وهذه طريقة كثيرة من الفقهاء وغيرهم . وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألستهم عن هذه التقديرات .

فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها^(١) .

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١١٣/٥ - ١١٧ .

قول الإمام أحمد في صفة « العلم »

قال أبو بكر الخلال :-

٢٧٦ - أخبرني عبد الملك أنه سأل أبا عبد الله عن من قال : إن الله كان ولا علم فتغير وجهه تغيرا شديدا . غيظة . ثم قال لي : كافر^(١) .
وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل :-

٢٧٧ - سمعت أبا يقول : إذا قال الرجل العلم مخلوق فهو كافر لأنه يزعم أن الله لم يكن له علم حتى خلقه^(٢) .

* نقل مثله عن أحمد : ابن هاني^(٣) ويعقوب بن إبراهيم الدورقي^(٤) ومحمد ابن إسماعيل السلمي^(٥) والحسن بن أيوب^(٦) وإسماعيل بن عبد الله العجلي^(٧) ، وغيرهم^(٨) .

قال الإمام أحمد في الرد على الجهمية ٢ (ق : ٢٤ / ب) .

٢٧٨ - إذا أردت أن تعلم أن الجهمي لا يقر بعلم فقل : إن الله تعالى يقول ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾^(٩) وقال : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه ﴾^(١٠) . ﴿ فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾^(١١) . قال ﴿ ما تخرج

(١) السنة : (ق ١٥٨ / أ) .

(٢) السنة : (ق : ١ / أ - وفي المطبوع ص : ٩) .

(٣) انظر : مسائل ابن هاني ٢ / ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٤) انظر : طبقات الحنابلة ١ / ٤١٤ .

(٥) انظر : شرح أصول السنة ٢ / ٣٥٤ .

(٦) انظر : المصدر السابق ٢ / ٢٦٣ .

(٧) أبو النصر ، مروزي الأصل ، سمع الإمام أحمد ونقل عنه مسائل كثيرة ، قال : النسائي : ليس به بأس . توفي سنة سبع ومئتين . ت/بغداد ٦ / ٢٨٣ ، ط/الحنابلة ١ / ١٠٥ ، المنهج الأحمدي ١ / ٣٧٦ .

(٨) انظر : المصدر السابق (ق : ١٥٨) . ومحنة الإمام أحمد لحنبل بن إسحاق ص : ٤٢ ، والسنة لعبد الله بن أحمد ص : ١١٩ .

(٩) سورة البقرة / ٢٥٥ .

(١٠) سورة النساء / ١٦٦ .

(١١) سورة هود / ١٤ .

من ثمرات من أكمامها ﴿^(١) الآية . ويقال له تقر بعلم الله هذا الذى أوقفك عليه بالأعلام والدلالات أم لا ؟ فإن قال ليس له علم كفر وإن قال لله علم محدث كفر حين يزعم أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يعلم حتى أحدث له علما فعلم . وإن قال : لله تعالى علم وليس بمخلوق ولا محدث رجع عن قوله وقال بقول أهل السنة .

وقال في كتاب السنة له :

٢٧٩ - وهو يعلم ما في السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى وما في قعر البحار ومنبت كل شعرة وكل شجرة وكل زرع وكل نبات ومسقط كل ورقة . وعدد ذلك وعدد الحصى والرمل والتراب ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شيء . لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو على العرش فوق السماء السابعة^(٢) .

التعليق :

صفة العلم من صفات الذات العقلية ، والسلف رحمهم الله على : أن لله تعالى علما . وأن علمه أزلى بأزليته . وأنه عز وجل علم في الأزلى ما سيكون من دقيق وجليل . وهو عالم بمعلومات غير متناهية . وينفون أن يكون علم الله تعالى مخلوقا .

وقد جاء عن الإمام أحمد تكفير من زعم أنه مخلوق . وأوضح ما يترتب على هذا القول .

وسبق عند الكلام عن : « قول الإمام أحمد فيمن جحد العلم من القدرية » الحديث عن صفة العلم . وذكرت في ذلك الموضوع الأدلة المثبتة لهذه الصفة^(٣) .

(١) سورة فصلت / ٤٧ وتامها : ﴿ وما تعمل من أثنى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائى قالوا أذنك ما منا من شهيد ﴾ .

(٢) شذرات البلاطين ص : ٤٨ ، وانظر : طبقات الخنابلة ٢٨/١ .

(٣) انظر : ص : ٢٨٥ .

وإن كان الأمر في غاية الوضوح والله الحمد . فالمعرفة بأن الله عز وجل عالم بكل شيء بما كان وما سيكون أمر فطري . ولا ينكر هذا إلا زنديق حتى القدرية الأولى الذين جحدوا أن الله يعلم الأشياء قبل وقوعها سرعان ما اندثر قولهم إما لرجوعهم عنه لبطلانه ووقاحته أو لأجل وقوف الأمة على مختلف نزعاتها في طريقهم والإنكار عليهم^(١) .

يقول شارح الطحاوية : والدليل العقل على علمه تعالى أنه يستحيل إيجاد الأشياء مع الجهل ، ولأن إيجاد الأشياء بإرادته . والإرادة تستلزم تصور المراد ، وتصور المراد : هو العلم بالمراد ، فكان الإيجاد مستلزماً للإرادة والإرادة مستلزمة للعلم ، فالإيجاد مستلزم للعلم ولأن المخلوقات فيها من الأحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها ، لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم ، ولأن من المخلوقات ما هو عالم والعلم صفة كمال ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً . وهذا له طريقان : أحدهما أن يقال : نحن نعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوق ، وأن الواجب أكمل من الممكن ونعلم ضرورة أننا لو فرضنا شيعين ، أحدهما عالم والآخر غير عالم - كان العالم أكمل ، فلو لم يكن الخالق عالماً لزم أن يكون الممكن أكمل منه وهو ممتنع .

والثاني : أن يقال : كل علم في الممكنات التي هي المخلوقات - فهو منه ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عارياً منه بل هو أحق به . والله تعالى له المثل الأعلى ، ولا يستوى هو والمخلوقات ، لآ في قياس تمثيلي ولا في قياس شمولى ، بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال فالخالق به أحق ، وكل نقص تنزه عنه مخلوق فتنزيه الخالق عنه أولى^(٢) . اهـ .

أعود وأقول أن هذه الصفة لا ينكرها إلا زنديق . والسلف ومن تبعهم من الكلاية والأشاعرة في هذه المسألة يقولون : أن الله عز وجل عالم بعلم هو صفة له كما تقدم عند تقرير مذهب السلف .

(١) انظر : ص : ١٤٥ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٢٤٨ .

والمعتزلة يدعون : أنه عالم بعلم . وعلمه ذاته ^(١) . وهذا باطل .

وهم بقولهم هذا ينكرون أن يكون العلم صفة لله عز وجل والبعض منهم كالمريسى إذا سئل : هل لله علم يقول : لا يجهل . وعندما ناظره الإمام عبد العزيز المكي صاحب الإمام الشافعي في هذه المسألة « وجعل يقرر السؤال له عن صفة العلم ، تقريراً له وبشر يقول : لا يجهل ، ولا يعترف له أنه عالم بعلم ، فقال الإمام عبد العزيز : نفى الجهل لا يكون صفة مدح ... وقد مدح الله تعالى الأنبياء والملائكة والمؤمنين بالعلم ، لا ينفى الجهل . فمن أثبت العلم فقد نفى الجهل ، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم ، وعلى الخلق أن يشيتوا ما أثبتته الله تعالى لنفسه ، ويتفوا ما نفاه ويمسكوا عما أمسك عنه ^(٢) .

(١) انظر : مقالات الإسلاميين للأشعري ٢/١ ، وشرح الأصول الخمسة ص : ١٨٣ .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٤٧ - ١٤٨ .

قول الإمام أحمد في صفة « الكلام »

٢٨٠ - نقل حنبل عنه في رواية طويلة أخرجها أبو بكر الخلال : لم يزل الله عالماً متكلماً^(١) . اهـ .
وفي أخرى : لم يزل الله عالماً متكلماً غفوراً^(٢) .
وذكر أبو يعلى بن الفراء عن حنبل عن أبي عبد الله : لم يزل الله متكلماً^(٣) .
وكذا نقل ابنه بإسناد^(٤) . ومثل هذا نقل : إبراهيم بن الحارث العبادي وأبو بكر أحمد بن هانيء^(٥) .

٢٨١ - وفي معرض رده على الجهمية قال : بل نقول إن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ولا نقول إنه قد كان ولا يتكلم حتى خلق كلاماً^(٦) .

٢٨٢ - وفي كتاب السنة قال : وكلم الله موسى تكليماً من الله سمع موسى يقينا . ولم يزل متكلماً عالماً تبارك الله أحسن الخالقين^(٧) .

٢٨٣ - وفي رسالة مسدد بن مسرهد قال : وأن الله كلم موسى تكليماً واتخذ إبراهيم خليلاً^(٨) .

(١) انظر : السنة للخلال (ق : ١٥٧ / أ) .

(٢) إبطال التأويلات (ق : ٢٤٤ / أ) .

(٣) إبطال التأويلات (ق : ١٩٧ / ب) .

(٤) طبقات الحنابلة ١ / ١٤٤ .

(٥) انظر : إبطال التأويلات (٢٤٤ / أ) .

(٦) الرد على الزنادقة والجهمية (ق : ٢٢ / أ) .

(٧) شذرات البلاتين ص : ٤٩ . وانظر : طبقات الحنابلة ١ / ٢٩٩ .

(٨) طبقات الحنابلة ١ / ٣٤٤ .

٢٨٤ - وفي رسالة عبدوس بن مالك قال : وأن الله يكلم العباد يوم القيامة ليس بينه وبينهم ترجمان^(١) .

٢٨٥ - قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قال أبي رحمه الله : حديث ابن مسعود رضي الله عنه : إذا تكلم الله عز وجل سمع له صوت كجبر السلسلة على الصفوان^(٢) . قال أبي : وهذه الجهمية تنكره . وقال أبي : هؤلاء كفار يريدون أن يموهوا على الناس . من زعم أن الله عز وجل لم يتكلم فهو كافر . إلا إنا نروى الأحاديث كما جاءت^(٣) .

٢٨٦ - قال أبو بكر الخلال : أخبرني علي بن عيسى أن حنبلا حدثهم قال : قلت لأبي عبد الله : الله يكلم عبده يوم القيامة ؟ قال : نعم ، فمن يقضى بين الخلاق إلا الله عز وجل ، يكلم عبده ويسأله . الله متكلم . لم يزل الله متكلمًا يأمر بما يشاء ويحكم بما يشاء وليس له عدل ولا مثل كيف شاء وأين شاء^(٤) .

قال الإمام أحمد في كتابه : الرد على الجهمية :

(ق : ٢٠/ب) باب بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله كلم موسى .

٢٨٧ - قال أحمد رضي الله عنه : فقلنا لهم : لم أنكرتم ذلك فقالوا : إن الله لم يتكلم ولا يكلم إنما كون شيئًا فعبّر عن الله وخلق صوتًا فأسمع وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف فم وشفقتين ولسان . فقلنا لهم : فهل يجوز لمكون أو غير الله أن يقول : ﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة ﴾

(١) رسالة عبدوس (ق : ٣/ب) وكذا في رسالة محمد بن عوف . انظر : طبقات الحنابلة ١/٣١٢ .

(٢) تقدم تخريجه . انظر : ص : ٢١٧ .

(٣) السنة لعبد الله (ق : ٣٢/أ) - وفي المطبوع ص : ٧٠ - ٧١ . وأخرجه النجار في : الرد على من يقول القرآن مخلوق ص : ٣٣ عن عبد الله بن أحمد به .

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٨٣ . نقلًا عن كتاب السنة للخلال .

لذكرى ﴿^(١)﴾ أو ﴿إني أنا ربك﴾ ^(٢) فمن زعم ذلك فقد ادعى الربوبية ولو كان كما زعم الجهمي أن الله كون شيئا كان يقول ذلك المكون ﴿يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾ ^(٣) لا يجوز له أن يقول : ﴿إني أنا الله رب العالمين﴾ وقال الله : ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ ^(٤) وقال : ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾ ^(٥) وقال : ﴿إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي﴾ ^(٦) فهذا منصوص القرآن .

وأما ما قالوا : إن الله لم يتكلم ولم يكلم فكيف بحديث الأعمش ، عن خيشمة ، عن عدى بن حاتم الطائى قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان » ^(٧) .

وأما قولهم : إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان أليس قال الله تعالى للسماوات والأرض : ﴿اتبعا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ ^(٨) أتري أنها قالت بجوف وشفتين ولسان وأدوات ، وقال الله تعالى ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن﴾ ^(٩) أتراها (سبحت) ^(١٠) بفم وجوف ولسان وشفتين . والجوارح إذا شهدت على الكفار فقالوا : ﴿لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء﴾ ^(١١) أتراها أنها بجوف وفم وشفتين ولسان ولكن الله أنطقها كيف شاء فكذلك تكلم الله كيف شاء من غير أن نقول فم ولا لسان ولا شفتان ولا جوف .

(١) سورة طه / ١٤ .

(٢) سورة طه / ١٢ .

(٣) سورة القصص / ٣٠ .

(٤) سورة النساء / ١٦٤ .

(٥) سورة الأعراف / ١٣٤ .

(٦) سورة الأعراف / ١٤٤ .

(٧) أخرجه البخارى : ٤٠٠/١١ ، وأحمد / ٤ ، ٢٥٦ ، والترمذى / ٤ ، ٦١١ ، وابن ماجه / ١ ، ٦٦ .

(٨) سورة فصلت / ٢١ .

(٩) سورة الأنبياء / ٧٩ .

(١٠) ما بين القوسين ليس من الأصل والمثبت من المطبوع .

(١١) سورة فصلت / ٢١ .

قال أحمد رضى الله عنه : فلما خنقته الحجج قال : إن الله كلم موسى
إلا أن كلامه غيره . فقلنا : وغيره مخلوق . قال : نعم . فقلنا : هذا مثل قولكم
الأول إلا أنكم تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون .

(ق ٢١/ب) وقلنا للجهمية: من القائل يوم القيامة: ﴿يا عيسى ابن مريم أنت قلت
للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانه﴾^(١) أليس الله هو القائل :
قالو يكون شيئا يعبر عن الله كما كون شيئا فعبر لموسى . فقلنا : فمن القائل :
﴿ فلنساءلن الذين أرسل إليهم ولنساءلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا
غائبين ﴾^(٢) أليس الله هو الذى يسأل . قالوا : هذا كله إنما يكون شيئا يعبر
عن الله فقلنا لهم : قد أعظمت على الله الفرية حين زعمتم أنه لا يتكلم فشبهتموه
بالأصنام التى تعبد من دون الله لأن الأصنام لا تتكلم ولا تنطق (ق ٢٢/أ)
ولا تتحرك ولا تزول من مكان إلى مكان فلما ظهرت عليه الحجة قال : إن
الله تعالى قد تكلم ولكن كلامه مخلوق . فقلنا : وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق
فشبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق ففى مذهبيكم أن الله قد كان فى
وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم وكذلك بنو آدم لا يتكلمون حتى
خلق لهم كلاماً فجمعتم بين كفر وتشبيه فتعالى الله عن هذه الصفة علواً
كبيراً^(٣) .

(ق ٢٥/ب) وقلنا لهم : زعمتم أن الله لم يتكلم فبأى شيء خلق الله
الخلق « قالوا » أموجود عن الله تبارك تعالى أنه خلق الخلق بقوله وكلامه . (قلنا)
وحين قال : ﴿ إنما (ق ٢٦/أ) قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن
فيكون ﴾^(٤) . قالوا إنما معنى قوله: ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ .
قلنا لهم : فلم أخفيتم ﴿ أن نقول له ﴾ قالوا : إنما معنى كل شيء فى القرآن
معانيه قال الله مثل قول العرب : قال الحائط وقالت النخلة فسقطت والحائط

(١) سورة المائدة / ١١٦ .

(٢) سورة الأعراف / ٦ .

(٣) أورده ابن تيمية فى مجموع الفتاوى ١٥٣/٦ - ١٥٥ .

(٤) سورة النحل / ٤٠ .

والنخلة لا يقولان شيئا . فقلنا : فعلى هذا قسم . قالوا : نعم . قلنا : فبأى شيء خلق الخلق إن كان في مذهبكم لم يتكلم ؟ فقالوا بقدرته . فقلنا : قدرته هي شيء . قالوا : نعم . فقلنا : قدرته من الأسماء ^(١) المخلوقة . قالوا : نعم . فقلنا : كأنه خلق خلقا بخلق وعارضتم القرآن وخالفتموه حين قال الله جل ثناؤه : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ ^(٢) فأخبر الله أنه يخلق وقال : ﴿ هل من خالق غير الله ﴾ أى بأنه ليس يخلق غيره وزعمتم أنه خلق الخلق غيره فتعالى الله عما تقوله الجهمية علوا كبيرا .

التعليق :

صفة الكلام لها ارتباط قوى بمسألة القول بخلق القرآن . لذا نجد النقول كثيرة عن الإمام أحمد في إثبات هذه الصفة لله عز وجل . وما ذكرته عنه هنا . وما تقدم ذكره في مسائل القرآن الكريم يوضح هذا بجلاء والذي عليه سلف الأمة أن الكلام صفة من صفات الله اللازمة لذاته ^(٣) وأنه عز وجل متكلم - على ما يليق بجلاله - وكلامه قديم النوع، حادث الآحاد وأنه عز وجل لم يزل متكلمًا إذا شاء بما شاء كيف شاء ، وأنه يتكلم بحرف وصوت يسمعه من شاء من خلقه .

وقد ذكر الإمام أحمد ما يدل على ذلك من الكتاب والسنة . ونقض مزاعم الجهمية المنكرين هذه الصفة وبين بطلانها أوضح بيان ^(٤) .

وبعد أن ذكرت مذهب أهل السنة بإيجاز أتعرض لآراء المخالفين . ثم وضع ما أوجزته من مذهب أهل السنة .

(١) في المطبوع : الأشياء .

(٢) سورة الرعد / ١٦ و سورة الزمر / ٦٢ .

(٣) كما أنه صفة فعل أيضا . انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢١٩/٦ .

(٤) انظر : ما تقدم أنفا . وانظر أيضا : مسائل القرآن الكريم من ص : ١٨٩ إلى ص ٣٧٥ وانظر :

ما احتج به أحمد على الجهمية من القرآن ص : ٩٠٤ .

يقول شارح الطحاوية : افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال :

أحدها : أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني إما من العقل الفعال عند بعضهم ، أو من غيره ، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة .

ثانيها : أنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه . وهذا قول المعتزلة .

ثالثها : أنه معنى واحد قائم بذات الله ، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرانية كان تورا وهذا قول ابن كلاب^(١) ومن وافقه كالأشاعرة^(٢) وغيره .

رابعها : أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث .

خامسها : أنه حروف وأصوات لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلمًا ، وهذا قول الكرامية وغيرهم .

سادسها : أن كلامه يرجع إلى ما يحدث من علمه وإرادته القائم بذاته ، وهذا يقوله صاحب المعبر ويميل إليه الرازي في المطالب العالية .

سابعها : أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه في غيره وهو قول أبي منصور الماتريدي .

ثامنها : أنه مشترك بين المعنى القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات . وهذا قول أبي المعالي ومن اتبعه^(٣) .

(١) هو : عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصرى المتكلم، كانا يلقب كلاهما لأنه كان يجير الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته . قال الذهبي : صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة وربما وافقهم . اهـ . وهو أول من عرف عنه القول بأن الكلام معنى واحد قائم بالنفس وأنه عز وجل لم يتكلم بصوت . توفي في حدود الأربعين وميتين .

انظر ترجمته في : الفهرست لابن النديم ص : ٢٣٠ ، وسير أعلام النبلاء ١١/١٧٤ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٢/٢٩٩ .

وانظر : مذهبه في : مقالات الإسلاميين ١/٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٣٥٠ ، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦/٥٢٨ .

(٢) تقدم الكلام عن عقيدة أبي الحسن الأشعري فأغنى عن إعادته هنا . راجع ص : ٧٤ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٧٩ - ١٨٠ .

هذه مقالات المخالفين في هذه المسألة العظيمة ستعرض لبعضها بالتحليل والنقد . فأقول وبالله التوفيق :-

أما القول الأول : فهو أفسد الأقوال وأعظمها بهتاناً وكفراً . قال عز وجل : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء ﴾^(١) .
وبطلان قول هؤلاء واضح لذا فلست بحاجة إلى التوسع في نقضه .

وأصحاب القول الثاني : الجهمية والمعتزلة . أنكروا صفة الكلام وقالوا : إن معنى كونه متكلماً أى خالفاً للكلام في غيره^(٢) .
وقد بينت بطلان هذا الكلام ونقلت عن الإمام أحمد وغيره ما يدحضه^(٣) .

أما القول الثالث : فهو للكلائية والأشاعرة - وبينهما في هذه المسألة فرق في أمرين سأبينهما إن شاء الله - إلا أنهم متفقون على : إنكار أن يكون لله كلاماً حقيقياً . بل يرون أنه معنى قائم بالذات لا يتعلق بالقدرة والمشية بل هو لازم للذات لزوم الحياة والعلم .

ويحتجون على هذا بما روى عن عمر في خبر بيعة الصديق وفيه : فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر رضى الله عنهما فكان عمر يقول : والله ما أردت بذاك إلا أنى قد هيأت كلاماً أعجبنى . وفي رواية : كنت قد زورت مقالة أعجبتنى . فسمى تزوير الكلام في نفسه كلاماً قبل التلفظ به^(٤) .

كما تمسكوا بقول الشاعر - النصراني - الأخطل في البيت المنسوب إليه :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

يقول ابن تيمية : الكلام صفة كمال ، فإن من يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ،

(١) سورة الشورى / ٥١ .

(٢) انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص : ٥٢٨ .

(٣) انظر : ص : ١٨٣ ، ٢٩٠ .

(٤) انظر : الأسماء والصفات لليبقي ص : ٢٧٢ ، والإرشاد إلى قواعد الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني

ص : ١٠٤ .

كما أن من يعلم ويقدر أكمل ممن لا يعلم ولا يقدر ، والذي يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يعلم ولا يقدر ، والذي يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته وقدرته ، وأكمل ممن تكلم بغير مشيئته وقدرته إن كان ذلك معقولا . ثم يقول : إن أثبات كلام يقوم بذات المتكلم بدون مشيئته وقدرته غير معقول ولا معلوم ، والحكم على الشيء فرع عن تصوره . فيقال للمحتج بها : لا أنت ولا أحد من العقلاء يتصور كلاما يقوم بذات المتكلم بدون مشيئته وقدرته فكيف ثبت بالدليل المعقول شيئا لا يعقل ...

وأیضا : فالكلام القديم النفساني الذي أثبتوه لم تثبتوا ماهو . بل ولا تصورتموه وإثبات الشيء فرع من تصوره ، « فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن يثبته ^(١) » ؟ ولهذا كان سعيد بن كلاب رأس هذه الطائفة وإمامها في هذه المسألة لا يذكر في بيانها شيئا يعقل . بل يقول : هو معنى يناقض السكوت والخرس والسكوت والخرس إنما يتصوران إذا تصور الكلام ، فالساكت هو الساكت عن الكلام ، والأخرس هو العاجز عنه ، أو الذي حصلت له آفة في محل النطق تمنعه عن الكلام وحيثذا فلا يعرف الساكت والأخرس حتى يعرف الكلام ، ولا يعرف الكلام حتى يعرف الساكت والأخرس ، فتبين أنهم لم يتصوروا ما قالوه ولم يثبتوه ، بل هم في الكلام يشبهون النصارى في الكلمة وما قالوه في « الأقانيم » و « التلثيت » و « الاتحاد » فإنهم يقولون ما لا يتصورونه ولا يبينونه ، والرسول عليهم السلام إذا أخبروا بشيء ولم نتصوره وجب تصديقهم وأما ما يثبت بالعقل فلا بد أن يتصوره القائل به وإلا كان قد تكلم بلا علم ... ولهذا كان مما يشنع به على هؤلاء أنهم احتجوا في أصل دينهم ومعرفة حقيقة الكلام - كلام الله ، وكلام جميع الخلق بقول شاعر نصراني ... وقد قال طائفة : إن هذا ليس من شعره ويتقدير أن يكون من شعره فالحقائق العقلية ، أو مسمى لفظ الكلام الذي يتكلم به جميع بني آدم لا يرجع فيه إلى قول ألف شاعر فاضل ، دع أن يكون شاعرا نصرانيا ... ^(٢) . اهـ .

(١) سياق توضيح لهذه الجملة في نفس كلام ابن تيمية هذا .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٦/ ٢٩٤ - ٢٩٧ .

قلت : وما احتج به هؤلاء أيضا قول الله تعالى : ﴿ ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾^(١) .

وقد أجيب بجوابين :

الأول : أنهم قالوا بألستهم قولا خفيا .

والثاني أنه قيده بالنفس فإن دلالة المقيد خلاف دلالة المطلق . فالكلام المطلق يتناول اللفظ والمعنى جميعا .

والجواب الثاني يجاب به أيضا على القول المأثور عن عمر^(٢) .

يقول شارح الطحاوية : ويرد قول من قال : بأن الكلام المعنى القائم بالنفس : قوله صلى الله عليه وسلم : « إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس »^(٣) ، وقال : « إن الله يحدث من أمره ما يشاء ، وإنما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة »^(٤) . واتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامدا لغير مصلحتها بطلت صلاته . واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دينوية وطلب - لا يبطل الصلاة وإنما يبطلها التكلم بذلك فعلم باتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام . وأيضا في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ، ما لم تتكلم به أو تعمل به »^(٥) فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم ففرق بين حديث النفس وبين الكلام ، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به ، والمراد : حتى ينطق به اللسان ، باتفاق العلماء . فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب ... فللفظ القول والكلام وما تصرف منهما من فعل ماضى ومضارع وأمر واسم فاعل - : إنما يعرف في القرآن والسنة

(١) سورة المجادلة / ٨ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥/١٥ .

(٣) تقدم تخريجه . انظر : ص : ١٩٧ ، ٢٩٧ .

(٤) أخرجه أحمد ٤٠٩/١ ، ٤١٥ ، ٤٣٥ ، وأبو داود ٥٦٨/١ ، والنسائي ١٩/٣ وغيرهم . وعلقه البخاري في صحيحه . انظر : فتح الباري ٤٩٦/١٣ .

(٥) عند البخاري في كتاب الإيمان والنور ، فتح الباري ٥٤٨/١١ - ٥٤٩ ، وعند مسلم في كتاب الإيمان . صحيح مسلم ١١٦/١ .

وسائر كلام العرب إذا كان لفظا ومعنى^(١) .

والذى يتضح من الأدلة أن الله يتكلم بكلام مسموع فكيف يسمع المعنى القائم بالنفس وبعد أن اتضح بطلان ما ذهب إليه كل من الكلاية والأشاعرة في أن كلام الله معنى قائم في نفسه . أتعرض الآن لأمر آخر اتفقوا عليه أيضا وهو قولهم : إن كلامه لا يتعلق بمشئته . فهو لازم له كلزوم الحياة ، فهم يرون أن كلام الله عز وجل قديم قدم الذات فلا يكون حادثا أبدا .

وهذا خلاف قول السلف - كما قدمت - « فهو سبحانه متكلم فيما لم يزل ولا يزال متكلمًا بما شاء من الكلام يسمع من يشاء من خلقه ما شاء من كلامه إذا شاء ذلك »^(٢) .

ولهؤلاء - أى الكلاية والأشاعرة - حجج عقلية وعقلية أقاموها للاستدلال لرأيهم ، فمن حججهم العقلية :

ما ذكره الله سبحانه وتعالى عن القرآن الكريم بقوله : ﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾^(٣) ومرادهم من الاستدلال بهذه الآية : « أنه كان موجودا قبل الحاجة إليه في أم الكتاب وفيه الأمر والنهي والخير والاستخبار^(٤) . وليس في الآية دليل على امتناع حدوث كلام الله وإنما فيها دلالة على أن القرآن مكتوب في أم الكتاب الذى هو اللوح المحفوظ واللوحة مخلوق .

أما حججهم العقلية فقد ذكرها ابن تيمية إذ يقول :

الحجة الأولى : أنه لو لم يكن الكلام قديما للزم أن يتصف في الأزلى بضد من أصداده : إما السكوت وإما الخرس . ولو كان أحد هذين قديما لامتنع زواله . وامتنع أن يكون متكلمًا فيما لا يزال ، ولما ثبت أنه متكلم فيما لم يزل ثبت أنه لم يزل متكلمًا .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٨٨/٢ .

(٣) سورة الزخرف / ٤ .

(٤) انظر : الأسماء والصفات للبيهقي ص : ٢٢٩ .

والحجة الثانية: أنه لو كان مخلوقا لكان قد خلقه إما في نفسه أو في غيره ،
أو قائما بنفسه .

والأول : ممتنع لأنه يلزم أن يكون محلا للحوادث . والثاني : باطل لأنه
يلزم أن يكون كلامه كلاماً للمحل الذي خلق فيه . والثالث : باطل لأن الكلام
صفة والصفة لا تقوم بنفسها . فلما بطلت الأقسام الثلاثة تعين أنه قديم^(١) .
وقد تعرض ابن تيمية بالتحليل والنقد لهاتين الحججتين^(٢) .

وقد نسب ابن تيمية القول بقدم الكلام وامتناع حدوثه إلى القاضي
أبي يعلى ابن الفراء . وما وجدته في كتابيه مختصر المعتمد وإبطال التأويلات يدل
على : إثباته لصفة الكلام وأن الله عز وجل يتكلم بحرف وصوت إلا أنه يرى
أن كلام الله قديم لا سكت فيه وللزيادة في الإيضاح أنقل قوله في إبطال التأويلات
(ق : ١٩٧) - إذ يقول : « واعلم أنا وإن أثبتنا الحروف والأصوات فلا نقول
إن الله يتكلم كلاما بعد كلام لأن ذلك يوجب حدث الكلام الثاني . ولا نقول
إن الله تكلم في الأزل مرة ويتكلم إذا شاء ولا نقول إنه تكلم في الأزل مرة
ثم يتكلم بعد ذلك بل نقول : إن الله لم يزل متكلماً ولا يزال متكلماً . وأنه
قد أحاط كلامه بجميع معاني الأمر والنهي والخبر والاستخبار ...

فإن قيل : فقد روى أن الله تعالى يتكلم في وقت بعد وقت نحو ما روى
إن الله تكلم بعد ما خلق ذرية آدم وتكلم لما خلق ذرية آدم وأخذ الميثاق وتكلم
بعد أن بعث إبراهيم وبعد أن بعث أيوب وداود.

قيل : معناه أنه يفهم خلقه ويسمعهم كلامه وقتاً بعد وقت أو شيئاً فشيئاً
وكذلك الجواب عما روى أن الله يكلم عباده بعد قيام القيامة فقال : ﴿ يوم
يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ﴾^(٣) وقوله : ﴿ يوم نقول لجهنم هل
امتألت ﴾^(٤) وقول أهل الجنة له : يا رب ألم تغفر لنا فيقول : بلى . معناه ما

(١) مجموع الفتاوى ٦/٢٩١ .

(٢) انظر : نفس المصدر ما بعد ص : ٢٩١ .

(٣) سورة المائدة / ١٠٩ .

(٤) سورة ق / ٣٠ .

تقدم من الإفهام والإسماع لكلامه القديم . اهـ .

ومن هنا لا غرابة أن نجد القاضى يفسر قول أحمد : « لم يزل متكلمًا إذا شاء » فيقول : معنى قول أحمد : « إذا شاء » أن يسمعنا ويفهمنا ذلك . فيحمل قوله « إذا شاء » على الإسماع والإفهام .

ويحاول أن يؤكد هذا المعنى عن أحمد عندما ساق قوله : « إن الله لم يزل متكلمًا عالمًا غفورًا » . إذ يقول : فقد نص على أنه لم يزل غفورًا والغفران من صفات الفعل في خلقه وقد أثبتنا ولا مغفور له فذل من مذهبه على قدم هذه الصفات^(١) اهـ . وهذا خلاف مراد الإمام أحمد وكلامه هذا لم يرد به أن كلام الله قديم لم يزل . ثم إن كلام أحمد هذا جاء في معرض رده على من قال بخلق القرآن .

قال ابن تيمية : قال القاضى : قول أحمد لم يزل غفورًا بيان أن جميع الصفات قديمة سواء كانت مشتقة من فعل كالغفران والخلق والرزق ، أو لم تكن مشتقة . وقوله : لم يزل متكلمًا إذا شاء : معناه إذا شاء أن يسمعه . قلت : وطريقة القاضى هذه هى طريقة أصحابه وأصحابهم وغيرهم كابن عقيل وابن الزاغونى .

وأما أكثر أهل الحديث من أصحاب أحمد وغيرهم وكثير من أهل الكلام أيضا فيخالفونه في ذلك ، ويقولون في الفعل أحد قولين :

أحدهما : وهو القول الآخر للقاضى ، الذى هو الصحيح عند أصحابنا إما أن الفعل قديم والمفعول مخلوق ، كما يسلم ذلك لهم في الإرادة والقول المكون : أى الإرادة قديمة والمراد محدث ، وكما أن المنازع يقول : التكوين قديم فالمكون مخلوق .

والثانى : أن الفعل نفسه عندهم - كالتقول كلاهما - غير مخلوق مع أنه يكون فى حال دون حال ، إذ هو قائم بالله ، والمخلوق لا يكون إلا منفصلا عن الله ويقولون : إن قول أحمد موافق لما قلناه ، لأنه قال : لم يزل متكلمًا إذا

(١) إبطال التأويلات (ق : ٢٤٤ / ١) .

شاء ولم يقل : لم يزل متكلماً إذا شاء والمتعلق بالمشيئة - عند من يقول إنه قديم واجب - إنما هو التكليم الذى هو فعل جائز لا التكلم فينبى ذلك أن أحمد - رضى الله عنه - قال فى الموضوع الآخر : لم يزل الله متكلماً عالماً غفوراً . فذكر الصفات الثلاث : الصفة التى هى قديمة واجبة وهى العلم ، والتى هى جائزة متعلقة بالمشيئة وهى المغفرة . فهذان متفق عليهما .

وذكر أيضا التكلم ، وهو القسم الثالث : الذى فيه نزاع ، وهو يشبه العلم من حيث هو وصف قائم به ، لا يتعلق بالمخلوق ، ويشبه المغفرة من حيث هو متعلق بمشيئته كما فسره فى الموضوع الآخر .

فعلم أن قدمه عنده : أنه لم يزل إذا شاء تكلم ، وإذا شاء سكت لم يتجدد له وصف القدرة على الكلام التى هى صفة كمال ، كما لم يتجدد له وصف القدرة على المغفرة وإن كان الكمال هو أن يتكلم إذا شاء ، ويسكت إذا شاء .
وأما قول القاضى : إن هذا قول بحدوثه فيجيبون عنه بجوابين :

أحدهما : ألا يسمى محدثاً أن يسمى حديثاً ، إذ المحدث هو المخلوق المنفصل وأما الحديث فقد سماه الله حديثاً وهذا قول الكرامية وأكثر أهل الحديث .

الثانى : أنه يسمى محدثاً كما فى قوله : ﴿ من ذكر من ربهم مُحدث ﴾ وليس بمخلوق . وهذا قول كثير من الفقهاء وأهل الحديث والكلام . لكن المنقول عن أحمد إنكار ذلك ... والإطلاقات قد توهم خلاف المقصود فيقال : إن أردت بقولك محدث أنه مخلوق منفصل عن الله . كما يقوله الجهمية والمعتزلة والتجارية - فهذا باطل لا نقوله . وإن أردت بقولك : أنه كلام تكلم الله به بمشيئته ، بعد أن لم يتكلم به بعينه - وإن كان قد تكلم بغيره قبل ذلك مع أنه لم يزل متكلماً إذا شاء فإننا نقول بذلك . وهو الذى دل عليه الكتاب والسنة وهو قول السلف^(١) اهـ .

والأدلة على أن الله عز وجل يتكلم متى شاء وأن الكلام متعلق بمشيئته

كثيرة .

(١) مجموع الفتاوى ١٥٩/٦ - ١٦١ .

فمن القرآن الكريم قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قلْنَا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا ﴾^(١) فهذا عند خلقه . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ سلام قولا من رب رحيم ﴾^(٢) فهذا لأهل الجنة . وقوله : ﴿ اخشعوا فيها ولا تكلمون ﴾^(٣) فهذا لأهل النار . وفي قول الله تعالى : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾^(٤) دلالة قوية فمن الواضح أن التكليم وقع بعد مجيء موسى عليه السلام .

ومن السنة : ما رواه البخارى^(٥) ، ومسلم^(٦) عن عدى بن حاتم رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان ... » الحديث .

وبعد ان اتضح اتفاق الكلاية والأشاعرة فى القول : إن كلام الله عز وجل معنى قائم بالنفس وإن لازم له كلزوم الحياة لا يتعلق بمشيتته وتبين خطأ هذا الاتجاه . أعود إلى ما أشرت إليه من أنهم اختلفوا فى أمرين :

فالكلاية يرون : أن كلام الله عز وجل أربعة معان : الأمر والنهى والخير والاستخبار . وأن الحروف والأصوات حكاية عن كلام الله خلقت للدلالة على المعنى القائم بذاته .

والأشاعرة يرون : أنه معنى واحد . لا ينقسم ولا له أبعاض ولا له أجزاء فالأمر هو عين النهى والخير هو عين الاستخبار وكونه أمرا ونهيا وخيرا واستخبارا إنما ذلك صفات للمعنى الواحد لا أنواع له ، وأن القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ليس كلام الله حقيقة بل هو عبارة عن كلام الله النفسى^(٧) .

(١) سورة البقرة / ٣٤ والإسراء / ٦١ ، والكهف / ٥٠ ، وطه / ١١٦ .

(٢) سورة يس / ٥٨ .

(٣) سورة المؤمنون / ١٠٨ .

(٤) سورة الأعراف / ١٤٣ .

(٥) فى الصحيح ٤٧٤/١٣ .

(٦) فى الصحيح ٧٠٣/٢ .

(٧) نظر : الصواعق المرسله لابن القيم ٢٩٠/٢ - ٢٩١ .

يقول شارح الطحاوية : وهذا الكلام فاسد . فإن لازمه أن معنى قوله ﴿ ولا تقربوا الزنى ﴾ ^(١) هو معنى قوله : ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ ^(٢) ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدين ومعنى سورة الإخلاص هو معنى ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ ^(٣) وكلما تأمل الإنسان هذا القول تبين له فسادُه وعلم أنه مخالف لكلام السلف ، والحق أن التوراة والإنجيل والزيور والقرآن من كلام الله حقيقة وكلام الله لا يتناهى ، فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء . ولا يزال كذلك قال تعالى : ﴿ لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا مثله مددا ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ﴾ ^(٥) .

ولو كان ما في المصحف عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله لما حرم على الجنب والمحدث مسه ، ولو كان ما يقرأه القارئ ليس كلام الله لما حرم على الجنب والمحدث قراءته ، بل كلام الله محفوظ في الصدور مقروء بالألسن مكتوب في المصاحف ^(٦) . اهـ .

والذى يتضح من الأدلة أن كلام الله عز وجل أنواع فمنه الأمر ومنه النهي ومنه الخير ومنه الاستخبار ومنه النداء . وكل نوع يختلف عن الآخر والله تعالى أعلم .

ولزيادة الإيضاح حول مسألة الكلام والفرق المخالفة . يراجع : الصواعق المرسله لابن القيم ^(٧) ، حيث ذكر الأقوال التي ساقها شارح الطحاوية وتكلم عنها بالتفصيل وزاد عليها قول الاتحادية .

- (١) سورة الإسراء / ٣٢ .
- (٢) سورة البقرة / ٤٣ ، ٨٣ ، ١١٠ ، والنساء / ٧٧ ، ويونس / ٨٧ ، والنور / ٥٦ ، والروم / ٣١ ، والزمل / ٢٠ .
- (٣) سورة المسد / ١ .
- (٤) سورة الكهف / ١٠٩ .
- (٥) سورة لقمان / ٢٧ .
- (٦) شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٩١ - ١٩٢ .
- (٧) ٢٨٦/٢ - ٢٩٣ .

قول الإمام أحمد في مسألة الحرف والصوت

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

٢٨٨ - سألت أبا رحمه الله عن قوم يقولون : لما كلم الله عز وجل موسى لم يتكلم بصوت فقال أبا : بلى إن ربك عز وجل تكلم بصوت ، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت .

وقال أبا رحمه الله : حديث ابن مسعود رضي الله عنه : إذا تكلم الله عز وجل سمع له صوت كجبر السلسلة على الصفوان^(١) قال أبا وهذا الجهمية تنكره^(٢) .

٢٨٩ - وساق أبا يعلى - بسنده - عن أبا بكر الخلال حدثنا محمد ابن علي قال : حدثنا يعقوب بن بختان قال : سئل أبو عبد الله عما زعم أن الله لم يتكلم بصوت . قال : بلى يتكلم سبحانه بصوت^(٣) .

٢٩٠ - وأخرجها الخلال من طريق آخر عن يعقوب بزيادة : وهذه الأحاديث نرويها لكل حديث وجه يريدون أن يوهوا على الناس من زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر^(٤) .

٢٩١ - وأخرج أبو بكر الخلال عن المروذي قال : سمعت أبا عبد الله وقيل له إن عبد الوهاب^(٥) قد تكلم وقال : من زعم أن الله كلم موسى بلا صوت فهو جهمي عدو لله عدو للإسلام . فتبسم أبو عبد الله وقال : ما أحسن

(١) تقدم تخريجه . انظر : ص : ٢١٥ .

(٢) السنة (ق : ٣٢ / أ - وفي المطبوع ص : ٧٠ - ٢٧١ ، وأخرجه ابن التجاد في الرد على من يقول

القرآن مخلوق ص : ٣١ وابن مندة كما في ذيل طبقات الخنابلة ١٣٣/١ كلاهما عن عبد الله بن أحمد به .

(٣) طبقات الخنابلة ٤١٥/١ .

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٩٣ .

(٥) هو : الوراق ، انظر ترجمته مفصلة في ط/الخنابلة ٢٠٩/١ .

ما قال ، عافاه الله^(١) .

٢٩٢ - قال أبو يعلى : وقد نص أحمد في رواية الجماعة على إثبات

الصوت^(٢) .

التعليق :

القول بأن الله عز وجل يتكلم بحرف وصوت يسمعه من شاء من خلقه كما أسمعه موسى عليه السلام هو مذهب السلف الصالح لهذه الأمة .

يقول ابن تيمية : وقد نص أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة من أن الله ينادى بصوت وأن القرآن كلامه تكلم به بحرف وصوت^(٣) . اهـ .

والأدلة على أن الله عز وجل يتكلم بحرف وصوت كثيرة . من الكتاب والسنة ذكرت بعضها في معرض الحديث عن « صفة الكلام » وسأضيف هنا جملة أخرى : فمن الكتاب : قول الله تعالى : ﴿ ونادينا من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ﴾^(٤) والنداء لا يكون إلا بصوت .

ومن السنة : ما رواه البخاري^(٥) عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الله : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك . فينادى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار .

وروى أحمد^(٦) عن عبدالله بن أنيس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يحشر الناس يوم القيامة أو قال العباد - عراة غرلا بهما

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٨٣ .

(٢) إبطال التأويلات (ق ١٩٦ / أ) ، انظر : مجموع الفتاوى ٩٧/١٢ ، ٣٠٥ ، ٣٧٥ ، ٥٧٩ .

٥٨٠ -

(٣) مجموع الفتاوى ٥٨٤/١٢ .

(٤) سورة مريم / ٥٢ .

(٥) في الصحيح ٤٥٣/١٣ .

(٦) في المسند ٤٩٥/٣ .

قال : ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه (من بعد كما يسمعه) من قرب أنا الملك أنا الديان .

وعلقه البخارى^(١) وقال ابن حجر : أخرجه في الأدب المفرد وكذا أخرجه أبو يعلى والطبرانى^(٢) .

وقد أنكر الكلاية والأشاعرة أن الله عز وجل يتكلم بحرف وصوت وذلك بناء على قولهم أن كلام الله معنى قائم بالذات .

وما أثاره هؤلاء من شبهات تصدى لها الإمام أحمد وأبان عورها ومن تلك الشبه التي تمسكوا بها : أن الكلام المسموع لا يكون إلا بمخارج وأن الله عز وجل ليس بذي مخارج . ويعتقدون أن من أثبت الحرف والصوت لزمه التشبيه وأجابوا عن الأحاديث السابقة بتأويلات بعيدة عن الحق والصواب^(٣) . وكذا فعلوا عند قول الله تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾^(٤) فمن المعلوم أن موسى عليه السلام سمع كلام الله وهذا واضح من جميع الآيات في هذا الشأن .

لكن هؤلاء جاؤوا بمعنى جديد وقالوا : إن الله عز وجل أزال المانع عن موسى عليه الصلاة والسلام وجعل له من القوة ما أدرك به كلامه القديم^(٥) .

أما ما ذكروه من أن إثبات الحرف والصوت يقتضى التشبيه - وهو عمدتهم - فقد رد الإمام أحمد عليهم إذ يقول :

وأما قولهم : إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان أليس قال الله تعالى للسماوات والأرض : ﴿ اثبتا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾^(٦) أترى أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات، وقال الله تعالى : ﴿ وسخرنا

(١) في الصحيح ٤٥٣/١٣ .

(٢) فتح البارى ٤٥٧/١٣ .

(٣) انظر : الأسماء والصفات للبيهقى ص : ٢٧٣ - ٢٧٤ ، وفتح البارى ٤٥٧/١٣ - ٤٥٨ .

(٤) سورة النساء : ١٦٤ .

(٥) انظر : شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى للسبكي ص : ٢٧٥ .

(٦) سورة فصلت / ١١ .

مع داود الجبال يسبحن ﴿^(١) أتراها (سبحت) بفم وجوف ولسان وشفيتين والجوارح إذا شهدت على الكفار فقالوا: ﴿ لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء ﴾ ﴿^(٢) أتراها أنها نطقت بجوف وفم وشفيتين ولسان ولكن الله أنطقها كيف شاء فكذلك تكلم الله كيف شاء من غير أن نقول فم ولا لسان ولا شفطان ولا جوف ﴿^(٣) . اه .

يقول ابن تيمية : والصواب الذى عليه سلف الأمة - كالإمام أحمد والبخارى وسائر الأئمة قبلهم وبعدهم اتباع النصوص الثابتة وإجماع سلف الأمة وهو أن القرآن كلام الله ... وأن الله تعالى يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح وليس ذلك كأصوات العباد ... وأن الله ليس كمثله شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته علم المخلوق وقدرته وحياته ، فكذلك لا يشبه كلامه كالمخلوق ولا معانيه تشبه معانيه ولا حروفه تشبه حروفه ولا صوت الرب يشبه صوت العبد فمن شبه الله بخلقه فقد ألحد فى أسمائه وآياته ومن جحد ما وصف به نفسه فقد ألحد فى أسمائه وآياته ﴿^(٤) . اه .

وعبد الله بن كلاب هو أول من عرف عنه القول بأن الكلام معنى قائم بالنفس وأن الله عز وجل لا يتكلم بحرف وصوت . لذا نجد الإمام أحمد يحذر من ابن كلاب وأتباعه .

قال ابن خزيمة : كان أحمد بن حنبل من أشد الناس على عبد الله بن سعيد وعلى أصحابه مثل الحارث ^(٥) وغيره ^(٦) . اه .

(١) سورة الأنبياء / ٨٩ .

(٢) سورة فصلت / ٢١ .

(٣) الرد على الزنادقة والجهمية (ق : ٢١ / ١) وقد ذكرت فى صفة الكلام فى معرض رد الإمام أحمد على الجهمية ص : ٣٠٥ وناسب تكراره هنا .

(٤) مجموع الفتاوى ١٢ / ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٥) ابن أسد الحماسى ، الزاهد ، قال الذهبي : الحماسى كبير القدر وقد دخل فى شيء يسير من الكلام فنقم عليه وورد أن الإمام أحمد أنشئ على حال الحارث من وجه وحذر منه . توفى سنة ٢٤٣ هـ . سير أعلام النبلاء ١٢ / ١١٠ وانظر مصادر ترجمته فى نفس المصدر .

(٦) مجموع الفتاوى ٦ / ١٧١ - ١٧٢ .

ويقول ابن تيمية : وكان الإمام أحمد يحذر من الكلاية وأمر بهجر الحارث
المحاسبي لكونه كان منهم . وقد قيل عن الحارث إنه رجع في القرآن عن قول ابن
كلاب وأنه كان يقول : الله يتكلم بصوت^(١) .

(١) المصدر السابق ٥٣٣/٥ و ٩٥/١٢ ، ٣٦٨ .

قول الإمام أحمد في صفة اليدين

قال القاضي أبو يعلى بن الفراء :

٢٩٣ - قال في رواية أبي طالب : قلب العبد بين أصبعين وخلق آدم بيده وكل ماجاء الحديث مثل هذا قلنا به^(١) .

٢٩٤ - قال أحمد في رواية الميموني : من زعم أن يدها نعمته كيف يصنع بقوله : ﴿ خلقت يدي ﴾^(٢) مشددة^(٣) . اهـ .

وفي كتاب السنة له قال :

٢٩٥ - وخلق الله عز وجل آدم عليه السلام بيده^(٤) .

وفي رسالة محمد بن عوف الطائي قال :

٢٩٦ - وكما صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« وكلتا يديه يمين »^(٥) الإيمان بذلك فمن لم يؤمن بذلك ويعلم أن ذلك حق كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مكذب برسول الله صلى الله عليه وسلم^(٦) . اهـ .

وذكر اللالكائي - بسنده - عن أحمد بن يعقوب بن زاذان^(٧) قال :

(١) إبطال التأويلات (ق : ٢٦ / ١) .

(٢) سورة ص / ٧٥ .

(٣) إبطال التأويلات (ق : ١٠٢ / ١) .

(٤) شذرات البلاتين ص : ٤٩ . وانظر : طبقات الخنابلة ٢٩ / ١ .

(٥) روى مسلم ١٤٥٨ / ٣ وأحمد ١٦٠ / ٢ ، والنسائي ٢٢١ / ٨ - ٢٢٢ عن عبد الله بن عمرو قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المقسطين عند الله على منابر من نوز ، عن يمين الرحمن

عز وجل . وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » . وانظر : السنة لابن

أبي عاصم ٩١ / ١ والصفات للدارقطني ص : ٣٥ - ٣٦ . فقد جاءت هذه اللفظة في حديثين لأبي

هريرة وابن عمر .

(٦) طبقات الخنابلة ٣١٣ / ١ .

(٧) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر .

٢٩٧ - بلغنى أن أحمد بن حنبل قرأ عليه رجل : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾^(١) . قال : ثم أوما بيده . فقال له أحمد : قطعها الله قطعها الله قطعها الله . ثم حرد^(٢) . وقام^(٣) .

التعليق :

ورد ذكر هذه الصفة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة . وقد تقدم استدلال الإمام أحمد ببعض الآيات وأما من السنة فما رواه البخارى^(٤) ، ومسلم^(٥) عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أما ترى الناس ؟ خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا إلى ربك ... الحديث . واللفظ للبخارى .

وروى مسلم^(٦) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما . فحج آدم موسى قال موسى : أنت آدم الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ... » الحديث . وانظر الحديث بألفاظ مقاربة عند مسلم^(٧) أيضاً والبخارى^(٨) وقد جمع طرقه ابن خزيمة^(٩) وراجع

(١) سورة الزمر / ٦٧ .

(٢) أى : غضب . المصباح المنير ص : ١٥٥ .

(٣) شرح أصول أهل السنة ٤٣٢/٣ .

(٤) فى الصحيح ٣٩٢/١٣ .

(٥) فى الصحيح ١٨٠/١ .

(٦) فى الصحيح ٢٠٤٣/٤ .

(٧) فى الصحيح ٢٠٤٢/٤ .

(٨) فى الصحيح ٤٧٧/١٣ .

(٩) فى التمهيد ص : ٥٣ - ٥٧ .

شرح أصول أهل السنة للالكافي^(١) والدارقطني في الصفات^(٢) والرد على الجهمية لابن مندة^(٣) والأربعين في دلائل التوحيد للهروي^(٤) فقد رووا جملة من الأحاديث الدالة على هذه الصفة . وفي ما أوردت من الآيات والأحاديث دلالة على اثبات هذه الصفة على الوجه اللائق بكمال الله عز وجل وجلاله دون تكيف أو تشبيه أو تعطيل أو تأويل : ﴿ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ﴾ . وقد عطل النفاة هذه الصفة وأنكروها وزعموا أن ما جاء من الآيات في هذه الصفة إنما هو بمعنى النعمة أو القدرة أو القوة .

وكما أن السلف أنكروا على المعطلة ومن وافقهم نفى هذه الصفة . كذلك اشتد إنكارهم على المشبهة الذين شبهوا صفات الله بخلقه - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - وقد تقدم أن أحمد رحمه الله أنكر بشدة على من قرأ : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ ثم أوماً بيده فقال أحمد : قطعها الله وخرج من المجلس غاضبا .

وكما أن المعطلة والمؤولة زعموا أن في اثبات ذلك تشبيها لله بخلقه فإن المشبهة زعموا - أيضا - إن اتفاق الصفات في الأسماء يستلزم اتفاقها في المسميات أيضا . فضلوا ضلالاً كبيراً بسبب التشبيه الذي وقعوا فيه : يقول جل وعلا : ﴿ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ﴾ فلا يكون - قطعاً - لله مثل أو نظير . تعالى الله عن ذلك وتقدس فهو ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته . فكان الواجب على هؤلاء أن يثبتوا هذه الصفات كما أثبتها السلف رضوان الله عليهم^(٥) .

(١) ج ٤١٢/٣ - ٤٢٠ .

(٢) ص : ٣٥ - ٣٨ .

(٣) ص : ٦٧ - ٧٨ .

(٤) ص : ٦٧ - ٧٤ .

(٥) وسوف يأتي المزيد من الدراسة حول المشبهة عند : « قول الإمام أحمد في المشبهة » ص : ٣٦٤ .

قول الإمام أحمد في صفة القدم

قال القاضي أبو يعلى بن الفراء :

٢٩٨ - نص أحمد على ذلك في رواية المروزي : وقد سأله عن الأحاديث « يضع قدمه » وغيرها . قال : ثمها كما جاءت .

٢٩٩ - وقال ابن منصور^(١) : قلت لأبي عبد الله : « اشتكت النار إلى ربها حتى يضع قدمه فيها » فقال أحمد صحيح^(٢) .

٣٠٠ - وقال في رواية حنبل : ... وأنه يضع قدمه وما أشبه ذلك يؤمن بها ويصدق بها ولا كيف ولا معنى ولا نرد شيئا منها ونعلم أن ما قاله الرسول حق إذا كانت بأسانيد صحاح^(٣) .

٣٠١ - وفي رسالة محمد بن عوف الطائفي قال : وجهنم لا تزال تقول : هل من مزيد حتى (يأتيا)^(٤) الرب تبارك وتعالى فيضع قدمه فيها فتزوى فتقول : قط قط حسبي حسبي^(٥) هكذا جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣٠٢ - وقال أبو بكر الأثرم : قلت لأبي عبد الله حدث محدث وأنا عنده بحديث : « يضع الرب عز وجل قدمه »^(٦) وعنده غلام . فأقبل على الغلام فقال له : إن لهذا تفسيرا . فقال أبو عبد الله : انظر إليه كما تقول الجهمية سواء^(٧)

(١) إسحاق بن منصور الكوسج .

(٢) إبطال التأويلات (ق : ١١٢ / ١) ورواية الكوسج أخرجها الأجرى في الشريعة ص : ٣١٥ .

(٣) إبطال التأويلات (ق : ٢٦ / ١) وذكرها ابنه في طبقات الخنابلة ١٤٤/١ .

(٤) انظر : التوحيد لابن خزيمة ص : ٩٧ .

(٥) طبقات الخنابلة ٣١٢/١ .

(٦) نفس المصدر ٢٩/١ .

(٧) إبطال التأويلات (ق : ١١٢ / ١) .

التعليق:

الإمام أحمد لما سئل عما جاء في هذه الأحاديث قال : نمرها كما جاءت .
أى : نقر بها ولا نتكلم في الكيفية ولا نخوض بل كما جاء الحديث .
والأحاديث التي فيها ذكر صفة « القدم » في الصحيحين :

روى البخارى^(١) ، ومسلم^(٢) عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد ، حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه . فتقول قط قط ، وعزتك ، ويزوى بعضها إلى بعض » .
وروى البخارى^(٣) ، ومسلم^(٤) عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال جهنم يلقي فيها وتقول : هل من مزيد : حتى يضع رب العزة فيها قدمه . فيزوى بعضها إلى بعض وتقول : قط قط . بعزتك وكرمك . ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة » . وروى مسلم^(٥) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تحاجت النار والجنة . فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم . فقال الله للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي . وقال للنار أنت عذابي ، أعذب بك من أشياء من عبادي . ولكل واحدة منكم ملؤها . فأما النار فلا تمتلئ » . فيضع قدمه عليها . فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض » .

ورواه البخارى^(٦) ومسلم^(٧) وابن خزيمة^(٨) من طريق آخر عن أبي هريرة

(١) في الصحيح ٥٤٥/١١،٥٩٤/٨

(٢) في الصحيح ٢١٨٧/٤

(٣) في الصحيح ٣٦٩/١٣

(٤) في الصحيح ٢١٨٨/٤

(٥) في الصحيح ٢١٨٦/٤

(٦) في الصحيح ٥٩٥/٨

(٧) في الصحيح ٢١٨٦/٤ - ٢١٨٧

(٨) في التوحيد ص : ٩٤

وفيه : « حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله » .

ورواه باللفظ الأول - أى : « فيضع قدمه » أبو سعيد الخدرى أيضا .
كما عند أحمد^(١) وابن أبى عاصم^(٢) وابن خزيمة^(٣) والدارقطنى^(٤) .

وقد تأول البعض القدم والرجل بالجماعة . اعتمادا على أن ذلك أمر يرد
فى اللغة وعلى هذا قالوا : إن المراد بالقدم فى هذا الحديث : هم الأمم من أهل
الشقوة الذين سبق فى علمه أنهم صائرون إلى النار^(٥) .

يقول الآمدى : يحتمل أن يراد به بعض الأمم المستوجبين النار وتكون
إضافة القدم إلى الجبار تعالى إضافة التمليك^(٦) . اهـ .

وهذا التأويل بعيد وباطل حتى مع التسليم بالمعنى اللغوى^(٧) . فإن جواز هذا
الأمر لغويا لا يعنى حصره فيه . بل إن السياق هو الذى يحدد المعنى . والله أعلم .

(١) فى المسند ١٣/٣ ، ٧٨ .

(٢) فى السنة ٢٣٣/١ .

(٣) فى التوحيد ص : ٩٣ .

(٤) فى الصفات ص : ٣١ .

(٥) انظر : رد الدارمى على المريسى ص : ٦٦ والنهاية لابن الأثير ٢٥/٤ .

(٦) انظر : غاية المرام للآمدى ص : ١٤١ .

(٧) انظر : النهاية لابن الأثير ٢٠٣/٢ .

قول الإمام أحمد في صفة الأصابع

قال القاضي أبو يعلى بن الفراء :

٣٠٣ - قال في رواية أبي طالب : قلب العبد بين أصبعين وخلق آدم يده وكلما جاء الحديث مثل هذا قلنا به^(١) .

التعليق :

بين الإمام أحمد أنه يجب الأخذ بكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهو عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى .

روى مسلم^(٢) وأحمد^(٣) - وغيرهما - عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يصرفه حيث يشاء » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » .

وروى البخاري^(٤) ومسلم^(٥) عن عبد الله بن مسعود أن يهوديا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إن الله يمسك السموات على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والخلائق على أصبع

(١) إبطال التأويلات (ق : ١/٢٦) . وانظر كتاب السنة لأحمد ضمن شذرات البلايين ص : ٤٩ ،

وطبقات الخليفة ٢٩/١ .

(٢) في الصحيح ٢٠٤٥/٤ .

(٣) في المسند ١٦٨/٢ ، ١٧٣ .

(٤) في الصحيح ٣٩٣/١٣ .

(٥) في الصحيح ٢١٤٧/٤ .

ثم يقول : أنا الملك . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه . ثم قرأ : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ .

وفي بعض الروايات : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا له .

أما الحديث الأول فقليل فيه « إن المراد بالأصابع القدرة أو النعمة . وإن أصبعاه : أى نعمتاه وهذا جائز في كلام العرب »^(١) .

يقول ابن قتيبة :

ونحن نقول إن هذا الحديث صحيح ، وإن الذى ذهبوا إليه فى تأويل الأصبع لا يشبه الحديث ، لأنه عليه السلام قال فى دعائه : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » فقالت له إحدى أزواجه : « أوتخاف يا رسول الله على نفسك » . فقال : « إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله عز وجل »^(٢) فإن كان القلب عندهم بين نعمتين من نعم الله فهو محفوظ بتينك نعمتين فلاى شىء دعا بالتثيبت، ولم احتج على المرأة التى قالت له : أتخاف على نفسك - بما يؤكد قولها وكان ينبغى أن لا يخاف إذا كان القلب محروسا بنعمتين^(٣) اهـ .
وتؤول هذا الحديث بتأويل آخر حيث قيل : إن هذا الوصف كناية عن

(١) انظر : رد الدارمى على المريسى ص : ٥٩ ، ٦٣ ، ومقالات الإسلاميين للأشعري ٢٣٥/١ ، ومشكل الحديث لابن فورك ص : ٧٧ ، ٧٩ ، والأسماء والصفات لليبتي ص : ٣٣٨ ، ٣٤١ .

(٢) رواه أحمد ١١٢/٣ ، والترمذى ٤٤٨/٤ ، والحاكم ٥٢٦/١ من حديث أنس قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٣) تأويل مختلف الحديث ص : ٢٠٩ ، وانظر رد الدارمى على هذه الشبهة فى الرد على المريسى ص : ٥٩ - ٦٥ .

قول الإمام أحمد في صفة الضحك

قال القاضي أبو يعلى بن الفراء :

وقد نص أحمد على ذلك في رواية الجماعة .

٣٠٤ - قال في رواية حنبل : يضحك الله ولا نعلم كيف ذلك إلا

بتصديق الرسول .

٣٠٥ - وقال المروزي : سألت أبا عبد الله عن عبد الله التيمي فقال :

صدوق وقد كتبت عنه من الرقائق ولكن حكى عنه أنه ذكر حديث الضحك فقال : مثل الزرع وهذا كلام الجهمية^(١) .

التعليق :

ورد ذكر هذه الصفة في أحاديث صحاح عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم .

روى البخارى^(٢) ومسلم^(٣) وابن ماجه^(٤) وابن خزيمة^(٥) عن أنى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد » .

(١) إبطال التأويلات (ق : ١١٩ / ب) .

(٢) في الصحيح ٣٩/٦ .

(٣) في الصحيح ١٥٠٥/٤ .

(٤) في السنن ٦٨/١ .

(٥) في التوحيد ص : ٢٣٥ .

سرعة قلب الله لقلوب العباد . وأنهم تحت مشيئته سبحانه . وأما حديث ابن مسعود فتؤول بأن اليهود قوم عرفوا بالتشبيه والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » . وقولوا : ﴿ آمنا بالله وما أنزل ﴾^(١) الآية^(٢) .

قالوا : والنبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في ذلك الموقف وإنما ضحك وضحكه عليه الصلاة والسلام يحتمل الرضى والإنكار . ثم إنه عليه الصلاة والسلام تلا قول الله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ وهذا يحتمل الوجهين السابقين .

وقالوا أيضا : إن قول الراوى « تصديقا له » ظن منه وحسبان^(٣) . كما أن لهم تأويلات أخرى^(٤) .

وأما قولهم : إن اليهود عرفوا بالتشبيه فمقتضاه : أن هذا القول ليس قول النبي صلى الله عليه وسلم . وإنما هو قول اليهودى .

وهذا واضح . ولكن المعروف أن السنة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم إما قوله أو فعله أو إقراره . وعلى قول من يرى أن ضحك النبي صلى الله عليه وسلم كان تصديقا لليهودى وهو الصحيح فقد تحقق الأمر الثالث فالنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان لم يقله إلا أنه أقره عليه، والله أعلم . ثم إن إثبات هذه الصفة لم يكن مقتصرًا على هذا الحديث فقط فهناك أحاديث أخرى كما تقدم . والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه البخارى ١٧٠/٨ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) من سورة البقرة ١٣٦ .

(٣) انظر : الأسماء والصفات لليبى ص : ٣٣٧ - ٣٣٩ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٧٢٢/٧ .

وضح البارى ٣٩٨/١٣

(٤) انظر : المصادر المتقدمة ومشكل الحديث لابن فورك ص : ٧٩ .

وروى أحمد^(١) وابن ماجه^(٢) وابن أبي عاصم^(٣) والدارمي^(٤) والدارقطني^(٥) والآجري^(٦) عن أبي رزين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره » قال : قلت : يا رسول الله أو يضحك الرب عز وجل ؟ قال : « نعم » . قال - أي أبو رزين - لن نعدم من رب يضحك خيرا .

وفي الإسناد : وكيع بن حدس . قال محقق ابن ماجه : في الزوائد : وكيع ذكره ابن حبان في الثقات . وباقي رجاله احتج بهم مسلم . هـ .

ووكيع قال عنه الذهبي : لا يعرف^(٧) . وقال ابن حجر : مقبول^(٨) . ولم أجد له متابعة . لذا ضعف البعض إسناد الحديث^(٩) . وهناك عدة أحاديث عن عدد من الصحابة ذكرها الدارمي^(١٠) - رواها غيره أيضا - وإن كان في بعض أسانيدنا مقال إلا أنه يؤيد بعضها بعضا . والسلف أخذوا بما جاء في هذه الأحاديث .

يقول الآجري : ... هذا مذهب العلماء من اتبع ولم يتدع ولا يقال فيه كيف بل التسليم له والإيمان بأن الله عز وجل يضحك كذا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن صحابته رضی الله عنهم^(١١) . هـ .

-
- (١) في المسند ١١/٤ .
 - (٢) في السنن ٦٤/١ .
 - (٣) في السنة ٢٤٤/١ .
 - (٤) في النقص على المريسي ص : ١٧٧ .
 - (٥) في الصفات ص : ٤٦ .
 - (٦) في الشريعة ص : ٢٧٧ .
 - (٧) ميزان الاعتدال : ٣٣٥/٤ .
 - (٨) تقريب ٣٣١/١ .
 - (٩) انظر : السنة لابن أبي عاصم ٢٤٤/١ .
 - (١٠) في الرد على المريسي ص : ١٧٩ .
 - (١١) الشريعة للآجري ص : ٢٧٧ .

وأما ما تأوله البعض من أن المراد بالضحك : الإخبار عن الرضى أو القبول أو إبداء الفضل والنعم أو أن الشيء كان عنده بمحل ما يضحك منه ^(١) . فهى تأويلات باطلة ولا داعى لها ويجب الوقوف عند النص والله أعلم .

قول الإمام أحمد فى العلو

قال ابن أبى يعلى فى ترجمة : يوسف بن موسى ^(٢) : نقل عن إمامنا أشياء منها :

٣٠٦ - قيل لأبى عبد الله : والله تعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان ؟ قال : نعم ، على عرشه لا يخلو شىء من علمه ^(٣) .

وقال أبو بكر الخلال :

٣٠٧ - أخبرنى عبد الملك الميمونى قال : سألت أبا عبد الله أحمد عن قال : إن الله تعالى ليس على العرش فقال : كلامهم كله يدور على الكفر .

وقال أحمد فى كتاب السنة له :

٣٠٨ - وهو على العرش فوق السماء السابعة .

فإن احتج مبتدع أو مخالف بقوله تعالى : ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ ^(٤) وبقوله عز وجل : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ ^(٥) أو بقوله تعالى :

(١) انظر : الأسماء والصفات للبيهقى ص : ٤٦٧ - ٤٧٣ .

(٢) ابن راشد القطان .

(٣) طبقات الختابة ٤٣١/١ وأخرجه الخلال فى السنة عن يوسف بن موسى قال : أخبرنا عبد الله بن

أحمد قال : قيل لأبى . فذكره ، اجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٧٧ . وكذا الرواية التى بعدها فى المصدر نفسه .

(٤) سورة ق / ١٦ .

(٥) سورة الحديد / ٤ .

﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾^(١) ونحو هذا من متشابه القرآن .
قيل : إنما يعنى بذلك العلم . لأن الله تبارك وتعالى على العرش فوق السماء
السابعة العليا . يعلم ذلك كله . وهو تعالى بائن من خلقه . لا يخلو من علمه
مكان^(٢) .

روى أحمد بسنده عن الضحاك في قول : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة
إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ﴾ قال : هو على العرش وعلمه
معهم^(٣) .

٣٠٩ - وذكرها ابن أبي يعلى من طريق الفضل بن زياد عن الضحاك
ثم قال : - أى الفضل - قال أحمد : هذه السنة^(٤) .

٣١٠ - قال ابن تيمية : قال حنبل بن إسحاق في كتاب السنة : قلت
لأبي عبد الله أحمد بن حنبل ما معنى قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾
و ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إلا هو معهم
أينما كانوا ﴾ قال : علمه . عالم الغيب والشهادة يحيط بكل شيء ، شاهد علام
الغيوب ، يعلم الغيب ، ربنا على العرش بلا حد ولا صفة^(٥) .

وذكرها ابن القيم نقلا عن كتاب السنة للطبرى - بإسناده - إلى حنبل
قال : قيل لأبي عبد الله - فذكرها . اه .

٣١١ - وقال أبو طالب سألت أحمد عن رجل قال : إن الله معنا وتلا
قوله تعالى ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ . قال - أى أحمد -
يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها هلا قرأت عليه : ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما

(١) سورة المجادلة/٧ .

(٢) ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٨ .

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد ص : ٨٠ .

(٤) طبقات الحنابلة ١/٤٢١ .

(٥) مجموعة الفتاوى ٤٩٦/٥ . وسأقي الكلام حول قول أحمد : « بلا حد ولا صفة » في الاستواء

ص : ٣٤٤/٢ .

في السموات ﴿﴾ بالعلم معهم وفي (ق) ﴿﴾ ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴿﴾ .

٣١٢ - وقال المروزي : قلت لأبي عبد الله إن رجلا قال : أقول كما قال الله تعالى : ﴿﴾ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴿﴾ أقول هذا ولا أجاوزه إلى غيره فقال أبو عبد الله : هذا كلام الجهمية فقلت له : فكيف تقول ﴿﴾ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ﴿﴾ قال : علمه في كل مكان وعلمه معهم . قال : أول الآية يدل على أنه علمه .

٣١٣ - وقال في موضع آخر : وإِنَّ الله عز وجل على عرشه فوق السماء السابعة يعلم ما تحت الأرض السفلى وإِنَّه غير مماس لشيء من خلقه هو تبارك وتعالى بائن من خلقه وخلقه بائون منه ^(١) .

قول الإمام أحمد في كتابه الرد على الجهمية

(ق ٢٣/أ) وما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله سبحانه على العرش

٣١٤ - فقلنا لهم : لم أنكرتم ذلك ؟ إن الله سبحانه على العرش وقد قال سبحانه : ﴿﴾ الرحمن على العرش استوى ﴿﴾ ^(١) وقال : ﴿﴾ ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً ﴿﴾ ^(٢) . قالوا : هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش فهو على العرش وفي السموات وفي الأرض وفي كل مكان لا يخلو منه مكان ولا يكون في مكان دون مكان . وتلوا آيات من القرآن : ﴿﴾ وهو الله في السموات وفي الأرض ﴿﴾ ^(٣) . فقلنا : قد عرف المسلمون أماكن كثيرة

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٧٨ . نقلنا من كتاب السنة لأبي بكر الخلال .

(٢) سورة طه / ٥ .

(٣) سورة الفرقان / ٥٩ .

(٤) سورة الأنعام / ٣ .

وليس فيها من عظمة الله شيء . فقالوا : أى مكان . فقلنا : أحشاؤكم وأجواف الخنازير والحشوش والأماكن القذرة ليس فيها من عظمة الرب سبحانه شيء وقد أخبرنا أنه فى السماء فقال سبحانه : ﴿ أمنتُم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هم تمور أم أمنتُم من فى السماء أن يرسل عليكم ﴾ ^(١) الآية . وقال : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ ^(٢) وقال : ﴿ وله من فى السموات والأرض ومن عنده ﴾ ^(٣) وقال : ﴿ إني متوفيك ورافعك إلیّ ﴾ ^(٤) وقال : ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ ^(٥) وقال : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ ^(٦) (ق ٢٣ / ب) وقال : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ ^(٧) وقال : ﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾ ^(٨) .

فهذا خبر الله أنه فى السماء ^(٩) . ووجدنا كل شيء أسفل مذموم قال الله تعالى : ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾ ^(١٠) وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والأنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴾ ^(١١) .

وقلنا لهم : أليس تعلمون أن إبليس كان مكانه والشياطين مكانهم فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس فى مكان واحد ولكن إنما معنى قوله تبارك وتعالى ﴿ وهو الله فى السموات وفى الأرض ﴾ ^(١٢) يقول هو إله من فى السموات وإله من فى

(١) سورة الملك / ١٦ ، ١٧ .

(٢) سورة فاطر / ١٠ .

(٣) سورة الأنبياء / ١٩ .

(٤) سورة آل عمران / ٥٥ .

(٥) سورة النساء / ١٥٨ .

(٦) سورة النحل / ٥٠ .

(٧) سورة المعارج / ٤ .

(٨) سورة الأنعام / ١٨ .

(٩) من قوله السابق : وقد أخبرنا أنه فى السماء إلى هنا . ذكره أبو يعلى ابن الفراء فى كتابه إبطال التأويل

(ق : ٢١٥) حيث قال : وقد قال أحمد فيما خرجه فى الرد على الجهمية ...

(١٠) سورة النساء / ١٤٥ .

(١١) سورة فصلت / ٢٩ .

(١٢) سورة الأنعام / ٣ .

الأرض وهو على العرش وقد أحاط بعلمه ما دون العرش لا يخلو من علم الله مكان ولا يكون علم الله في مكان دون مكان وذلك قوله : ﴿ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴾^(١) . (ق ٢٤/أ) قال أحمد رضى الله عنه : ومما تأولته الجهمية من قول الله سبحانه : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ﴾^(٢) الآية . قالوا : إن الله عز وجل معنا وفينا . فقلنا : لم قطعتم الخير من أوله إن الله يقول : ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ﴾^(٣) ثم قال : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ يعنى إن الله بعلمه رابعهم ولا خمسة إلا هو بعلمه سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم يعنى بعلمه فيهم أين ما كانوا ﴿ ثم ينسبهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾ يفتح الخير بعلمه ويختم الخير بعلمه^(٤) وإذا أردت تعلم أن الجهمى كاذب على الله حين زعم أنه في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان فقل له : أليس كان الله ولا شيء . فسيقول : نعم . فقل له حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجاً عن نفسه (ق ٢٤/ب) فإنه يصير إلى ثلاثة أقاويل واحد منها : إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر حين زعم أنه خلق الخلق والشياطين وإبليس في نفسه . فإن قال خلقهم خارجاً عن نفسه ثم دخل فيهم كان هذا أيضاً كفراً حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش قدر ردىء . وإن قال : خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله كله أجمع وهو قول أهل السنة^(٥) .

(١) سورة الطلاق / ١٢ .

(٢) سورة المجادلة / ٧ .

(٣) سورة المجادلة / ٧ .

(٤) نحو هذا ذكر الأجزى في الشريعة . انظر : ص : ٢٨٧ .

(٥) ذكر نحو هذا ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٥٢/٥ وقال : وهذه القاعدة للإمام أحمد من حججه على الجهمية في زمن الحنة . اهـ .

وفي موضع آخر ذكره بنصه وقال معلقاً : فقد بين الإمام أحمد ما هو معلوم بالعقل الصريح والفترة البدئية ، من أنه لا بد أن يكون خلق الخلق داخلاً في نفسه أو خارجاً عنه ، وإنه إذا كان خارجاً عن نفسه ، فإما أن يكون حل فيه بعد ذلك ، أو لم يزل مبانياً ، فذكر الأقسام الثلاثة . مجموع الفتاوى ٣١٢/٥ - ٣١٣ .

بيان ما ذكر الله في القرآن : وهو معكم

وهذا على وجوه : قول الله تعالى لموسى : ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾^(١) يقول : في الدفع عنكما . وقال : ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٢) يعنى في الدفع عنا . وقال : ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٣) (ق ٢٥/أ) يعنى في النصره لهم على عدوهم وقوله : ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾^(٤) في النصره لكم على عدوكم وقال : ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾^(٥) يقول بعلمه فيهم . وقوله : ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾^(٦) يقول في العون على فرعون .

فلما ظهرت الحجة على الجهمي بما ادعى على الله عز وجل أنه مع خلقه في كل شيء قال : هو غير مماس للشئ ولا مباين منه . فقلنا : إذا كان غير مباين أليس هو مماس . قال : لا . قلنا : فكيف يكون في كل شيء غير مماس الشئ فلم يحسن الجواب . فقال : بلا كيف فخذع الجهال بهذه الكلمة وموه عليهم . فقلنا له : إذا كان يوم القيامة أليس إنما هو الجنة والنار والعرش والكرسى والهواء . قال : بلى . قلنا : وأين يكون ربنا . قال : يكون في كل شيء كما كان حيث كانت الدنيا . فقلنا : فإن مذهبكم أن ما كان من الله على العرش فهو على العرش وما كان من الله في الجنة فهو في الجنة وما كان من الله في النار فهو في النار وما كان من الله في الهواء فهو في الهواء فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله جل وعلا .

(١) سورة طه/٤٦ .

(٢) سورة التوبة /٤٠ .

(٣) سورة البقرة /٢٤٩ .

(٤) سورة محمد /٣٥ .

(٥) سورة النساء /١٠٨ .

(٦) سورة البقرة /٦٢ .

(ق ٢٧/١) وقلنا للجهمية : زعمتم أن الله في كل مكان لا يخلو منه مكان دون مكان . فقلنا لهم : أخبرونا عن قول الله جل ثناؤه ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ﴾^(١) لم تجلى إذا كان فيه بزعمكم ولو كان فيه كما تزعمون لم يكن يتجلى لشيء لكن الله تعالى (ق / ٢٧ / ب) على العرش وتجلي لشيء لم يكن فيه ورأى الجبل شيئا لم يكن يراه قط قبل ذلك .

التعليق :

علو الله عز وجل بذاته على جميع مخلوقاته أمر لا يكاد ينكره إلا من عميت بصيرته وضل عن سواء السبيل . فالدلائل عليه متضافرة من الكتاب والسنة والعقل والفطرة ، وقد أجمع علماء الأمة وعامتهم عليه . والإمام أحمد كان له جهد كبير في الرد على الجهمية المنكرين لعلو الله عز وجل بذاته على جميع مخلوقاته . المدعين أنه بذاته في كل مكان تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . وقد تقدم نقضه لمزاعمهم وترهاتهم .

والأمر وإن كان في غاية الوضوح - والله الحمد والمنة - إلا أنه لا بد من الكلام حول هذه المسألة العظيمة لكشف مزاعم الجهمية خاصة وأنه قد ظهرت بعد زمن الإمام أحمد مزاعم كفرية هي امتداد لأباطيل الجهمية كالاتحادية^(٢) والحلولية^(٣) .

وكما أسلفت آنفا - أن الدلائل متضافرة من الكتاب والسنة والعقل والفطرة على أن الله قد علا بذاته على جميع مخلوقاته .

(١) سورة الأعراف / ١٣٤ .

(٢) أصحاب وحدة الوجود القائلون بأن العالم هو الله والله هو العالم وذلك مبني على أصلهم الفاسد : إن الله هو عين هذا الوجود تعالى الله عما يقوله الكافرون علوا كبيرا . ومن زعمائهم ابن عري التوفى سنة ثمان وثلاثين وست مئة صاحب « الفتوحات المكية » و « فصوص الحكم » قال ابن كثير : « فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح » . انظر : البداية والنهاية ١٥٦/١٣ . وابن الفارض - المتوفى سنة ست وسبعين وخمس مئة . انظر لسان الميزان ٣١٧/٤ . وابن سبعين - المتوفى سنة تسع وستين وست مئة انظر : شذرات الذهب ٣٢٩/٥ .

(٣) هم : القائلون بأن الله جل وعلا يجوز أن يحل في الأشخاص . تعالى الله عما يقوله الكافرون علوا كبيرا . انظر : مقالات الإسلاميين ٨١/١ .

والإمام أحمد استدل ببعض الآيات على ذلك ولم يكن غرضه الاستقصاء وإنما أراد الاستشهاد .

يقول ابن تيمية : قد وصف الله تعالى نفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله بالعلو والاستواء على العرش وال فوقية « في كتابه في آيات كثيرة ، حتى قال بعض أكابر أصحاب الشافعي : في القرآن « ألف دليل » أو أزيد تدل على أن الله تعالى عال على الخلق وأنه فوق عباده^(١) . هـ .

ومع ذلك تمدى هؤلاء في ضلالهم وادعوا المجاز في الآيات الدالة على العلو وال فوقية وزعموا أن المراد علو القدر والقهر لا علو الذات .

يقول ابن القيم : مما ادعى المعطلة مجازه الفوقية وقد ورد به القرآن مطلقا بدون حرف ومقترنا بحرف فالأول : كقوله تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾^(٢) في موضعين . والثاني : كقوله : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾^(٣) وفي حديث الأوعال^(٤) لما ذكر السموات السبع وذكر البحر الذي فوقها والعرش فوق ذلك كله والله فوق ذلك كله لا يخفى عليه أعمالكم وحقيقة الفوقية علو ذات الشيء على غيره فادعى الجهمي أنها مجاز في فوقية الرتبة والقهر كما يقال : الذهب فوق الفضة والأمير فوق نائبه وهذا وإن كان ثابتا للرب تعالى لكن إنكار حقيقة فوقيته سبحانه وحملها على المجاز باطل من وجوه عديدة .

أحدها : أن الأصل الحقيقة والمجاز على خلاف الأصل .

(١) مجموع الفتاوى ١٢١/٥ .

(٢) سورة الأنعام / ١٨ .

(٣) سورة النحل / ٥٠ .

(٤) أخرجه أحمد ، وأبو داود ٩٣/٥ ، وابن ماجه ٦٩/١ ، والدارمي في النقض على المربسي ص : ٩٠ - ٩١ ، والعقيلي في الضعفاء ٢٨٤/٢ وابن أبي شيبة في كتاب العرش ص : ٥٥ ، وفي الإسناد الوليد بن أبي ثور وهو ضعيف . تقريب ٣٢٣/٢ ، إلا أنه تويع تابعه عمرو بن قيس كما في رواية أبي داود ٩٤/١ والترمذي ٤٢٤/١ وقال : حسن غريب ، واللالكاني في شرح أصول السنة ٣٨٩/١ ، وابن خزيمة في التوحيد ص : ١٠٢ وتابعه أيضا : إبراهيم بن طهمان كما في رواية أبي داود ٩٤/٥ إلا أن مدار الحديث على عبد الله بن عميرة رواه عن الأحنف بن قيس قال البخاري في التاريخ ١٥٩/٥ : لا نعلم له سمعا من الأحنف وقال الذهبي : فيه جهالة . الميزان ٤٦٩/٢ .

الثاني: أن الظاهر خلاف ذلك .

الثالث: أن هذا الاستعمال المجازي لا بد فيه من قرينة تخرجه عن حقيقته فأين القرينة في فوقية الرب تعالى .

الرابع: أن القائل إذا قال : الذهب فوق الفضة قد أحال المخاطب على ما يفهم من هذا السياق والمعتد بأمرين عهد تساويهما في المكان وتفاوتهما في المكانة فانصرف الخطاب إلى ما يعرفه السامع ولا يلتبس عليه . فهل لأحد من أهل الإسلام وغيرهم عهد بمثل ذلك في فوقية الرب تعالى حتى ينصرف فهم السامع إليها .

الخامس: أن العهد والفطر والعقول والشرائع وجميع كتب الله المنزلة على خلاف ذلك وأنه سبحانه فوق العالم بذاته فالخطاب بفوقيته ينصرف إلى ما استقر في الفطر والعقول والكتب السماوية .

السادس: أن هذا المجاز لو صرح به في حق الله كان قبيحا فإن ذلك إنما يقال في المقارين في المنزلة وأحدهما أفضل من الآخر وأما إذا لم يتقاربا بوجه فإنه لا يصح فيهما ذلك .

السابع: أن الرب سبحانه لم يمتدح في كتابه ولا على لسان رسوله بأنه أفضل من العرش وأن رتبته فوق رتبة العرش وأنه خير من السموات والعرش والكرسى وحيث ورد ذلك في الكتاب فإنما هو في سياق الرد على من عبد معه غيره وأشرك في إلهيته فبين سبحانه أنه خير من تلك الآلهة كقوله : ﴿ الله خير أمَّا يشركون ﴾^(١) وقوله : ﴿ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾^(٢) وقول السحرة : ﴿ وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى ﴾^(٣) ولكن أين في القرآن مدحه نفسه وثناؤه على نفسه بأنه أفضل من السموات والعرش والكرسى ابتداء ولا يصح إلحاق هذا بذلك إذ يحسن في الاحتجاج على المنكر

(١) سورة النمل / ٥٩ .

(٢) سورة يوسف / ٣٩ .

(٣) سورة طه / ٧٣ .

وإلزامه من الخطاب الداحض لحجته ما لا يحسن في سياق غيره ولا ينكر هذا إلا غيبى .

الثامن: أن هذا المجاز وإن احتمل في قوله : ﴿ وإنا فوقهم قاهرون ﴾^(١) فذلك لأنه قد علم أنهم جميعا مستقرون على الأرض فهى فوقية قهر وغلبة لم يلزم مثله في قوله : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ إذ قد علم بالضرورة أنه وعباده ليسوا مستويين في مكان واحد حتى تكون فوقية قهر وغلبة .

التاسع: ... (وأنه) قد جاءت فوقية الرب مقرونة بمن كقوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ فهذا صريح في فوقية الذات ولا يصح حمله على فوقية الرتبة لعدم استعمال أهل اللغة له .

العاشر: ما في الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش رحمتى سبقت غضبى »^(٢) وفي لفظ : « فهو عنده موضوع على العرش » فتأمل قوله : « فهو عنده فوق العرش » هل يصح حمل الفوقية على المجاز وفوقية الرتبة والفضيلة بوجه من الوجوه .

وفي صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله ﴿ هو الأول و الآخر والظاهر والباطن ﴾ وبقوله : « أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء »^(٣) فجعل كمال الظهور موجبا لكمال الفوقية ولا ريب أنه ظاهر بذاته فوق كل شيء والظهور هنا العلو ومنه قوله : ﴿ فما استطاعوا أن يظهروه ﴾^(٤) أى يعلوه وقرر هذا المعنى بقوله : « فليس فوقك شيء » أى أنت فوق الأشياء كلها ليس لهذا اللفظ معنى غير ذلك ولا يصح أن يحمل الظهور على الغلبة لأنه

(١) سورة الأعراف / ٢١٧ .

(٢) أخرجه البخارى ٢٨٧/٦ ، ومسلم ٢١٠٧/٤ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) رواه مسلم ٢٠٨٤/٤ ، وأحمد ٣٨١/٢ ، وابن ماجه ١٢٥٩/٢ وأبو داود ٣٠١/٥ . من حديث

أبى هريرة رضى الله عنه .

(٤) سورة الكهف / ٩٧ .

قابله بقوله : « وأنت الباطن » فهذه الأسماء الأربعة متقابلة اسمان لأزل الرب تعالى وأبده واسمان لعلوه وقربه ... وثبت عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه مر بعجوز فاستوقفته فوقف يحدّثها فقال له رجل : يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز فقال : ويحك أتدرى من هذه . هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة التى أنزل الله فيها : ﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله ﴾ (١) . أخرجه الدارمى (٢) وغيره . فسل المعطل هل يصح أن يكون المعنى : سمع الله قولها حال كونه خيرا وأفضل من سبع سموات .

الحادى عشر: أنه سبحانه لو لم يتصف بالفوقية الذات مع أنه قائم بنفسه غير محالط للعالم لكان متصفا بضدها لأن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده وضد الفوقية السفول وهو مذموم على الإطلاق ... فإن قيل لا نسلم أنه قابل للفوقية حتى يلزم من نفيها ثبوت ضدها قيل : لو لم يكن قابلا للفوقية والعلو لم يكن له حقيقة قائمة بنفسها فمتى أقرتم بأنه ذات قائم بنفسه غير محالط للعالم وأنه موجود فى الخارج ليس وجوده ذهنيا فقط بل وجود خارج الأذهان . فقد علم العقلاء بالضرورة أن ما كان وجوده خارج الأذهان فهو إما فى هذا العالم وإما خارج عنه وإنكار ذلك إنكار لما هو من أجلى البديهيات فلا يستدل على ذلك بدليل إلا كان العلم بالمباينة أوضح منه ، وإذا كان العلو والفوقية صفة كمال لا نقص فيه ولا يستلزم نقصا ولا يوجب محذورا ولا يخالف كتابا ولا سنة ولا إجماعا فنفى حقيقتها عين الباطل فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجود الصانع وتصديق رسله والإيمان بكتابه وبما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم إلا بذلك فكيف إذا شهدت بذلك العقول السليمة والفطر المستقيمة وحكمت به القضايا البديهيات والمقدمات اليقينية ، فلو لم يقبل العلو والفوقية لكان كل عال على غيره أكمل منه فإن ما يقبل العلو أكمل مما لا يقبله .

(١) سورة المجادلة / ١

(٢) فى الرد على الجهمية ص : ٢٧٤ ضمن عقائد السلف ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ص : ٤٢٠ .

الثاني عشر : أنه لو كانت فوقيته سبحانه مجازا لا حقيقة لها لم يتصرف في أنواعها وأقسامها ولوازمها ولم يتوسع فيها غاية التوسع فإن فوقية الرتبة والفضيلة لا يتصرف في تنويعها إلا بما شاكل معناها نحو قولنا : هذا خير من هذا وأفضل وأجل وأعلى قيمة ونحو ذلك ، وأما فوقية الذات فإنها تتنوع بحسب معناها فيقال فيها : استوى وعلا وارتفع وصعد ويعرج إليه كذا ويصعد إليه وينزل من عنده ، وهو عال على كذا ورفيع الدرجات ، وترفع إليه الأيدي ... وأنه يطلع على عباده من فوق سبع سمواته وأن عباده يخافونه من فوقهم وأنه ينزل إلى السماء الدنيا ، وأنه يرم القضاء من فوق عرشه ... وأن عباده المؤمنين إذا نظروا إليه في الجنة رفعا رؤوسهم . فهذه لوازم الأنواع كلها أنواع فوقية الذات ولوازمها لا أنواع فوقية الفضيلة والمرتبة فتأمل هذا الوجه حق التأمل تعلم أن القوم أفسدوا اللغة والفطرة والعقل والشرع .

الثالث عشر: أنه لو كانت فوقية الرب تبارك وتعالى مجازا لا حقيقة لها لكان صدق نفيها أصح من صدق إطلاقها ، ألا ترى أن صحة نفي اسم الأسد عن الرجل الشجاع ... ونحو ذلك أظهر وأصدق من إطلاق تلك الأسماء فلو كانت فوقيته واستواؤه وكلامه وسمعه وبصره ووجهه ومحبه ورضاه وغضبه مجازا لكان إطلاق القول بأنه ليس فوق العرش ولا استوى عليه ولا هو العلى ولا الرفيع ولا هو في السماء ولا ينزل من عنده شيء ولا يصعد إليه شيء ولا تكلم ولا أمر ولا نهى ولا يسمع ولا يبصر ولا له وجه ولا رحمة ولا يرضى ولا يفضب أصح من إطلاق ذلك وأدنى الأحوال أن يصح النفي كما يصح الإطلاق المجازي . ومعلوم قطعا أن إطلاق هذا النفي تكذيب صريح لله ولرسوله . ولو كانت هذه الإطلاقات إنما هي على سبيل المجاز لم يكن في نفيها محذور لا سيما ونفيها عين التنزيه والتعظيم وسوغ إطلاق المجاز للوهم الباطل بل الكفر والتشبيه والتجسيم .

هذه بعض الأوجه التي ذكرها ابن القيم والتي بلغت سبعة عشر وجها وقد ذكرت بعضها باختصار^(١) .

(١) انظر : مختصر الصواعق المرسله ٢/٢٠٥ - ٢١٧ .

والآن بعد بيان بطلان ما ذهبوا إليه من دعوى المجاز . أتعرض لادعاء آخر من ادعاءاتهم حيث عمدوا إلى بعض آيات من القرآن الكريم مدعين أن فيها دلالة على صحة مذهبهم القائل : بأن الله جل وعلا بذاته في كل مكان ومن تلك الآيات قول الله جل وعلا : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ﴾^(١) . الآية . وقد أجمع المفسرون وعلماء الأمة^(٢) قاطبة على أن المقصود بذلك أنه معهم بعلمه لا بذاته . وقد بين الإمام أحمد ذلك كما مر في نقضه على الجهمية . وقد نقل الإجماع على هذا ابن عبد البر حيث يقول : أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ هو على العرش وعلمه في كل مكان ، وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله^(٣) . اه .

يقول عثمان بن سعيد الدارمي بعد أن ذكر احتجاج هؤلاء بها : إنما يعنى أنه حاضر كل نجوى ، ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه ، لأن علمه بهم محيط ، وبصره فيهم نافذ ، لا يحجبه شيء عن علمه وبصره ، ولا يتوارون منه بشيء وهو بكماله فوق العرش بائن من خلقه ﴿ يعلم السر وأخفى ﴾^(٤) أقرب إلى أحدهم من فوق العرش من حبل الوريد قادر على أن يكون له ذلك لأنه لا يبعد عنه شيء ولا تخفى عليه خافية ، في السموات ولا في الأرض فهو كذلك رابعهم وخامسهم وسادسهم ، لا أنه معهم بنفسه في الأرض كما ادعيتهم . وكذلك فسره العلماء^(٥) . اه .

ومن الآيات التي احتجوا بها أيضا قول الله جل وعلا : ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾^(٦) وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول

(١) سورة المجادلة / ٧ .

(٢) ممن يُقتد بهم .

(٣) مجموع الفتاوى ٨٧/٥ . وانظر : نفس المصدر ٤٩٥/٥ - ٤٩٦ .

(٤) سورة طه / ٧ .

(٥) الرد على الجهمية ص : ٢٦٨ - ٢٦٩ ضمن عقائد السلف .

(٦) سورة طه / ٤٦ .

لصاحبه لا تخزن إن الله معنا ﴿^(١)﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿ والله مع الصابرين ﴾^(٢) ونحو
وقوله عز وجل : ﴿ وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول ﴾^(٣) ونحو
ذلك من الآيات .

وقد أوضح الإمام أحمد بجلاء تام المعية المقصودة في هذه الآيات وأبان
أنه لا يمكن أن يفهم منها بحال أنه معهم أى بذاته بل إنه معهم فى الدفع عنهما ،
كما فى الآية الأولى ومعهم فى النصرة على عدوهم وتأييدهم كما فى الآية الثانية
والثالثة ومعهم بعلمه كما فى الآية الرابعة .

ولزيد من الإيضاح أقول : إن المعية نوعان - كما حقق ذلك العلماء - :
معية عامة : وهى كما فى قوله تعالى : ﴿ هو الذى خلق السموات والأرض فى
سنة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل
من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ ونحو
هذه من الآيات . والمقصود بهذه المعية : العلم والتدبير والقدرة .

أما المعية الخاصة : فهى كما فى قوله تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون ﴾ وفى قوله جل وعلا : ﴿ قال لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى ﴾
ونحو هذا من الآيات . فهذه المعية المقصود بها النصرة والتأييد والعون^(٤) . وهو
مادل عليه كلام أحمد السابق .

يقول ابن تيمية : وقد بسط الإمام أحمد الكلام على المعية فى الرد على
الجهمية^(٥) . اهـ .

ويقول أيضا - أى ابن تيمية - فى معرض رده على هؤلاء : وذلك أن
كلمة (مع) فى اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها فى اللغة إلا المقارنة المطلقة من

(١) سورة التوبة / ٤٠ .

(٢) البقرة / ٢٤٩ ، وسورة الأنفال / ٩٦ .

(٣) سورة النساء / ١٠٨ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٤٩٦/٥ - ٤٩٧ .

(٥) المصدر السابق .

غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع ، يقتضى في كل موضع أمورا لا يقتضيها في الموضع الآخر ، فيما أن تختلف دلالتها بحسب الموضع ، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردنا - وإن امتاز كل موضع بخصوصية - فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق ، حتى يقال : قد صرفت عن ظاهرها^(١) .

ويقول في موضع آخر : وأيضا فلفظ المعية ليست في لغة العرب ولا شيء من القرآن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى ، كما في قوله : ﴿ محمد رسول الله والذين معه ﴾^(٢) وقوله : ﴿ فأولئك مع المؤمنين ﴾^(٣) وقوله : ﴿ واتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾^(٤) وقوله : ﴿ وجاهدوا معكم ﴾^(٥) ومثل هذا كثير ، فامتنع أن يكون قوله : ﴿ وهو معكم ﴾^(٦) يدل على أن ذاته مختلطة بذوات الخلق ...

إن لفظ المعية في اللغة - وإن اقتضى الجماعة والمصاحبة والمقارنة - فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه ، ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه ، فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد^(٧) . اهـ .

يتضح لنا بعد هذا انكشاف أقنعة الجهمية وأذيالهم . وهناك مزاعم أخرى فلسفية أثاروها احتجاجا بها على مزاعمهم الكفرية . وليس هناك حاجة إلى سطرها والرد عليها فهي واضحة البطلان .

(١) المصدر السابق ١٠٣/٥ - ١٠٤ .

(٢) سورة الفتح / ٢٩ .

(٣) سورة النساء / ١٤٦ .

(٤) سورة التوبة / ١١٩ .

(٥) سورة الأنفال / ٧٥ .

(٦) سورة الحديد / ٤ .

(٧) مجموع الفتاوى ٤٩٧/٥ ، وانظر : مختصر الصواعق المرسله لابن القيم ٢٦٢/٢ - ٢٦٧ .

وبعد أن ذكرت الأدلة من القرآن الكريم على علو الله عز وجل بذاته على جميع مخلوقاته ورد ما أثاره المبطلون ، أتطرق الآن إلى ذكر الأدلة من السنة الصحيحة وغرضي الاستشهاد فقط لا الاستقصاء فمن تلك الأدلة :

ما جاء من الأحاديث في قصة المعراج وما فيها من الدلالات الكثيرة على علو ذاته جلا وعلا .

وحديث الجارية المتقدم^(١) والذي يقول فيه راويه معاوية بن الحكم السلمي : كانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوانية فاطلمت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم . آسف كما يأسفون لكنني صككتها صكة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك علي . قلت : يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال : « اتنى بها » فأتيتها بها . فقال لها : « أين الله » قالت : في السماء . قال : من أنا . قالت : أنت رسول الله . قال : « أعتقها فإنها مؤمنة » . هذا لفظ مسلم .

وروى البخاري^(٢) ومسلم^(٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : ... أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى أربعة نفر ... فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء فقال : « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء » .

وروى البخاري^(٤) ومسلم^(٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول : كيف تركتم عبادي . فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون .

(١) انظره ص : ٨٦/١ .

(٢) في الصحيح ٦٧/٨ .

(٣) في الصحيح ٨٤٢/٢ .

(٤) في الصحيح ٤١٥/١٣ .

(٥) في الصحيح ٤٣٩/١ .

والأحاديث كثيرة جدا ومن أراد الاستزادة فليراجع كتاب إثبات صفة العلو لابن قدامة فقد عقد فصلا بعنوان « ذكر الأحاديث الصحيحة الصريحة في أن الله تعالى في السماء »^(١).

وبعد ذكر بعض الدلائل على علو الله عز وجل بذاته على جميع مخلوقاته من الكتاب والسنة ، أذكر الآن دلالة العقل والفطرة :

أما دلالة العقل فقد ذكر الإمام أحمد في رده على الجهمية أكثر من وجه وتلك الأوجه ذكر نحوها شارح الطحاوية إذ يقول :

أما ثبوته بالعقل فمن وجوه :

أحدهما : العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين ، إما أن يكون أحدهما ساريا في الآخر قائما به كالصفات ، وإما أن يكون قائما بنفسه باثنا من الآخر .

الثاني : أنه لما خلق العالم فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجا عن ذاته ، والأول باطل : أما أولا : فيالافتاق ، وأما ثانيا فلأنه يلزم أن يكون محلا للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . والثاني يقتضى كون العالم واقعا خارج ذاته فيكون منفصلا ، فتعينت المباينة ، لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه - غير معقول .

الثالث : أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضى نفى وجوده بالكلية ، لأنه غير معقول : فيكون موجودا إما داخله وإما خارجه .

والأول باطل ، فتعين الثاني فلزمت المباينة^(٢) .

وأما دلالة الفطرة فيقول - أي شارح الطحاوية - :

وأما ثبوته بالفطرة فإن الخلق جميعا بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى^(٣) . اهـ .

(١) انظره : ٤٥ - ٥٧ وانظر مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٣٧/٥ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٢٥ ، وانظر : مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٥٢/٥ .

(٣) المصدر السابق .

ويقول ابن قدامة المقدسي : إن الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء
ووصفه بذلك رسوله محمد خاتم الأنبياء ، وأجمع على ذلك جميع العلماء من
الصحابة الأتقياء والأئمة الفقهاء وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين
وجمع الله عليه قلوب المسلمين وجعله مغروزا في طباع الخلق أجمعين ، فتراهم
عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم ،
وينتظرون مجيء الفرج من ربهم وينطقون بذلك بألسنتهم ، لا ينكر ذلك إلا
مبتدع غال في بدعته^(١) .

(١) إثبات صفة العلو ص : ٤١ .

قول الإمام أحمد في العرش

(في كتاب السنة له قال) :

٣١٥ - والله عز وجل عرش . وللعرش حملة يحملونه . والله عز وجل على عرشه^(١) .

التعليق :

العرش من أعظم مخلوقات الله جل جلاله . وقد دل عليه الكتاب والسنة . أما الكتاب الكريم فقد ذكر فيه في إحدى وعشرين آية؛ ذكر عز وجل استواءه عليه في سبع منها وهي : ﴿ ثم استوى على العرش يفتشى الليل النهار ﴾^(١) ﴿ ثم استوى على العرش يدبر الأمر ﴾^(٢) ﴿ ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر ﴾^(٣) ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾^(٤) ﴿ ثم استوى على العرش الرحمن فستل به خبيراً ﴾^(٥) ﴿ ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ﴾^(٦) ﴿ ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ﴾^(٧) .^(٨)

وذكره سبحانه وتعالى في أربع عشرة آية وهي :

-
- (١) انظر : كتاب السنة - ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٨ وطبقات الخبالة ٢٩/١ .
 - (٢) سورة الأعراف / ٥٤ .
 - (٣) سورة يونس / ٣ .
 - (٤) سورة الرعد / ٢ .
 - (٥) سورة طه / ٥ .
 - (٦) سورة الفرقان / ٥٩ .
 - (٧) سورة السجدة / ٤ .
 - (٨) سورة الحديد / ٤ .

﴿ عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾^(١) ﴿ وكان عرشه على الماء ليلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾^(٢) ﴿ إذا لا يتغوا إلى ذي العرش سبيلاً ﴾^(٣) ﴿ فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾^(٤) ﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ﴾^(٥) ﴿ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾^(٦) ﴿ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴾^(٧) ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش ﴾^(٨) ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ﴾^(٩) ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش ﴾^(١٠) ﴿ سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون ﴾^(١١) ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾^(١٢) ﴿ إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين ﴾^(١٣) ﴿ وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد ﴾^{(١٤)(٥)}

أما من السنة : فقد روى البخارى^(١٥) وأحمد^(١٦) عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على

(١) سورة التوبة / ١٢٩ .

(٢) سورة هود / ٧ .

(٣) سورة الإسراء / ٤٢ .

(٤) سورة الأنبياء / ٢٢ .

(٥) سورة المؤمنون / ٨٦ .

(٦) سورة المؤمنون / ١١٦ .

(٧) سورة المجل / ٢٦ .

(٨) سورة الزمر / ٧٥ .

(٩) سورة غافر / ٧ .

(١٠) سورة غافر / ١٥ .

(١١) سورة الزخرف / ٨٢ .

(١٢) سورة الحاقة / ١٧ .

(١٣) سورة التکویر / ٢٠ .

(١٤) سورة البروج / ١٥ .

(٥) المصدر في حصر هذه المواضع : « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » وضع : محمد فؤاد عبد الباقي .

(١٥) في الصحيح ٢٨٦/٦ .

(١٦) في المسند ٤٣١/٤ - ٤٣٢ .

الماء وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض » . واللفظ للبخارى .

وروى مسلم^(١) عن ابن عباس عن جويرية أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى ، وهي جالسة فقال : « ... لقد قلت بعدك أربع كلمات ، ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » .

وروى البخارى^(٢) عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ... إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألت الله فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة » .

وروى البخارى^(٣) ومسلم^(٤) عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ... الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبل أم جوزى بصعقة الطور » . واللفظ للبخارى .

وأخرجاه^(٥) أيضاً من حديث أبى هريرة وفيه : « فإذا موسى باطش جنب العرش » .

وفي رواية : « فإذا موسى آخذ بالعرش » .

وروى البخارى^(٦) ومسلم^(٧) عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه

(١) في الصحيح ٢٠٩٠/٤ .

(٢) في الصحيح ١١/٦ ، ٤٠٤/١٣ .

(٣) في الصحيح ٧٠/٥ و ٤٣/٦ و ٢٦٣/١٢ و ٤٠٥/١٣ .

(٤) في الصحيح ١٨٤٥/٤ .

(٥) أى البخارى في الصحيح ٧٠/٥ و ٤٤١/٦ ، ٤٥٠ ، ومسلم في الصحيح ١٨٤٣/٤ .

(٦) في الصحيح ٢٨٧/٦ .

(٧) في الصحيح ٢١٠٧/٤ .

وسلم قال : « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضبي » .

وروى البخارى^(١) ومسلم^(٢) عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : عند الكرب : « لا إله إلا الله العليم الخليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم » . فهل يسوغ لأحد بعد هذا أن ينكره أو يؤوله إلا أن يكون مبتدعا ضالا زائعا عن الحق .

يقول ابن أبى زمنين : ومن قول أهل السنة إن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء^(٣) .

ويقول الدارمى : وما ظننا أن نضطر إلى الاحتجاج على أحد ممن يدعى الإسلام في إثبات العرش والإيمان به ، حتى ابتلينا بهذه العصابة الملعونة في آيات الله^(٤) . اه .

وقد أخبر الله جل وعلا أنه قد خلقه قبل خلق السموات والأرض قال تعالى : ﴿ وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ﴾ وقد مر بنا حديث عمران بن حصين أنه صلى الله عليه وسلم قال : « كان الله ولم يكن شئ غيرَه وكان عرشه على الماء ... الحديث » .

والآيات تدل أيضا على أن استواءه عليه كان بعد خلق السموات والأرض قال تعالى : ﴿ إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ .

يقول شارح الطحاوية معلقا على قول الطحاوى : « وهو مستغن عن العرش ومادونه » - ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش

(١) فى الصحيح ٤٠٤/١٣ .

(٢) فى الصحيح ٢٠٩٢/٤ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٥٤/٥ .

(٤) الرد على الجهمية - ضمن عقائد السلف - ص : ٢٦٣ .

ليبين أن خلقه العرش لاستوائه عليه ، ليس لحاجته إليه ، بل له في ذلك حكمة اقتضته ، وكون العالی فوق السافل ، لا يلزم أن يكون السافل حاويا للعالی محیطا به حاملا له ، ولا أن يكون الأعلى مفتقرا إليه . فانظر إلى السماء كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها ؟ فالرب تعالى أعظم شأنًا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك ، بل لو ازم علوه من خصائصه ، وهي حملة بقدرته للسافل ، وفقر السافل وغناه هو سبحانه عن السافل ، وإحاطته عز وجل ، فهو فوق العرش مع حملة بقدرته للعرش وحملة وغناه عن العرش وفقر العرش إليه ^(١) . اه .

والعرش في اللغة : سرير الملك . قال الله تعالى في خبر بلقيس : ﴿ ولها عرش عظيم ﴾ .

قال شارح الطحاوية : وليس هو فلکاً ^(٢) ولا تفهم منه العرب ذلك والقرآن إنما نزل بلغة العرب ^(٣) . اه .

وقال البيهقي : وأقوي أهل التفسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم مجسم ^(٤) . اه .

وروى عن ابن عباس أنه قال : يسمى عرشا لارتفاعه .

قال ابن تيمية : والاشتقاق يشهد لهذا كقوله تعالى : ﴿ وما كانوا يعرشون ﴾ وقوله : ﴿ معروشات وغير معروشات ﴾ ... ومقعد الملك يكون أعلى من غيره . فهذا بالنسبة إلى غيره عال عليه وبالنسبة إلى ما فوقه هو دونه . وفي الصحيحين : « إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة وسقفه عرش الرحمن » .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣١٣ .

(٢) وقد فصل ابن تيمية هذه المسألة عندما سئل : ما تقول في العرش . هل هو كرى أم لا انظر :

مجموع الفتاوى ٥٤٥/٦ - ٥٨٣ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣١١ .

(٤) الأسماء والصفات : ٤٩٧ .

فدل على أن العرش أعلى المخلوقات^(١) .

بعد هذا العرض للآيات والأحاديث الدالة على أن الله عز وجل خلق العرش - وهو أعظم مخلوقاته - ثم استوى عليه كيف شاء يأتي المبتدعة والمتفلسفة ويحاولون أن يخرجوا بالنصوص عن ظواهرها وحقائقها إلى معان لا يمكن أن تحملها ومن ذلك تأويلهم للعرش على أنه يراد به : « معنى الملك » .

يقول عبد الجبار بن أحمد - المعتزلي - بعد أن ذكر هذا : وذلك ظاهر في اللغة يقال : ثل عرش بنى فلان . أى زال ملكهم وفيه يقول الشاعر :

إذا ما بنو مروان ثلت عروشهم وأودت كما أودت إباد وحمير^(٢)

يقول شارح الطحاوية : وأما من حرف كلام الله وجعل العرش عبارة عن الملك كيف يصنع بقوله تعالى : ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ وقوله : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ أيقول : ويحمل ملكه يومئذ ثمانية . وكان ملكه على الماء ويكون موسى عليه السلام آخذاً بقائمة من قوائم الملك هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول^(٣) .

(١) مجموعة الفتاوى ٤٠٢/١٦ .

(٢) شرح الأصول الخمسة ص : ٢٢٦ ، وانظر : الكشاف للزمخشري ٥٢/٣ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣١٢ .

قول الإمام أحمد في صفة الاستواء

في كتاب السنة له قال :

٣١٦ - والله عز وجل على العرش .

وهو على العرش فوق السماء السابعة^(١) .

وفي رسالة الإصطخرى :

٣١٧ - والله عز وجل على عرشه ليس حد والله أعلم بحده^(٢) .

قال القاضي أبو يعلى الفراء :

٣١٨ - قال - أى أحمد - في رواية حنبل بن إسحاق : نحن نؤمن

بأن الله على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف أو يحده أحد^(٣) .

٣١٩ - ونقل ابن القيم من رواية طويلة لحنبل بن إسحاق عن كتاب

السنة للخلال وفيها قول الإمام أحمد : « وهو على العرش بلا حد كما قال : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ كيف شاء^(٤) » .

قال أبو يعلى بعد ذكره لهذه الرواية في موضع آخر :

فقد نص على نفى الحد وأوماً إليه في رواية يعقوب بن العباس

الهاشمي^(٥) .

(١) انظر : شذرات البلاتين ، ص : ٤٨ .

(٢) انظر : طبقات الحنابلة : ٢٩/١ .

(٣) إبطال التأويلات لأخبار الصفات (ق : ٢١٣/ب) . وهذه الرواية ذكرها ابن تيمية وأوضح مصدرها وهو كتاب السنة للخلال .

انظر مجموع الفتاوى : ٤٩٦/٥ . وقد وجدتها بعد عند الخلال (ق : ١٥٧/أ) بلفظ مقارب .

(٤) انظر الرواية بأكملها ص : ٢٧٧ من هذا البحث وهي في اجتماع الجيوش الإسلامية ، ص : ٨٣ .

(٥) قال عنه أبو بكر الخلال : عنده عن أبي عبد الله مسائل صالحة ، حسان مشبعة . سأل عنها أبا عبد

الله . طبقات الحنابلة ٤١٦/١ .

٣٢٠ - وقد سئل عن قول ابن المبارك : ربنا على العرش بحد^(١) ما معنى الحد ؟ قال : لا أعرفه والأحاديث بغير تحديد ولا تكييف .

٣٢١ - ونقل الأثر^(٢) أنه قيل له : يحكى عن ابن المبارك أنه قال : ربنا على العرش^(٣) بحد فقال أحمد : هكذا هو عندنا^(٤) .

٣٢٢ - ونقل المروذى أنه ذكر له قول ابن المبارك : نعرف الله على العرش بحد . فقال أحمد : بلغنى ذلك ، وأعجبه^(٤) .

التعليق :

تقدم الكلام عن العرش وذكر الآيات الدالة عليه وأن الله سبحانه وتعالى ذكر في سبع منها استواءه عليه .

والقول : بأن الله عز وجل مستو على العرش بذاته حقيقة استواء يليق بجلاله لا على معنى القعود والمماسمة وإنما على معنى العلو والارتفاع والبيوتة من الخلق هو : مذهب السلف .

وما تقدم ذكره من الآيات والأحاديث في : العلو ، والعرش . دلائل واضحة على صحة هذا الاعتقاد .

وأيضاً : روى أبو بكر الخلال في : « السنة » عن قتادة بن النعمان أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه » .

-
- (١) انظر : الأسماء والصفات للبيهقي ص : ٤٢٧ ، والسنة لعبد الله بن أحمد ص : ١٣ .
(٢) هو : أحمد بن محمد بن هاني ، أبو بكر الأثرم . ثقة . من كبار أصحاب الإمام أحمد . انظر : ط/الحنابلة ١٢/١ وهذه الرواية في طبقات الحنابلة ٢٦٧/١ عن الأثرم : قال حدثني محمد بن إبراهيم القيسي قال : قلت لأحمد : يحكى عن ابن المبارك ... والقيسي : قال عنه ابن أبي يعلى : نقل عن الإمام أحمد أشياء . وذكر له هذه الرواية فقط .
(٣) الروايتان والوجهان لأنى يعلى (ق : ٢٤٩ / أ) .
(٤) إبطال التأويلات (ق : ٢١٣ / أ) .

قال الذهبي : رواه ثقات^(١) .

قال الدارمي : « فإله تبارك وتعالى فوق عرشه فوق سماواته ، بائن من خلقه ، فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه ، الذي يعبد وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه وأدناهم واحد لا يعبد عنه شيء ﴿ لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾ »^(٢) .

سبحانه وتعالى عما يصفه المعطلون علوا كبيرا^(٣) .

ويقول الحافظ الصابوني : ويعتقد أهل الحديث ويشهدون أن الله سبحانه وتعالى فوق سماواته على عرشه كما (أخير) به في كتابه ، يثبتون من ذلك ما أثبتته الله تعالى ويؤمنون به ويصدقون الرب جل جلاله في خبره ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه على العرش^(٤) . اهـ .

وقد مر بنا قول مالك عندما سئل عن الاستواء .

وكذا روى عن ربيعة الرأي - لما سئل عن قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله تعالى الرسالة وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم البلاغ وعلينا التصديق^(٥) . اهـ .

ومجمل الروايات عن أحمد تفيد إثبات هذه الصفة إثباتا مطلقا .

يقول القاضي أبو يعلى ابن الفراء :

«... ذكر أبو الحسن التميمي^(٦) أن هذا الاستواء لا بمعنى المماس للعرش... وما ذكره أبو الحسن التميمي أصح . وهو أشبه بكلام أحمد لأن من نقل عن أحمد نقل الاستواء مطلقا من غير ذكر مماسة ، ولأن هذا مذهبه في

(١) انظر : العلو للذهبي ص : ٥٢ .

(٢) سورة سبأ / ٣ .

(٣) الرد على الجهمية ص : ٢٧١ ضمن عقائد السلف .

(٤) انظر : عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص : ١٠٩ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية .

(٥) انظر : العلو للذهبي ص : ٩٨ واجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٧٥ .

(٦) هو عبد العزيز بن الحارث ، صنف في الأصول والفروع والفرائض ، توفي سنة إحدى وسبعين وثلاث

مئة . انظر : ت/ بغداد / ١٠ / ٤٦١ ، والبداية والنهاية ١١ / ٢٩٨ ، وطبقات الخنابلة ٢ / ١١٩ .

الصفات وأنها تمر كما جاءت . والذي ورد في القرآن والأخبار الاستواء مطلقا فيجب أن يحمل على ذلك الإطلاق^(١). اهـ .

وبعد هذا الإيضاح الموجز لمذهب السلف في الاستواء . أتطرق الآن إلى المعطلة الذين أنكروا أن يكون الله جل وعلا مستويا على عرشه بذاته حقيقة وسأورد بعض ادعاءاتهم ليتضح بطلانها . فأقول وبالله التوفيق .

إن أول من أنكّر الاستواء وأوله بالاستيلاء هو : الجعد بن درهم .

يقول ابن تيمية : إن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام - أعنى أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة وأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك - هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان ، وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه^(٢) .

ويقول ابن القيم مفندا هذا الادعاء وغيره :

«... في قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ في سبع آيات من القرآن حقيقة عند جميع فرق الأمة إلا الجهمية ومن وافقهم^(٣) فإنهم قالوا : هو مجاز ثم اختلفوا في مجازه والمشهور عنهم ما حكاه الأشعري عنهم^(٤) وبدعهم وضللهم فيه بمعنى استولى أى ملك وقهر وقالت فرقة منهم : بل معنى قصد وأقبل على خلق العرش . وقالت فرقة أخرى : بل هو مجمل في مجازاته يحتمل خمسة عشر وجها كلها لا يعلم أيها المراد إلا أنا نعلم انتفاء الحقيقة عنه بالعقل .

هذا الذى قالوا باطل من اثنين وأربعين وجها :

(١) الروايات والوجهان (ق : ٢٤٩/أ) وانظر ما بعدها . وكذا انظر : إبطال التأويلات (ق :

٢١٣ - ٢١٤) (ق : ٢٤٣ - ٢٤٤) .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/٥ .

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة ص : ٢٢٦ ، والأسماء والصفات للبيهقي ص : ٤١٠-٤١٢ ، والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني ، إحياء علوم الدين للغزالي ١٠٨/١ ، مشكل الحديث لابن فورك ص : ١٤٦ ، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٨٦/٥ .

(٤) انظر : الإبانة عن أصول الدبابة ص : ٤٨ - ٤٩ .

أحدها : أن لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان : مطلق ومقيد .

فالمطلق : ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله : ﴿ ولما بلغ أشده واستوى ﴾^(١) وهذا معناه كمل وتم ، يقال : استوى النبات واستوى الطعام .
والمقيد : فثلاثة أضراب :

أحدها : مقيد بإلى كقوله : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾^(٢) واستوى فلان على السطح وإلى الغرفة . وقد ذكر سبحانه هذا المعنى بإلى في موضعين في كتابه في (سورة) البقرة في قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء ﴾^(٣) .

والثاني : في سورة فصلت^(٤) ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ . وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف .

والثاني : مقيد بعلى كقوله تعالى : ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾^(٥) وقوله ﴿ واستوت على الجودي ﴾^(٦) وقوله ﴿ فاستوى على سوقه ﴾^(٧) وهذا أيضا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة .

الثالث : المقرون بواو مع التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها .

(١) سورة القصص / ١٤ .

(٢) سورة فصلت / ١١ .

(٣) آية / ٢٩ .

(٤) في الأصل : السجدة والصواب ما أثبت . ورقم الآية / ١١ .

(٥) سورة الزخرف / ١٣ .

(٦) سورة هود / ٤٤ .

(٧) سورة الفتح / ٢٩ .

وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم ليس فيها معنى استولى البتة ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم ، وإنما قاله متأخرو النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية^(١) . اهـ .

واستواء الله على عرشه الوارد في الآيات جاء مقيدا « بعلى » فلا يصح إلا أن يكون على معنى العلو أو الارتفاع^(٢) .

ثم إنه ظهر مقابل هؤلاء النفاة : المشبهة كالكرامية الذين غلوا في الإثبات وقالوا : إن الله عز وجل مماس للعرش^(٣) .

يقول ابن تيمية : فإنه إذا قال القائل : لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا . وكل ذلك من المحال ونحو ذلك من الكلام : فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأى جسم كان على أى جسم كان ، وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم . أما استواء يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها ، كما يلزم من سائر الأجسام .

وقوله : إذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير أو الفلك ، إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا فإن كليهما مثل وكليهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه .

وامتاز الأول : بتعطيل كل اسم للاستواء الحقيقي .

وامتاز الثاني : بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين .

(١) هذا أحد الأوجه الاثنتين والأربعين . انظرها جميعا في مختصر الصواعق المرسله ١٢٦/٢ - ١٥٢ ، وانظر في نقض هذا الادعاء أيضا : الإبانة للأشعري ص : ٤٨ - ٤٩ ، والأسماء والصفات للبيهقي ص : ٤١٢ .

(٢) وبهذا نسر السلف الاستواء . انظر : فتح الباري ٤٠٣/١٣ ، وغاية الأمان في الرد على النبهاني ٤٦٠/١ ، والإنتقان للسيوطي ٧٠٦/٢ .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين ٢٨٤/١ - ٢٨٥ ، الفرق بين الفرق للبغدادي ص : ٢١٥ .

والقول الفاصل : هو ما عليه الأمة الوسط : من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ، ويختص به فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير ، وأنه سميع بصير ونحو ذلك^(١) .

قول الإمام أحمد في صفة النزول

قال القاضي أبو يعلى بن الفراء :

٣٢٣ - - في رواية ابن منصور^(٢) وقد سأله : ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة حين يبقى ثلث الآخر إلى السماء الدنيا . أليس تقول بهذا الحديث . قال أحمد : صحيح .

٣٢٤ - وقال أحمد بن الحسين بن حسان^(٣) : قيل لأبي عبد الله إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة . قال : نعم . قيل له : وفي شعبان كما جاء الأثر . قال : نعم .

٣٢٥ - وقال يوسف بن موسى^(٤) : قيل لأبي عبد الله : إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء من غير وصف . قال : نعم .

٣٢٦ - وقال حنبل : قلت لأبي عبد الله ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا قال : نعم . قلت : نزوله بعلمه أم بماذا فقال : اسكت عن هذا وغضب وقال : مالك ولهذا أمض الحديث على ما روى^(٥) . اه .

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/٥ - ٢٨ .

(٢) إسحاق بن منصور الكوسج .

(٣) قال أبو بكر الخلال : رجل جليل روى عن أبي عبد الله مسائل حسان جدا . وقال الخطيب : ثقة مشهور . ت/بغداد ٨٠/٤ ، وطبقات الخنابلة ٣٩/١ .

(٤) القطان . تقدم ص : ٣٢٨ .

(٥) إبطال التأويلات (ق : ١٣٤/ب - ق : ١٣٥/أ) ورواية الكوسج أخرجها الأجرى في الشريعة ص : ٣١٥ .

وفي كتاب السنة للإمام أحمد قال :

٣٢٧ - وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾^(١)^(٢).

التعليق :

أحاديث النزول صحاح فقد روى البخارى^(٣) ومسلم^(٤) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفر فأغفر له » .

وفي بعض الروايات : حين يمضى ثلث الليل الأول، وفي أخرى: إذ مضى شطر الليل أو ثلثاه .

قال الترمذى : بعد أن ذكر رواية أبى هريرة . « حين يمضى ثلث الليل الأول » .

وفي الباب عن على بن أبى طالب وأبى سعيد ورفاعة الجهنى وجبير بن مطعم وابن مسعود وأبى الدرداء وعثمان بن أبى العاص^(٥) .

وحديث أبى هريرة حديث حسن صحيح .

وقد روى هذا الحديث من أوجه كثيرة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه أنه قال : « ينزل الله عز وجل حين يبقى ثلث الليل الآخر » وهو أصح الروايات^(٦) . اهـ .

(١) سورة الشورى / ١١ .

(٢) شذرات اللاتين ص : ٤٩ وكذا عند الإصطخرى . انظر طبقات الحنابلة ٢٩/١ .

(٣) في الصحيح ٢٩/٣ .

(٤) في الصحيح ٥٢١/١ .

(٥) انظر : أحاديث النزول عن الصحابة المشار إليهم وغيرهم في كتاب النزول للدارقطنى من

ص : ٨٩ - ١٥٤ .

(٦) سنن الترمذى ٣٠٧/٢ - ٣٠٩ .

ويقول ابن تيمية : والنزول المذكور في الحديث النبوي على قائله أفضل الصلاة والسلام الذي اتفق عليه الشيخان : البخارى ومسلم واتفق علماء الحديث على صحته هو : « إذا بقى ثلث الليل الآخر » . وأما رواية النصف والثلثين فانفرد بهما مسلم في بعض طرقه وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية جماعة كثيرة من الصحابة ... فهو حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث والذي لا شك فيه : « إذا بقى ثلث الليل الآخر » . فإن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر النزول أيضا إذا مضى ثلث الليل الأول وإذا انتصف الليل فقوله حق وهو الصادق المصدوق ويكون النزول أنواعا ثلاثة الأول إذا مضى ثلث الليل ثم إذا انتصف وهو أبلغ ثم إذا بقى ثلث الليل وهو أبلغ الأنواع الثلاثة^(١) . اهـ .

قلت : والإجماع منعقد على أن أصح الروايات هي رواية الثلث الأخير كما ذكر ابن تيمية .

وقد ذكر بعض العلماء أوجها للجمع بين هذه الروايات^(٢) .
أما النزول في النصف من شعبان : فقد روى عن عدة من الصحابة من ذلك :

ما رواه ابن أبى عاصم^(٣) والدارقطنى^(٤) :
عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل الله تبارك وتعالى ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لكل نفس إلا إنسان في قلبه شحناء أو مشرك بالله عز وجل » .

قال الألبانى : حديث صحيح ، وإسناده ضعيف بعين الملك بن عبد الملك والمصعب بن أبى ذئب لا يعرفان كما في الجرح والتعديل^(٥) .

-
- (١) شرح حديث النزول ص : ١٠٢ - ١٠٣ .
(٢) انظر : مختصر الصواعق المرسله لابن القيم ٢/٢٣٢ ، ومسلم بشرح النووي وفتح البارى ٣/٣١ .
(٣) في السنة ١/٢٥٢ .
(٤) في النزول ص : ١٥٦ - ١٥٧ .
(٥) ٣٠٧ - ٣٠٦/١/٤ .

بل قال البخارى فى الأول منهما : فى حديثه نظر . يعنى هذا كما فى الميزان .
فقول المنذرى لا بأس بإسناده . فيه تساهل ظاهر . ومثله الهيثمى^(١) .

وعبد الملك بن عبد الملك ذكره ابن أئى حاتم فى الجرح والتعديل ولم يضعفه
وبقية رجاله ثقات ... وإنما صححت الحديث لأنه روى عن جمع من الصحابة
بلغ عددهم عندى الثمانية ... وقد خرجت أحاديثهم فى الصحيحة^(٢) : اه .

قلت : وقد رواه الدارقطنى فى كتاب « النزول » عن ستة من الصحابة
وهم : أبو بكر الصديق ومعاذ بن جبل وأبو ثعلبة الخشنى وكثير بن مرة الحضرمى
وعائشة وأبو موسى الأشعرى^(٤) .

والأحاديث بصفة عامة صريحة فى إثبات النزول . وقد أوله البعض ورأى
آخرون أنه من المتشابه الذى يجب السكوت عنه . والحق إثباته وفق الحديث .
والله تعالى أعلم .

(١) فى مجمع الزوائد ٦٥/٨ ..

(٢) برقم ١١٤٤ .

(٣) انظر : السنة لابن أبى عاصم ٢٢٣/١ .

(٤) انظر : النزول للدارقطنى من ص : ١٥٥ - ١٧٣ وقد جمع الروايات فى هذه المسألة الشيخ حماد
ابن محمد الأنصارى فى رسالة أسماها : إسعاف الخلان بما ورد فى ليلة النصف من شعبان ومضى
مطبوعة .

قول الإمام أحمد في صفة الإتيان والحجىء

قال أبو يعلى بن الفراء :

٣٢٨ - وقد قال أحمد في رواية أبي طالب : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴾^(١) . ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾^(٢) . فمن قال : إن الله لا يرى فقد كفر . وظاهر هذا أن أحمد أثبت حجىء ذاته لأنه احتج بذلك على جواز رؤيته وإنما يحتج بذلك على جواز رؤيته إذا كان الإتيان والحجىء مضافا إلى الذات^(٣) .

التعليق :

روى البخارى^(٤) ومسلم^(٥) من حديث أبى سعيد الخدرى - وغيره - في حديث الرؤية : « ... قال : فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التى رأوه فيها أول مرة . فيقول : أنا ربكم . فيقولون أنت ربنا ... » الحديث واللفظ للبخارى .

وذكر أبو يعلى أن رواية أبى طالب تدل على إثبات أحمد للإتيان والحجىء . اهـ .

ولكن قد يقال : ليس في هذه الرواية نص عن أبى عبد الله في إثبات الإتيان والحجىء .

(١) سورة البقرة / ٢١٠ .

(٢) سورة الفجر / ٢٢ .

(٣) إيصال التأويلات (ق : ٨٤) .

(٤) في الصحيح : ٤٣١/١٣ .

(٥) في الصحيح : ١٦٧/١ .

والجواب :

أن مذهب الإمام أحمد في الصفات بصورة عامة : إثبات ما أثبتته الله عز وجل لنفسه ، أو ما أثبتته له نبيه صلى الله عليه وسلم - كما مر بنا في : « قول الإمام أحمد في الصفات »^(١) - وهذه الصفة ثابتة بالكتاب والسنة . وقد أول البعض هذه الصفة . وقالوا في قول الله تعالى : ﴿ يوم يأتي ربك ﴾ أى : أمره . ﴿ وجاء ربك ﴾ أى : قدرته . وذكروا أن هذا هو مذهب الإمام أحمد . متمسكين بما جاء في رواية حنبل بن إسحاق : « أنهم لما احتجوا عليه في المحنة بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « تحيء البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو غيايتان ، أو فرقان من طير صواف »^(٢) ، وقالوا له : لا يوصف بالإتيان والمجيء إلا مخلوق . فعارضهم أحمد بأن المراد به مجيء ثواب البقرة وآل عمران ... ثم عارضهم بقوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ﴾ قال : قيل : إنما يأتي أمره^(٣) .

قال ابن تيمية : هكذا نقل حنبل ، ولم ينقل هذا غيره ممن نقل مناظرته في المحنة كعبد الله بن أحمد وصالح بن أحمد والمروذى وغيره^(٤) .

يقول ابن القيم معلقا على هذه الرواية :

اختلف فيها أصحابه على ثلاث طرق :

أحدها : أنها غلط عليه^(٥) فإن حنبل تفرد بها عنه وهو كثير المفاريد المخالفة للمشهور من مذهبه . وإذا تفرد بما يخالف المشهور عنه فالخلال وصاحبه عبد العزيز لا يثبتون ذلك رواية . وأبو عبد الله بن حامد وغيره يثبتون ذلك

(١) انظر : ص : ٢٨٩ .

(٢) تقدم تحريجه . انظر ص : ٢١٨ .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٣٩٨/٥ - ٣٩٩ ، وانظر : الأسماء والصفات للبيهقي والروائين والوجهين لأبي يعلى (ق : ٢٤٩ ب - ٢٥٠ أ) ، والفصل في الملل لابن حزم : ١٧٣/٢ ، والبداية والنهاية : ٣١٧/١٠ .

(٤) مجموع الفتاوى ٣٩٩/٥ .

(٥) قال أبو إسحاق بن شاقلا : هذا غلط من حنبل لاشك فيه . إبطال التأويلات (ق : ٨٢ ب)

رواية والتحقيق أنها رواية شاذة مخالفة لجادة مذهبه هذا إذا كان ذلك من مسائل الفروع فكيف في هذه المسألة .

وقالت طائفة أخرى : بل ضبط حنبلي ما نقله وحفظه . ثم اختلفوا في تخريج هذا النص فقالت طائفة منهم : إنما قاله أحمد على سبيل المعارضة لهم . فإن القوم كانوا يتأولون في القرآن من الإتيان والمجئء بمجئء أمره سبحانه . ولم يكن في ذلك ما يدل على أن من نسب إليه المجئء والإتيان مخلوق فكذلك وصف الله سبحانه كلامه بالإتيان والمجئء هو مثل وصفه نفسه بذلك فلا يدل على أن كلامه مخلوق بحمل مجئء القرآن على مجئء ثوابه كما حملتم مجئءه سبحانه وإتيانه على مجئء أمره وبأسه . فأحمد ذكر ذلك على وجه المعارضة والإلزام لخصومه بما يعتقدونه في نظير ما احتجوا به عليه لا أنه يعتقد ذلك والمعارضة لا تستلزم اعتقاد المعارض صحة ما عارض به .

وقالت طائفة أخرى : بل ثبت عن أحمد بمثل هذا رواية في تأويل المجئء والإتيان ونظائر ذلك من أنواع الحركة . ثم اختلفوا في ذلك . فمنهم من قصد التأويل على هذا النوع خاصة وجعل فيه روايتين ومنهم من حكى روايتين في باب الصفات الخبرية بالنقل والتخريج^(١) .

والرواية المشهورة من مذهبه ترك التأويل في الجميع . حتى إن حنبلا نفسه ممن نقل عنه ترك التأويل صريحا . فإنه لما سأله عن تفسير النزول هل هو أمره أم ماذا نهاه عنه .

(١) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٩٩/٥ ، ٤٠٠ ، ١٥٦/٦ .

وطريقة القاضي^(١) وابن الزاغوني^(٢) تخصيص الروايتين بتأويل النزول ونوعه^(٣) وطريقة ابن عقيل^(٤) تعميم الروايتين لكل ما يمنع عندهم إرادة ظاهرة^(٥).

وطريقة الخلال وقدماء الأصحاب : امتناع التأويل في الكل^(٦) وهذه رواية إما شاذة أو أنه رجع عنها كما هو صريح عنه في أكثر الروايات وإما أنها إلزام منه ومعارضة لا مذهب وهذا الاختلاف وقع نظيره في مذهب مالك^(٧) فإن المشهور عنه وعن أئمة السلف إقرار نصوص الصفات والمنع من تأويلها وقد روى عنه أنه تأول قوله : « ينزل ربنا » بمعنى نزول أمره وهذه الرواية لها إسنادان :

أحدهما : من طريق حبيب كاتبه وحبيب هذا غير حبيب ... بل هو كذاب وضاع باتفاق أهل الجرح والتعديل ولم يعتمد أحد من العلماء على نقله^(٨).

والإسناد الثاني : فيه مجهول لا يعرف حاله فمن أصحابه من أثبت هذه الرواية ومنهم من لم يثبتها . لأن المشاهير من أصحابه لم ينقلوا عنه شيئا من ذلك^(٩).

- (١) أبو يعلى ابن الفراء .
- (٢) هو : علي بن عبيد الله من شيوخ الحنابلة ، مصنف ، توفى سنة سبع وعشرين وخمسة مئة . انظر : المنتظم ٣٢/١٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٩/٦٠٥ .
- (٣) انظر : مجموع الفتاوى ٤٠١/٥ ، ١٥٦/٦ .
- (٤) علي بن عقيل الظفري ، المقرئ ، الفقيه الأصولي ، الراجز ، المتكلم ، أبو الرفاء ، أخذ الأعلام . توفى ، سنة خمس مئة وثلاث عشرة . انظر ترجمته في : البداية والنهاية ١٢/١٨٤ ، والمنتظم ٩/٢١٢ وشذرات الذهب ٥٣/٤ ، وذيل طبقات الحنابلة ١/١٤٢ ، والمنتخب لأحمد ٢/٢٥٢ .
- (٥) انظر : مجموع الفتاوى ٣٩٧/٥ ، ١٥٦/٦ .
- (٦) وانظر المصدر السابق : ٣٩٨/٥ .
- (٧) وانظر المصدر السابق : ٣٩٧/٥ ، ٤٠٢ .
- (٨) قال ابن حجر : حبيب بن أبي حبيب المصري ، كاتب مالك ، متروك كذبه أبو داود وجماعة . توفى سنة ثمان عشرة ومئتين . تقريب ١/١٤٩ .
- (٩) مختصر الصواعق المرسله ٢/٢٦٠ - ٢٦١ .

يقول ابن تيمية : ولا ريب أن المنقول عن أحمد يناقض هذه الرواية ويبين أنه لا يقول : إن الرب يحيى ويأق ويُنزل أمره بل هو ينكر على من يقول ذلك^(١) .

ويقول أيضا : والصواب أن جميع هذه التأويلات مبتدعة لم يقل أحد من الصحابة شيئا منها . ولا أحد من التابعين لهم بإحسان وهي خلاف المعروف المتواتر عن أئمة السنة والحديث أحمد بن حنبل . وغيره من أئمة السنة^(٢) . اهـ .
وقد بين ابن القيم بطلان هذه التأويلات من عشرة أوجه^(٣) .

قول الإمام أحمد في الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن الله خلق آدم على صورته

ذكر أبو بكر الخلال في كتاب السنة :

٣٢٩ - عن إسحاق الكوسج أنه قال لأحمد : « لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورته » أليس تقول بهذه الأحاديث . قال أحمد : صحيح . وقال ابن راهويه : صحيح ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي^(٤) .

٣٣٠ - وذكر أيضا عن يعقوب بن يحنان أن أبا عبد الله أحمد بن حنبل سئل عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم على صورته فقال : لا تفسره ما لنا أن نفسره كما جاء الحديث^(٥) .

(١) مجموع الفتاوى ٤٠١/٥ ، وانظر : ١٥٦/٦ .

(٢) شرح حديث النزول ص : ٦٢ .

(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسله ١٠٦/٢ - ١٠٩ .

(٤) أخرجه ابن بطلة في الإبانة الكبرى (ق : ٢٠١) .

ونقلها القاضي أبو يعلى بن الفراء في إبطال التأويلات (ق : ٤٨ / ١) وابن حجر في فتح الباري ١٨٣/٥ .

(٥) نقلها القاضي في إبطال التأويلات (ق : ٤٨ / ١) .

٣٣١ - وأنا أبو بكر المروزي قال : قلت لأبي عبد الله كيف تقول في حديث النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم على صورته . قال : الأعمش يقول عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر^(١) قال : وقد رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم على صورته فنقول كما جاء الحديث .

٣٣٢ - قال : وسمعت أبا عبد الله يقول : لقد سمعت الحميدى^(٢) يحضره شيطان بن عيينة فذكر هذا الحديث خلق الله على صورته فقال : من لا يقول بهذا فهو كذا وكذا يعنى من الشتم وسفیان ساكت لا يرد عليه شيئاً .

٣٣٣ - قال المروزي : أظن أنى ذكرت لأبي عبد الله عن بعض المحدثين بالبصرة أنه قال قول النبي صلى الله عليه وسلم : خلق الله آدم على صورته . قال : على صورة الطين . قال : هذا جهمى . وقال : نسلم الخير كما جاء^(٣) .

٣٣٤ - وعن أبي الطالب قال : سمعت أبا عبد الله يعنى أحمد بن حنبل يقول : من قال إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمى وأى صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه^(٤) .

٣٣٥ - وأنا أبو بكر المروزي : قال : سمعت أبا عبد الله قيل له : أى شيء أنكروا على بشر بن السرى^(٥) وأى شيء كانت قصته بمكة . قال : تكلم بشيء من كلام الجهمية فقال : إن قوماً يحدون . قيل له : التشبيه فأوماً برأسه

(١) راجع إبطال التأويلات (ق : ٥٦ ، ٦٠) .

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشى ، ثقة حافظ فقيه ، من أجل أصحاب ابن عيينة توفى سنة ٩١٢ هـ . تقريب ١٥/١ .

(٣) أخرجه ابن بطة في الكبرى (ق : ٢٠١) .

(٤) أخرجه ابن بطة في الكبرى (ق : ٢٠١) ونقلها القاضى أبو يعلى في إبطال التأويلات (ق : ١/٤٨) .

(٥) أبو عمرو الأوفى ، بصرى سكن مكة ، وكان واعظاً ، ثقة متقن ، طعن فيه برأى جهم ، ثم اعتذر وتاب . توفى سنة خمس أو ست وتسعين ومئة . تقريب ٩٩/١ .

نعم . فقال : فقام به مؤمل حتى جلس فتكلم ابن عيينة في أمره حتى أخرج وأراه كان صاحب كلام^(١) .

قال القاضي أبو يعلى بن الفراء :

٣٣٦ - وقد ذكر عبد الرحمن بن منده^(٢) في كتاب الإسلام فقال : قال أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فراس^(٣) في كتابه عن حمدان بن علي^(٤) قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : وسأله رجل فقال : يا أبا عبد الله الحديث الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله خلق آدم على صورته » على صورة آدم قال : فقال أحمد بن حنبل : فأين الذي يروى : عن النبي (صلى الله عليه وسلم) إن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن عز وجل وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلق^(٥) .

٣٣٧ - قال : وأنا علي بن يحيى بن جعفر الإمام^(٦) قال : أنا الطبراني^(٧) قال : سمعت عبد الله بن أحمد يقول : قال رجل لأبي أن فلانا يقول في حديث رسول الله : إن الله خلق آدم على صورته فقال : على صورة الرجل . قال أبي : كذب هذا قول الجهمية وأي فائدة في هذا .

٣٣٨ - قال : وروى إسماعيل بن أحمد بن أسعد^(٨) في كتاب السنة عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كنا بالبصرة عند شيخ فحدثنا بحديث النبي :

(١) هذه الروايات ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية نقلا عن كتاب السنة . انظر : نقض أساس التقدیس ٢٢١/٣ .

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده ، محدث مصنف ، توفي سنة سبعين وأربع مئة . انظر : سير أعلام النبلاء : ٣٤٩/١٨ .

(٣) الوراق .

(٤) انظر رواية محمد بن عوف الطائي . طبقات الخنابلة ٣٣/١ .

(٥) ابن عبد كويه ، محدث ثقة ، توفي سنة الثنتين وعشرين وأربع مئة . سير أعلام النبلاء ٤٧٨/١٧ .

(٦) الحافظ الثقة ، أبو القاسم سليمان بن أحمد ، صاحب المعاجم الثلاثة . توفي سنة ستين وثلاث مئة . سير أعلام النبلاء ١١٩/١٦ .

(٧) ذكرها ابن حجر في فتح الباري : ١٨٣/٥ بقوله : قال الطبراني في كتاب السنة حدثنا عبد الله بن أحمد فذكره ، وانظر رواية إبراهيم بن أبان الموصلي في طبقات الخنابلة : ٩٣/١ .

(٨) لم أجد له ترجمة فيما اطّلت عليه من المصادر .

« إن الله عز وجل خلق آدم على صورته » فقال الشيخ : تفسيره خلقه على صورة الطين . فحدثت بذلك أي رحمه الله تعالى فقال : هذا جهمي وقال هذا كلام الجهمية^(١) .

التعليق :

روى البخارى^(٢) ، ومسلم^(٣) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا ... الحديث » .

وروى مسلم^(٤) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه . فإن الله خلق آدم على صورته » .

وروى أحمد^(٥) وابن أبي عاصم^(٦) وابن خزيمة^(٧) والدارقطنى^(٨) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا ضرب أحدكم فليجنب الوجه ولا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته » .

وروى ابن أبي عاصم^(٩) ، والدارقطنى^(١٠) عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقبحوا الوجه فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته » .

(١) إبطال التأويلات (ق ٥٥ - ٥٦) .

(٢) في الصحيح : ٣/١١ .

(٣) في الصحيح : ٢١٨٣/٤ .

(٤) في الصحيح : ٢٠١٧/٤ .

(٥) في المسند : ٥٢١/٢ ، ٤٣٤ .

(٦) في السنة : ٣٣٠/١ .

(٧) في التوحيد : ص : ٣٦ .

(٨) في الصفات : ص : ٥٦ .

(٩) في السنة : ٢٢٩/١ .

(١٠) في الصفات : ص : ٥٦ .

وروى ابن أبي عاصم^(١) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قاتل أحدكم فليتنجب الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورة وجهه » .

وروى ابن أبي عاصم^(٢) وابن خزيمة^(٣) والدارقطني^(٤) :

عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن » .

فما تقدم يتضح لنا أن الحديث جاء على لفظين :

الأول : « على صورته » . وهو متفق عليه .

الثاني : « على صورة الرحمن » . وهو مختلف فيه .

وقد صحح الإمام أحمد اللفظ الثاني ومنع التكيف والتشبيه ﴿ ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير ﴾ .

والإمام ابن خزيمة صحح اللفظ المتفق عليه وقال : « توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله : « على صورته » يريد صورة الرحمن عز ربنا وجل عن أن يكون هذا معنى الخبر بل معنى قوله « خلق آدم على صورته » الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب والمشتوم ، أراد صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورة المضروب الذي أمر الضارب باجتئاب وجهه بالضرب والذي قبح وجهه فزجر صلى الله عليه وسلم أن يقول ووجه من أشبه وجهك لأن وجه آدم شبيه وجه بنيه فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك كان مقبحاً ووجه آدم صلوات الله وسلامه عليه الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم^(٥) .

(١) في السنة : ٢٢٧/١ - ٢٢٨ .

(٢) في السنة : ٢٢٨/١ - ٢٢٩ .

(٣) في التوحيد : ص : ٣٨ .

(٤) في الصفات : ص : ٦٤ .

(٥) التوحيد لابن خزيمة : ص : ٣٧ - ٣٨ .

أما اللفظ الثاني : والذي جاء في حديث ابن عمر - فقد قال بعد أن روى الحديث : « والذي عندي في تأويل هذا الخبر إن صح من جهة النقل موصولا فإن في الخبر عللا ثلاثا : إحداهن : أن الثوري قد خالف الأعمش في إسناده ، فأرسل الثوري ولم يقل عن ابن عمر . والثانية : أن الأعمش مدلس لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت . والثالثة : أن حبيب بن أبي ثابت أيضا مدلس لم يعلم أنه سمعه من عطاء ... فإن صح هذا الخبر مسندا فمعناه عندنا أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر إنما هو من إضافة الخلق إليه لأن الخلق يضاف إلى الرحمن لأن الله صورها^(١) ... فمعنى الخبر إن صح من طريق النقل مسندا فإن ابن آدم خلق على الصورة التي خلقها الرحمن حين صور آدم ثم نفخ فيه الروح . ثم ذكر أدلته على صحة هذا التأويل . كما قال^(٢) . قال الذهبي في ترجمة حمدان بن الهيثم : وقد أتى بشيء منكر عن أحمد بن حنبل في معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « إن الله خلق آدم على صورته » زعم أنه قال : صور الله آدم قبل خلقه على تلك الصورة^(٣) .

فأما أن يكون خلق الله آدم على صورته فلا . فقد قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ويدل على بطلان روايته هذه مارواه حمدان بن علي الوراق ثم ذكر روايته السابقة^(٤) .

قال الحافظ ابن حجر : « واختلف إلى ماذا يعود الضمير فقيل إلى آدم أي خلقه على صورته التي استمر عليها إلى أن أهبط وإلى أن مات^(٥) . دفعا لتوهم من يظن أنه لما كان في الجنة كان على صفة أخرى أو ابتداء خلقه كما وجد لم ينتقل في النشأة كما ينتقل ولده من حالة إلى حالة^(٦) .

(١) المصدر السابق : ص : ٣٨ .

(٢) وتبعه على هذا التأويل المازري . انظر مسلم بشرح النووي : ١٦٦/١٦ . ونحو هذا نقل الخطابي عن البعض . انظر : الأسماء والصفات للبيهقي ص : ٣٧١ .

(٣) راجع التوحيد : ص : ٣٩ - ٤١ .

(٤) انظر ما ذكره أبو يعلى ابن الفراء حول رواية ابن الهيثم هذه في إبطال التأويلات (ق : ٥٦) .

(٥) انظر : ميزان الاعتدال : ٦٠٢/١ - ٦٠٣ .

(٦) وبهذا تأوله الخطابي . انظر : الأسماء والصفات للبيهقي ، ص : ٣٧٠ .

وقيل للرد على الدهرية إنه لم يكن إنسان إلا من نطفة ولا تكون نطفة إنسان إلا من إنسان ولا أول لذلك فبين أنه خلق من أول الأمر على هذه الصورة وقيل للرد على الطبايعين الزاعمين أن الإنسان قد يكون من فعل الطبع وتأثيره وقيل للرد على القدرية الزاعمين أن الإنسان يخلق فعل نفسه . وقيل إن لهذا الحديث سببا حذف من هذه الرواية وأن أوله قصة الذى ضرب عبده فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال له إن الله خلق آدم على صورته .

وقيل الضمير لله وتمسك قائل ذلك بما ورد في بعض طرقه « على صورة الرحمن والمراد بالصورة الصفة . والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك^(١) وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء . اهـ^(٢) .

وقال ابن حجر - أيضاً في موضع آخر - : واختلف في الضمير على من يعود فالأكثر على أنه يعود على المضروب لما تقدم من الأمر بإكرام الوجه ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها .

وقال القرطبي : أعاد بعضهم الضمير على الله متمسكا بما ورد في بعض طرقه « إن الله خلق آدم على صورة الرحمن » قال : وكان من رواه أورده بالمعنى متمسكا بما توهمه فغلط في ذلك .

وقد أنكر المازرى ومن تبعه صحة هذه الزيادة « على صورة الرحمن » ثم قال المازرى : وعلى تقدير صحتها فيحمل على ما يليق بالبارى سبحانه وتعالى . قال الحافظ ردا على المازرى في إنكاره صحتها :

قلت : الزيادة أخرجها ابن أبى عاصم في السنة والطبرانى من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات .

(١) وهذا التأويل ذكره الرازى وقال : فيكون المعنى أن آدم عليه السلام امتاز عن سائر الأشخاص والأجسام بكونه عالما بالعقولات قادرا على استنباط الحرف والصناعات وهذه صفات شريفة مناسبة لصفات الله من بعض الوجوه .

(٢) فتح البارى : ٣/١١ .

فتمين إجراء ذلك على ما تقرّر بين أهل السنة من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه ، أو من تأويله على ما يليق بالرحمن جل جلاله . وزعم بعضهم أن الضمير يعود على آدم^(١) أى على صفته أى خلقه موصوفاً بالعلم الذى فضل به الحيوان وهذا محتمل ، وقد قال المازرى : غلط ابن قتيبة فأجرى هذا الحديث على ظاهره وقال : صورة لا كالصور . انتهى .

وقد أخرج البخارى فى الأدب المفرد وأحمد من طريق ابن عجلان عن سعيد عن أبى هريرة مرفوعاً « لا تقولن قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته » .

وهو ظاهر فى عود الضمير على المقول له ذلك . وكذلك أخرجه ابن أبى عاصم أيضاً من طريق أبى رافع عن أبى هريرة بلفظ : « إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورة وجهه »^(٢) . انتهى كلام ابن حجر .

قلت : ولا يخفى ما فى بعض هذه التأويلات من بعد .

والذى يفهم من كلام الإمام أحمد تصحيح الحديث بلفظيه والسكوت عن تفسيره والنهى عن الخوض فيه . بل نكل علمه إلى الله عز وجل .

ومن أراد الاستزادة حول هذا الموضوع فليراجع ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣) .

(١) وهو أحد تأويلات الرازى . وذكر له عدة أوجه . انظر : نقض أساس التقديس .

(٢) فتح البارى : ١٨٣/٥ .

(٣) وذلك فى نقض أساس التقديس . الجزء الثالث (مخطوط) .

قول الإمام أحمد في المشبهة

قال القاضي أبو يعلى ابن الفراء :

وقد أنكر أحمد التشبيه فقال في رواية حنبل :

٣٣٩ - المشبهة تقول : بصر كبصرى ويد كيدى وقدم كقدمى ومن قال ذلك فقد شبه الله بخلقه .

٣٤٠ - وقال في رواية يوسف بن موسى : ﴿ ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير ﴾^(١) .

٣٤١ - وقال في رواية حنبل : ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعات شنت^{(٢)(٣)} .

٣٤٢ - وذكر اللالكائى - بسنده - عن أبى نصر أحمد بن يعقوب ابن زاذان قال : بلغنى أن أحمد بن حنبل قرأ عليه رجل : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾^(٤) . قال : ثم أوماً بيده . فقال له أحمد : قطعها الله قطعها الله قطعها الله ثم حرد وقام^(٥) .

التعليق :

الإمام أحمد أثبت ما أثبتته الله عز وجل لنفسه من صفات وكذا ما أثبتته له نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وإثباته للصفات إنما كان على الوجه اللائق

(١) إبطال التأويلات (ق : ٢٤ / ب) .

(٢) نفس المصدر : (ق : ٢٦ / أ) .

(٣) هذه الروايات أخرجها الخلال في السنة ونقلها القاضي من المصدر المذكور . انظر : نقض أساس التقديس لابن تيمية : ٢٦٨/٣ . واجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٨٣ .

(٤) سورة الزمر : ٦٧ .

(٥) شرح أصول أهل السنة : ٤٣٢/٣ . وقد تقدم ذكر هذه الرواية عند « قول الإمام أحمد في اليدين » ص : ٣٢٧ .

بكمال الله وجلاله وعظمته من غير تشبيه ولا تكييف بل التزم بقول الله تعالى : ﴿ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ﴾ وأنكر على المشبهة كما أنكر على المعطلة . وأوضح أن الرد على من وقع في التشبيه لا يكون بنفى هذه الصفات وإنما بإثباتها على الوجه الذي تقدم .

يقول شارح الطحاوية : قال نعيم بن حماد : من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله نفسه ولا رسوله تشبيه . وقال إسحاق بن راهويه : من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم . وقال : علامة جهنم وأصحابه : دعواهم على أهل السنة والجماعة ما أولعوا به من الكذب أنهم مشبهة . بل هم المعطلة^(١) .

ويقول في موضع آخر : وقوله : ﴿ ليس كمثل شيء ﴾ رد على المشبهة وقوله : ﴿ وهو السميع البصير ﴾ رد على المعطلة . فهو سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال ، وليس له فيها شبيه . فالخلق وإن كان يوصف بأنه سميع بصير - فليس سمعه وبصره كسمع الرب وبصره ، ولا يلزم من إثبات الصفة تشبيه ، إذ صفات المخلوق كما يليق به وصفات الخالق كما يليق به . ولا تنف عن الله ما وصف به نفسه وما وصفه به أعرف الخلق بربه وما يجب له وما يتمتع عليه ، وأنصحهم لأمتهم ، وأفصحهم وأقدرهم على البيان فإنك إن نفيت شيئاً من ذلك كنت كافراً بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا وصفته بما وصف به نفسه فلا تشبيه بخلقه ، فليس كمثل شيء . فإذا شبهته بخلقه كنت كافراً به^(٢) . ويقول أيضاً : ومما يوضح هذا : أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيلي يستوى فيه الأصل والفرع ، ولا بقياس شمولى يستوى أفراده فإن الله سبحانه ليس كمثل شيء ، فلا يجوز أن يمثل بغيره ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية يستوى أفرادها ولهذا لما سلكت طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية - لم يصلوا بها إلى اليقين

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) المصدر السابق : ص : ١٤٣ - ١٤٤ .

بل تناقضت أدلتهم ، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب ، لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها .

ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى ، سواء كان تمثيلا أو شمولا كما قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾^(١) . مثل أن يعلم أن كل كمال للممكن أو للمحدث ، لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، وهو ما كان كمالا للوجود غير مستلزم للعدم بوجه : فالواجب القديم أولى به . وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، ثبت نوعه للمخلوق والمربوب المدير- : فإنما استفادته من خالقه وربّه ومدبره وهو أحق به منه . وأن كل نقص وعيب في نفسه ، وهو ما تضمن سلب هذا الكمال ، إذا وجب نفيه عن شيء من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات - : فإنه يجب نفيه عن الرب تعالى بطريق الأولى^(٢)^(٣) .

(١) سورة النحل / ٦ .

(٢) المصدر السابق ص : ١٢٢ وأنظر ص : ٢٣٧ ، ٥٨٧ .

(٣) وقد سبق الكلام على المشبهة عند « قول الإمام أحمد في الصفات » ص : ٢٧٦ . وعند : « قول الإمام أحمد في « الديدن » كما سبق الإشارة إلى المشبهة وقبح مسلكتهم .

- قول الإمام أحمد في الخلافة . ص : ٣٦٨
- قول الإمام أحمد في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ص : ٣٦٩
- قول الإمام أحمد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه . ص : ٣٧٨
- قول الإمام أحمد في خلافة علي بن أبي طالب . ص : ٣٨١
- قول الإمام أحمد في التفضيل . ص : ٣٨٤
- قول الإمام أحمد في الصحبة . ص : ٣٩٤
- قول الإمام أحمد في فيما يجب نحو صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ص : ٣٩٥
- قول الإمام أحمد فيما وقع بين بعض أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم أجمعين . ص : ٣٩٩
- قول الإمام أحمد فيمن يشهد له بالجنة . ص : ٤٠٢
- قول الإمام أحمد في القطع للمعين بالجنة أو النار . ص : ٤٠٧
- قول الإمام أحمد في يزيد بن معاوية . ص : ٤٠٨
- قول الإمام أحمد في طاعة ولاة الأمر والواجب تجاههم . ص : ٣/٢
- قول الإمام أحمد في قتال اللصوص . ص : ١٨/٢
- قول الإمام أحمد في القتال دون الحرمات والأهل . ص : ٢١/٢
- قول الإمام أحمد في فيمن قاتل دون مال غيره . ص : ٢٤/٢
- قول الإمام أحمد في الرجل يقاتل اللصوص مع علمه بأنه لا طاقة له بهم وقد يقتلوه . ص : ٢٧/٢
- ما أثر عن الإمام أحمد من حثه على عدم تعمد قتل اللصوص عند مواجهتهم ومحاولة الدفع قدر الإمكان دون القتل . ص : ٢٨/٢
- ما أثر عن الإمام أحمد من التثبيته على عدم جواز الإجهاز على اللصوص ونحوه عند التمكن منهم وذلك لانتهاء العلة التي أباحت القتل ونحوه . ص : ٣٠/٢
- قول الإمام أحمد في مناشدة اللصوص قبل قتالهم . ص : ٣٣/٢

قول الإمام أحمد في الخلافة

قال إسحاق بن إبراهيم بن هاليء :

٣٤٣ - سمعت أبا عبد الله يقول في الخلافة : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي^(١) . . .

* الروايات عن الإمام أحمد في مثل هذا مستفيضة . وسيأتي ذكر بعضها في مسائل التفضيل ومن نقلها عنه - إضافة إلى ما سيأتي - إسحاق الكوسج^(٢) وأبو داود السجستاني^(٣) وعبد الله بن أحمد بن حنبل^(٤) .

التعليق :

مسألة الخلافة من المسائل المهمة والتي لم أكن بحاجة إلى بحثها وتقريرها فلم يزل المسلمون يقرون بشرعية خلافة الصديق والفاروق وذى النورين حتى ظهر الروافض وأخذوا ييثون سمومهم في المجتمع الإسلامي باختلاق الأكاذيب وترويح العقائد الفاسدة والظعن في خلافة الثلاثة الراشدين . لكن هيئات أن يتحقق لهم ما أرادوا فقد انكشفت مقاصدهم الخبيثة وعرف المسلمون زيغهم ومخالفتهم للعقيدة الصحيحة .

(١) مسائل ابن هاليء : ١٦٩/٢ .

(٢) انظر : مسائل الكوسج ١٧٩/٢ .

(٣) انظر : مسائل أبي داود (ط : ص ٢٦٠ وفي المطبوع ص : ٢٧٧) .

(٤) انظر : السنة له (ط : ق : ٩٥/أ ، وه خ : ق : ١٨٨ ب - ١٨٩/أ ، وفي المطبوع ص : ٢٣٥) ،

ومسائل عبد الله ص : ٤٤٠ .

وعنده أيضا : أما الخلافة فيذهب إلى حديث سفينة . والحديث سيأتي ذكره وتخريجه في الصفحة التالية .

ولست في مقام بحث هذا الخطر العظيم الذي يشكله هؤلاء على العقيدة الصحيحة . فقد بذل علماء الإسلام قديما وحديثا جهودا كبيرة لتوضيح هذه المسائل^(١) .

أعود وأقول : إن المسلمين في مختلف العصور والأزمنة على تيقن تام بشرعية خلافة الأربعة رضوان الله عليهم على الترتيب الذي تمت به خلافة كل منهم وهو الأمر الذي أوضحه السلف عند ظهور من خالف ذلك . والإمام أحمد قرر هذه المسألة وأنكر إنكاراً شديداً على من تكلم في خلافة أحد منهم .

وقد كان عدد سنين خلافتهم مما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم به . ففي حديث سفينة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله الملك من يشاء »^(٢) .

قول الإمام أحمد في خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه

قال أبو بكر الحلال :

٣٤٤ - أخبرنا أبو بكر المروذى قال : قيل لأبي عبد الله قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يؤم القوم أقرؤهم »^(٣) . فلما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قدموا أبا بكر يصلى بالناس »^(٤) وقد كان في القوم من أقرأ من أبى بكر .

فقال أبو عبد الله : إنما أراد الخلافة^(٥) .

(١) وسيأتى مزيد من الإيضاح عن عقائد الروافض عند « قول الإمام أحمد في الرافضة » ص : ٨٧٧ .
(٢) أخرجه ابن أبى عاصم في السنة : ٥٤٨/٢ ، وأبو داود : ٣٦/٥ ، والترمذى : ٥٠٣/٤ وغيرهم . قال الترمذى : حديث حسن رواه غير واحد عن سعيد بن جهمان ولا نعرفه إلا من حديث سعيد . قلت : سعيد وثقه أحمد وابن معين وأبو داود وابن حبان . وأنكر الإمام أحمد على من تكلم فيه وصحح الحديث . انظر : السنة للحلال (ق : ٦٣ / أ) وجامع بيان العلم لابن عبد البر ٢٢٥/٢ وتهذيب التهذيب : ١٤/٤ .

(٣) أخرجه مسلم : ٤٦٥/١ وأحمد : ١١٨/٤ من حديث أبى مسعود رضى الله عنه .

(٤) رواه البخارى : ٦٤/٢ ومسلم : ٣١١/١ عن عدد من الصحابة .

(٥) السنة (ق : ٤٢ / أ) وأخرجه ابن الجوزى في مناقب أحمد ص : ٢٠٩ بسنده عن أبى بكر المروذى به .

* ونقل نحو هذا عن أحمد :

٣٤٥ - علي بن مسعود : أنه سأل أبا عبد الله عن الإمامة من أحق . قال : أقرؤهم فإذا استوتوا فالصلاح عندي والله أعلم . قدم النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر فصلى بالناس ولم يكن أقرأهم وابن مسعود أعلمهم بكتاب الله فقال : ... إنما قدمه النبي صلى الله عليه وسلم من أجل الخلافة وهذا موضع تأويل .

٣٤٦ - أبو بكر الأثرم قال : قلت لأبي عبد الله : حديث النبي صلى الله عليه وسلم : قدموا أبا بكر يصلى بالناس وهو خلاف حديث أبي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : « يوم الناس أقرؤهم » فقال : إنما قوله لأبي بكر عندي يصلى بالناس : للخلافة إنما أراد الخلافة بذلك وقد كان لأبي بكر فضل بين علي وغيره وإنما الأمر في القراءة فأما أبو بكر فإنما أراد به الخلافة ثم قال أبو عبد الله : ألا ترى أن سالما مولى أبي حذيفة كان مع خيار أصحاب رسول الله فكان يؤمهم لأنه جمع القرآن^(١) وحديث عمرو بن سلمة أهمهم للقرآن^(٢) .

ونقل عنه الإنكار على من خالف ذلك :

٣٤٧ - هارون بن عبد الله قال : لأبي عبد الله جاءني كتاب من الرقة أن قوما قالوا : لا تقل إن أبا بكر خليفة رسول الله استخلفه . فغضب وقال : ما اعتراضهم في هذا . يحفون حتى يتوبوا . قال له - أي هارون - أليس أبو برزة يقول لأبي بكر : يا خليفة رسول الله . قال : نعم هذا وغيره .

٣٤٨ - أبو بكر المروذي قال : سمعت أبا عبد الله يقول : يتكلمون في خلافته أو قال : خير البرية بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

٣٤٩ - أبو الحارث الصائغ قال : قال أبو عبد الله : يجانبون ولا يجالسون ويؤمن أمرهم للناس^(٣) .

(١) انظر : في إمامة سالم للصحابه فتح الباري : ٧١٤/٢ .

(٢) الروايتان في السنة للخلال : (ق : ٤٠) .

(٣) انظر : هذه الروايات في السنة للخلال (ق : ٤٠) .

التعليق :

أبو بكر الصديق رضى الله عنه هو أول الخلفاء الراشدين المهديين . ولا خلاف بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان على أحقيته بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعية ثبوتها له .

والخلافة : هل كان ثبوتها نصا وتوقيفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم اختيارا أجمع عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقبل بحث هذه المسألة يجدر ذكر خير بيعته رضوان الله عليه .

روى البخارى^(١) فى حديث طويل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم فى سقيفة بنى ساعدة وخالف عنا على والزبير ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر فقلت لأبى بكر : يا أبأ بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نريدهم ، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلا صالحا فذكر ما تمألا عليه القوم فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار . فقالا : لا عليكم أن لا تقرّبوهم ، اقضوا أمركم . فقلت : والله لناأئنيهم . فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم . فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا سعد بن عبادة . فقلت : ماله ؟ قالوا : يوعك . فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله . ثم قال : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم - معشر المهاجرين - رهط ، وقد دفت دافة من قومكم ، فإذا هم يريدون أن يحتزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر فلما سكت أردت أن أتكلم - وكنت قد زورت مقالة أعجبتنى أريد أن أقدمها بين يدي أبى بكر وكنت أدارى منه بعض الحد ، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر على رسلك . فكرهت أن أغضبه ، فتكلم أبو بكر ، فكان هو أحلم منى وأوقر ، والله ما ترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلا قال فى بديته مثلها أو أفضل منها حتى سكت : فقال : ما ذكرتم فىكم من

(١) فى الصحيح : ١٤٥/١٢ .

خير فأنتم له أهل ، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، هم أوسط العرب نسبا ودارا . وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم - فأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا - فلم أكره مما قال غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر . اللهم إلا أن تسول إلى نفسي عند الموت شيئا لا أجده الآن فقال قائل من الأنصار : أنا جديلتها المحكك وعديقتها المرجب . منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش . فكفر اللغظ وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف ، فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار ...^(١) .

ثم بايعه الناس عامة^(٢) .

ويجدر التنبيه إلى أن طعن الروافض في خلافة الصديق والفاروق وذى النورين إنما هو مبنى على مزاعم وأكاذيب وأباطيل من صنع أيديهم . ومن جملة أباطيلهم وأكاذيبهم الادعاء بأن الخلافة انتزعت من علي وأنه هو الأحق بها بموجب الوصية المزعومة له .

وكلامهم هذا واضح البطلان لا أساس له ولا أصل . وفيما صح عن علي نفسه دلالة كافية على رده .

فقد روى مسلم^(٣) وأحمد^(٤) وغيرهم عن أبي الطفيل قال : سئل علي أخصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء . فقال : ما خصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء لم يعم به الناس كافة إلا ما كان في قراب سيفي هذا فأخرج صحيفة مكتوبا فيها : « لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من سرق منار الأرض - ولعن الله من لعن والديه . ولعن الله من آوى محدثا » .

(١) فتح الباري : ١٤٤/١٢ .

(٢) انظر : فتح الباري : ٢٠٦/١٣ ، والبداية والنهاية : ٣٠١/٦ .

(٣) في الصحيح : ١٥٦٧/٣ .

(٤) في المسند : ١١٨/١ .

وأبو الطفيل هو : عامر بن وائلة . ولد عام أحد ورأى النبي صلى الله عليه وسلم . توفي سنة عشر ومئة على الصحيح^(١) . وفي بعض الروايات قال : كنت عند علي بن أبي طالب فأتاه رجل فقال : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسر إليّ قال : فغضب وقال : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسر إليّ شيئا يكتمه الناس غير أنه حدثني بكلمات أربع فذكر الحديث . ثم إن علي بن أبي طالب كغيره من الصحابة عرف حق أبي بكر وفضل^(٢) وبإيعه^(٣) وأقر له .

وروى البخارى^(٤) عن عبد الله بن عباس أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجعه الذى توفى فيه فقال الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً ، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العضا ، وإني والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوفى فى وجعه هذا ، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت . اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنسأله فيمن هذا الأمر ؟ إن كان فينا علمنا ذلك . وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا فقال على : إنا والله لئن سألتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده وإني والله لا أسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم . اه . هذا هو الواقع والحقيقة .

أما التأويلات والافتراءات فلا تغنى عن الحق شيئاً .

يقول أبو نعيم الأصبهاني : فيقال للإمامية الطاعنين على المهاجرين والأنصار اجتماعهم على تقدمه الصديق رضى الله عنه : أكان اجتماعهم عليه على إكراه منه لهم بالسيف ، أو تأليف منه لهم بمال ، أو غلبة بعشيرة ، فإن الاجتماع لا يخلو من هذه الوجوه ، وكل ذلك مستحيل منهم لأنهم (أهل) المديحة والمروءة والدين والنصيحة ولو كان شيء من هذه الوجوه ، أو أريد واحد منهم على المبايعة كارها لكان ذلك منقولاً عنهم ومنتشراً .

(١) تقريب التهذيب : ٣٨٩/١ .

(٢) سياتى ذكر الروايات الصحيحة عن علي فى تفضيله للشيخين ص : ٣٩٤ .

(٣) انظر : البداية والنهاية : ٢٤٩/٥ .

(٤) فى الصحيح : ١٤٢/٨ .

فأما إذا أجمعت الأمة على أن لا إكراه ، والغلبة والتأليف غير ممكن منهم
وعليهم ، فقد ثبت أن اجتماعهم لما علموا منه من الاستحقاق والتفضيل والسابقة
وقدموه وبايعوه لما خصه الله تعالى به من المناقب والفضائل^(١) .

يقول ابن تيمية : ... ولم يقل قط أحد إنى أحق بهذا الأمر منه لا قرشي
ولا أنصاري ، فإن من نازع أولا من الأنصار لم تكن منازعته للصديق بل طلبوا
أن يكون منهم أمير ومن قرشي أمير ، وهذه منازعة عامة لقريش ، فلما تبين لهم
أن هذا الأمر في قريش قطعوا المنازعة ... ثم بايعوا أبا بكر من غير طلب منه
ولا رغبة بذلتهم ولا رهبة ، فبايعه الذين بايعوا الرسول تحت الشجرة والذين
بايعوه ليلة العقبة والذين بايعوه لما كانوا يهاجرون إليه والذين بايعوه لما كانوا
يسلمون من غير هجرة كالطلاق وغيرهم ولم يقل أحد قط إنى أحق بهذا من
أبي بكر ولا قاله أحد في أحد بعينه إن فلانا أحق بهذا الأمر من أبي بكر وإنما
قال من فيه أثر جاهلية عربية أو فارسية أن بيت الرسول أحق بالولاية لأن العرب
في جاهليتها كانت تقدم أهل الرؤساء وكذلك الفرس يقدمون أهل بيت الملك
فنقل عن نقل عنه كلام يشير به إلى هذا . وصاحب هذا الرأي لم يكن له
غرض في علي بل كان العباس عنده بحكم رأيه أولى من علي^(٢) . اهـ .

ولهذه المسألة جوانب متعددة والكلام فيها يطول وما ذكرته هنا - بإيجاز -
هو مذهب الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ومن أراد الاستزادة فليراجعها في
مظانها .

أعود إلى ما أشرت إليه آنفا من الخلاف في إمامة أبي بكر هل ثبت بالنص
أم بالاختيار .

وقد بحث القاضى أبو يعلى بن الفراء هذه المسألة على ضوء الروايات المنقولة
عن الإمام أحمد ، فمما قاله :

(١) الإمامة ص : ٢١٤ - ٢١٥ .

(٢) منهاج السنة : ٣٦٦/٣

قال أحمد في رواية المروذي وعلى بن سعيد والأثرم^(١) لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم قدم أبا بكر ليصلي بالناس وقد كان في القوم من هو أقرأ من أبي بكر وإنما أراد الخلافة فظاهر هذا من كلامه أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة^(٢). قلت : وعزى شارح الطحاوية هذا القول إلى الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث^(٣).

ومن أدلة أصحاب هذا القول : تقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة مع وجود من هو أقرأ منه كما أشار إليه الإمام أحمد سابقا . وإن كان هناك من يرى أن في تقديم النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر دلالة على أنه أقرأهم لكتاب الله . اعتمادا على قول النبي صلى الله عليه وسلم « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله » . والمشهور أن أبي بن كعب هو أقرأ الصحابة . فقد روى البخاري^(٤) عن عمر رضی الله عنه قال : أبي أقرؤنا .

وهذا لا يتعارض مع تقديم النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضی الله عنه . بل فيه دلالة قوية على أفضلية الصديق رضوان الله عليه .

ومن أدلتهم أيضا :

ما رواه البخاري^(٥) ومسلم^(٦) من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ...ولو كنت متخذًا خليلًا من أمتي لاتخذت أبا بكر ، إلا نخلة الإسلام ، لا ييقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر » . وأما من ذهب إلى ثبوتها بالنص الجلي فهم جماعة من أهل الحديث أيضا وهو ما نصره ابن حزم^(٧) .

-
- (١) هذه الروايات تقدمت : ٣٧١ .
(٢) الروايتان والوجهان : (ق : ٢٥٣ / ب) .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٥٢٣ .
(٤) في الصحيح : ٤٧ / ٩ .
(٥) في الصحيح : ٢٢٧ / ٧ .
(٦) في الصحيح : ١٨٥٤ / ٤ .
(٧) في الملل والنحل ١٠٨ / ٤ .

ومما استدل به أصحاب هذا القول :

ما رواه البخارى^(١) ومسلم^(٢) عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : أتت النبى صلى الله عليه وسلم امرأة فكلمته فى شىء ، فأمرها أن ترجع إليه ، قالت : يا رسول الله أرأيت إن جئت ولم أجدك - كأنها تريد الموت - قال : إن لم تجدينى فأنى أبا بكر .

وما رواه البخارى^(٣) ومسلم^(٤) أيضاً عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه : « ادعى لى أبا بكر وأخاك ، حتى أكتب كتابا . فإنى أخاف أن يتمنى متمنى ويقول قائل أنا أولى . ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » هذا لفظ مسلم وفى لفظ البخارى « يأبى الله ويدفع المؤمنون » . هذا بعض أدلة من قال بثبوتها بالنص أما من ذهب إلى ثبوتها بالاختيار فهم جمهور العلماء وأهل الحديث والمتكلمون . ومما اعتمدوا عليه ما جاء فى خبر يبعته فى سقيفة بنى ساعدة ففى مجرد اجتماع الأنصار دلالة واضحة على أنهم لا يعلمون نصا فى الخلافة وإلا لما اجتمعوا فى ذلك المكان . ثم ما جاء فى الخبر من التحاور بين الأنصار وبين أبى بكر وعمر ومن معهما من المهاجرين وقول أبى بكر رضى الله عنه : « قد اخترت لكم أحد هذين الرجلين » . ما يؤيد ويرجع هذا القول ، فلو كان رضى الله عنه يعلم لنفسه عهدا ما قال ذلك . بل لو كان هناك عهد لعلمه المسلمون جميعا ولما اجتمعوا لاختيار خليفة كما مر أنفا .

ومما احتجوا به أيضا :

مارواه البخارى^(٥) ومسلم^(٦) عن عبد الله بن عمر قال : قيل لعمر ألا

(١) فى الصحيح : ٢٠٦/١٣ .

(٢) فى الصحيح : ١٨٥٦/٤ - ١٨٥٧ .

(٣) فى الصحيح : ٢٠٥/١٣ .

(٤) فى الصحيح : ١٨٥٧/٤ .

(٥) فى الصحيح : ٢٠٥/١٣ .

(٦) فى الصحيح : ١٤٥٥/٣ .

تستخلف ؟ قال : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى أبو بكر وإن أترك فقد ترك من هو خير منى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خلاصة القول : أن هذا هو القول الراجح فليس في الأحاديث التي استدلت بها على النصية ما يقطع بذلك . وإن كان فيها دلالة واضحة - والله أعلم - على معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي من الله تعالى بأن أبا بكر سيخلفه في أمته ، وأن المسلمين سيجتمعون عليه لما له من الفضائل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ... خلافة أبى بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم له بها . وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختيارا استدوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله بها ، وأنها حق وأن الله أمر بها وقدرها وأن المؤمنين يختارونها وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها ، لأنه حيثئذ يكون طريق ثبوتها العهد ، وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه من غير عهد ودلت النصوص على صوابهم فيما فعلوه ورضا الله ورسوله بذلك كان ذلك دليلا على أن الصديق كان فيه من الفضائل التي بان بها عن غيره ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة فإن ذلك لا يحتاج إلى عهد خاص^(١) . اهـ .

وقد تقدم قول القاضى أبى يعلى بن الفراء فى أن ظاهر كلام أحمد فى بعض الروايات عنه إلى ثبوتها بالنص الخفى والإشارة .

وفى كتابه مختصر المعتمد قال : وروى عن أحمد رحمه الله كلام يدل على أن خلافة أبى بكر ثبتت بالنص الخفى والإشارة^(٢) .

وفى موضع آخر قال : وقد حكينا عن أحمد رضى الله عنه فى ذلك روايتين إحداهما بالاختيار والثانية بالنص^(٣) .

(١) منهاج السنة : ١٤٠/١ - ١٤١ .

(٢) ص : ٢٢٣ .

(٣) ص : ٢٢٦ .

ويرى ابن تيمية أن كلام أحمد يدل على انعقادها بالاختيار إذ يقول :
والتحقيق في خلافة أنى بكر وهو الذى يدل عليه كلام أحمد أنها انعقدت باختيار
الصحابة ومبايعتهم له . وأن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر بوقوعها على سبيل
الحمد لها والرضى بها ، وأنه أمر بطاعته وتفويض الأمر إليه ، وأنه دل الأمة
وأرشدهم إلى بيعته . فهذه الأوجه الثلاثة : الخبر ، والأمر ، والإرشاد ثابت من
النبى صلى الله عليه وسلم ^(١) .

قول الإمام أحمد في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه

قال أبو بكر الخلال :

٣٥٠ - أخبرني محمد بن أبى هارون قال : قال حمدان بن على سمعت
أبا عبد الله قال : ما كان في القوم أوكد بيعة من عثمان كانت بإجماعهم ^(٢) .
* ونحو هذا نقل عنه :

٣٥١ - أبو الحارث الصائغ قال : قال أبو عبد الله : وهل يقدر أحد
أن يطعن على خلافة عثمان وما رويت له من السوابق . وقال عبد الله : ولينا
أعلاها ذا فوق ^(٣) .

٣٥٢ - الفضل بن زياد أنه : سمع أبا عبد الله وذكر نوح بن أبى حبيب
فقال : إن كان الذى قيل في نوح بن أبى حبيب أنه يقدم عليا على عثمان فهذا
أيضا بلاء أو نحو هذا ^(٤) ثم قال : كيف يقدم عليا على عثمان وهل كانت بيعة

(١) مجموع الفتاوى : ٤٨/٣٥ .

(٢) السنة : (ق : ٤٥ / أ) .

(٣) رواه أحمد في فضائل الصحابة : ٤٥٤/١ .

(٤) نوح : ثقة . توفي سنة اثنين وأربعين ومئتين . ولهذا كان أحمد يشك في صدور هذا منه . وقد وصفه

ابن حجر بقوله سنى . تقريب : ٣٠٨/٢ .

ولا أصح منها وخليفة قتل ظلماً لم يبش لإيهم بقصبة فجعل يقول هذا الكلام وهو مغضب شديد الغضب^(١) .

التعليق :

عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه الخليفة الراشد الثالث ذو النورين الشهيد المبشر بالجنة كانت خلافته سنة ثلاث وعشرين من الهجرة .

روى البخارى^(٢) قصة بيعته في الحديث الطويل الذى فيه خبر استشهاد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

يقول راوى الحديث عمرو بن ميمون : « ... فقالوا : أوص يا أمير المؤمنين استخلف . قال : ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض : فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن ، وقال : يشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من الأمر شيء - كهيئة التعزية له - فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر ، فإنى لم أعزله عن عجز ولا خيانة ... فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى فسلم عبد الله بن عمر قال : يستأذن عمر بن الخطاب قالت أى عائشة - أدخلوه فأدخل ، فوضع هنالك مع صاحبيه . فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم . فقال الزبير : قد جعلت أمرى إلى على . فقال طلحة : قد جعلت أمرى إلى عثمان ، وقال سعد قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن بن عوف . فقال عبد الرحمن : أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرون أفضلهم فى نفسه ؟ فأسكت الشيخان . فقال عبد الرحمن : أفتجعلونه إلى والله على أن لا آلو عن أفضلكم ؟ قالوا : نعم . فأخذ بيد أحدهما فقال : لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم فى الإسلام ما قد علمت فالله عليك لكن أمرتك لتعدلن

(١) انظر : الروايات السابقة فى السنة للخلال : (ق : ٤٥ / أ) .

(٢) فى الصحيح : ٥٩ / ٧ .

ولكن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن . ثم خلا بالآخر فقال : مثل ذلك . فلما أخذ الميثاق . قال : ارفع يدك يا عثمان فبايعه فبايع له على ، وولج أهل الدار فبايعوه .

وروى البخارى ^(١) أيضاً عن المسور بن مخرمة : أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فمشاوروا فقال لهم عبد الرحمن : لست بالذى أنافسكم على هذا الأمر ولكنكم إن شقتم اخترت لكم منكم فلما ولوا عبد الرحمن مال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها فبايعنا عثمان - قال المسور - طرفنى عبد الرحمن بعد هجع من الليل فضرب الباب حتى استيقظت فقال : أراك نائماً فوالله ما اكتحلت هذه الثلاث بكثير نوم ... فلما صلى للناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار ، وأرسل إلى أمراء الأجناد - وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر - فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال : أما بعد يا على إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان ...

والذى يستخلص من مجموع الروايات في بيعة عثمان رضى الله عنه أنها تمت بعد مشاورات مكثفة أجراها عبد الرحمن بن عوف مع أهل الرأي والمشورة . فقد كان رضى الله عنه مؤمناً وقد بذل جهوداً كبيرة في تلك الأيام الثلاث ليستخلص ما يراه الناس الأوفق فلما وجد إجماعهم على عثمان وتأكد من ذلك أعلنه ^(٢) . لذا نجد الإمام أحمد ينكر بشدة على من يتكلم في خلافة عثمان فهي كما قال : كانت بإجماعهم .

(١) في الصحيح : ١٩٣/١٣

(٢) انظر : البداية والنهاية : ١٤٥/٧

قول الإمام أحمد في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال أبو بكر الخلال :

٣٥٣ - أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل : وأبو بكر المروزي وعبد الملك الميموني وحرب بن إسماعيل الكرماني وأبو داود السجستاني وأحمد بن الحسين ويوسف بن موسى ومحمد بن يحيى ومحمد بن أحمد بن واصل وصالح ابن علي الحلبي ويعقوب بن يوسف المطوعي ومحمد بن الحسن بن هارون^(١) المعنى قريب كلهم سمع أحمد بن حنبل يقول : أبو بكر وعمر وعثمان في التفضيل^(٢) وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي في الخلافة . قال عبد الله بن أحمد : على ما قال سفينة وقال ابن عمر . وقال أحمد بن الحسين : الخلافة ثلاثون عاما . وقال محمد بن يحيى : من زعم أن عليا ليس إماما إلى أي شيء يذهب ألم يقيم الحدود ألم يحج بالناس ألم ألم وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : يا أمير المؤمنين . وقال صالح بن علي : لا يعجبني من يقف عن علي في الخلافة^(٣) .

٣٥٤ - وقد نقلت عن الإمام أحمد روايات كثيرة يؤكد فيها على خلافة علي رضي الله عنه وأنه رابع الخلفاء الراشدين المهديين ويستدل على ذلك بأدلة متنوعة وينكر إنكارا شديدا على من خالف في ذلك ويدعه ويأمر بمجانبته والروايات نقلها : أحمد بن الحسن الترمذي وإبراهيم بن الحارث وأبو بكر الأثرم

(١) كلهم ترجموا انظر فهرس تراجم نقلة المسائل .

(٢) سنأق الروايات عنه في التفضيل ص : ٣٨٤ .

(٣) انظر : السنة للخلال : (ق : ٦١ / ب) .

وحنبل بن إسحاق^(١) وأبو طالب ويعقوب الهاشمي^(٢) وأبو القاسم الجبلي^(٣)
وأبو بكر المروذي^(٤) وعلي بن زكريا التمار^(٥) ومحمد بن مطهر المصيصي والحسن
بن علي بن الحسن وأحمد بن الحسين بن حسان^(٦) وأبو الحارث الصائغ وصالح
ابن أحمد بن حنبل ويعقوب الدورقي^(٧) وعبد الله بن أحمد بن حنبل^(٨) وإسحاق
ابن إبراهيم البغوي وحزب الكرماني^(٩) وعبد الملك الميموني^(١٠) ومحمد بن أبي
حسان ومحمد بن الحكم بن الأحول^(١١) وأحمد بن زرارة المقرئ^(١٢) وإبراهيم بن

(١) السنة للخلال : (ق : ٦١ / ب) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي : ص : ٢١٣ وشرح اعتقاد
الإمام أحمد لابن شكر ص : ٧٥ .

(٢) السنة : (ق ٦٢ / أ) .

(٣) هو : إسحاق بن إبراهيم . قال ابن أبي يعلى : نقل عن الإمام أحمد أشياء أه وذكره الخطيب فقال
: سمع منصور بن أبي مزاحم وطبقته ولم يحدث إلا بشيء يسير وكان يذكر بالفهم ويوصف بالحفظ
. توفى سنة إحدى وثمانين ومئتين / بغداد : ٣٧٨ / ٦ ، ط / الخنابلة : ١١٠ / ١ ، المنهج الأحمد
. ٢٧٣ / ١

(٤) السنة للخلال : (ق ٦٣ / أ) .

(٥) هو : أبو الحسن القطيعي ، ثقة ، قال ابن أبي يعلى : نقل عن الإمام أحمد أشياء . توفى سنة سبع
ومئتين ومئتين . ت / بغداد : ٤٢٨ / ١١ ، ط / الخنابلة : ٢٢٢ / ١ .

(٦) السنة للخلال : (ق : ٦٣ / ب) .

(٧) المصدر السابق : (ق : ٦٤ / أ) .

(٨) المصدر السابق : (ق : ٦٤ / أ - ٦٤ / ب) والسنة له : (ط : ٩٥ / أ - وفي المطبوع ص : ٢٣٥) .

(٩) السنة للخلال : (ق ٦٤ / ب) .

(١٠) المصدر السابق : (ق ٦٥ / أ) . وطبقات الخنابلة ٢١٥ / ١ .

(١١) السنة للخلال : (ق : ٦٥ / أ) .

(١٢) قال عنه ابن أبي يعلى : روى عن الإمام أحمد وذكره ابن الجوزي فيمن حدث عن أحمد . ط / الخنابلة :
٤٥ / ١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٢٥ ، غاية النهاية : ٥٤ / ١ . والرواية في طبقات الخنابلة بالرقم

السابق .

سويد الأرمني^(١) ووريزة بن محمد الحمصي^(٢) وهشام بن منصور^(٣) ويعقوب بن يوسف أبو بكر المطوعي^(٤).

التعليق :

على بن أبي طالب رضى الله عنه رابع الخلفاء الراشدين ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم المبشر بالجنة كانت خلافته سنة خمس وثلاثين من الهجرة .
روى أبو بكر الخلال^(٥) - بإسناد جيد - عن محمد بن الحنفية قال : كنت مع على رحمه الله وعثمان محصور قال : فأتاه رجل فقال : إن أمير المؤمنين مقتول ثم جاء آخر فقال : إن أمير المؤمنين مقتول الساعة . قال : فقام على رحمه الله - قال محمد : فأخذت بوسطه تخوفا عليه فقال : خل لا أم لك قال : فأق على الدار وقد قتل الرجل رحمه الله فأق داره فدخلها وأغلق بابها فأتاه الناس فضربوا على الباب فدخلوا عليه فقالوا : إن هذا قد قتل ولا بد للناس من خليفة ولا نعلم أحدا أحق بها منك قال لهم على : لا تريدونى فإني لكم وزيراً خيراً منى لكم أميراً فقالوا : لا والله ما نعلم أحدا أحق بها منك قال : فإن أبيتم على فإن بيعتى لا تكون سرا ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعنى قال : فخرج إلى المسجد فبايعه الناس . اه .

(١) قال عنه ابن أبى يعلى : روى عن الإمام أحمد أشياء وذكره ابن الجوزى فيمن حدث عن أحمد . ط/الحنابلة : ٩٥/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٢٨ والرواية في المصدر الأخير .

(٢) قال عنه ابن أبى يعلى : سأل الإمام أحمد عن أشياء . وذكره ابن الجوزى فيمن حدث عن الإمام أحمد . ط/الحنابلة : ٣٩٣/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٤٣ ، وفي لسان الميزان : ٢٢٠/٦ قال ابن حجر : وزيره بن محمد الغساني من شيوخ خيصة الطرابلسى لم أر فيه جرحا . ضبطه عبد الغنى بالراء وقيل الزاى مصغرا . والرواية في طبقات الحنابلة : ٣٩٢/١ وشرح ذكره اعتقاد الإمام لابن شكر ص : ٦ - ٧ .

(٣) هو : هشام بن منصور بن سيف ، أبو سعيد السكسكى ، ويعرف بالبخامرى ذكره ابن أبى يعلى وابن الجوزى فيمن حدثوا عن أحمد . توفى سنة مئتين وثلاث وستين ، ت/بغداد : ٤٨/١٤٠ ، ط/الحنابلة : ٣٩٤/١ ، مناقب الإمام أحمد : ١٤٣ ، المنهج الأحمد : ٤٥٥/١ . والرواية في مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص : ٢١٣ .

(٤) المصدر الأخير ص : ٢٠٨ .

(٥) في السنة : (ق : ٦٢) .

وتكاد تجمع الروايات على نحو ما تقدم^(١) .

من هنا يتضح لنا أن خلافة علي بن أبي طالب انعقدت باختيار المسلمين من أهل الحل والعقد . وبهذا تكون خلافته خلافة شرعية ، لا يطعن فيها بحال خروج البعض عليه . ولهذا كان الإمام أحمد ينكر بشدة على من تكلم في خلافته أو وقف فهو فيها رضى الله تعالى عنه رابع الخلفاء وبه ختمت الخلافة .

قول الإمام أحمد في التفضيل

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

٣٥٥ - سمعت أبي يقول : أما التفضيل فأقول أبو بكر ، عمر ، عثمان . على قول ابن عمر : كنا نعد ورسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فنقول : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت^(٢) .

* هذا القول مشهور معروف عن الإمام أحمد والنقول عنه في مثل هذا مستفيضة . وقد تقدم عند : « قول الإمام أحمد في خلافة علي » ذكر بعض من نقل عنه ذلك من الرواة . وإضافة إلى ما تقدم نقل عنه هذا أيضا : ابن هاني^(٣) وإسحاق الكوسج^(٤) وصالح بن أحمد بن حنبل^(٥) وحنبل بن إسحاق^(٦) ويعقوب ابن العباس الهاشمي وأحمد بن الحسن الترمذي ويحيى بن معين^(٧) وأحمد بن أبي

(١) انظر : تاريخ الطبري ٤/٤٣٤ ، والبداية والنهاية : ٧/٢٧٧ .

(٢) مسائل عبد الله ص : ٤٤٠ وقول ابن عمر رواه البخارى : ١٦/٧ ، وأحمد : ١٤/٢ وغيرهم وعند البخارى : كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم .

(٣) انظر : مسائل ابن هاني ٢/١٧٢ .

(٤) مسائل الكوسج : ٢/١٧٩ .

(٥) السنة للخلال : (ق : ٥٣ / ب) .

(٦) المصدر السابق : (ق : ٥٩ / أ) وشرح اعتقاد أحمد لابن شكر ص : ٥ ، ٧ .

(٧) هو : يحيى بن معين بن عون العطفاني ، مولاهم ، أبو زكريا البغدادي ، ثقة حافظ مشهور ، إمام الجرح والتعديل توفى سنة ثلاث وثلاثين ومئتين بالمدينة المنورة . ط/الحنابلة : ١/٤٠٢ ، تقريب ٣٥٨/١ .

والروايات المقدمة في السنة للخلال : (ق : ١٥٨ / أ) .

الحواري^(١) وسلمة بن شبيب^(٢) وعبدوس بن مالك^(٣) ومحمد بن حبيب الأندرائي^(٤) وغيرهم .

٣٥٦ - سمعت أبي رحمه الله يقول : السنة في التفضيل الذي نذهب إليه ما روى عن ابن عمر رضى الله عنه . نقول : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ولا نعيب من رجع بعلي رضى الله عنه لقربته وصهره وإسلامه القديم^(٥) .
* ونقل نحو هذا عن أحمد :

٣٥٧ - ابن هانيء قال : سمعت أبا عبد الله يقول في التفضيل : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ولو أن رجلا قال علي لم أعنفه^(٦) .

٣٥٨ - أبو داود ومحمد بن يحيى بن فارس^(٧) وحمدان بن علي وأبو الحارث الصائغ . كلهم مثل ابن هانيء^(٨) .

٣٥٩ - الفضل بن زياد أنه : سمع أبا عبد الله وقال له رجل : لم يزل الناس نعرفهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فقال : ما يرد هذا شيء .

٣٦٠ - أبو بكر المروذي قال : سمعت أبا عبد الله وذكر التفضيل فقال لي : كلمني عاصم في التفضيل وأبو عبيد حاضر فقلت : أبو بكر وعمر وعثمان وأراه قال : احتججت بحديث ابن عمر فقال عاصم نقول : أبو بكر وعمر وعثمان

(١) هو : أحمد بن عبد الله بن ميمون ، ثقة زاهد ، توفي سنة ست وأربعين ومئتين . ط/الحنابلة : ٧٨/١ ، تقريب : ١٨/١ .

(٢) الروابنجان في السنة للخلال : (ق : ٤/١) .

(٣) رسالة عبدوس : (ق : ٤/١) .

(٤) طبقات الحنابلة : ٢٩٤/١ .

(٥) السنة لعبد الله : (ظ/٩٥/١) وفي المطبوع ص : ٢٤٣ وأخرجه أبو بكر الخلال عن عبد الله به . السنة : (ق : ٥٩/ب) .

(٦) مسائل ابن هانيء : ١٦٩/٢ .

(٧) هو : الذهلي ، ثقة حافظ جليل . توفي سنة ثمان ومئتين ومئتين على الصحيح ت/بغداد : ٤١٥/٣ ، ط/الحنابلة : ٣٢٧/١ ، تقريب : ٢١٧/١ .

(٨) انظر : السنة للخلال : (ق : ٥٩/ب) ورواية أبي داود ومحمد بن يحيى انظرها أيضا في مسائل أبي داود ظ ص : ٢٦٠ وفي المطبوع ص : ٢٧٧ .

وعلى وواقفه أبو عبيد . قال : فقلت لأبي عبيد : لست أدفع ما تقول يا أبا عبيد .
قال : ففرح بها .

٣٦١ - **علي بن سهل بن المغيرة^(١) قال** : حدثني من حضر مجلس
عاصم فقال أحمد : فإن قال قائل من بعد عثمان قلت : على .

٣٦٢ - **صالح بن علي الحلبي قال** : يا أبا عبد الله فتعنت من قال الإمامة
والخلافة قال : لا .

٣٦٣ - **محمد بن حبيب قال** : قلت لأبي عبد الله : من قال : أبو بكر
وعمر وعثمان وعلى قال : أذهب إليه ويعجبني أن أقول أبو بكر وعمر وعثمان
وأسكت وإن قال رجل وعلى لم أعنفه^(٢) .

٣٦٤ - **حيث بن سندی أنه** : سمع أبا عبد الله وقال له الذي سأله
وكان غريباً لا أدري ما تقول ومن قال على لم أعنفه .

٣٦٥ - **عبد الملك الميموني قال** : سئلت أحمد عن قال : أبو بكر وعمر
فسمعت يقول : ما يعجبني قالوا له فمن قال : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى قال :
أرجو أن لا يكون به بأس .

٣٦٦ - **الحسن بن ثواب قال** : قلت لأبي عبد الله : فمن قال في
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى قال : نعم .

٣٦٧ - **قلت** : حديث ابن عمر كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه
وسلم حي : أبو بكر وعمر وعثمان ونسكت . أفليس من قال بهذا فقد أصاب
ومن قال بأبي بكر وعمر وعثمان وعلى فقد أصاب . قال : نعم قد أصاب من
قال أي هذين القولين فقد أصاب^(٣) .

(١) هو : البزاز ، البغدادي ، نساب الاصل ، يعرف بالعفاني لملازمة عفان بن مسلم ، وهو ثقة . توفي
سنة إحدى وسبعين ومئتين . ت/بغداد : ٤٢٩/١١ ، ط/الحنابلة : ٢٢٥/١ ، تقريب ٣٨/١ .

(٢) رواياتهم في السنة للخلال : (ق : ٥٩ / ب) .

(٣) الروايات في السنة للخلال : (ق : ٦٠ / أ) .

٣٦٨ - إسحاق بن إبراهيم البغوي قال : قلت يا أبا عبد الله : من قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلى أليس هو عندك صاحب سنة ؟ قال : بلى لقد روى في علي رحمه الله ما تقشعر - أظنه - الجلود قال صلى الله عليه وسلم « أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي »^(١) .

٣٦٩ - هارون المستملي قال : قلت : ما تقول فيمن قال : أبو بكر وعمر وعثمان ؟ قال : هذا قول ابن عمر وإليه نذهب . فقلت : من قال . أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ؟ قال : صاحب سنة^(٢) .

٣٧٠ - ومسدد بن مسرهد^(٣) ومحمد بن عوف الطائي^(٤) والحسن بن إسماعيل الربيعي^(٥) .

ونقلت عنه روايات كثيرة ينكر فيها علي من قدم عليا على عثمان - رضی الله عنهما - ومن نقل عنه ذلك .

٣٧١ - ابن هانئ قال : قيل له : إن رجلا يقول أبا بكر وعمر وعلياً معهم وترك عثمان فغضب ثم قال : ابن مسعود (يقول) أمرنا خيرنا ذا فوق وبيعة سابقة . هذا رجل سوء ، ثم أخرج إلي كتابا فيه هذه الأحاديث فقرأتها عليه^(٦) .

٣٧٢ - وسئل عن الرجل لا يفضل عثمان على علي . قال : ينبغي له أن يفضل علي وعلى ولم يكن بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف أن عثمان أفضل من علي . ولا أذهب إلى ما رآه الكوفيون وغيره ولا إلى ما قاله أهل المدينة : لا يفضلون أحدا على أحد^(٧) .

(١) انظر : الحديث في صحيح البخارى (فتح البارى ١١٢/٨) وصحيح مسلم : ١٨٧٠/٤ .

(٢) الروايتان في السنة للخلال : (ق : ٦٠/ب) .

(٣) انظر : طبقات الخنابلة : ٣٤٤/١ .

(٤) انظر : طبقات الخنابلة : ٣١٣/١ .

(٥) انظر : طبقات الخنابلة : ١٣١/١ .

(٦) مسائل ابن هانئ : ١٧٢/٢ وأخرجه للخلال في السنة : (ق : ٥٥/ب) .

(٧) مسائل ابن هانئ : ١٧٢/٢ ورواه للخلال في السنة : (ق : ٥٣/ب - ق : ٥٧/أ) .

٣٧٣ - وسأله عن قدم عليا على عثمان؟ فقال: هو قول سوء نبأ بما قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن فضلهم النبي صلى الله عليه وسلم^(١).

٣٧٤ - سمعت أبا عبد الله يقول: فكل من فضل عليا على عثمان فقد أزرى على المهاجرين والأنصار^(٢).

٣٧٥ - عبد الملك الميموني أنه قال لأبي عبد الله: من قال أبو بكر وعمر وسكت ولم يقل عثمان تاما في السنة؟ فأقبل يتعجب وقال: يكون تاما في السنة. يعني لا يكون تاماً في السنة.

٣٧٦ - حمدان بن علي قال: قلت: يا أبا عبد الله من قال: أبو بكر وعمر هو عندك من أهل السنة؟ قال: لا توقفتي هكذا كيف نصنع بأهل الكوفة.

٣٧٧ - قال حمدان: وحدثني عنه أبو السري عبدوس بن عبد الواحد قال: إخراج الناس من السنة شديد^(٣).

٣٧٨ - محمد بن عوف الحمصي قال: سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن التفضيل فقال من قدم عليا على أبي بكر فقد طعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قدمه على عمر فقد طعن على رسول الله وعلى أبي بكر ومن قدمه على عثمان فقد طعن على أبي بكر وعلى عمر وعلى أهل الشورى وعلى المهاجرين والأنصار^(٤).

٣٧٩ - شاهين بن السميذع قال: سمعت أبا عبد الله يقول: من قدم عليا على أبي بكر فقد أزرى على المهاجرين الأولين^(٥).

- (١) مسائل ابن هانئ: ١٧٠/٢ ورواه الخلال في السنة: (ق: ٥٤/ب).
- (٢) مسائل ابن هانئ: ١٧٧/٢، ورواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص ٢١١، عن عمرو بن عثمان الحمصي وأنه سأل أحمد عندما مر بمحص محمولا إلى المأمون.
- (٣) الروايتان في السنة للخلال: (ق: ٥٣/ب).
- (٤) انظر: السنة للخلال: (ق: ٥٤/أ) وط/الحنابلة: ١٢٠/٢ ومناقب الإمام أحمد: ص: ٢١١ وشرح اعتقاد أحمد لابن شكر: ص: ٧.
- (٥) طبقات الحنابلة: ١٧٣/١.

٣٨٠ - جعفر بن محمد النسائي قال : سمعت أبا عبد الله يسأل عن رجل يفضل عليا على أبي بكر وعمر رحمهما الله . قال : بئس القول هذا ^(١) .

٣٨١ - صالح بن أحمد قال : سئل أبي وأنا أسمع عنم يقدم عليا على عثمان مبتدع قال : هذا أهل أن يبدع ، أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قدموا عثمان ^(٢) .

٣٨٢ - حنبل بن إسحاق : مثل ما تقدم في رواية صالح وعنده أيضا : سألت أبا عبد الله من قال : علي وعثمان ؟ قال : هؤلاء أحسن حالا من غيرهم ثم ذكر عدة من شيوخ أهل الكوفة وقال : هؤلاء أحسن حالا من الروافض . ثم قال أبو عبد الله : إن أولئك يعنى الذين قدموا عليا على عثمان قد خالفوا من تقدمهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وأنا أذهب إلى أن عثمان ثم علي رحمهما الله ..

٣٨٣ - هارون المستملي قال : قال أحمد : من قال أبو بكر وعمر وعثمان فهو صاحب سنة ومن قال : أبو بكر وعمر وعلي وعثمان فهو رافضي أو قال مبتدع ^(٣) .

٣٨٤ - زكريا الناقد ^(٤) قال : سمعت أبا عبد الله قال له رجل : من قدم عليا على عثمان ؟ قال : زا قول سوء .

٣٨٥ - أبو بكر المروذي قال : ذكرت لأبي عبد الله عن بعض الكوفيين أنه كان يقول في التفضيل : أبو بكر وعمر وعلي فعجب من هذا القول . قلت : إن أهل الكوفة يذهبون إلى هذا . فقال : ليس يقول هذا أحد إلا مزكوم واحتج بمن فضل عثمان على علي فذكر ابن مسعود وقال : قال ابن مسعود : أمرنا خير من بقي ولم نأل وذكر قول ابن عمر .

(١) السنة للخلال : (ق : ٥٤/ب) .

(٢) المصدر السابق : (ق : ٥٥/أ) ومناقب الإمام أحمد ص : ٢١١ .

(٣) الروايات في السنة للخلال : (ق : ٥٥/أ) .

(٤) هو : زكريا بن يحيى الناقد ، قال الدارقطني : ثقة فاضل وقال أبو بكر الخلال كان عنده أبي عبد الله مسائل صالحة . ت/بغداد : ٤٦١/٨ طبقات الخبابة ٥٨/١ والرواية في السنة للخلال : (ق : ٥٥/أ) .

٣٨٦ - عبد الملك الميموني أنه : سأل أبا عبد الله قال : قلت : أليس تقول أبو بكر وعمر وعثمان . قال : أما في التخيير : فأبو بكر وعمر وعثمان . قلت : فإنه حكى لي عنك أنك تقول : إذا قال أبو بكر وعمر وعلي وعثمان ، وأبو بكر وعمر أن هذا عندك قريب بعضه من بعض فتغير لونه ثم قال لي : لا والله ما قلت هذا قط ولا دار بيني وبين أحد من هذا قول هكذا وأنا لم أزل أقول : أبو بكر وعمر وعثمان واسكت وأغتم بما حكيت له من القول^(١) .

٣٨٧ - الحسن بن ثواب قال : قلت (لأحمد) إن قوما يقولون أبو بكر وعمر وعلي وعثمان ؟ قال : هؤلاء أهل بدر رضي الله عنهم يقدمون أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً لا يقدمون علياً على عثمان^(٢) .

٣٨٨ - محمد بن الحكم الأحول أنه : سأله عن قال : أبو بكر وعمر وعلي وعثمان فقال : ما يعجبني هذا القول قلت : فيقال إنه مبتدع قال : أكره أن أبدعه البدعة الشديدة قلت : فمن قال : أبو بكر وعمر وعلي وسكت فلم يفضل أحدا قال : لا يعجبني أيضا هذا القول . قلت : فيقال : مبتدع قال : لا يعجبني هذا القول^(٣) .

التعليق :

من مجموع الروايات السابقة عن الإمام أحمد يتضح بجلاء موقفه من هذه المسألة فهو يرى رحمه الله الوقوف على عثمان رضي الله عنه في التفضيل . ولا يرى بأسا في الترييع بعلي في التفضيل . وهذا الوقوف منه إنما كان تمشيا مع ما ورد في حديث عبد الله بن عمر المتقدم :

وكما هو واضح من الروايات عنه أيضا أن عدم ترييعه بعلي لا يعني تفضيل غيره عليه .

(١) السنة للخلال : (ق : ٥٧ / ب) .

(٢) المصدر نفسه : (ق : ٦٠ / أ) .

(٣) المصدر نفسه : (ق : ٥٤ / ب) .

يقول ابن تيمية : ليس في أهل السنة من يقدم عليه أحدا غير الثلاثة ، بل يفضلونه على جمهور أهل بدر وأهل بيعة الرضوان وعلى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وما في أهل السنة من يقول : إن طلحة والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف أفضل منه ، بل غاية ما يقولون السكوت عن التفضيل بين أهل الشورى^(١) . اه .

وما أثر عن الإمام أحمد في الوقوف على عثمان في التفضيل ذهب إليه بعض السلف ، فمن ناحية تفضيل أبي بكر وعمر على غيرهما من الصحابة . لم يكن في ذلك خلاف بين السلف بل الكل مجمعون على هذا .

يقول ابن تيمية : أما تفضيل أبي بكر ، ثم عمر على عثمان وعلى : فهذا متفق عليه بين أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة في العلم والدين : من الصحابة والتابعين ، وتابعيهم ، وهو مذهب مالك وأهل المدينة ، والليث بن سعد وأهل مصر ، والأوزاعي ، وأهل الشام ، وسفيان الثوري ، وأبي حنيفة ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وأمثالهم من أهل العراق . وهو مذهب الشافعي وأحمد ، وإسحاق ، وأبي عبيد ، وغير هؤلاء : من أئمة الإسلام الذين لهم لسان صدق في الأمة . وحكى مالك إجماع أهل المدينة على ذلك فقال : ما أدركت أحدا ممن أقتدى به يشك في تقديم أبي بكر وعمر^(٢) اه .

وبهذا يتضح لنا مخالفة الروافض لما أجمعت عليه هذه الأمة من تقديم الشيخين وهم يتعلقون بعلي وعلى رضوان الله عليه برىء منهم ومن أعمالهم وأقوالهم . فهو نفسه رحمه الله تعالى قدّم الشيخين وعرف فضلها ومنزلتهما في الإسلام .

روى البخاري^(٣) عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبي : أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أبو بكر قلت : ثم من قال : ثم عمر ...

(١) منهاج السنة : ٢٠٦/٢ . وانظر الروايتين والوجهين لأبي يعلى ابن الفراء : ق : ٢٤٧ ، ٢٤٨ . فقد فصل هذه المسألة على ضوء الروايات المنقولة عن أحمد .

(٢) مجموع الفتاوى : ٤٢١/٤ .

(٣) في الصحيح : ٢٠/٧ .

وروى البخارى^(١) ومسلم^(٢) عن ابن عباس قال : إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب - وقد وضع على سريره - إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول : رحمك الله . إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبك لأني كثيرا ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كنت وأبو بكر وعمر وفعلت وأبو بكر وعمر وانطلقت وأبو بكر وعمر . فإني كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما . فالتفت فإذا هو على بن أبي طالب .
والروايات الصحيحة الصريحة عن علي في تفضيله للشيخين من الكثرة
بمكان .

يقول ابن تيمية : وهذا مستفيض عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .
ثم ذكر رواية محمد بن الحنفية السابقة وقال : ويروى هذا عن علي بن أبي طالب من نحو ثمانين وجها وأنه كان يقول على منبر الكوفة بل قال : لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جللته حد المفتري^(٣) .
والإمام أحمد ينكر على من قدم عليا على عثمان رضي الله عنهما فكيف بمن يقدمه على الشيخين .

وقد سبق أن بينا أنه لا خلاف بين السلف في تقديم الشيخين على سائر الصحابة .

وفي تقديم عثمان على علي رضوان الله عليهما لم يحصل ذلك الإجماع السابق وإن كان معظم السلف على تقديم عثمان . ولم يخالف في ذلك إلا قلة .

يقول ابن تيمية : وأما عثمان وعلي : فهذه دون تلك . فإن هذه كان قد حصل فيها نزاع فإن سفیان الثوري ، وطائفة من أهل الكوفة : رجحوا عليا على عثمان ثم رجح عن ذلك سفیان وغيره . وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعلي ، وهى إحدى الروايتين عن مالك ، لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان

(١) في الصحيح : ٢٢/٧ .

(٢) في الصحيح : ١٨٥٨/٤ - ١٨٥٩ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٤٢٢/٤ .

على على كما هو مذهب سائر الأئمة كالشافعي ، وأبي حنيفة وأصحابه ، وأحمد بن حنبل وأصحابه وغير هؤلاء من أئمة الإسلام .

حتى إن هؤلاء تنازعوا فيمن يقدم عليا على عثمان هل يعد من أهل البدعة على قولين : هما روايتان عن أحمد^(١) . اه .

قال أبو بكر الخلال : استقر القول من أبي عبد الله أنه يكره هذا القول ولم يجزم في تبديعه وإن قال قائل هو مبتدع لم ينكر عليه^(٢) . اه .

وقد سبق قول الإمام أحمد : من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار .

يقول ابن تيمية : فإنه وإن لم يكن عثمان أحق بالتقديم ، وقد قدموه : كانوا إما جاهلين بفضله ، وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح ديني ومن نسبهم إلى الجهل والظلم فقد أزرى بهم^(٣) . اه .

لكن التبريع بعلي في التفضيل هو قول جمهور أهل السنة . وهو ما أقره الإمام أحمد . قال ابن حجر : إن الإجماع انعقد بأخرة بين أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة^(٤) . اه .

وقد نقل محمد بن عوف الطائي عنه أنه قال : وخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي . فقلت له : يا أبا عبد الله : فإنهم يقولون : إنك وقفت على عثمان ؟ فقال : كذبوا والله علي إنما حدثتهم بحديث ابن عمر « كنا نفاضل بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقول : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره » ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لا تخايروا بعد هؤلاء بين أحد ليس لأحد في ذلك حجة . فمن وقف على عثمان ولم يربع بعلي فهو على غير السنة يا أبا جعفر . اه .

(١) المصدر السابق : ٤/٤٢٥ - ٤٢٦ .

(٢) السنة : (ق : ٥٦) .

(٣) نفس المصدر السابق : ٤/٤٢٨ .

(٤) فتح الباري : ٧/٣٤ .

يقول أبو بكر الخلال بعد ذكره للروايات عن أحمد في التفضيل : مذهب أحمد بن حنبل الذي هو مذهبه أبو بكر وعمر وعثمان وهو المشهور عنه وقد حكى المروزي رحمه الله وغيره أنه قال لعاصم وأبي عبيد لست أدفع قولكم في الترييع بعلي . وحكى بعد هذا أيضا جماعة رؤساء أجلة كبار في سنة وقريب من سنة أنه قال : ومن قال علي فهو صاحب سنة ... وكل هذا صحيح على ما قالوا والذي نذهب إليه من قول أبي عبد الله أنه من قال : أبو بكر وعمر وعثمان فقد أصاب وهو الذي العمل عليه ومن قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فصحيح جيد لا بأس به^(١) .

قول الإمام أحمد في الصحبة

قال إسحاق الكوسج :

٣٨٩ - قلت : هل للصحبة حد ؟ قال : لا . ومن صحب النبي صلى الله عليه وسلم ولو ساعة فهو من أصحاب (النبي صلى الله عليه وسلم) . قال إسحاق : كما قال^(٢) .

وفي رسالة عبدوس بن مالك قال :

٣٩٠ - كل من صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه له (من)^(٣) الصحبة على قدر ما صحبه . وكانت سابقته معه ، وسمع منه ونظر إليه (نظرة)^(٤)^(٥) .

(١) السنة (ق : ٦٠ / ب - ٦١ / أ) .

(٢) مسائل الكوسج : ١٥٨ / ٢ .

(٣) كذا عند ابن أبي يعلى وليست في المخطوط .

(٤) هكذا في المخطوط . وعند ابن أبي يعلى : « ونظر إليه » فقط .

(٥) انظر : رسالة عبدوس (ق : ٣) وطبقات الحنابلة : ٢٤٣ / ١ .

الصحة تطلق على كل من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك وإن تخللته ردة .

يقول ابن تيمية : والصحة اسم جنس تقع على من صحب النبي صلى الله عليه وسلم قليلا أو كثيرا لكن كل منهم له من الصحة بقدر ذلك فمن صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه مؤمنا فله من الصحة بقدر ذلك^(١) .
وفي موضع آخر يقول : والمقصود أن الصحة فيها خصوص وعموم وعمومها يندرج فيه كل من رآه مؤمنا به^(٢)

قول الإمام أحمد في بعض ما يجب نحو صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو بكر الخلال :

٣٩١ - أخبرنا أبو بكر المروذي قال : سمعت أبا عبد الله وذكر له رجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : رحمهم الله أجمعين^(٣) .

والروايات عنه في الترحم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم أجمعين ومعرفة حقهم كثيرة نقلها :

٣٩٢ - صالح بن علي الحلبي أنه : سمع أبا عبد الله يترحم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين .

٣٩٣ - هارون الهاشمي^(٤) قال : كنا عند أبي عبد الله سنة سبع وعشرين أنا وأبو جعفر بن إبراهيم فقال له أبو جعفر : أليس تترحم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم معاوية وعمرو بن العاص وعلى أبي موسى

(١) مجموع الفتاوى : ٤٦٤/٤ .

(٢) نفس المصدر : ٦٢/٣٥ . وانظر : العدة في أصول الفقه لإبي يعلى بن القراء : ٩٨٧/٣ .

(٣) السنة : (ق : ٧٤/ب) .

(٤) قال ابن أبي يعلى : سمع من الإمام أحمد أشياء . ط/الخطابلة : ٣٩٦/١ .

الأشعري والمغيرة . قال : نعم كلهم وصفهم الله في كتابه فقال : ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ .

٣٩٤ - أبو الخارث الصائغ قال : سمعت أبا عبد الله يقول : قال صلى الله عليه وسلم « خير الناس قرني ^(١) فلا يقاس بأصحابه أحد من التابعين . وقال أبو عبد الله : من تنقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينطوى إلا على بلية وله خبيثة سوء إذا قصد إلى خير الناس وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك ^(٢) اهـ .

٣٩٥ - أبو طالب قال : سألت أبا عبد الله : البراءة بدعة والولاية بدعة والشهادة بدعة ؟ قال : البراءة : أن تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . والولاية : أن تتولى بعضا وتترك بعضا . والشهادة : أن تشهد على أحد أنه في النار ^(٣) .

٣٩٦ - الحسن بن إسماعيل الربعي قال : قال لي أحمد ... والترحم على جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أولاده وأزواجه وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ^(٤) .

٣٩٧ - محمد بن حبيب قال : سمعت أحمد ... وترحم على جميع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم صغيرهم وكبيرهم وحدث بفضائلهم وأمسك عما شجر بينهم .

... وعرف حق السلف الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ^(٥) .

(١) أخرجه البخارى : ٣/٧ ومسلم : ١٩٦٢/٤ - ١٩٦٣ .

(٢) الزوايات في السنة للخلال : (ق : ٧٤/ب) .

(٣) المصدر السابق : (ق : ٧٥/أ) .

(٤) طبقات الخنابلة : ١/١٣١ .

(٥) المصدر السابق : ١/٢٩٤ .

٣٩٨ - أبو بكر المروذي قال : قلت لأبي عبد الله : أيما أفضل معاوية

أو عمر بن عبد العزيز . فقال : معاوية أفضل . لسنا نقيس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) أحدا .

٣٩٩ - وفي كتاب السنة له ورسالة الإصطخرى عنه قال : ومن السنة

ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين ... حبه سنة والدعاء لهم قرينة^(٢) .

٤٠٠ - الفضل بن جعفر قال : قلت : يا أبا عبد الله أيش تقول في

حديث قبيصة ، عن عباد السماك ، عن سفيان : أئمة العدل خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن العزيز فقال : هذا باطل - يعني - ما ادعى على سفيان - ثم قال : أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدانهم أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاربهم أحد^(٣) .

٤٠١ - الفضل بن زياد قال : سمعت أبا عبد الله وسئل عن رجل

انتقص معاوية وعمر بن العاص أيقال له رافضي فقال : إنه لم يجترىء عليهما إلا وله خبيثة سوء ما انتقص أحد أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا له داخله سوء^(٤) .

التعليق :

فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين ومكانتهم في الدين دل عليه الكتاب والسنة واتعقد عليه إجماع الأمة . ولا يخالف في هذا إلا ضال مضل . قال الله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره

(١) السنة للخلال : (ق : ٦٦ / ب) .

(٢) انظر : السنة ضمن شذرات اليلتين ص : ٤٩ والإصطخرى في طبقات الحنابلة : ٣٠/١ .

(٣) السنة للخلال : (ق : ٦٧) .

(٤) المصدر السابق : (ق : ٦٩ / ب) .

فاستغلف فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعلموا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴿١﴾ . وقال عز وجل : ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴿٢﴾ .

وروى البخارى ^(٣) ، ومسلم ^(٤) من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تسبوا أصحابى فلو أن أحداكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » .

والأحاديث الصحيحة فى فضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكثرة بمكان . لذا كان من الواجب أن نعرف حق أصحاب رسول الله أجمعين وكما قال الإمام أحمد : « جهم سنة والدعاء لهم قرينة » . فهم مشاعل الهدى بذلوا مهجهم فى سبيل الله فمن حقهم على الأمة محبتهم والترضى والترجم والثناء عليهم .

(١) سورة الفتح / ٢٩ .

(٢) سورة الحشر / ٩ ، ١٠ .

(٣) فى الصحيح : ٢١/٧ .

(٤) فى الصحيح : ١٩٦٧/٤ .

قول الإمام أحمد فيما وقع بين بعض أصحاب رسول الله رضوان عليهم أجمعين

قال أبو بكر الحلال :

٤٠٢ - أخبرنا أبو بكر المروذي قال : قيل لأبي عبد الله ونحن بالعسكر وقد جاء بعض رسل الخليفة وهو يعقوب . فقال : يا أبا عبد الله ما تقول فيما كان من علي ومعاوية رحمهما الله . فقال أبو عبد الله : ما أقول فيهما إلا الحسنى رحمهم الله أجمعين^(١) .

* الروايات عن الإمام أحمد في الكف عما شجر بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة ومن نقل ذلك عنه :

٤٠٣ - ابنه عبد الله قال : حدثني أبو الحسن العقيلي قال : كنت آتى أبا عبد الله فيقبل عليّ ويلقاني لقاءً جميلاً فأتيته يوماً فأنكرت لقاءه فقلت في نفسي : قد دهيت سبعت عنده . فقلت : يا أبا عبد الله بلغك عنى شيء فقد أنكرت لقاءك اليوم فقال : وأوماً إلى شاب ناحية درجة المسجد فقال : أخبرني ذلك - وكان من أهل الإمامة - أنك سببت أو ذكرت بعض الصحابة . فقلت : لا والله ما سببت أحداً من الصحابة قط ولا ذكرت أحداً منهم بسوء ولكن سمعت هذا ذكر عليا ومعاوية فسوى بينهما أراه قال : فرددت عليه . فقال : قد بين الله عز وجل هذا في كتابه ثم قال : قبلت منك ولا تعد تكلم في هذا^(٢) .

٤٠٤ - حنبل بن إسحاق قال : أردت أن أكتب كتاب صفين والجمل عن خلف بن سالم^(٣) فأتيت أبا عبد الله أكلمه في ذلك وأسأله فقال : وما تصنع بذلك وليس فيه حلال ولا حرام^(٤) .

(١) السنة : (ق : ٧١ / ب) وأخرجه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص : ٢١٣ - ٢١٤ .

(٢) السنة للحلال : (ق : ٤٩) .

(٣) هو : الخرمي ، ثقة حافظ ، تقريب : ٢٢٥/١ ، وانظر ميزان الاعتدال : ١٨٢/٢ .

(٤) انظر : الروايات عنه في هذا الشأن في المصدر السابق : (ق : ٧٨ ، ٧٩) .

٤٠٥ - إبراهيم بن موسى بن آزر^(١) قال : حضرت أحمد بن حنبل ،
وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية فأعرض عنه فقيل له : يا أبا عبد الله ،
هو رجل من بني هاشم . فأقبل عليه وقال اقرأ : ﴿ تلك أمة قد خلت لها
ما كسبت ﴾ الآية^(٢) .

٤٠٦ - مسدد بن مسرهد كتب له أحمد : والكف عن مساوئي
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثوا بفضائلهم وأمسكوا عما شجر
بينهم^(٣) .

٤٠٧ - عبدوس بن مالك قال : سمعت أحمد يقول ... ومن انتقص
أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أبغضه لحدث كان منه
أو ذكر مساوئه ، كان مبتدعا حتى يترحم عليهم جميعا ويكون قلبه لهم
سليما^(٤) .

٤٠٨ - الحسن بن إسماعيل الربيعي قال : قال لي أحمد : والكف عما
شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٥) ومثله نقل محمد بن عوف
الطائي^(٦) .

٤٠٩ - محمد بن حبيب قال : سمعت أحمد يقول ... وحدث
بفضائلهم وأمسك عما شجر بينهم^(٧) .

(١) قال الخطيب : حكى عن أحمد بن حنبل ، وكذا ذكر ابن أبي يعلى وابن الجوزي ت/بغداد : ٤٤/٦ ،

مناقب الإمام أحمد ص : ١٢٨ ، ط/الحنابلة : ٩٦/١ .

(٢) الرواية في ت/بغداد : ٤٤/٦ ، وطبقات الحنابلة : ٩٦/١ - ٩٧ ومناقب أحمد ص : ٢١٤ .

(٣) طبقات الحنابلة : ٣٤٤/١ .

(٤) رسالة عبدوس (ق/أ) وطبقات الحنابلة : ٢٤٥/١ .

(٥) انظر : المصدر الأخير : ٣١١/١ .

(٦) نفس المصدر .

(٧) نفس المصدر : ٢٩٤/١ .

التعليق :

تقدم أنفا بعض ما يجب نحو صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحب لهم والترحم والثناء عليهم جميعا بدون استثناء .

كما أن من الواجب على المؤمن الكف عما شجر بين بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم الخوض فيما جرى بين بعضهم بل يذكر محاسنهم ويتحدث بها ويسكت عن بعض ما صدر من بعضهم وهو لا يعد شيئا بجانب ما لهم من المحاسن الكثيرة فهم على كل حال لم يخرجوا عن نطاق البشرية والعصمة للأنبياء .

يقول ابن تيمية موضحا مذهب أهل السنة :

ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم ، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون : إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كاذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذرون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما ليس لمن بعدهم .

وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خير القرون وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم .

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو أحق بشفاعته أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر به عنه ، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور . ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله

والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ومن نظر في سيرة القوم يعلم
وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء
لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم
وأكرمها على الله^(١).

قول الإمام أحمد فيمن يشهد له الجنة

في رسالته إلى مسدد بن مسرهد قال :

٤١٠ - وأن نشهد للعشرة بالجنة وهم أبو بكر^(٢) وعمر^(٣) وعثمان^(٤)
وعلى^(٥) وطلحة^(٦) والزبير^(٧) وسعد^(٨) وسعيد^(٩) وعبد الرحمن بن عوف
الزهري^(١٠) وأبو عبيدة بن الجراح^(١١).

* ومن شهد النبي صلى الله عليه وسلم له بالجنة شهدنا له بالجنة^(١٢).
* الروايات عن الإمام أحمد مستفيضة في الشهادة لمن شهد لهم النبي صلى
الله عليه وسلم بالجنة والاستدلال لذلك والإنكار على من خالف ومن نقل عنه :

٤١١ - ابنه عبد الله قال : سألت أبي رحمه الله عن الشهادة لأبي بكر
وعمرهما في الجنة ؟ قال : نعم . وأذهب إلى حديث سعيد بن زيد أنه قال :

- (١) العقيدة الراسية ص : ١٢٢ - ١٢٤ ، وانظر : الإبانة الصغرى لابن بطه ص : ٢٦٨ .
- (٢) الخليفة الراشد ، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . توفي سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون
سنة . تقريب : ٤٣٢/١ .
- (٣) الخليفة الراشد ، عمر بن الخطاب ، استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين . نفس المصدر :
٥٤/٢ .
- (٤) الخليفة الراشد ، عثمان بن عفان ، استشهد في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين . نفس المصدر : ١٢/٢ .
- (٥) الخليفة الراشد ، علي بن أبي طالب ، قتل سنة أربعين . نفس المصدر : ٣٩/٢ .
- (٦) طلحة بن عبيد الله التيمي ، قتل يوم الجمل سنة ست وثلاثين . نفس المصدر : ٣٧٩/١ .
- (٧) الزبير بن العوام ، قتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل . نفس المصدر : ٢٥٩/١ .
- (٨) سعد بن أبي وقاص ، توفي سنة خمس وخمسين على المشهور . نفس المصدر : ٢٩٠/١ .
- (٩) سعيد بن زيد ، توفي سنة خمسين أو بعدها بسنة . نفس المصدر : ٤٩٤/١ .
- (١٠) توفي سنة اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك . نفس المصدر : ٤٩٤/١ .
- (١١) هو : عامر بن عبد الله بن الجراح ، مات بطاعون عمواس سنة ثمانى عشرة نفس المصدر : ٣٨٨/١ .
- (١٢) طبقات الحنابلة : ٣٤٤/١ .

أشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وكذلك أصحاب النبي التسعة والنبي صلى الله عليه وسلم عاشرهم^(١).

٤١٢ - قلت لأبي : من قال : أنا أقول إن أبا بكر وعمر في الجنة ولا أشهد . قال : يقال له : هذا القول لقول حق . فإن قال نعم فيقال له : ألا تشهد على الحق والشهادة هو القول ولا تشهد حتى تقول^(٢) .

وفيمن قال أقول ولا أشهد نقل :

٤١٣ - أبو بكر بن حماد المقرئ أنه سأل أبا عبد الله في هذه المسألة قال : تفرق بين العلم وبين الشهادة ؟ قال : لا ، إذا قلت أعلم فأنا أشهد قال الله تعالى : ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ وقال : ﴿ وما شهدنا إلا بما علمنا ﴾ .

٤١٤ - وفي رواية الميموني قال : وهل معنى القول والشهادة إلا واحد^(٣) . وكذا روى عنه أكثر من واحد^(٤) .

٤١٥ - أبو بكر المروزي قال : قال أبو عبد الله : واحتججت عليهم بحديث ابن أبي عروبة عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اسكن فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد »^(٥) . واحتججت بحديث أبي عثمان عن أبي موسى افتتح له الباب وبشره بالجنة^(٦) .

٤١٦ - أبو الحارث الصائغ : قال أبو عبد الله : وأحتججت عليهم قال : وحديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دخلت الجنة فرأيت قصرا فقلت : لمن هذا قالوا : لعمر »^(٧) . وما يروى عن النبي صلى الله عليه

- (١) أخرجه أحمد : ١٨٨/١ والترمذي : ٦٥١/٥ .
- (٢) مسائل عبد الله ص : ٤٤٠ ، ومناقب الإمام أحمد ص : ٢٠٩ .
- (٣) انظر : السنة للخلال : (ق : ٥٠ / ب) .
- (٤) راجع المصدر السابق : (ق : ٥٠ / ب ، ق : ٥١ / أ ، ق : ٥٢ / أ) .
- (٥) أخرجه البخاري : ٥٣/٧ ورواه مسلم : ١٨٨١/٤ عن أبي هريرة .
- (٦) أخرجه البخاري : ٤٣/٧ ومسلم : ١٨٦٧/٤ والرواية في السنة للخلال (ق ٥١ / ب) .
- (٧) أخرجه البخاري : ٤٠/٧ ومسلم : ١٨٦٢/٤ وأحمد : ٣٧٣/٢ .

وسلم أن أبا بكر استأذن فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » لأبي بكر وعمر
وعثمان . وروى أنس وسهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحد :
اسكن فما عليك إلا أنبي وصديق وشهيدان^(١) .

٤١٧ - محمد بن الحكم الأحول أنه سأله عن الرجل يقول : أشهد
أن أبا بكر في الجنة وأشهد أن عمر في الجنة قال : لا بأس به إذا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قولاً فأنا أشهد عليه ثم ذكر حديث سعيد بن زيد .

٤١٨ - محمد بن أبي حرب^(٢) قال : سألت أبا عبد الله عن الشهادة
للعشرة فقال : نحن نشهد ... وسعيد بن زيد في بعض حديثه يقول : أشهد وفي
أخرى قال : قلت - لأحمد - فمن لم يشهد يهجر قال : يقول ماذا ؟ قلت :
يقول : كما قال رسول صلى الله عليه وسلم ولا أشهد فسكت^(٣) .

٤١٩ - مشي الأنباري^(٤) قال : قال أبو عبد الله : نعم كل من شهد
له النبي صلى الله عليه وسلم يشهد له .

٤٢٠ - وفي أخرى : أنه قال لأبي عبد الله : رجل يحدث يكتب عنه
الحديث قال : من شهد أن العشرة في الجنة فهو مبتدع فاستعظم ذلك وقال :
لعله جاهل لا يدري ما يقال له^(٥) .

٤٢١ - محمد بن الحسن بن هارون قال : سألت أبا عبد الله عن
الشهادة للعشرة . قال : نعم أشهد للعشرة بالجنة^(٦) .

(١) السنة للخلال : (ق : ٥١ / ب) .

(٢) هو محمد بن النقيب بن أبي حرب الجرجاني ذكره أبو بكر الخلال فقال : ورع جليل القدر كان
أحمد يكاتبه ويعرف قدره عنده عن أبي عبد الله مسائل مشبعة . ط/الخطابة : ٣٣١/١ .

(٣) السنة للخلال : (ق : ٥٣ / أ) .

(٤) هو : المشي بن جامع ، قال عنه أبو بكر الخلال : كان ورعاً جليل القدر كان أبو عبد الله يعرف
قدره وحقة ونقل عنه - أي عن أبي عبد الله - مسائل حسناً وقال الخطيب : كان ثقة صالحاً ديناً
مشهوراً بالسنة . ت/بغداد : ١٧٢/١٣ . ط/الخطابة : ٣٣٦/١ .

(٥) السنة : (ق : ٥٢ / ب ، ٥٣ / أ) .

(٦) المصدر نفسه : (ق : ٥٠ / ب) .

٤٢٢ - محمد بن يحيى الكحال قال : سألت أبا عبد الله عمن لا يشهد لأبي بكر وعمر وعثمان بالجنة فقال : هذا قول سوء .

٤٢٣ - أبو بكر الأثرم قال : سمعت أبا عبد الله ونحن على باب عفان فذكروا الشهادة للذين جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم في الجنة . فقال أبو عبد الله : نعم نشهد وغلظ القول على من لم يشهد واحتج بأشياء كثيرة .

٤٢٤ - أبو بكر المروزي^(١) قال : قال أبو عبد الله : قال لكم : لا أقول إنهم في الجنة ولا نشهد . هذا كلام سوء^(٢) .

التعليق :

مذهب السلف الصالح لهذه الأمة الشهادة بالجنة لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم العشرة المشهورون وغيرهم كالحسن والحسين وعكاشة بن محصن .

وروى مسلم^(٣) في قصة حاطب بن بلتعة قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب : « إنه قد شهد بدرا . وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

وفي رواية البخاري^(٤) : « اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة - أو فقد غفرت لكم » .

وقال تعالى : ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾^(٥) .

(١) راجع الروايتين بأكملهما في المصدر السابق : (ق ٥١) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) في الصحيح : ١٩٤١/٤ .

(٤) في الصحيح : ٣٠٥/٧ .

(٥) سورة الفتح / ١٨ .

وروى مسلم^(١) عن أم مبشر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة « لا يدخل النار ، إن شاء الله ، من أصحاب الشجرة أحد . الذين بايعوا تحتها » .

قال عبد القاهر البغدادي : « وأجمع أهل السنة على أن من شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا من أهل الجنة وكذلك من شهد معه أحدًا غير قرمان الذي استثناه الخبر وكذلك كل من شهد معه بيعة الرضوان بالحديبية »^(٢) . اهـ .

قلت : وإلى هذا أشار الإمام أحمد كما في رواية عبد الله بن أحمد وأبي الحارث الصائغ فقد قال بعد ذكر المشهود لهم المصريح بهم ... وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾^(٣) و ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم ﴾ .

وعنه أن أحمد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أهل الجنة عشرون ومئة صف ثمانون منها من أمتي^(٤) فإذا لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فمن يكون »^(٥) .

والإمام أحمد ينكر بشدة على من لا يشهد لمن يشهد له الرسول صلى الله عليه وسلم لأن في ذلك ردًّا لخبر رسول الله وهو الذي لا ينطق عن الهوى وقد تقدم آنفاً ذكر الآيات والأحاديث الدالة على فضل أهل بدر وبيعة الرضوان وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا يدخل النار من أصحاب الشجرة أحد » .

(١) في الصحيح : ١٩٤٢/٤ .

(٢) الفرق بين الفرق ص : ٣٥٣ .

(٣) سورة التوبة / ١٠٠ .

(٤) رواه أحمد : ٣٤٧/٥ ، ٣٥٥ ، والترمذي : ٦٨٣/٤ ، وابن ماجه : ١٤٣٤/٢ من حديث بريدة .

قال الترمذي : حديث حسن . ورواه أحمد : ٤٥٣/١ من حديث ابن مسعود .

(٥) السنة للخلال : (ق : ٥٣) .

أما بالنسبة لعامة الصحابة رضوان الله عليهم فقد قيل : إن الصحابة كلهم مقطوع لهم بالجنة^(١) والله تعالى أعلم .

قول الإمام أحمد في القطع للمعين بالجنة أو النار

في رسالة عبدوس بن مالك قال :

٤٢٥ - ولا نشهد على أحد من أهل القبلة يعمل بعمله بجنة ولا نار نرجو للصالح ونخاف عليه ونخاف على المسيء المذنب ونرجو له رحمة الله^(٢) . ونحو هذا نقل عنه :

٤٢٦ - محمد بن عوف الطائى قال : أملئ عني أحمد ... ولا تنزل أحدا من أهل القبلة جنة ولا ناراً إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة^(٣) .

٤٢٧ - محمد بن حبيب قال : سمعت أحمد يقول ... صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة ... ورجا لمحسن أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتخوف على مسيئهم . ولم ينزل أحدا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الجنة بالإحسان ولا النار بالذنب اكتسبه حتى يكون الله تعالى هو الذى ينزل خلقه حيث شاء^(٤) .

التعليق :

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة يرجون للمحسن ويخافون على المسيء ويكفون علم الخلق للخالق ولا يتجرؤون على الله عز وجل فيما لا علم لهم به . يقول شارح الطحاوية : لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة إنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا من أخبر الصادق صلى الله عليه وسلم إنه من

(١) وهو ما يفيد كلام الإمام أحمد الألف الذكر .

(٢) رسالة عبدوس : (ق : ٥ / ب) وطبقات الخبابة : ٢٤٤/١ - ٢٤٥ .

(٣) طبقات الخبابة : ٣١٢/١ - ٣١٣ .

(٤) المصدر السابق : ٢٩٤/١ .

أهل الجنة كالعشرة رضى الله عنهم وغيرهم ، وإن كنا نقول : إنه لا بد أن يدخل النار من أهل الكباثر من شاء الله إدخاله النار ، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين ، ولكننا نقف في الشخص المعين فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم ، لأن الحقيقة باطنة ، وما مات عليه لا نخط به . لكن نرجو للمحسنين ونخاف على المسيئين^(١) .

قول الإمام أحمد في : يزيد بن معاوية

قال أبو بكر الخلال :

٤٢٨ - أخبرني محمد بن علي ، ثنا مهنا^(٢) قال : سألت أحمد عن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان^(٣) قال : هو فعل بالمدينة ما فعل^(٤) . قلت : وما فعل ؟ قال : قتل بالمدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفعل . قلت : وما فعل قال : نهها . قلت : فيذكر عنه الحديث قال : لا يذكر عنه الحديث ولا ينبغي لأحد أن يكتب عنه حديثا^(٥) قلت لأحمد : ومن كان معه بالمدينة حين فعل ما فعل . قال : أهل الشام . قلت له : وأهل مصر . قال : إنما كان أهل مصر معهم في أمر عثمان رحمه الله .

٤٢٩ - أخبرني أحمد بن محمد بن مطر^(٦) وزكريا بن يحيى^(٧) أن أبا طالب^(٨) حدثهم قال : سألت أبا عبد الله من قال : لعن الله يزيد بن معاوية ؟

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٤٢٦ .

(٢) هو : ابن يحيى الشامي - تقدمت ترجمته ص : ٣٧٧ .

(٣) عقد له أبوه بولاية العهد من بعده فتسلم الملك عند موت أبيه سنة ستين وله ثلاث وثلاثون سنة . فكانت دولته أقل من أربع سنين . انظر سيرته في : سير أعلام النبلاء : ٣٥/٤ ، والبداية والنهاية :

٢٢٦/٨ ، وتهذيب التهذيب : ٣٦٠/١١ .

(٤) في وقعة الحرة المشهورة .

(٥) قال ابن حجر : ليس بأهل أن يروى عنه . تقريب : ٣٧١/٢ .

(٦) قال أبو بكر الخلال : عنده عن أبي عبد الله مسائل . سمعتها منه . وكان فيها غرائب ، ووثقه الخطيب . طبقات الحنابلة : ٧٥/١ ، ت/بغداد ٩٨/٥ .

(٧) الناقد . تقدمت ترجمته ص : ٣٨٩ .

(٨) هو : عصمة بن أبي عصمة العكبري ، قال أبو بكر الخلال كان صالحا صحب أبا عبد الله دينا =

قال : لا أتكلم في هذا . قلت : ما تقول فإن الذي تكلم به رجل لا بأس به وأنا صائر إلى قولك فقال : أبو عبد الله : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لعن المؤمن كقتله »^(١) وقال : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم »^(٢) وقد صار يزيد فيهم وقال : « من لعنته أو سبته فاجعلها له رحمة »^(٣) فأرى الإمساك أحب إلى^(٤)

التعليق :

علاقة هذه المسألة بمسائل العقيدة ليست في شخص يزيد نفسه وإنما في الكلام حول لعن المعين المخصوص .

ولا مانع من أن أبدأ بما قيل حول يزيد ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :
افترق الناس في يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثلاث فرق طرفان ووسط فأحد الطرفين قالوا : إنه كان كافرا منافقا ، وإنه سعى في قتل سبط رسول الله تشفيا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتقاما منه ، وأخذا بثأر جده عتبة وأخى جده شيبة ، وخاله الوليد بن عتبة وغيرهم ممن قتلهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بيد علي بن أبي طالب وغيره يوم بدر وغيرها . وقالوا : تلك أحقاد بدرية وآثار جاهلية .

والطرف الثاني : يظنون أنه كان رجلا صالحا وإماما عدلا وأنه كان من الصحابة الذين ولدوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على يديه وبرك عليه وربما فضله بعضهم على أبي بكر وعمر . وربما جعله بعضهم نبيا ... وهو قول غالبية العدوية .

= إلى أن مات وروى عنه مسائل كثيرة جيدة وأول مسائل سمعت بعد موت أبي عبد الله مسائله .
توفي سنة متين وأربع وأربعين . ط/الحنابلة : ٢٤٦/١ .

- (١) رواه البخارى : ٤٦٤/١٠ - ٤٦٥ وأحمد : ٣٤/٤ من حديث ثابت بن الضحاك رضى الله عنه .
- (٢) تقدم تفريجه انظر ص : ٤٢٦ .
- (٣) رواه مسلم ٢٠٠٧/٤ عن عدة من الصحابة .
- (٤) الروايتان في السنة للخلال : (ق : ١٣ ب - ٨٤ أ) والثانية نقلها ابن أبي يعلى في ط/الحنابلة . ٢٤٦/١ :

والقول الثالث : أنه كان ملكا من ملوك المسلمين ، له حسنات وسيئات ولم يولد إلا في خلافة عثمان ، ولم يكن كافرا ، ولكن جرى بسببه ما جرى من مصرع الحسين وفعل ما فعل بأهل الحرة ... وهذا قول عامة أهل العقل والعلم والسنة والجماعة .

ثم افترقوا ثلاث فرق : فرقة لعنته ، وفرقة أحبته ، وفرقة لا تسبه ولا تحبه . وهذا هو المنصوص عن الإمام أحمد ، وعليه المقتصدون من أصحابه وغيرهم من جميع المسلمين^(١) . اهـ .

قال الذهبي : ويزيد ممن لا نسبه ولا نحبه ، وله نظراء من خلفاء الدولتين وكذلك في ملوك النواحي ، بل فيهم من هو شر منه ، وإنما عظم الخطب لكونه ولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بتسع وأربعين سنة ، والعهد قريب والصحابة موجودون^(٢) . اهـ .

قال القاضي أبو يعلى ابن الفراء : رأيت بخط أبي حفص العكبري^(٣) على ظهر جزء فيه فضل رجب إلى أبي القاسم بن السوادى^(٤) قال : ثنا أبو علي الحسين ابن الجندي قال : ثنا أبو طالب العكبري قال : سمعت أبا بكر محمد بن العباس قال : سمعت صالح بن أحمد بن حنبل يقول : قلت لأبي : إن قوما ينسبوننا إلى توالي يزيد . فقال : يا بني وهل يتوالى يزيد أحد يؤمن بالله . فقلت : فلم لا تلعنه . فقال : ومتى رأيتني ألعن شيئا^(٥) . لم لا تلعن من لعنه الله في كتابه . فقلت : وأين لعن الله يزيد في كتابه فقراً : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾^(٦) .

(١) مجموع الفتاوى : ٤٨١/٤ - ٤٨٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٣٦/٤ .

(٣) عمر بن أحمد بن عثمان قال الخطيب : كان ثقة أميناً . ت/بغداد : ٢٧٣/١١ .

(٤) لعله عبيد الله بن أبي الفتح . أثنى عليه الخطيب كثيراً . انظر ت/بغداد : ٣٨٥/١٠ والأنساب

للسمعاني : ٢٧٥/٧ . وبقية رجال الإسناد لم أعرفهم - خلا العكبري وصالح .

(٥) إلى هنا ذكرها ابن تيمية في مجموع الفتاوى : ٤١٢/٣ ، ٤٨٣/٤ .

(٦) سورة محمد / ٢٢ .

(٧) الروايتان والوجهان : (ق : ٢٥٤ / ١) .

وروى الخلال عن صالح أنه قال لأبيه : الرجل يذكر عنده الحجاج^(١) أو غيره فيلعنه : قال : لا يعجبني لو عبر فقال : ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾^{(٢)(٣)}

قلت : وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة لا يخصوصون أحداً من المسلمين باللعن .

يقول ابن تيمية : ولهذا كان المقتصدون من أئمة السلف يقولون : إنا لا نسبهم و لانجهم ، أى لا نحب ما صدر منهم من ظلم . والشخص الواحد يجتمع فيه حسنات وسيئات ، وطاعات ومعاصي ، وبر وفجور وخير وشر فيثيبه الله على حسناته ويعاقبه على سيئاته إن شاء أو يغفر له ، ويجب ما فعله من الخير ويبغض ما فعله من الشر^(٤) .

ويقول أيضا :

... إن الفاسق المعين لا يلعن بخصوصه ، إما تحريماً ، وإما تنزيها فقد ثبت في صحيح البخارى عن عمر في قصة « حمار » الذى تكرر منه شرب الخمر وجلده لما لعنه بعض الصحابة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله »^(٥) وقال : « لعن المؤمن كقتله »^(٦) هذا مع أنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن الخمر وشاربها فقد ثبت أن النبي لعن عموماً شارب الخمر ونهى في الحديث الصحيح عن لعن هذا المعين .

هذا كما أن نصوص الوعيد عامة في أكل أموال اليتامى ، والزانى ، والسارق فلا نشهد بها عامة على معين ، بأنه من أصحاب النار . لجواز تخلف المقتضى

(١) ابن يوسف الثقفى ، الأمير ، المشهور ، الظالم ولى العراق عشرين سنة . تقريب : ١٥٤/١ .

(٢) سورة هود / ١٨ .

(٣) السنة للخلال : (ق : ٨٤ / ب) .

(٤) مجموع الفتاوى : ٤٧٥/٤ .

(٥) فتح البارى : ٧٥/١٢ .

(٦) رواه أحمد : ٣٣/٤ من حديث ثابت بن الضحاك .

عن المقتضي لمعارض راجح : إما توبة ، وإما حسنة ماحية ، وإما مصائب
مكفرة ، وإما شفاعة مقبولة ، وإما غير ذلك كما قررناه في غير هذا الموضوع^(١)

(١) مجموع الفتاوى : ٤٨٤/٤

حدث خطأ في الإحالات في بعض الهوامش
واليكم الصواب

الصواب	الخطأ	هامش	صفحة
. ٣١٠٢٨	. ٢٢٤، ٢٢١ : ص	(١)	٨
. ٣٥	. ٢٨ : ص	(٨)	٣٧
. ٣٥	. ٢٨ : ص	(٩)	٣٩
. ٢٧٦	. ٢٧١ : ص	(٩)	٤٠
. ١٦	. ١٥ : ص	(١)	٤٦
. ٢٦٠	. ٢٦٢ : ص	(٥)	٤٦
. ٣٤٤	. ٣٤٦ : ص	(١)	٥٣
. ٢٩٢	. ٢٩٤ : ص	(٥)	٥٣
. ٣٦/٢	. ٣٤/٢	(٣)	٦٦
. ٥١/٢	. ٤٩/٢	(٤)	٦٦
. ٤٨/٢	. ٤٦/٢	(٥)	٦٦
. ٥١/٢	. ٥٠/٢	(٦)	٦٦
. ٣٦٩/٢	. ٨٩١ : ص	(١)	٦٩
. ٣٥٢/٢	. ٣٤٦/٢ : ص	(١)	٧٦
. ٣٧٤/٢	. ٣٦٥/٢ : ص	(١)	٧٧
. ٣٦٩/٢	. ٣٦٢/٢ : ص	(٥)	٧٧
. ٣٦/٢	. ٣٤/٢ : ص	(١)	١١١
. ٤٨/٢	. ٤٦/٢ : ص	(٢)	١١١
. ٥١/٢	. ٤٩/٢ : ص	(٣)	١١١
. ٥٢، ٥١/٢	. ٥٠/٢ : ص	(٤)	١١١
. ٢١١/٢	. ٧١١ : ص	(٤)	١٢٩
. ٢١٤/٢	. ٧١٥ : ص	(٤)	١٢٩
. ٣٥٧/٢	. ٨٧٧ : ص	(١)	٣٦٩